أعلام التابعين

إعداد

دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

بطاقة الفهرسة

اسم الكتـــاب :	أعلام التابعين
إعـــــــــداد:	دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت
الطبعـــــــــة :	طبعة أولى / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م
الناشــــــــر :	مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيـــداع :	

مكتبـــة جزيرة الورد - القاهـــرة / ميدان حليـــم
خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠١٢/٩٩٦١٦٣٥ - ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦ - ٠١٠/٠١٠٤١١٥

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداعا، وعدله اصطناعا، فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلها تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبيه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول، ولا الأفهام يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق، وقول صدق بإخلاص نية، وصحة طويلة أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق، فبلغ ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد...

فالقدوة الحسنة عنصر هامّ في كل مجتمع، فمهما كان أفراده صالحين فهم في أمس الحاجة لرؤية القدوات، وكما قيل: جالسوا من تذكّركم بالله رؤيتُهم، كيف لا وقد أمر اللهُ نبيَه بالاقتداء فقال:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠].

وتشتدّ الحاجة إلى القدوة كلما بَعُد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأحكامه، وتتأكد الحاجة بل تصل إلى درجة الوجوب إذا وُجدت قدواتٌ سيئةٌ فاسدةٌ تُحْسِن عرضَ باطلها.

إن القدوةَ - سواءً أكانت حسنةً أو سيئة - أكثرُ أثرًا وإقناعًا من الكلام النظري مهما كان بليغًا ومؤثرًا، ولعل هذا هو السرُ في إرسال اللهِ رسلاً من البشر عبر التاريخ مع أنه تعالى قادر - وهو الذي لا يعجزه شيء - على أن يلهم الناس شرعه، خاصة أن بشرية الرسل تعلَّلَ بها الجاحدون لرفض الإيمان كما قال تعالى: { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾} [الإسراء: ٩٤]، لكن الذي قال عن نفسه:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك: ١٤]، اقتضت حكمته إرسال الرسل من البشر؛ ليكونوا منارات هدى وقدوات حسنة عبرالتاريخ، فهم التطبيق النموذجي لشرع الله في كل عصر، وتطبيقهم حجةٌ على العباد ودليلٌ على واقعيةِ الشرع.

وأوضح دليل على هذا الأثر ما وقع في يوم الحديبية، ففي صحيح البخاري قال عمر: فلما فَرغ من قضية الكتاب - أي: بنود الصلح - قال رسول الله لأصحابه:(**قوموا، فانحروا ثم احلقوا**)، قال: فوالله، ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبيّ الله، أتحبّ ذلك؟ اخرُج لا تكلّم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضًا.

إنّ هذا التأثيرَ القويَ والمباشرَ للقدوة يرجع إلى عدة أسباب منها:

أن الإنسان مفطور على حب التقليد، وكثيرًا ما يكتسب معارفَه وخبراته ومهاراته بالتقليد والمحاكاة، انظر إلى الطفل كيف يحاكي أباه ويتقمص شخصيته؛ لأن التعلم بالرؤية والمشاهدة أسهلُ وأيسر بل وأسرع، والنفس بطبعها تحبّ الحصولَ على الشيء بأسهل الطرق وأسرعها ولو كان محرّمًا، لكن الشرع والعقل يضبطها.

وقوعُ الإنسان - مهما كان كسولاً أو مقصرًا - أسيرًا للقدوة، فيحمله ذلك الإعجابُ على التقليد والمحاكاة، وهنا تكمن خطورةُ الموضوع؛ لأنّ القدوةَ إما أن تكون حسنةً لها بريقها الذاتي فتَنجذبُ إليها النفوسُ تلقائيًا وتتأثر بها إيجابيًا،

وإمّا أن تكون قدوةً سيئةً زخرفت وزينت بالأصباغ والألوان الخادعة، وسُلّط عليها الأضواءُ الإعلاميةُ الباهرة، وأُضفيَ عليها عباراتُ الثناء والتمجيد الكاذبة لإثارة إعجاب المخدوعين، وحقًّا منهم من يقع في حبائلهم وشراكهم، حتى إذا فحصه عن قرب أدرك أنه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل تبين له الوجهُ الحقيقيُّ، فما كان إلا إثارةً للغرائز والشهوات وتمجيدًا للكفرةِ والفساق والفجار باسم الفن والأناقة والرقص والغناء، وترويجًا للمنكرات والفواحش والرذائل باسم الترويح والسياحة، ومحاربةً للفضائل والحياء باسم الحرية والحضارة، وتنفيرًا من دين الله باسم التأخر والجمود، وتهجينًا لأحكامه باسم الكبت والقسوة، {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠]، وتحقيرًا لدعاته باسم التطرف والإرهاب. نعم، هذا هو البديل عند غيابِ أو تغيّبِ القدواتِ الصالحة الحسنة.

وللأسف فإنّ دعاةَ الشر وشياطينَ الفساد استطاعوا أن يغزونا في عُقْر دارنا بهذه القدوات السيئة الفاسدة المفسدة عبر فضائياتهم، وبدأ المخطط - ولمّا يمضي عليه سنوات - يؤتي أكلَه الفاسد بمباركة الشيطان، فوُجد في فتيانِنا وفتياتنا من يقلّد أعداء الإسلام والساقطين في كل شيء، في مظهرهم وملبَسِهم، بل حتى في القضايا الجبلّية من أكل وشرب ومشي.

إنّ هذه المظاهرَ الشاذةَ لهي دليلٌ قويٌّ على الشعور بالنقص والانهزام النفسي، وصدق ابنُ خلدون في قوله: " المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب أبدًا في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ".

أيها الأحبة، في هذه الأيام وفي هذه الظروف المحيطة بنا ما أحوجنا إلى الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، فهي محطّ آمال العقلاء وغاية أمانيهم؛ لأنها نهج راشد وطريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء.

وإن في طليعة من يجب أخذ الأسوة الحسنة منهم والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم وكريم شمائلهم رسلَ الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم الصفوة من خلق الله، المهتدون بهداية الله، المسارعون إلى فعل الخير والحرص عليه، قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠]. وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بالاقتداء بهم والسير على نهجهم حيث قال:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ } [الأنعام: ٩٠].

أيها المسلمون، إذا كان الحبيب محمد مأمورًا بأخذ الأسوة والقدوة من سلفه رسل الله، فنحن أحرى أن نأخذها منه، كما وجهنا إلى ذلك ربّ العزة. وفي هذا التوجيه الرباني دعوة إلى كل ذي عقل رشيد أن يضع نصب عينه أخذ الأسوة والقدوة من سيد الخلق أجمعين، في أقواله وأفعاله، وفي مناهجه وشمائله وأخلاقه وسلوكيّاته، فهو المثل الكامل للإنسانية.

وقد سار أصحابه رضوان الله عليهم على نهجه، فلم يحجموا عن مكرمة أو يقصروا عن شيء من فعل الخير، ويأتي بعد ذلك أخذ الأسوة والقدوة الحسنة من خيار الأمة، وفي طليعتهم أهل القرون المفضّلة المشهود لهم بالهداية من التابعين وتابعي التابعين، قال:(**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**).

وهكذا في كل زمان يجب أخذ الأسوة الحسنة من أهل الفضل، ومن العلماء العاملين بعلمهم، المخلصين لدينهم، الذين يتقون الله في سرهم وعلانيتهم، الذين يقولون كلمة الحق بدون خوف أو وجل، لا تأخذهم في الله لومة لائم، الذين لا يلحدون في آيات الله، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه، الذين لا ينافقون ولا يجاملون. فهؤلاء العلماء ممن هدى الله وشرح صدورهم للإيمان، ففي السير على هدايتهم والاقتداء بأفعالهم فلاح وفوز في الدنيا والآخرة.

ولكي ندرك خطورة وأهمية القدوة الحسنة في تاريخ الأمة؛ فلنتأمل هذه القصة:

يروي أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة؛ عبر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليه، قال: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل - يعني المأمون - إن لم يقتلك فأنت تموت، ولابد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء. فجعل أحمد

يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

وتمر الأيام عصيبة على الإمام أحمد، ويمتحن فيها أشد الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: " يا أستاذ قال الله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]. فقال أحمد: يا مروزي اخرج، انظر أيّ شيء ترى!! قال: فخرجت على رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي: مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم!! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء".

فمن أبرز أسباب أهمية القدوة أنها تساعد على تقويم الفرد المسلم دونما توجيه خارجي وهذا بالتالي يساعد علي خلق أجيال صالحة لقيادة العالم.

أيها المسلمون، أما الأسوة السيئة التي تَبَنّتْها المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر وفي كل مجالات الحياة فهي في الواقع وفي الحقيقة نكسة في الظاهرة الدينية والأخلاقية، يجب أن يترقّع عنها المسلم حفاظًا على دينه وإيمانه، وصونًا لأخلاقه، حتى ولو انتشرت هذه الأسوة السيئة بين الناس، وشملت جميع الطبقات والفئات، حيث أصبح العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، ولكن يقصدون به المنصب والجاه والسلطان، وأصبح يمثلها أيضًا الوعّاظ والمرشدون الذين لا يأتمرون بما يأمرون به، والذين يصفون الدواء للأمراض التي هم بها مصابون، فمخبَرهم لا يطابق مظهرهم، فبئست الأسوة والقدوة بهم، قال الله تعالى:{أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾} [البقرة: ٤٤].

ورد في الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه قال: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه،

ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

والحقيقة أن كل مجتمع مهما بلغ من الفضل والاستقامة لا بد له من طائفة تتمثل فيها المُثُل العليا، تحفظ للمجتمع وجوده المعنوي المتمثل في صلاح عقيدته وحسن أخلاقه وأدب تعامله، على حد قول الله عزَّ وجلَّ:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾}
[آل عمران: ١٠٤].

إنهم طائفة تمثل الخيرية في المجتمع، وتحافظ عليها وتحميها.

إن في أرواحها من التوهج، وفي نفوسها من الحيوية ما يجعل هم مجتمعها هو همها الأكبر، فيسعد بها المجتمع، إذ تحفظ عليه توازنه واستقامته، وعناصر استمراره وبقائه.

إنهم فئة من المجتمع مسموعة الصوت، واضحة التأثير، تملأ الفراغ، وتملك من التأثير ما يجعل جادة الحق واضحة، وطريق الصواب بارزة، ومسالك الخير بينة، فتستمر سُنَّة المدافعة بين الحق والباطل.

إنهم{أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ } [هود: ١١٦] مشاعل وسرج يصلحون ما أفسد الناس، بدين الله قائمون، وعلى الحق حراس، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون من العمى، ويصبرون على الأذى، همهم - أثابهم الله وأعظم أجورهم - إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه.

إنهم صمام الأمان بإذن الله، وسبب نجاة الأمة من الهلاك.

وهكذا جيل التابعين - رضي الله عنهم - كانوا روحا نابضة، وقوة متجددة، وصفحة مشرقة لم تزدها الأيام إلا قوة ومضاء ولا الأحداث إلا نصوعا وإشراقا، فكانوا يبادرون إلى كل خير ويتنافسون في الاستباق إليه، ويكفيهم فخرا وعزا أنهم - على رغم ما مروا به من ظروف قاسية - سطروا أروع الأمثلة وأنصعها في بلوغ الكمال الإنساني، إذ من السابقين المضحين منهم تكون نواة لمجتمع رباني نما واتسع

فيما بعد بسرعة فائقة حتى عم خيره بقاع الدنيا بأسرها، ولا تزال آثاره باقية بفضل الله تعالى.

فهذا الذي فعلوه وحققوه ليس ضربا من ضروب الأحلام، أو الخيال، أو المحال، لا بل هو مثال واقع محسوس في دنيا الناس وعلى أرضهم، وسنة سنوها وحازوا سبقها فنالوا أجرها وأجر من تبعهم فيها.

وأخيرا فلئن كانت حياة التابعين - رضي الله عنهم - كلها مليئة بالصور المضيئة المشرقة فإنني لأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي لجانب من هذه الجوانب المشرقة من حياتهم، وذلك تذكيرا بجهادهم وسبقهم وتنويها بمنزلتهم وفضلهم.

سائلا الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يمتن علينا بحسن الاتباع والاقتداء.

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ::: إن التشبه بالكرام فلاح

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملي أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه،

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

تعريف التابعي:

لغة: التابعون جمع تابعي أو تابع، والتابع اسم فاعل من " تبعه " بمعنى مشَى خلفه.

اصطلاحاً: اخْتُلِفَ في حدِّ التابعيِّ، فقالَ الحاكمُ وغيرهُ: إنَّ التابعيَّ مَنْ لقيَ واحداً منَ الصحابةِ فأكثرَ.

ولكنَّ ابنَ حبَّانَ يشترطُ أن يكونَ رآهُ في سنِّ مَنْ يحفظُ عنهُ، فإنْ كانَ صغيراً لمْ يحفظْ عنهُ فلا عبرةَ برؤيتِهِ، كخلفِ بنِ خليفة، فإنَّهُ عدَّهُ في أتباعِ التابعينَ، وإنْ كانَ رأى عمرَو بنَ حريثٍ؛ لكونهِ كانَ صغيراً [(١)].

وقالَ الخطيبُ: " التابعيُّ مَنْ صَحِبَ الصحابيَّ "، والأولُ أصحُّ، ورجَّحهُ ابنُ الصلاحِ فقالَ[(٢)]: " والاكتفاءُ في هَذَا بمجردِ اللقاءِ والرؤيةِ أقربُ منهُ في الصحابةِ نظراً إلى مقتضى اللفظينِ فيهما " وقالَ النوويُّ في " التقريبِ والتيسيرِ ": " إنَّهُ الأظهرُ ". انتهى.

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم :(**طُوبَى لِمَنْ رَآنِى وَآمَنَ بِى وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِى وَلَمْ يَرَنِى سَبْعَ مِرَارٍ**) [(٣)]، فاكتفى فيهما بمجردِ الرؤيةِ.

والتابعينَ طِبقَاتٌ، فجعلهم مسلمٌ في كتابِ " الطبقاتِ " ثلاثَ طبقاتٍ. وكذا فعلَ ابنُ سعدٍ في " الطبقاتِ "، وربَّما بلغَ بهم أربعَ طبقاتٍ. وقالَ الحاكمُ في "

---

(١) مقدمة ابن الصلاح - (ج ١ / ص ٦٧)، والباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث - (ج ١ / ص ٢٦) والتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث - (ج ١ / ص ٢١)، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث - (ج ٢ / ص ٣٩٥)، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي - (ج ٢ / ص ١٢٦)، وألفية السيوطي في علم الحديث - (ج ١ / ص ٤٤)، وتيسير مصطلح الحديث - (ج ١ / ص ٣٦)، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح - (ج ٢ / ص ٥١٩)، وألفية العراقي في علوم الحديث - (ج ١ / ص ٦٦)، وشرح اختصار علوم الحديث - (ج ١ / ص ٣٨٩)، وشرح التبصرة والتذكرة - (ج ١ / ص ٢٢٢)، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر - (ج ٢ / ص ٣١)، والتقييد والإيضاح للحافظ العراقي - (ج ١ / ص ٥٨) ومنظومة مصباح الراوي في علم الحديث - (ج ١ / ص ١١٦).

(٢) مقدمة ابن الصلاح - (ج ١ / ص ٦٧).

(٣) مسند أحمد(٢٢٧٩٣) حسن لغيره.

علوم الحديثِ ": هم خمسَ عشرةَ طبقةً، آخرهم مَنْ لقيَ أنسَ بنَ مالكٍ من أهل البصرةِ، ومَنْ لقيَ عبدَ اللهِ ابنَ أبي أوفى من أهلِ الكوفةِ ومَنْ لقيَ السائبَ بنَ يزيدَ من أهلِ المدينةِ " وعدَّ الحاكمُ منهم ثلاثَ طبقاتٍ فقطْ [١].

وقد قال صلي الله عليه وسلم :**(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)** [٢].

فأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم السنة عن الله عز وجل، وأخذ الصحابة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وأخذ التابعون عن الصحابة الذين أشار إليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، ثم أشار الصحابة إلى التابعين بعدهم.

وكان من سياسات أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ألا يسمح للصحابة من المهاجرين والأنصار بالإقامة خارج المدينة، فهم في غير المدينة دائما مسافرون يذهبون لغزو أو تعليم أو ولاية أو قضاء أو غير ذلك من المهام، وتبقى المدينة المستقر والمقام لهم بعد ذلك، فهي حاضرة الدولة وقاعدة الخلافة، وهم حملة رسالة الإسلام ورعيله الأول فيجب أن يكونوا قريبين من الخليفة، أعوانا له على أعبائه، مشاركين إياه في شؤون الأمة كلها.

فلما ولي عثمان رضي الله عنه لم ير باسا في أن يسمح لكل من أراد من الصحابة مغادرة المدينة أو يستوطن حيث يشاء من ديار الإسلام، فتفرق فقهاء الصحابة وقراؤهم في الأمصار التي فتحت، والبلدان التي مصرت، فاستوطن المصرين (البصرة والكوفة) ما يزيد عن ثلاثمائة من الصحابة، وأقام في مصر والشام عدد منهم.

ولقد نقل أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد أن رجع من حنين ترك في المدينة اثني عشر ألفا من الصحابة، بقي منهم فيها حتى وفاته عشرة آلاف، وتفرق ألفان منهم في الأمصار.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي - (ج ١١ / ص ٧٣).
(٢) الطبراني في معجمه الأوسط ج ٥/ ص ٣٤٤ حديث رقم: ٥٥٠٣ وضعفه الألباني انظر: السلسلة الضعيفة رقم ٢٣٣٠.

وقد حمل علم وفقه الفقهاء والقراء من الصحابة بعدهم من تلقى عنهم من التابعين، أمثال: سعيد بن المسيب الذي يعتبر راوية عمر وحامل فقهه في المدينة، وعطاء بن أبي رباح في مكة، وطاووس في اليمن، ويحيى بن أبي كثير في اليمامة، والحسن في البصرة، ومكحول في الشام، وعطاء في خراسان، وعلقمة في الكوفة وغيرهم... وهؤلاء كانوا كثيرا ما يمارسون الفتوى والاجتهاد بمشهد من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الذين تلقوا العلم والفقه عنهم، وتربوا على أيديهم، وتأدبوا بآدابهم، وتأثروا بمناهجهم في الاستنباط، فما خرجوا عن آداب الصحابة في الاختلاف عندما اختلفوا، ولا جاوزوا تلك السيرة، وهؤلاء هم فقهاء الجمهور الذين تأثرت بهم جماهير الأمة، وعنهم تلقوا الفقه.

مميزات عصر التابعين:

وقد نما الفقه في عصر التابعين نمواً عظيماً، توازياً مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ومواكبة لطروء الحوادث وتكاثرها. وقد تعددت لذلك المدارس الفقهية التي انضوت، على الرغم من تعددها، تحت تيارين كبيرين هما تيار أهل الرأي وتيار أهل الأثر أو أهل الحديث. وقد أسهم النزاع بين الفريقين حول بعض القضايا الأصولية كالإجماع والعرف والقياس ومذهب الصحابي في بلورة هذه القضايا على أسس علمية، وإن ظلت غير مدونة.

وشهد عصر التابعين حركة حضارية وعلمية ودعوية أثرت تأثيراً بالغاً في تطور الحياة الفقهية. فقد ساعد الاحتكاك الحضاري بين المسلمين والشعوب التي دخلت الإسلام، وتفرق الصحابة في الأمصار، وشيوع رواية الحديث، على اتساع دائرة البحث الفقهي، وعلى ظهور اتجاهات فقهية عديدة شكلت مدارس فقهية في مختلف العواصم الإسلامية، كمدرسة الكوفة والمدينة ومكة والشام ومصر واليمن.

غير أن الملاحظ هو بروز عامل جديد أثر في طبيعة الإنتاج الفقهي في هذا العصر، وفي العصور التي تلته، تمثل في الصراع بين الفقهاء وحكام بني أمية. ومرجع هذا الصراع هو تحوّل نظام الحكم في العالم الإسلامي من الخلافة إلى

الملك، فتقلّص دور الفقيه المباشر في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، الأمر الذي أدى إلى توسع الدراسات الفقهية في جانب العبادات والمعاملات أكثر منه في الجانب السياسي والاقتصادي والإداري.. وهذا لا يعني أن التشريع الإسلامي قد أقصي عن إدارة الحياة العامة، فكل المجالات السالفة ذكراً كان يحكمها الإسلام، ولكن البحث الفقهي النظري قد تطور أكثر في المساحات أو الموضوعات التي لم تكن محل صراع بين الفقهاء والحكام.

والخلاصة أن عصر التابعين شهد تشكّل بذور إحدى أزمات الفقه الإسلامي وهي: انكماش الفقه من الناحية الموضوعية.

كما أن تاريخ القراءات القرآنية يشير إلى ازدياد اختيارات القراء في عصر التابعين وتابعيهم، حتى بلغ عدد القراء المشهورين العشرات، وجعل ذلك ابن مجاهد يختار سبع قراءات ضمَّنها في كتابه (السبعة)، وأدرج ما عداها في كتابه الآخر (شواذ السبعة)، وتلقت الأمة اختياره بالقبول، وصارت القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد هي الصحيحة المشهورة، وأُلحقت بها بعد ابن مجاهد القراءات الثلاث المتممة لها عشراً.

وقد فتح الله على المسلمين كثيراً من بلادهم العالَم في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وفى عهود الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً في بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن المدينة مشرق النور الإسلامى ثم استقر بهم النوى، موزَّعين على جميع البلاد التي دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلّمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التي رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسِّرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة

بالعراق، وهذه المدارس الثلاث،

هى أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد.

ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكرى الاقدار فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن قام التابعون فدونوا الأحكام فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة وأبو عمر وعبد الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بالكوفة وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم.

والحقيقة أنه بعد أن انتهى الجيل الأول، وذهب قرن الصحابة رضي الله عنهم. بدأ عصر التابعين، فتحمل التابعون بإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم العلم والإيمان، والشعور العميق بعظم المسؤولية الملقاة عليهم بتبليغ العلم والإيمان للاجيال من بعدهم، كما بلغتهم.

وتوالت المحن في عصر التابعين،.. ويطالعنا التاريخ بألوان شتى من محن الإسلام.. ففي هذه المرحلة تتكاتف لهدم الإسلام معاول الأبناء والأعداء، ففي عام ٧٥ هـ يتولى الحجاج بن يوسف الحكم في العراق. ويشهد هذا البلد الإسلامي في عهده أيامًا سوداء. فقد أبتلي التابعون بأقسي أنواع البلاء، ولم يسلم منه إلا القليل. ولكن ومن سنة الله في خلقه أنه يهيء للطغاة رجالاً لا يهابون الطغيان.. يصنعهم على عينه. ويهبهم الجرأة فيه، وكان سعيد بن جبير أحد هؤلاء الذين خلصوا من حظ أنفسهم..

وعندما صمم الحجاج على قتله والخلاص منه أرسل جنودًا بطلبه فجاءوا به، وأدخلوه عليه، ثم ذبحوه على النطع - رحمه الله -، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ثم مات.

كما أبتلي الكثير من التابعين بجور السلطان وظلم الطغاة، ولكن قيض الله للإسلام والمسلمين من التابعين من وقف في وجه الظالمين الطغاة ووقف لهم بالمرصاد وأعاد للناس حقوقهم السليبة.

كما أبتلي الكثير منهم بمحنة خلق القرآن في عهد الدولة العباسية، ومات فيها الكثير، وفتن البعض في دينهم، ولكن كان هناك من صبر ووقف في وجه الدولة العباسية وعلي رأسها الخلفاء مثل إمام الدنيا الإمام أحمد بن حنبل الذي أبتلي وضرب وسجن ولكنه صبر حتي جاء الخلاص من الله.

كما أن التابعين - بالإضافة إلي دورهم الفقهي والدعوي - كانت لهم مواقفهم السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، وشاركوا الناس حياتهم اليومية ولم يكونوا بمعزل عنهم.

* * *

عروة بن الزبير

أعـلام التابعيـن

عروة بن الزبير

هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي [١]؛ هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وأبوه الزبير ابن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي صلي الله عليه وسلم . وأم عروة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، هي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، وعروة شقيق أخيه عبد الله بن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب فإنه من أم أخري غير أسماء، سمع الحديث من خالته عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وروي عنه ابن شهاب الزهري وغيره.

كان عالماً صالحاً.

وكان لعروة من الأولاد عمر بن عروة، وقتل مع عبد الله بن الزبير، وكان مشجعاً، وأمه هي فاختة بنت الأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي وأمها: أم شيبة بنت حكيم بن حزام وأمها هي زينب بنت العوام.

وعبد الله بن عروة وكان أسن بني عروة، وبه كان يكنى، وبلغ خمساً أو ستاً وتسعين سنة، لم يكن بينه وبين أبيه إلا خمس عشرة سنة. وكان له عقل وحزم ولسان وفضل وشرف. وكان يشبه عبد الله بن الزبير في لسانه، وكان عبد الله بن الزبير يعرف ذلك له[٢].

ومن ولد عروة بن الزبير يحيى، ومحمد، وعثمان، بنو عروة بن الزبير وأمهم: أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

وحدث أن عروة بن الزبير تخلف يوماً عن الدخول على الوليد بن عبد الملك، فأمر أبنه محمداً بالدخول عليه، وكان حسن الوجه، فدخل عليه، وله

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد ٢ / ٢٤٧، وصفة الصفوة ٢ / ١٧٦، ووفيات الأعيان، ١/ ١٠٣.
(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها (١ / ٦١).

غيدرتان، في ثياب وشيٍ، وهو يتبختر يضرب بيديه، فقال الوليد: هكذا والله التغطرف، وهكذا تكون فتيان قريش! فعانه. فقام من الليل متوسناً، فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل تطوه حتى مات.

وقال مصعب بن عبد الله: توفي محمد بن عروة مع أبيه، وعروة يومئذ عند الوليد بن عبد الملك، وفي ذلك السفر أصيبت رجل عروة.

وكان محمد بن عروة من أحسن الناس، وكان عروة يحبه حباً شديداً. قال: فنام محمد بن عروة على سطح فيه جلى، فقام من الليل فسقط من الجلي في إصطبل الدواب، فتخبطته حتى مات. وكان الماجشون مع عروة بالشأم، فكره أصحاب عروة وغلمانه أن يخبروه خبره، فذهبوا إلى الماجشون فأخبروه. فجاء من ليلته فأستأذن على عروة، فأذن له في مصلاه، فقال له: هذه الساعة! قال: نعم، يا أبا عبد الله، طال الثواء وذكرت الموت، وزهدت في كثير مما كنت أطلب، وخطر ببالي ذكر من مضى من القرون قبلي. فجعل الماجشون يذكر فناء الناس وما مضى، ويزهد في الدنيا، ويذكر بالآخرة، حتى أوجس عروة فقال: قل فيما تريد، فإنما قام من عندي محمد آنفاً! فمضى في قصته ولم يذكر شيئاً، ففطن عروة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، واحتسبت محمداً عند الله. فعزاه الماجشون عليه، وأخبره بموته.

قال مصعب بن عثمان: وفد يحيى بن عروة على عبد الملك بن مروان، فجلس ببابه، فسمع حاجب عبد الملك يتناول من عبد الله بن الزبير، فضرب يحيى وجه الحاجب فأدماه. فدخل الحاجب على عبد الملك فقال: من فعل بك؟ فقال: يحيى بن عروة. قال: أدخله. فأدخله وقد استوى عبد الملك على فراشه، فقال ليحيى: ما حملك على ما صنعت بحاجبي؟ فقال له يحيى: عمي عبد الله بن الزبير رحمة الله عليه، كان أحسن جواراً لعمتك منك لنا، والله إن كان ليقول لها: " من سب أهلك فسبي أهله "، وإن كان لينهي حامته وحشمته أن يسمعوها فيكم قذعاً، أنا والله المعم المخول، تفرقت العرب عن عمي وخالي، فكنت كما قال الشاعر:

يَدَاهُ أصَابَتْ هذِهِ حَتْفَ هذِهِ ::: فلَم تَختَرِ الأخْرَى عَليها مُقَدَّمَا

قال: فاضطجع عبد الملك، ولم يزل يعرف ذلك فيه، إكراماً ليحيى ابن عروة.

ومن ولد عروة بن الزبير أيضا هشام بن عروة وأمه أم ولد.

من أقوال عروة:

وكان يصف التواضع ويقول: التواضع أحد مصايد الشرف [١].

كان رضي الله عنه يقول لنفسه: إذا دخل الليل قومي يا مأوي كل شيء، والله لأدعنك تزحفين زحف البعير، فكان يصبح وقدماه منتفختان فيقول لنفسه: بذا أمرت ولذا خلقت.

وكان رضي الله عنه يقول: لا خير فيمن لا بجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه.

ومن أقواله: ما فاتتني فريضة في جماعة منذ أربعين سنة، وما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد وصلى رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة.

وكان يقول: وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة ما شيء أخوف عندي من النساء.

ومن أقواله: الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله عز وجل فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

وضربه عبد الملك بن مروان وألبسه المسوح، وطاف به أسواق المدينة حين امتنع من مبايعته، ومنع الناس من مجالسته فكان يقول: لا أحد يجالسني فإنهم قد جلدوني ومنعوا الناس من مجالستي فيرجع الناس عنه.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تقولوا مسيجداً، ولا مصيحفاً بالتصغير فتصغروا ما كان لله تعالى، فهو عظيم جليل.

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١/١١٣.

ومن أقواله: من استغنى بالله افتقر الناس إليه، وكان الناس يستأذنون عليه من هيبته كما يستأذنون على الأمراء.

وكان يقول: ليس من شريف ولا عالم ولا في فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله رضي الله عنه [١].

ومن أقواله: إذا رأيتم من رجل حسنة فأحبوه عليها، واعلموا أن لها عنده أخوات، وكذلك إذا رأيتم منه سيئة فأبغضوه عليها، واعلموا أن لها عنده أخوات.

وكان رضي الله عنه يقول: كان داود عليه السلام يصنع القفة من الخوص، وهو على المنبر، ثم يرسل يبيعها ويأكل منها.

ولما اعتزل في قصره بالعقيق، وترك مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقيل له: في ذلك فقال: رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عماهم فيه عافية.

وكان رضي الله عنه يقول لأولاده: تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، ما أقبح الجهل ولا سيما من شيخ [٢].

مواقف من حياة عروة :

إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي!! :

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فدخل فأجلسه معه على السرير فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير فخرج عروة فقال للآذن: إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم، فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك،

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ١ / ٢٨.

(٢) الأصفاني، الأغاني، ١٧ / ٢٤٤.

قد أخبرني الآذن بما قلت، وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمرا وطلبناه فقتل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلا شتموه، فإذا أذنا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فلا تدخل وإذا أذنا لأحد وأنت جالس فانصرف.

كيف عرفته! :

ولما قتل أخوه عبد الله قدم عروة على عبد الملك بن مروان فقال له يوماً: أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله، فقال له: هو بين السيوف ولا أميزه من بينها، فقال عروة: إذا حضرت السيوف ميزته أنا، فأمر عبد الملك بإحضارها، فلما حضرت أخذ منها سيفاً مفلل الحد فقال: هذا سيف أخي، وقال عبد الملك: كنت تعرفه قبل الأن فقال: لا، فقال: كيف عرفته؟ قال: بقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ::: بهن فلولا من قراع الكتائب.

اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل له:

اقطعها. قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقا، فارتفعت إلى الركبة. فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك فقطعت ولم يقبض وجهه وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألما فقال ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في إصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها فقال: بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأنه فقال:

(وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نكبةً ::: أقول شَوًى ما لم يُصِبْن صَميمي)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأتاه ابن المنكدر وقال كيف كنت فقال:{لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا} [الكهف: ٦٢].

يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق:

ثم إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيه.. اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض:

وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة وقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أربٌ في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء، ومن علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك، والضمين بحسابك.

اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه:

وقدم على الوليد بن عبد الملك رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا مولودا وبعيرا ضعيفا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه [١].

وعروة هذا هو الذي احتفر بئر عروة التي بالمدينة وهي منسوبة إليه وليس بالمدينة بئر أعزب من مائها.

(١) الأصفاني، الأغاني، ١٧ / ٢٤٦.

وكان أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث حارساً لعروة حتى إنه أودع مالاً فأصيب؛ فقال له عروة: لا ضمان عليك! قال: قد علمتُ ولكن لا تتحدثْ قريش أن أمانتي خربت؛ فباع مالاً له فقضاه.

وقد قال مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين.

قال الحسن: قال الأحنف بن قيس: والله ما سمعت كلمة إلا طأطأت لها رأسي لما هو أعظم منها (١).

رحمة الله للعالمين!:

قال هشام بن عروة بن الزبير: عطس نصراني طبيب عند أبي فقال له: رحمك الله؛ فقيل له: إنه نصراني! قال أبي: رحمة الله على العالمين.

و كان عروة يتألف الناس على حديثه.

وكانَ زبيد الأياميُّ مؤذنَ مسجدِه، يقولُ للصبيان: يا صبيان تعالوا فصلّوا أهبْ لكم الجوزَ! فكانوا يجيئونَ ويصلّونَ ثم يحوطون حولَه! فقلنا له: ما تصنع بهذا؟! قال: وما عليَّ أشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة؟!.

قال عروة بن الزبير: إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، قال الله تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [طه: ١٣١] الآية.

---

(١) لعل المراد أنه كان إذا عابه أحد بشيء، فإنه يذكر من عيوب نفسه - عند سماعه لذلك - ما يراه هو أشد من ذلك العيب المذكور، فيطأطئ رأسه ولا يرد على ذلك العائب أو الشاتم بشيء، والله أعلم.
أو إنه إنما كان يسكت على أول كلمة ويصبر عليها لئلا يسمع ما هو أكبر منها أو أشد أو أكثر، وفي هذا المعنى روى البيهقي في (الشعب) (٦/٣٤٥) عن يوسف بن الحسين قال: سمعت سلمة يقول: قال شبيب بن شيبة: من سمع كلمة فسكت عنها سقط عنه ما بعدها، ومن أجاب عنها سمع ما هو أغلظ منها، وأنشأ يقول:
وتنفر نفس المرء من وقع شتمة ... ويشتم ألفاً بعدها ثم يسكت

أمرانِ لو لم نعذَّبْ إلا بـهما لكنا مستحقين:

قال محمد بن سوقة: أمرانِ لو لم نعذَّبْ إلا بهما لكنا مستحقينَ بهما العذابَ: أحدُنا يزدادُ في دنياه فيفرحُ فرحاً ما علِمَ اللهُ منهُ قط أنه فرحَ بشيءٍ قطُّ زيدَ في دينِهِ مثله، وأحدُنا ينقصُ من دنياه فيحزنُ حزناً ما عَلِمَ اللهُ منه قط أنه حزنَ على شيء نقصه من دينِهِ مثله.

وقال عروة لبنيه: يا بَني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحي أن يهديه إلى كريمه [1]، فإن الله عز وجل أكرم الكرماء وأحق من اُختير إليه [2].

وكان يقول: يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قوم عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل؟! وكان يقول: إذا رأيتم خلة شر رائعة من رجُل فاحذروه وإن كان عند الناس رجلَ صدْقٍ، فإن لها عنده أخوات؛ وإذا رأيتم خلة خير رائعة من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم وإن كان عند الناس رجل سوء فإن لها عنده أخوات؛ وقالَ: الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.

أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة؟!.

ورأى عروة بن الزبير رجلاً يصلي فخفف فدعاه وقال: أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة؟! إني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي حتى أسأله الملح.

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية:{ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ } [الكهف: ٣٩].

الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا:

وكان إذا أتي بطعامه لم يزل مخمَّراً حتى يقول هؤلاء الكلمات: الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا؛ الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمك ونحن بكل شر

(١) أي إلي من يريد إكرامه والإحسان إليه أو إلي منهو كريم عنده.
(٢) الأحسن له.

فأصبحنا وأمسينا منها بكل خير؛ أسألك تمامها وشكرها؛ لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك؛ إله الصالحين ورب العالمين؛ الحمد لله لا إله إلا أنت ما شاء الله لا قوة إلا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: يا بني سَلُوني فلقد تُركت حتى كدت أنسى وأني لأسأل عن الحديث فيفتح لي حديث يومي.

وعن أبي الزناد. قال: اجتمع في الحِجر قوم فقالوا: تمنوا. فقال عروة: أنا أتمنى أن يؤخذ عني العِلم.

وقال عروة بن الزبير: رُبّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثتني عّزاً طويلا.

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاود من الليلة المقبلة.

وقال هشام كان أبي لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم.

وأسند عروة عن علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وأسامة وأبي هريرة وابن عباس ومعاوية والمسور بن مخرمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن الأرقم وعائشة في خلق يطول احصاؤهم.

و توفى سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع ودفن هنالك رحمه الله.

* * *

سعيد بن المسيب

أعـلام التابعيـن

سعيد بن المسيب

سيد التابعين في زمانه ومقدّمهم أمانة في نقل السنة عن الصحابة، وفقهاً في دين الله عز وجل وزهداً في الدنيا، وصدعاً بالحق واستعلاءً بالإيمان والعلم على حطام الدنيا، ورهبة السلطان. قال الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب، أما الإمام احمد فيقول: سعيد بن المسيب أفضل التابعين، وقال علي بن المديني: إذا قال سعيد: مضت السنة فحسبك منه، وهو عندي أجل التابعين.

أدرك سعيد بن المسيب منذ نعومة أظافره أنه لا يوجد مصيبة أعظم من الجهل يمكن أن تلم بحياة الإنسان، فأنفق عمره في تحصيل العلم يقول في ذلك عن نفسه (إني كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) وفى كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي فسمع من عثمان، وعليٍّ وزيد بن ثابت وسعد بن أبى وقاص وعائشة، وأبى موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعا كما كان زواجه من ابنة الصحابي أبى هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبى هريرة رضي الله عنه كما رأى سعيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان مغرما بتتبع أقضية عمر وتعلمها حتى قيل له: (راوية عمر) وكان عبد الله بن عمر يرسل إليه يسأله عنها قال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟ قال هو عندنا حجة، قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟!.

ومع طول المثابرة في تحصيل العلم صار سعيد عالم أهل المدينة بلا مدافعة وإمام فقهائها السبعة الذين كانوا الواصل الحقيقي بين عصر الصحابة وعصور المذاهب الفقهية المختلفة فيقول: (ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر منى).

وقال عنه قتادة: ما رأيت أحد أعلم من سعيد بن المسيب.

وعن مكحول قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم، فما لقيت أعلم من سعيد.

وسأل رجل القاسم بن محمد عن شيء فقال: أسألت أحدًا غيرى؟ قال: نعم، عروة وفلانا، وسعيد بن المسيب فقال: أطع ابن المسيب، فإنه سيدنا وعالمنا.

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشيء يشكل عليه يقول: سلوا سعيد بن المسيب، فإنه قد جالس الصالحين.

وروى الربيع عن الشافعي أنه قال: إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن. وقال الإمام أحمد هي صحاح وقال: سعيد بن المسيب أفضل التابعين.

وقال علي بن المدينى: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه: وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، وهو عندي أجل التابعين.

وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه.

ولئن لم يترك سعيد آثارا مكتوبة على عادة علماء ذلك العصر لندرة وسائل الكتابة فإنه قلما نجد كتابا في الفقه أو التفسير أو الحديث التي كتبت في عصر التدوين إلا وآراء سعيد واجتهاداته مبثوثة في ثنايا مباحثها.

قال عمر بن العزيز (إن مصدر العلم سعيد وما كان عالم بالمدينة إلا يأتينى بعلمه).

وبالإضافة إلى تميزه في العلوم الشرعية والآداب الربانية برع إمام التابعين في علم تعبير الرؤيا أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر، وأخذته أسماء عن أبيها رضي الله عنهم، وتُروى في براعته في التعبير مواقف رائعة.

منها: ما رواه ابن سعد في الطبقات عن عمر بن حبيب بن قليع قال: كنت جالسا عند سعيد بن المسيب يوما وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين، فجلست إلى ابن المسيب ما أدرى أين أذهب فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، إني رأيت رؤيا قال ما هي؟ قال: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ثم بطحته، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد قال ما أنت رأيتها قال:

بلى أنا رأيتها قال لا أخبرك أو تخبرني قال: ابن الزبير رآها وهو بعثني إليك قال: لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة قال عمر بن حبيب الراوي: فدخلت إلى عبد الملك بن مروان، بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسره وسألني عن سعيد، وعن حاله فأخبرته وأمر لي بقضاء ديني وأصبت منه خيرا.

وعن مسلم الخياط قال: قال رجل لابن المسيب: إني أراني أبول في يدي فقال اتق الله، فإن تحتك ذات محرم فنظر فإذا امرأة بينها وبينه رضاع.

وقال له رجل: إني أرى في النوم كأني أخوض النار، فقال: إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر وتموت قتلا، قال الراوي: فركب البحر فأشفى على الهلكة وقتل يوم قديد بالسيف.

وكان ابن المسيب آية في الصلاح والتقى وإيثار الآخرة على الدنيا التي لا تساوى عند الله جناح بعوضة فلقد ألزم نفسه التقلل من حلالها والإعراض عن حرامها وحطامها يقول ابن كثير: (كان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعنى ومن أكثر الناس أدبا في الحديث جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنا مضطجع.

وقال برد مولاه: ما نودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد.

وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة).

ولقد بلغ حب العبادة شغاف قلبه فلم يفتر عنها لا في سراء ولا ضراء فيقول رحمه الله: (ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة).

وعن بشر بن عاصم قال: قلت لسعيد يا عمى ألا تخرج فتأكل الثوم مع قومك؟ فقال معاذ الله يا ابن أخي أن أدع خمس صلوات وقد سمعت كعبا يقول وددت أن هذا اللبن عاد قطرانا اتبعت قريش أذناب الإبل في هذه الشعاب إن الشيطان مع الشاذ وهو من الاثنين أبعد.

واشتكى يوما عينه فقالوا له لو خرجت يا أبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفه قال فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح.

وها هو العابد حتى في أحلك المواقف فعن أبى حازم قال سمعت سعيد بن المسيب يقول لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد أحد من خلق الله غيري وإن أهل الشام ليدخلون زمرا زمرا يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت أذانا في القبر ثم تقدمت فأقمت فصليت وما في المسجد أحد غيري.

ويؤثر عنه أنه حج أربعين حجة وما ترك الدعاء والقيام منذ عرف الإسلام حتى لقب (براهب قريش) وكان يكثر من قول: (اللهم سلم سلم) فإذا دخل الليل خاطب نفسه قائلاً: (قومي يا مأوى كل شر والله لأدعنك تزحفين زحف البعير) فكان إذا أصبح وقدماه منتفختان يقول لنفسه: (بذا أمرت ولذا خلقت) ومع ذلك لم تكن العبادة عنده مرادفة للقيام والقعود فعن مالك بن أنس قال: قال برد - مولى ابن المسيب - لسعيد بن المسيب ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء قال سعيد: وما يصنعون؟ قال يصلى أحدهم الظهر ثم لا يزال صافا رجليه يصلى حتى العصر فقال سعيد: ويحك يا برد! أما والله ما هي بالعبادة تدرى ما العبادة؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله والكف عن محارم الله.

كما كان رحمه الله يكره كثرة الضحك، ويصوم الدهر ولا يفطر إلا في أيام التشريق بالمدينة.

ومن مواقفه المضيئة أنه أدركه رجلاً من قريش ومعه مصباح في ليلة مطيرة فسلم عليه، وقال: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ قال: أحمد الله فلما بلغ الرجل منزله دخل وقال: نبعث معك بالمصباح قال: لا حاجة لي بنورك نور الله أحب إلى من نورك، وكان يقول رحمه الله (لا تقولن مصيحيف ولا مسيجيد،

ولكن عظموا ما عظم الله، فكل ما عظم الله فهو عظيم حسن). ويقول: (ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها بمثل بمعصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله).

أما الدنيا فمالها وسعيد بن المسيب فلقد كان يعيش من كسب يده له أربعمائة دينار يتجر بها في الزيت ويقول عن هذا المال (اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم وأصل منه رحمي وأؤدي منه الحقوق التي فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار) وكان له في بيت المال بضعة وثلاثون ألفا من الدراهم عطاؤه تراكمت بسبب رفضه قبولها فكان حين يدعى إليها يأبى ويقول: (لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بنى مروان).

قال يحيى بن سعيد: دخلنا على سعيد بن المسيب نعوده ومعنا نافع بن جبير فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثلاث فكلموه فقال نافع بن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم، فلو أكلت شيئاً قال: كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه؟! بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة، فقال نافع: ادع الله أن يشفيك فإنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد.

وعن داود بن أبي هند قال: تمثل معاوية عند الموت:

هو الموت لا منجا من الموت والذي ::: نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم فأقل العثرة وعاف من الزلة، وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق إلا بك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة مهرب إلا أنت؛ قال: فبلغني أن هذا القول بلغ سعيد بن المسيب فقال: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله، وإني لأرجو ألا يعذبه.

ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلبه خشعت جوارحه.

قال علي بن زيد: رآني سعيد بن المسيب، وعليَّ جبةٌ خزّ، فقال: إنك لجيد الجبة، قلت: وما تغني عني وقد أفسدها عليَّ سالم؟! فقال سعيد: أصلح قلبك والبس ما شئت.

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله.

قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص.

عن ميمون بن مهران أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة فاستيقظ من قائلته، فقال لحاجبه: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حُدّاثي؟ فلم يرَ فيه إلا سعيد بن المسيب، فأشار إليه بأصبعه، فلم يتحرك سعيد؛ ثم أتاه الحاجب فقال: ألم تر أني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ فقال: استيقظ أمير المؤمنين فقال: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي؟ فقال سعيد: لستُ من حُدّاثه؛ فخرج الحاجب فقال: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، قلت له: إن أميرالمؤمنين استيقظ وقال لي: انظر هل ترى أحداً من حداثي؛ قال: إني لست من حداث أمير المؤمنين؛ قال عبد الملك بن مروان: ذلك سعيد بن المسيب؛ دعه.

وكان من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه فيروى ابن سعد في الطبقات عن طلحة الخزاعى قال (كان في رمضان يؤتى بالأشربة في مسجد النبي صلي الله عليه وسلم فليس أحد يطمع أن يأتي سعيد بن المسيب بشراب فيشربه فإن أتى من منزله بشراب شربه وإن لم يؤت من منزله بشيء لم يشرب شيئا حتى ينصرف) أما طعامه فهو بسيط يشمل في الغالب خبزا وزيتا ولما حبس صنعت ابنته طعاما كثيرا فلما جاءه أرسل إليها قائلا (لا تعودى لمثل هذا أبدا فهذه حاجة هشام بن إسماعيل يريد أن يذهب مالى فأحتاج إلى ما في أيديهم وأنا لا أدرى ما أحبس فانظرى إلى القوت الذي كنت آكل في بيتى فابعثى إلى به).

ومن أقواله الرائعة :

(من استغنى بالله افتقر الناس إليه).

وقوله: (الدنيا نذلة وهى إلى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها).

إن هذه المعانى الغالية لهى خير دواء لهذه المادية التي خيمت على كل شيء في حياتنا وأردت الكثيرين منا وأخلدتهم إلى الأرض فضاعت من حياتهم كل فضيلة وصاروا لا يفهمون إلا لغة الدينار والدرهم فلم يحصدوا من وراء كل هذا إلا القلق والحيرة والشك واستعصت عليهم السعادة الحقيقية فكانوا بمنأى عنها.

مواقف من حياة سعيد من المسيب :

لا تأخذك في الله لومة لائم :

تجلت هذه القاعدة في حياة سيد التابعين في أكثر من موقف ونطق بها لسان حاله في كل لحظة من لحظات أيام عمره المباركة، فكان الواثق بالله الذي لا يحابى في الحق أحدا ولا يرده ما يتخمض عن ذلك المنهج من تبعات، فهانت عليه نفسه في الله كما قال عمران بن عبد الله: (أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب)

لم يزد على كلمة (لا):

ومن مواقفه الشهيرة في ذلك قصه تزويج ابنته وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لابنه الوليد حين ولاه العهد، ويذكر المؤرخون: أنه أرسل موكبا كبيرا على رأسه مندوب خاص نزل المسجد، ووقف على حلقة سعيد فأبلغه سلام أمير المؤمنين، وأنه قدم يخطب إليه ابنته لابنه الوليد ولى العهد، وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله، ولكنه لم يزد على كلمة (لا).

وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبى وداعة افتقده أياما فلما عاد إليه قال له سعيد: أين كنت؟ فقال: توفيت زوجتى فانشغلت بها.

قال سعيد: فهلا أخبرتنا فشهدناها، ثم أراد التلميذ أن يقوم فقال سعيد: هل أحدثت امرأة غيرها؟ قال يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سعيد: إن أنا فعلت تفعل؟ قال: نعم فأمر بالشهود وكتابة العقد قال ابن أبى وداعة: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، وصرت إلى منزلي، وجعلت أفكر ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب. وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزا وزيتا، وإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنه إلا ما بين بيته والمسجد فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، وظننت أنه بدا له فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلى فأتيتك، قال: لا أنت أحق أن تزار، قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران، فجاؤوني وقالوا: ما شأنك؟ قلت: زوجني سعيد بن المسيب ابنته، وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار، فنزلوا إليها وبلغ أمي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج.

لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار:

وكان رحمه الله يقول (لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم).

تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب! :

وعن المطلب بن السائب قال كنت جالسا مع سعيد بن المسيب بالسوق فمر بريد لبنى مروان فقال له سعيد من رسل بنى مروان أنت؟ قال نعم قال فكيف تركتهم؟ قال بخير قال تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب؟ قال فاشرأب الرسول فقمت إليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق ثم قلت لسعيد يغفر الله لك تشيط

بدمك بالكلمة هكذا تليقها قال اسكت يا أحمق فوالله لا يسلمنى الله ما أخذت بحقوقه.

والله لا يقتدي بي أحد من الناس:

وعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد وكتب بالبيعة لهما إلى المدينة وعامله يومئذ عليها هشام بن إسماعيل فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا وأبى سعيد أن يبايع لهما وقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل له ادخل واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي أحد من الناس فضربه هشام ستين سوطا وطاف به في تبان من شعر وسجنه فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول سعيد! كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه.

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة:

وقيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك قال والله ما أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصل صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفا من حصى فحصبته بها زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة.

أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليّ؟!:

قال عبد الرحمن بن عبد القاري لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان بالمدينة بعد موت أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تعتزل مقامك؛ قال: ما كنت لأغير مقاماً قمته منذ أربعين سنة، قال: تخرج معتمراً، قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية، قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع، قال: أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليّ؟! قال: وكان أعمى؛ قال رجاء: فدعاه هشام بن إسماعيل أمير المدينة إلى البيعة فأبى فكتب فيه إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك: ما لك ولسعيد؟! ما كان علينا منه شيء نكرهه! فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه تبان شعر وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس.

ذلك سعيد بـن المسيب، دعه. :

عن ميمون بن مهران أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة فاستيقظ من قائلته، فقال لحاجبه: أنظر هل ترى في المسجد أحداً من حُدّاثي؟ فلم يرَ فيه إلا سعيد بن المسيب، فأشار إليه بأصبعه، فلم يتحرك سعيد؛ ثم أتاه الحاجب فقال: ألم تر أني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ فقال: استيقظ أمير المؤمنين فقال: أنظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي؟ فقال سعيد: لستُ من حُدّاثه؛ فخرج الحاجب فقال: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، قلت له: إن أميرالمؤمنين استيقظ وقال لي: انظر هل ترى أحداً من حداثي؛ قال: إني لست من حداث أمير المؤمنين؛ قال عبد الملك بن مروان: ذلك سعيد بن المسيب؛ دعه.

هذا فقيه الناس:

وفى سنة ٩١هـ حج الوليد بالناس فلما اقترب من المدينة أمر عامله عليها عمر بن عبد العزيز أشرافها فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوى فلم يبق بهد أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرجه وعليه ثياب لا تساوى خمسة دراهم فقالوا له تنح عن المسجد أيها الشيخ فإن أمير المؤمنين قادم فقال والله لا أخرج منه فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه ويصلى ههنا وههنا ويدعو الله عزوجل قال عمر بن عبد العزيز وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه فحانت منه التفاته فقال من هذا؟! أهو سعيد بن المسيب؟ فقلت نعم يا أمير المؤمنين ولو علم أنك قادم لقام إليك وسلم عليك فقال قد علمت بغضه لنا فقلت يا أمير المؤمنين إنه وإنه وشرعت أثنى عليه وشرع الوليد يثنى عليه بالعلم والدين فقلت يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر

- وإنما قلت ذلك لأعتذر له - فقال نحن أحق بالسعى إليه فجاء فوقف عليه فسلم عليه فرد عليه سعيد السلام ولم يقم له ثم قال الوليد كيف الشيخ؟ فقال بخير والحمد لله كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد بخير والحمد لله وحده ثم

انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز هذا فقيه الناس فقال أجل يا أمير المؤمنين [١].

فأنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد:

قال يحيى بن سعيد: دخلنا على سعيد بن المسيب نعوده ومعنا نافع بن جبير فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثلاث فكلموه فقال نافع بن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم، فلو أكلت شيئاً قال: كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه؟! بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة، فقال نافع: ادع الله أن يشفيك فإنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد.

رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلي الله عليه وسلم **أربع مرات! :**

كان سعيد بن المسيب أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا؛ قال له رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلي الله عليه وسلم أربع مرات! فقال: إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء.

ولئن صدقت رؤياه ليقتلنه عبد الملك بن مروان:

وقال له آخر: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد؛ فقال: ما أنت رأيتها! ولكن رآها ابن الزبير؛ ولئن صدقت رؤياه ليقتلنه عبد الملك بن مروان ويخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة.

---

(١) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد 5 / 119، طبقات خليفة، ترجمة رقم 2096، تاريخ البخاري٣ / 510، المعارف 437، المعرفة والتاريخ 1 / 468، الجرح والتعديل القسم الاول المجلد الثاني 59، الحلية 2 / 161، طبقات الفقهاء للشيرازي 57، تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول 219، وفيات الاعيان ٢ / ٣٧٥، تهذيب الكمال ص ٥٠٥، تاريخ الاسلام ٤ / ٤ و ١٨٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٥١، العبر ١ / ١١٠، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨ آ، البداية والنهاية ٩ / ٩٩، غاية النهاية ت ١٣٥٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٨٤، النجوم الزاهرة ١ / ٢٢٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٧، خلاصة تهذيب التهذيب ١٤٣، شذرات الذهب ١ / ١٠٢، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعيين، محمد بدر الدين، سعيد بن المسيب.

رأيتني أبول في يدي:

وقال له آخر: رأيتني أبول في يدي فقال: تحتك ذات محرم، فنظر فإذا امرأته بينها وبينه رضاع.

من أقوال سعيد بن المسيب :

إن الدنيا نذلةٌ، وهي إلى كل نذلٍ أمْيَلُ، وأنذلُ منها مَن أخذَها بغيرِ حقّها وطلبَها بغيرِ وجهها ووضعَها في غيرِ سبيلِها.

قال بكرُ بنُ خنيسٍ: قلت لسعيدِ بنِ المسيبِ وقد رأيتُ أقواماً يصلّون ويتعبدون: يا أبا محمدٍ ألا تتعبدُ مع هؤلاءِ القومِ؟ فقالَ لي: يا ابنَ أخي إنها ليست بعبادة[١]، قلتُ لهُ فما التعبدُ يا أبا محمد؟! قال: التفكرُ في أمرِ اللهِ والورعُ عن محارمِ اللهِ وأداءُ فرائضِ الله تعالى.

كان فتية من بني ليث عباداً وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد ولا يزالون يصلون حتى يصلى العصر، فقال صالح بن محمد بن زائدة لسعيد بن المسيب: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان! فقال سعيد: ما هذه العبادة ولكن العبادة التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى.

عن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنَّ فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع.

ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلبه خشعت جوانحه.

قال سعيدُ بنُ المسيب: ما أكرمتِ العبادُ أنفسَها بمثلِ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا أهانتْ أنفسَها بمثلِ معصيةِ اللهِ، وكفى بالمؤمنِ نُصرةً من اللهِ أن يرى عدوَّه يعملُ بمعصيةِ الله[٢].

(١) أي ليست بعبادة كاملة أو ليست بأفضل العبادات.

(٢) أي يكفيك أن ترى من ظلمك عاصياً لله بذلك الظلم أو بغيره من المعاصي وأنه مخذول بذلك

عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: أصلحْ قلبك والبس ما شئت.

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله.

قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص.

وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.

قال سعيدٌ بن المسيب: ما أيسَ الشيطانُ من شيءٍ إلا أتاه مِن قِبَلِ النساء!

* * *

ومحروم من عصمة الله له منه، وأنه متعرض لسخط الله عليه وانتقامه منه.

محمد ابن الحنفية

أعـلام التابعيـن

محمد ابـن الحنفية

السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله، محمد بن الإمام علي بن أبي طالب أخو الحسن والحسين، وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية.

وأما كنيته بأبي القاسم فيقال: إنها رخصة من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وإنه قال لعلي رضي الله عنه: سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا تحل لأحد من أمتي بعده.

عن أسماء قالت: رأيت الحنفية وهي سوداء، مشرطة حسنة الشعر، اشتراها علي بذي المجاز، مقدمه من اليمن، فوهبها لفاطمة فباعتها، فاشتراها مكمل الغفاري فولدت له عونة.

وقيل: بل تزوج بها مكمل، فولدت له عونة، وقيل: إن أبا بكر وهبها عليا.

ولد محمد ابن الحنفية في العام الذي مات فيه أبو بكر.

ورأى عمر، وروى عنه، وعن أبيه، وأبي هريرة، وعثمان، وعمار بن ياسر، ومعاوية، وغيرهم.

وحدث عنه بنوه عبد الله، والحسن، وإبراهيم، وعون، وسالم بن أبي الجعد، ومنذر الثوري، وأبو جعفر الباقر، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وعمرو بن دينار، ومحمد بن قيس بن مخرمة، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وآخرون.

ووفد على معاوية، وعبد الملك بن مروان، وكانت الشيعة في زمانه تتغالى فيه، وتدعي إمامته، ولقبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت.

قال أبو عاصم النبيل: صرع محمد بن علي مروان يوم الجمل، وجلس على صدره. قال: فلما وفد على عبد الملك قال له: أتذكر يوم جلست على صدر مروان؟ قال: عفوا يا أمير المؤمنين. قال: أما والله ما ذكرته لك وأنا أريد أن أكافئك ؛ لكن أردت أن تعلم أني قد علمت.

ولما صار محمد بن علي إلى المدينة، وبنى داره بالبقيع، كتب إلى عبد الملك يستأذنه في الوفود عليه، فأذن له، فوفد عليه في سنة ثمان وسبعين إلى دمشق، فأنزله بقربه، وكان يدخل على عبد الملك في إذن العامة، فيسلم مرة ويجلس، ومرة ينصرف. فلما مضى شهر، كلم عبد الملك خاليا، فذكر قرابته ورحمه، وذكر دينا، فوعده بقضائه، ثم قضاه وقضى جميع حوائجه.

وكان مائلا إلى عبد الملك لإحسانه إليه، ولإساءة ابن الزبير إليه.

قال الزبير بن بكار: سمته الشيعة المهدي، فأخبرني عمي مصعب قال: قال كثير عزة:

هو المهدي أخبرناه كعب ::: أخو الأحبار في الحقب الخوالي
فقيل له: ألقيت كعبا؟ ::: قال: قلته بالتوهم

وقال أيضا:

ألا إن الأئمة من قريش ::: ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم ::: الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ::: وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى ::: يقود الخيل يقدمها لواء
تغيب – لا يرى – عنهم زمانا ::: برضوى عنده عسل وماء

وقد رواها عمر بن عبيدة لكثير بن كثير السهمي.

قال الزبير كانت شيعة ابن الحنفية يزعمون أنه لم يمت، وفيه يقول السيد الحميري:

ألا قل للوصي فدتك نفسي ::: أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا ::: وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض ::: طرا مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ::: ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى ::: تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له به لمقيل صدق ::: وأندية تحدثه كراما
هدانا الله إذ خزتم لأمر ::: به وعليه نلتمس التماما

تمــــام مـــــودة المهــــدي حــــتى ::: تــــروا راياتنـــــا تتــــرى نظامـــــا

وللسيد الحميري:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يــــرى ::: وبنــــا إليــــه مــــن الصـــبابة أولــــق

حتى متى، وإلى متى، وكـــم المــدى ::: يا ابن الوصي وأنت حــي تــــرزق

ووقع بين علي بن أبي طالب وطلحة كلام، فقال طلحة: لجرأتك على رسول الله صلي الله عليه وسلم سميت باسمه وكنيت بكنيته، وقد نهى أن يجمعهما أحد. قال: إن الجريء من اجترأ على الله ورسوله، اذهب يا فلان فادع لي فلانا وفلانا لنفر من قريش، فجاؤوا فقال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: سيولد لك بعدي غلام، فقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا تحل لأحد من أمتي بعده.

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي محمد ابن الحنفية، وهو عند أخته أم كلثوم، فضمه وقال لها: ألطفيه بالحلواء.

وكان يقول: حسن وحسين خير مني، ولقد علما أنه كان يستخليني دونهما، وإني صاحب البغلة الشهباء.

قال إبراهيم بن الجنيد: لا نعلم أحدا أسند عن علي أكثر ولا أصح مما أسند ابن الحنفية.

وكانت راية علي - رضي الله عنه - لما سار من ذي قار مع ابنه محمد.

و قال ابن الحنفية: أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله: نحن، وبنو عمنا هؤلاء ؛ يريد بني أمية.

و كتب عبد الملك: من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن علي، فلما نظر محمد إلى عنوان الكتاب قال: إنا لله، الطلقاء ولعناء رسول الله صلي الله عليه وسلم على المنابر! والذي نفسي بيده إنها لأمور لم يقر قرارها.

قلت: كتب إليه يستميله فلما قتل ابن الزبير واتسق الأمر لعبد الملك بايع محمد.

وقال ابن الحنفية: وفدت على عبد الملك فقضى حوائجي، وودعته، فلما كدت أن أتوارى ناداني: يا أبا القاسم، يا أبا القاسم، فرجعت، فقال: أما إن الله يعلم أنك يوم تصنع بالشيخ ما تصنع ظالم له - يعني، لما أخذ يوم الدار مروان فدغته بردائه - قال عبد الملك: وأنا أنظر يومئذ ولي ذؤابة.

وقال رجل لابن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرام لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ قال: لأنهما كانا خديه وكنت يده، فكان يتوقى بيديه عن خديه.

وعن ابن الحنفية قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله من أمره فرجا، أو قال: مخرجا.

وعن ابن الحنفية قال: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.

وعنه: أن الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها.

محنة محمد ابن الحنفية مع ابن الزبير وعبد الملك بن مروان:

كان محمد ابن الحنفية بايع ليزيد بن معاوية حين أخذ معاوية له البيعة على الناس غير مغتاص ولا ملتو عليه، فكان معاوية يشكر له ذلك ويصله عليه ويقول: ما في قريش كلها أرجح حلماً ولا أفضل علماً ولا أسكن طائراً، ولا أبعد من كل كبر وطيش ودنس من محمد بن علي، فقال له مروان ذات يوم: والله ما نعرفه إلا بخير، فأما كل ما يذكر فإن غيره من مشيخة قريش أولى به، فقال معاوية: لا تجعلن من يتخلق لنا تخلقاً، وينتحل لنا الفضل انتحالاً كمن جبله، إنه على الخير وأجراه على السداد، فوالله ما علمتك إلا موزعا مغرى بالخلاف.

وكان يزيد يعرف ذلك له أيضاً، فلما ولي يزيد لم يسمع عن ابن الحنفية إلا جميلاً وببيعته إلا تمسكاً ووفاءً، وازداد له حمداً وعليه تعطفاً، فلما قتل الحسين بن علي، وكان من ابن الزبير ما كان كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أن قد أحب رؤيته وزيارته إياه، ويأمره بالإقبال إليه، فقال له عبد الله ابنه: لا تأته فإني غير آمنه عليك، فخالفه ومضى إلى يزيد، فلما قدم عليه أمر فأنزل منزلاً وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه، ثم دعا به وأدنى مجلسه وقربه حتى صار معه، ثم قال له: آجرنا الله وإياك في الحسين بن علي، فوالله لئن كان نغضك لقد

نغضني، ولئن كان أوجعك لقد أوجعني، ولو أني أنا الذي وليت أمره ثم لم أستطع دفع الموت عنه إلا بحز أصابعي أو بذهاب نواظري لفديته بذلك، وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ولا أحسبه إلا قد بلغك أنا نقوم به فننال منه ونذمه، وأيم الله ما نفعل ذلك لئلا يكونوا الأحباء الأعزاء، ولكنا نريد إعلام الناس أنا لا نرضى إلا بأن لا ننازع أمراً خصنا الله به، وانتخبنا الله له.

فقال له ابن الحنفية: وصلك الله، ورحم حسيناً وغفر له، قد علمنا أن ما نغضنا فهو لك ناغض، وما عالنا فهو لك عائل، وما حسين بأهل أن تقوم به فتقصيه وتجذبه، وأنا أسألك يا أمير المؤمنين أن لا تسمعني فيه شيئاً أكرهه.

فقال يزيد: يا بن عم. لست تسمع مني فيه شيئاً تكرهه، وسأله عن دينه، فقال: ما علي دين فقال يزيد لابنه خالد بن يزيد: يا بني إن عمك هذا بعيد من الخب واللؤم والكذب، ولو كان لبعض هؤلاء لقال: علي كذا وكذا، ثم أمر له بثلاثمائة ألف درهم فقبضها، ويقال انه أمر له بخمسمائة ألف، وعروض بمائة ألف درهم.

وكان يزيد يتصنع لابن الحنفية ويسأله عن الفقه والقرآن، فلما جاء ليودعه قال له: يا أبا القاسم إن كنت رأيت مني خلقاً تنكره نزعت عنه، وأتيت الذي تشير به علي، فقال: والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلا أن أنهاك عنه وأخبرك بالحق لله فيه، لما أخذ الله على أهل العلم من أن يبينوه للناس ولا يكتموه، وما رأيت منك إلا خيراً.

وشخص من الشام حتى ورد المدينة، فلما وثب الناس بيزيد وخلعوه ومالوا إلى ابن الزبير، وأتاهم مسلم بن عقبة المري في أهل الشام، جاء عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مطيع في رجال من قريش والأنصار فقالوا لابن الحنفية: أخرج معنا نقاتل يزيد، فقال لهم محمد بن علي: على ماذا أقاتله ولم أخلعه؟ قالوا: إنه كفر وفجر، وشرب الخمر، وفسق في الدين، فقال لهم محمد بن الحنفية: ألا تتقون الله هل رآه أحد منكم يعمل ما تذكرون، وقد صحبته أكثر مما صحبتموه فما رأيت منه سوءاً.

قالوا: إنه لم يكن يطلعك على فعله. قال: أفأطلعكم أنتم عليه؟ فلئن كان فعل إنكم لشركاؤه، ولئن كان لم يطلعكم لقد شهدتم على غير ما علمتم.

فخافوا أن يثبط قعوده الناس عن الخروج فعرضوا عليه أن يبايعوه إذكره ان يبايع لابن الزبير، فقال: لست أقاتل تابعاً ولا متبوعاً. قالوا: فقد قاتلت مع أبيك. قال: وأين مثل أبي اليوم.

فأخرجوه كارهاً ومعه بنوه متسلحين وهو في نعل ورداء، وهو يقول: يا قوم اتقوا الله ولا تسفكوا دماءكم. فلما رأوه غير منقاد لهم خلوه. فذهب أهل الشام ليحملوا عليه فضارب بنوه دونه فقتل ابنه القاسم بن محمد، وضرب أبو هاشم قاتل أخيه فقتله.

وأقبل ابن الحنفية إلى رحله فتجهز ثم خرج إلى مكة من فوره ذلك، فأقام بها حتى حصر عبد الله بن الزبير حصاره الأول، وهو في ذلك قاعد عنه لا يغشاه ولا يأتيه، وسأل قوم من الشيعة من أهل الكوفة عن خبره فأعلموا أنه بمكة، فشخصوا إليه وكانوا سبعة عشر رجلاً.

فبعث عبد الله بن الزبير إلى ابن الحنفية بعد انصراف أهل الشام من مكة مع الحصين بن نمير السكوني، وموت يزيد بن معاوية: أن هلم فبايعني. فأبى عليه، وبايع الناس ابن الزبير بالمدينة والكوفة والبصرة، فأرسل إليه أن الناس قد بايعوا واستقاموا فبايعني. فقال له: إذا لم يبق غيري بايعتك.

وبعث إلى السبعة عشر الكوفيين فسألهم عن حالهم وأمرهم بالبيعة له، فقالوا: نحن قوم من أهل الكوفة اعتزلنا أمر الناس حين اختلفوا، وأتينا هذا الحرم لئلا نؤذي أحداً ولا نؤذى، فإذا اجتمعت الأمة على رجل دخلنا معهم فيما دخلوا فيه، وهذا مذهب صاحبنا، ونحن معه عليه وله صحبناه.

فوقع في ابن الحنفية وتنقصه وقال: أما والله ما صاحبكم بمرضي الدين، ولا محمود الرأي، ولا راجح العقل، ولا لهذا الأمر بأهل.

فقام عبد الله بن هانئ فقال: قد فهمت ما ذكرت به ابن عمك من السوء، ونحن أعلم به وأطول معاشرة له منك، وأنت تقتل من لم يبايعك، وهو يقول والله ما أحب أن الأمة بايعتني كلها غير سعد مولى معاوية،

فبعثت إليه فقتلته، وإنما عرض به لأنه كان بعث إلى سعد فقتله.

وكلمه عبد الله بن هانئ بكلام كثير فقال: إلهزوه وجؤوا في قفاه. فقال: أتفعل هذا في حرم الله وأمنه وجوار بيته؟ فقالوا له: لئن لم يضرك إلا تركنا بيعتك لا يضرك شيء أبداً، ولا يلحقك مكروه، ودعا به فقال: إيه، أبي تضرب الأمثال، وإياي تأتي بالمقاييس؟ فقال: " إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " فقال ابن الزبير: ادفعوهم عني لعنكم الله من عصابة.

فأتوا ابن الحنفية فأخبروه بما كان بينهم وبين ابن الزبير، فجزاهم خيراً وعرض عليهم أن يعتزلوه فأبوا وقالوا: نحن معك في العسر واليسر، والسهل والوعر، لا نفارقك حتى يجعل الله لك فسحة وفرجاً، وبايعوه على ذلك فقال لهم: إني بكم لمتأنس كثير، وسأله بعضهم أن يرصدوا ابن الزبير فيقتلوه إذا خرج من الحرم فكره ذلك، وقال: ما يسرني أني قتلت حبشياً مجدعاً ثم أجمع سلطان العرب كله.

وقدم على السبعة العشر الرجل من أبنائهم ثلاثة نفر: بشر بن سرح، والطفيل ابن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وبشر بن هانئ بن قيس. فلما يئس ابن الزبير من بيعة ابن الحنفية وأصحابه وقد فسدت عليه الكوفة، وغلب المختار بن أبي عبيد الثقفي عليها، وأخرج ابن مطيع عامله عليها، ودعت الشيعة بها لابن الحنفية ثقل عليه مكان ابن الحنفية معه، وخشي أن يتداعى الناس إلى الرضى به. فحبسه وأهل بيته ومن كان معه من أصحابه أولئك بزمزم ومنع الناس منهم، ووكل بهم الحرس، ثم بعث إليهم: أعطي الله عهداً لئن لم تبايعوني لأضربن أعناقكم أو لأحرقنكم بالنار.

وكان رسوله بذلك عمرو بن عروة بن الزبير، فقال له ابن الحنفية: قل لعمك لقد أصبحت جريئاً على الدماء منتهكاً للحرمة متلثلثاً في الفتنة.

وقال له عدة من السبعة العشر الرجل فيهم ابن مزعل: إن هذا حصرنا بحيث ترى، وخوفنا بما تعلم، والله ما ننتظر إلا أن يقدم، وقد ظهر بالكوفة من يدعو إلى بيعتك والطلب بدماء أهل بيتك فالطف لبعثة رسل من قبلك يعلمونهم حالك وحال أهل بيتك. فقال: اختاروا منكم نفراً فاختاروا الطفيل بن أبي الطفيل

عامر ابن واثلة، وهو المقتول مع ابن الأشعث، ومحمد بن نشر، وأبا المعتمر وهانئ بن قيس، فأمرهم ابن الحنفية بكتمان أمرهم، وأمر لهم بأربع نجائب وأجلهم لذهابهم ومجيئهم ستاً وعشرين ليلة، فلما هدأت العيون ونام طالع الكلاب، ورمق الحرس فوجدهم نياماً مستثقلين دفع إليهم كتاباً منه إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من الشيعة، يخبرهم فيه بحالهم وما يتخوفون من ابن الزبير، ويقول فيه: يا غوثنا بالله يا غوثنا بالله. وقال: إن رأيتم منه ما تحبون حمدتم الله على ذلك، وإن رأيتم منه تقصيراً فاعلموا الناس ما جاء بكم، والحال التي تركتمونا عليها.

فلما قرأ المختار الكتاب دعا أصحابه فقرأه عليهم، فوثب جميع من في القصر يبكون ويضجون ويقولون للمختار: سرحنا إليه وعجل، فخطب المختار الناس وقال: هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم ومن معه من إخوانكم وقد تركوا محظوراً عليهم حظار كزرب الغنم ينتظرون القتل والتحريق في آناء الليل ونارات النهار، لست بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وأسرب إليهم الخيل آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل - يعني بابن الكاهلية عبد الله بن الزبير وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمة -.

وأنفذ المختار جواب كتاب ابن الحنفية مع محمد بن نشر، والطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة، واحتبس قبله أبا المعتمر وهانىء بن قيس ليسرح معهما جيشاً.

ثم وجه أبا عبد الله بن عبد بن ولد واثلة في سبعين راكباً، وعقبة بن طارق الجشمي في أربعين راكباً، ويونس بن عمرو بن عمران الجابري في أربعين راكباً، وكان يونس قد رجع إلى الكوفة قبل شخوص هؤلاء الأربعة النفر، فسار هؤلاء المائة والخمسون ومن عليهم حتى وافوا مكة وابن الحنفية وأهل بيته وأولئك القوم بزمزم قد أعد لهم عبد الله بن الزبير الحطب ليحرقهم بالنار فيما يظهر للناس ولهم، حتى يبايعوا. فعقل القادمون رواحلهم بالباب ودخلوا فكبروا ونادوا: يا لثارات الحسين ثم شدوا على الحرس الموكلين بابن الحنفية وأصحابه

فطردوهم، ودخلوا عليه يفدونه بآبائهم وأمهاتهم ويقولون: خل بيننا وبين ابن الزبير. فقال: لا أستحل القتال في حرم الله.

وقال ابن الزبير: واعجباً من هذه الخشبية [١] الذين اعتزلوني في سلطاني ينعون حسيناً كأني أنا قاتل حسين، والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم.

وكان دخولهم على ابن الزبير وفي أيديهم الخشب كراهة أن يشهروا السيوف في الحرم والمسجد الحرام. وقال بعضهم بل وثبوا على الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه حول زمزم لإحراق ابن الحنفية وأصحابه، فأخذ كل امرىء منهم بيده خشبة فسموا خشبية.

وأقبل ابن الزبير على أبي عبد الله الجدلي وأصحابه فقال: أتروني أخلي سبيل صاحبكم دون أن يبايع وتبايعوا؟ فقال الجدلي: ورب الركن والمقام والحل والإحرام لتخلين سبيله فينزل من مكة حيث شاء، ومن الأرض حيث أحب أو لنجالدنك بأسيافنا.

فقال ابن الزبير - ورأى أن أصحابه قد ملأوا المسجد، وأن أصحاب ابن الحنفية لا يبلغون مائتين -: وما هؤلاء، والله لو أذنت لأصحابي فيهم ما كانوا عندهم إلا أكلة رأس.

فقال صخير بن مالك: أما والله لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب.

وقال الطفيل بن عامر فقال:

قد علمت ذات الشباب الرّود ::: والجرم ذي البضاضة المسود

إنا أسودٌ وبنو الأسود

فقال ابن الحنفية لعامر: يا أبا الطفيل مر ابنك فليسكت، وتكلم ابن الحنفية فقال: آمركم بتقوى الله وأن تحقنوا دماءكم، وإني معتزل لهذه الفتنة حتى تجتمع الأمة. إذ اختلفت وتفرقت فأطيعوني.

وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لابن الزبير: قد نهيتك عن هذا

(١) هم أتباع المختار بن عبيد الثقفي.

الرجل وأعلمتك أنه لا يريد منازعتك فاكفف عنه وعن أصحابه.

فقال: والله لا أفعل حتى يبايع وتبايعوا، أما بايع يزيد ولا يبايعني؟! فمكث القوم ثلاثة أيام قد صف بعضهم لبعض في المسجد والمعتمرون يمشون فيما بينهم بالصلح - فلما كان اليوم الثالث قدم عليهم من قبل المختار أبو المعتمر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وظبيان بن عمارة التميمي في مائتين، ومعه مال بعث به المختار، وهو أربعمائة ألف درهم، ثم أقبلوا جميعاً حتى دخلوا المسجد يكبرون وينادون: يا لثارات الحسين، فلما رآهم اصحاب ابن الزبير خافوهم.

ورأى ابن الحنفية أنه قد امتنع وأصحابه فقال لهم: اخرجوا بنا إلى الشعب. ولم يقدر ابن الزبير على حبسهم فخرج فنزل شعب علي، وضم إليه المال الذي عنده، وأتته الشيعة من عشرة وعشرين ورجل ورجلين حتى اجتمع عنده أربعة آلاف رجل، ويقال: أقل من أربعة آلاف فقسم بينهم المال الذي أتاه، فلما صار ابن الحنفية في هذا الجمع استأذنه قوم ممن كان قدم إليه في إتيان الكوفة للإلمام بأهليهم ثم الرجوع إليه، منهم عبد الله بن هانئ الكندي، وعقبة بن طارق الجشمي، ومالك بن حزام بن ربيعة الكلابي، وعبد الله بن ربيعة الجشمي، فقدموا الكوفة، فلما كانت وقعة جبانة السبيع قاتلوا المختار إلا عبد الله بن هانئ فيقال إنه رجع إلى ابن الحنفية.

ثم إن المختار بعث إلى ابن الحنفية بثلاثين ألف دينار مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي، وعبد الله بن شداد الجشمي، والسائب بن مالك الأشعري، وعبد الله وهو عبدل لام بن الحصل الطائي، وبعث معهم برأس عبيد الله بن زياد، وحصين بن نمير، وابن ذي الكلاع، فنصبت هذه الرؤوس على باب المسجد.

وقسم ابن الحنفية ذلك المال بين أصحابه فقووا وعزوا.

قالوا: ولم يزل ابن الحنفية بالشعب عزيزاً منيعاً حتى قتل المختار، وظهر مصعب بن الزبير على الكوفة، واشتد أمر عبد الله بن الزبير وتضعضع أمر أصحاب ابن الحنفية، وانقطعت عنهم موادهم، واشتدت حاجتهم، وقال ابن

الزبير لابن عباس: لم يبلغك قتل الكذاب؟. قال: ومن الكذاب؟. قال: ابن أبي عبيد. فقال: قد بلغني قتل المختار، قال: كأنك تكره تسميته كذاباً وتتوجع له؟. فقال: ذلك رجل قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا، وشفى غليل صدورنا، ليس جزاؤه منا الشتم والشماتة.

فقال ابن الزبير: لست أدريك أأنت معنا أم علينا.

ومر ابن عباس بعروة بن الزبير فقال: قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه، فقال ابن عباس: إنه قد بقيت لكم عقبة فإن صعدتموها فأنتم أنتم - يعني عبد الملك وأهل الشام -.

وبعث ابن الزبير إلى ابن الحنفية إن البلاد قد افتتحت، وإن الأمور قد استوسقت فاخرج إلي فادخل فيما دخل فيه الناس وإلا فإني منابذك.

وكان رسوله بذلك عروة بن الزبير، فقال له ابن الحنفية: بؤساً لأخيك ما ألحه في إسخاط الله وأغفله عن ذات الله.

وقال لأصحابه في خطبة خطبها: إنه بلغني أن هذا العدو الذي قربت داره وساء جواره واشتدت ضغينته يريد أن يثور إلينا بمكاننا هذا من يومنا هذا، وقد أذنت لمن أحب الأنصراف عنا في ذلك فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم فإني مقيم حتي يفتح الله بيني وبينه وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبو عبد الله الجدلي، ومحمد بن بشر، وعبد الله بن سبيع فتكلموا وأعلموه أنهم غير مفارقيه.

قالوا: وجد ابن الزبير في قتال ابن الحنفية، وكره ابن الحنفية أن يقاتله في الحرم، وقد كان خبر ابن الحنفية انتهى إلى عبد الملك بن مروان، وبلغه فعل ابن الزبير فبعث إليه يعلمه إنه إن قدم عليه أحسن إليه، وعرض عليه أن ينزل أي الشام شاء حتى يستقيم أمر الناس، وكان رسوله إليه حبيب بن كره مولاهم.

وكتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك في محمد ابن الحنفية كتاباً يسأله فيه الوصاة بمحمد ابن الحنفية والعناية بشأنه والحيطة عليه، إذا صار إلى الشام، فأجابه عبد الملك بكتاب حسن يعلمه فيه قبول وصيته، وسأله أن ينزل به حوائجه، وخرج ابن الحنفية وأصحابه يريدون الشام، وخرج كثير عزة أمامه

وهو يقول:

هديت يا مهديّناً ابن المهتدي ::: أنت الذي نرى به ونرتجي
أنت ابن خير الناس من بعد النبي ::: أنت إمام الحق لسنا نمتري

يا بن عليٍّ سر ومن مثل علي

وأتى ابن الحنفية مدين وبها مظهر بن حبي العكي من قبل عبد الملك، فحدثه أصحابه بما كان من غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد بن العاص بعد أن أعطاه العهود المؤكدة فحذره ونزل أيلة، وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة صلاته وزهده وحسن هديه، فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدوم بلده فكتب إليه: إنك قدمت بلادنا بإذن منا، وقد رأيت ألاّ يكون في سلطاني رجل يم يبايعني. فلك ألف ألف درهم أعجل لك منها مائتي ألف درهم ولك السفن التي أرفأت إليك من مصر، وكانت سفناً بعث إليه فيها بأمتعة وأطعمة.

فكتب إليه ابن الحنفية: قد قدمنا بلادك بإذنك إذ كان ذلك لك موافقاً وارتحلنا عنها إذ أنت لجوارنا كارهاً.

وقدم ابن الحنفية فنزل الشعب بمكة، فبعث إليه ابن الزبير: ارتحل عن هذا الشعب فما أراك منتهياً عنه أو يشعب الله لك ولأصحابك فيه أصنافاً من العذاب.

وكتب إلى مصعب بن الزبير أخيه يخبره بأسماء رؤساء أصحاب ابن الحنفية ويأمره أن يسير نساءهم من الكوفة فسير نساء نفر منهم فيهن امرأة طفيل بن عامر ابن واثلة، وهي أم سلمة بنت عمرو الكنانية، فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل في ذلك:

إن يك سيّرها مصعبٌ ::: فإني إلى مصعب مذنب
أقود الكتيبة مستلئماً ::: كأني أخو عرةٍ أجرب
عليّ دلاصٌ تخيّرتها ::: وبالكف ذو رونق مقضب
سعرت عليهم مع الساعرين ::: ناراً إذا خمدت تنقب
فلو أن يحيى به قوةٌ ::: فيغزو مع القوم أو يركب
ولكن يحيى كفرخ العقاب ::: ريش قوادمه أزغب

فكف ابن الزبير عن ابن الحنفية حتى إذا حج الناس، وكان يوم النفر أرسل إليه: تنح عن هذا المنزل وانفر مع الناس وإلا فإني مناجزك.

فسأله معاذ بن هانئ وغيره من أصحابه أن يأذن في مقارعته، وقالوا: قد بدأك بالظلم واضطرك وإيانا إلى الامتناع، فقال له ابن مطيع: لا يغرنك قول هؤلاء فإنهم قتلة أبيك وأخيك، فقال له: نصبر لقضاء الله، اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف، وسلط عليه وعلى أشياعه وناصريه من يسومهم مثل الذي يسوم الناس، اللهم ألبسه بخطيئته، وأجعل دائرة السوء عليه، سيروا بنا على اسم الله إلى الطائف.

فقام ابن عباس فدخل على ابن الزبير فقال له: ما ينقضي عجبي من تنزيك علي بني عبد المطلب، تخرجهم من حرم الله وهم والله أولى به وأعظم نصيباً فيه منك، إن عواقب الظلم لترد إلى وبال.

فقال ابن الزبير: ما منك أعجب ولكن من نفسي حين أدعك تنطق عندي ملء فيك، فقال ابن عباس: والله ما نطقت عند أحد من الولاة أخس منك، قد والله نطقت غلاماً عند رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وأبي بكر، ونطقت رجلاً عند عمر وعثمان وعلي يروني أحق من نطق فيستمع لرأيي، وتقبل مشورتي، وكل هؤلاء خير منك ومن أبيك.

فقال: والله لئن كنت لي ولأهل بيتي مبغضاً، لقد كتمت بغضك وبغض أهل أبيك مذ أربعون سنة. فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعرتيك، بغضي والله ضرك وإثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم في خطبك فإذا عوتبت على ذلك قلت إن له أهيل سوء، فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسمت رؤوسهم.

فقال ابن الزبير: اخرج عني فلا تقربني. قال: أنا أزهد فيك من أن أقربك، ولأخرجن عنك خروج من يذمك ويقليك. فلحق بالطائف فلم يلبث يسيراً حتى توفي فصلى عليه ابن الحنفية، فكبر عليه أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً.

ولم يزل ابن الحنفية بالطائف حتى أقبل الحجاج بن يوسف من عند عبد الملك إلى ابن الزبير، فلما حصره عاد ابن الحنفية إلى الشعب.

وكتب إليه عبد الملك بعد مقتل مصعب بن الزبير وبعثته الحجاج: أما بعد فإذا أتاك كتابي فاخرج إلى الحجاج عاملي فبايعه. فكتب إليه: إني لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك فإذا اجتمعوا كنت أول من يبايع.

فلما قتل عبد الله بن الزبير، وهو يومئذ بالشعب أيضاً سرح أبا عبد الله الجدلي بكتاب منه إلى عبد الملك يسأله فيه الأمان لنفسه وأصحابه، وبعث إليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال: قد كتبت إلى عبد الملك كتاباً، فإذا جاءني جوابه بما سألته بايعت.

قال: أو تشترط على أمير المؤمنين الشروط لتبايعني طائعاً أو كارهاً؟! فأتاه عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: ما تريد من رجل ما نعلم في زماننا مثله. أمسك عنه حتى يأتيه كتاب ابن عمه.

وقد كان كتاب عبد الملك أتى الحجاج قبل قتل ابن الزبير يأمره فيه بالكف عن ابن الحنفية والرفق به، فأمسك الحجاج حتى قدم على ابن الحنفية رسوله أبو عبد الله الجدلي بجواب كتابه ببسط الأمان وتصديق قوله ووصف ما هو عليه في إسلامه وعفافه وفضله وقرابته وعظيم حقه، وقال له: لعمري لئن ألجأتك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمتك وجفوتك، وقطعت رحمك، فبايع الحجاج على بركة الله، وأمره بالقدوم عليه آمناً مأموناً وفي الرحب والسعة، وإلى الكرامة والأثرة والمواساة.

فخرج إلى الحجاج فبايعه لعبد الملك، وأشخصه الحجاج إليه في جماعة منهم عبد الله بن عمرو بن عثمان، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وعروة بن الزبير، فلما قدم على عبد الملك أعظمه وأكرمه وبره وأقبل عليه، فحسده الحجاج على ما رأى من احتفاء عبد الملك به فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد أردت أن أضرب عنقه لولا تقدمك إلي في أمره لتأخره وتثاقله عن البيعة.

فقال له عبد الملك: مهلاً يا حجاج. فسأله ابن الحنفية أن ينزع عنه سلطانه فقال: إنه لا سلطان له عليك ولا لأحد من الناس دوني، ولك في كل سنة رحلة ترفع إلي فيها حوائجك فأقضيها لك.

ويقال إنه قال: أخلني يا أمير المؤمنين. فقال: إنه ليس دون الحجاج سر. قال: فاعدني عليه فإنه يكلفني الغدو والرواح إليه ويعدي علي غرمائي قبل بيع الثمرة. فقال عبد الملك: لا سلطان لك عليه دون بلوغ الثمرة، ولا على عبد الله بن جعفر فإنهما ينتظران الغلة، أو صلتنا.

ثم انصرف من عند عبد الملك وكان معه جماعة من أصحابه منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل، ومحمد بن بشر، ومحمد بن يزيد بن مزعل حتى قدموا المدينة.

عن ابن كيسان قال: قال عبد الملك لابن الحنفية حين قدم عليه وهما خلوان: أتذكر فعلتك يوم الدار؟ فقال: أنشدك الله والرحم يا أمير المؤمنين. فقال: والله ما ذكرتها ولا أذكرها.

وكان محمد سمع مروان قال لعلي يوم الدار: قطع الله الليلة أثرك، فأخذ محمد بحمائل سيف مروان فرجع ففرق بينهما.

ويقال ان الحجاج وجه ابن الحنفية إلى عبد الملك وافداً فأكرمه وبره، ثم رده إلى المدينة وقال: فد إلي في كل عام، وإن الحجاج لم يشخصه معه.

وتوفي محمد ابن الحنفية بالمدينة ودفن بالبقيع سنة إحدى وثمانين، ويقال: في سنة اثنتين وثمانين [1].

ومن قوته أيضا ما حكاه المبرد في كتابه أن ملك الروم في أيام معاوية وجه إليه: إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا، ويجهد بعضهم أن يغرب على بعض، أفتأذن في ذلك فأذن له، فوجه إليه برجلين أحدها طويل جسيم، والآخر أيد، فقال معاوية لعمرو بن العاص: أما الطويل فقد أصبنا كفوءه، وهو قيس بن سعد ابن عبادة رضي الله عنه، وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه، فقال عمرو: ها هنا رجلان كلاهما إليك بغيض: محمد ابن الحنفية، وعبد الله بن الزبير، فقال معاوية: من هو أقرب إلينا على كل حال، فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه، فدخل قيس، فلما مثل بين يدي

(١) أنساب الأشراف، ١ / ٤٤٤ - ٤٤٧.

معاوية نزع سراويله، فرمى بها إلى العلج فلبسها فبلغت ثندوته، فأطرق مغلوبا، فقيل إن قيسا لاموه في ذلك، وقيل له: لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت إليه غيرها فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها ::: سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ::: سراويل عادي نمته ثمود
وإني من القوم اليمانين سيد ::: وما الناس إلا سيد ومسود
وبذ جميع الخلق أصلي ومنصبي ::: وجسم به أعلو الرجال مديد

ثم وجه معاوية إلى محمد ابن الحنفية فحضر، فخبر بما دعي له، فقال: قولوا له إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد، فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد، وعجز الرومي عن إقعاده، ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد، فجذبه محمد فأقعده، وعجز الرومي عن إقامته، فانصرفا مغلوبين.

وبلغ محمد بن علي بن أبي طالب أن ابن الزبير قام خطيبا فنال من علي بن أبي طالب، فدخل المسجد الحرام، فوضع رحلا، ثم قام عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد، ثم قال: شاهت الوجوه، يا معشر قريش، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون ويذكر علي فلا تغضبون؟ ألا إن عليًّا كان سهما صائبا من مرامي الله أعداءه، يضرب وجوههم، ويهوعهم مأكلهم، ويأخذ بحناجرهم. ألا وأنا على سنن ونهج من حاله، وليس علينا في مقادير الأمور حيلة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فبلغ قوله عبد الله بن الزبير، فقال: هذا عذرة بني الفواطم، فما بال ابن أمه بني حنيفة؟ وبلغ محمداً قوله، فقال: يا معاشر قريش وما ميزني من بني الفواطم؟ أليست فاطمة ابنة رسول الله حليلة أبي وأم إخوتي؟ أ وليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتي وأم أبي؟ أليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدة أبي وأم جدتي؟ أما والله لو لا خديجة بنت خويلد لما تركت في أسد عظماً إلا هشمته، فإني بتلك التي فيها المعاب صبير.

ولما لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم، وعجز عما دبره فيهم، أخرجهم عن مكة، وأخرج محمد ابن الحنفية إلى ناحية رضوى، وأخرج عبد الله بن عباس إلى الطائف إخراجاً قبيحاً، وكتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس: أما بعد، فقد بلغني أن عبد الله بن الزبير سيرك إلى الطائف، فرفع الله بك أجرا، واحتط عنك وزرا، يا ابن عم، إنما يبتلي الصالحون، وتعد الكرامة للأخيار ولو لم تؤجر إلا فيما نحب وتحب قل الأجر، فاصبر فإن الله قد وعد الصابرين خيراً، والسلام.

من أقوال ابن الحنفية :

قال محمد بن الحنفية: يا منذر، قلت: لبيك، قال: كلُّ ما لا يُبتغى به وجه الله تعالى يضمحل.

وقال: ليسَ بحكيمٍ مَن لمْ يعاشِرْ بالمعروفِ مَن لا يجدُ بدًّا مِن معاشرتِه حتى يجعلَ اللهُ له فرجاً ومخرجاً.

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: أبو بكر؛ قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر؛ وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت! قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين [(١)].

ووقف محمد ابن الحَنَفية على قبر الحسن بن علي رضي الله عنه فخَنَقَتْه العَبرَة ثم نَطقَ فقال: يَرْحمك الله أبا أحمد؛ فلئن عزّت حَياتُك فلقد هَدَّت وفاتُك؛ ولَنِعْم الرُّوح روح ضَمّه بدَنك؛ ولَنِعْمَ البدن بَدَنٌ ضَمَّه كَفَنُك؛ وكيف لا تكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء، وسليل الهُدى وخامِس أصحاب الكِساء، غَذَتْك أكُفّ الحقّ ورُبيت في حِجْر الإسلام، فطِبْت حيّاً وطِبْت مَيِّتاً، وإن كانت أنفسنا غيرَ طيِّبة بفراقك ولا شاكة في الخِيار لك.

قالَ محمد ابن الحنفية: مَن كرمتْ عليه نفسُهُ لم يكن للدنيا عنده قدرٌ.

(١) صحيح البخاري، ١ / ٣٦٧.

وكان ابن الحنفية يقول: إني واصف لك أخاً لي كان أعظم الناس في عيني، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يضع فيها ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم على الأمر إلا بنية [(١)].

قال ابن الحنفية: رحم الله امرءاً أغنى نفسه وكف يده وأمسك لسانه وجلس في بيته له ما احتسب وهو مع من أحب.

قال محمد ابن الحنفية: إنَّ اللهَ تعالى جعلَ الجنة ثمناً لأنفسِكم فلا تبيعوها بغيرِها.

* * *

(١) عن أبي الحسن القرشي قال: قال رجل من الأنصار: صَغُرَ فلان في عيني لِعِظَم الدنيا في عينه، كان يردُّ السائلَ ويَبْخَلُ بالنائل يعني العطاء.

سعيد بن جبير

أعـلام التابعيـن

سعيد بن جبير

ابن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام.

روى عن ابن عباس فأكثر وجود، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي ابن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة، وأبي مسعود البدري - وهو مرسل - وعن ابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري.

وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمي. وكان من كبار العلماء.

قرأ القرآن على ابن عباس. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة.

وحدث عنه أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان والد يحيى، وأشعث بن أبي الشعثاء، وأيوب السختياني وبكير بن شهاب، وثابت بن عجلان، وأبو المقدام ثابت بن هرمز، وجعفر بن أبي المغيرة، وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية، وحبيب ابن أبي ثابت، وحبيب بن أبي عمرة، وحسان بن أبي الأشرس، وحصين، والحكم، وحماد، وخصيف الجزري، وزر الهمداني، وزيد العمي، وسالم الأفطس، وسلمة بن كهيل، وسليمان بن أبي المغيرة، وسليمان الأحول، وسليمان الأعمش، وسماك بن حرب، وأبو سنان ضرار بن مرة، وطارق بن عبد الرحمن، وطلحة بن مصرف، وأبو سنان طلحة بن نافع، وأبو حريز عبد الله بن حسين، وابنه عبد الله بن سعيد، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وعبد الله بن عيسى بن أبي ليلى، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وعبد الكريم الجزري، وعبد الكريم أبو أمية البصري، وابنه عبد الملك بن سعيد، وعبد الملك بن أبي سليمان، وعبد الملك بن ميسرة، وعثمان بن حكيم، وعثمان بن أبي سليمان، وعثمان بن قيس، وعدي بن ثابت، وعزرة بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وعكرمة بن خالد، وعلي بن بذيمة، وعمار الدهني، وعمرو بن دينار، وعمرو بن سعيد البصري، وعمرو بن عمرو المدني، وعمرو بن مرة، وعمرو

بن هرم، وفرقد السبخي، وفضيل بن عمرو الفقيمي، والقاسم بن أبي أيوب، والقاسم بن أبي بزة، وكثير بن كثير بن المطلب، وكلثوم بن جبر، ومالك بن دينار، ومجاهد رفيقه، ومحمد بن سوقة، ومحمد بن أبي محمد، والزهري، ومحمد بن واسع، ومسعود بن مالك، ومسلم البطين، والمغيرة بن النعمان، ومنصور بن حيان، ومنصور بن المعتمر، والمنهال بن عمرو، وموسى بن أبي عائشة، وأبو شهاب الحناط الأكبر موسى بن نافع، وميمون بن مهران، وهشام بن حسان، وهلال بن خباب، ووبرة بن عبد الرحمن، ووهب بن مأنوس، وأبو هبيرة يحيى بن عباد، ويحيى بن ميمون أبو المعلى العطار، ويعلى بن حكيم، ويعلى بن مسلم، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو حصين الأسدي، وأبو الزبير المكي، وأبو الصهباء الكوفي، وأبو عون الثقفي، وأبو هاشم الرماني، وخلق كثير.

روى ضمرة بن ربيعة، عن أصبغ بن زيد، قال: كان لسعيد بن جبير ديك، كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة، فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟ فما سمع له صوت بعد. فقالت له أمه: يا بني، لا تدع على شيء بعدها.

قال أبو الشيخ: قدم سعيد أصبهان زمن الحجاج، وأخذوا عنه.

وعن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له في ذلك فقال: انشر بزك حيث تعرف.

قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن، يقول: ليس أحد يسألني عن شيء. وكان يبكينا، ثم عسى أن لا يقوم حتى نضحك.

شعبة، عن القاسم بن أبي أيوب: كان سعيد بن جبير بأصبهان، وكان غلام مجوسي يخدمه، وكان يأتيه بالمصحف في غلافه.

قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيدا يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله.

عن هلال بن يساف، قال: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

وعن وقاء بن إياس، قال: كان سعيد بن جبير يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، وكانوا يؤخرون العشاء.

وهذا خلاف السنة، وقد صح النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

عن سعيد بن جبير، أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني: سعيد بن جبير.

عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

عن سعيد بن جبير، قال: التوكل على الله جماع الإيمان.

وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك.

أبو عوانة، عن هلال بن خباب، قال: خرجت مع سعيد بن جبير في رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يحرم في كل سنة مرتين، مرة للحج، ومرة للعمرة.

عن سعيد بن جبير، قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

عن حبيب بن أبي ثابت: قال لي سعيد بن جبير: لأن أنشر علمي أحب إلي من أن أذهب به إلى قبري.

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

وقال عمر بن ذر: كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتابا أوصاه بتقوى الله وقال: إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة، فذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره.

عن أبـي حريز، أن سـعيد بـن جبير قـال: لا تطفئوا سرجكم ليـالي العشر. تعجبه العبادة ويقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة.

أنبأ هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنـازة، فكـان يحدثنا فـي الطريق ويذكرنا، حتى بلغ، فلما جلس، لم يزل يحدثنا حتى قمنا، فرجعنا، وكان كثير الذكر لله.

وعن سعيد، قال: وددت الناس أخذوا ما عندي ؛ فإنه مما يهمني.

عن أبي حصين، قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة، فقلت: إن هذا الرجل قادم - يعنـي خالـد بـن عبد الله - ولا آمنـه عليـك، فـأطعني واخـرج. فقـال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله. قلت: إني لأراك كما سمتك أمك سعيدا. فقدم خالد مكة، فأرسل إليه فأخذه.

عن عثمان بن برذويه قال: كنت مع وهب وسعيد بن جبير يوم عرفة بنخيل ابن عامر، فقال له وهب: يا أبا عبد الله، كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل، فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه. فقال وهب: إن من قبلكم كان إذا أصـاب أحدهم بـلاء عده رخـاء، وإذا أصـابه رخـاء عده بلاء.

مواقف من حياة سعيد بـن جبير :

إني أعوذ بـالرحمن منك إن كنت تقيا. :

قال سالم بن أبي حفصة لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قـال: أنـا سـعيد بـن جبير، قال: أنت شقي بن كسير، لأقتلنك. قال: فإذا أنا كما سمتني أمي، ثم قـال: دعوني أصل ركعتين. قـال: وجهوه إلـى قبلـة النصـارى. قـال: فأينمـا تولـوا فثم وجه الله وقال: إني أستعيذ منك بما عاذت بـه مريم. قـال: ومـا عـاذت بـه؟ قـال: قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا.

رواها ابن عيينة، عن سالم. ثم قال ابن عيينة: لـم يقتل بعد سـعيد إلا رجـلا واحدا.

ألم أفعل بك؟! ألم أفعل بك؟! :

وعن عتبة مولى الحجاج، قال: حضرت سعيدا حين أتي به الحجاج بواسط، فجعل الحجاج يقول: ألم أفعل بك؟! ألم أفعل بك؟! فيقول: بلى. قال: فما حملك على ما صنعت من خروجك علينا؟ قال: بيعة كانت علي - يعني لابن الأشعث - فغضب الحجاج وصفق بيديه، وقال: فبيعة أمير المؤمنين كانت أسبق وأولى. وأمر به، فضربت عنقه.

وقيل: لو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا، لاستحياه كما عفا عن الشعبي لما لاطفه في الاعتذار.

اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي :

حدث عون بن أبي شداد: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائدا يسمى المتلمس بن أحوص في عشرين من أهل الشام. فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعته، فسألوه عنه فقال: صفوه لي، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي بأعلى صوته، فدنوا وسلموا، فرفع رأسه، فأتم بقية صلاته، ثم رد السلام، فقالوا: إنا رسل الحجاج إليك، فأجبه، قال: ولا بد من الإجابة؟ قالوا: لا بد. فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم. فقال: اصعدوا، فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدير. ففعلوا وأبى سعيد أن يدخل. فقالوا: ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا، قال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فإنا لا ندعك، فإن السباع تقتلك، قال: لا ضير، إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا تحرسني، قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكن عبد من عبيد الله مذنب. قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة. فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد، قال: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله. فرضي الراهب بذلك، فقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح ؛ فإنه كره الدخول في الصومعة لمكانكم. فلما صعدوا وأوتروا القسي، إذا هم بلبؤة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد، تحككت به وتمسحت به، ثم ربضت

قريبا منه. وأقبل الأسد يصنع كذلك. فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا، نزل إليه، فسأله عن شرائع دينه، وسنن رسوله، ففسر له سعيد ذلك كله، فأسلم. وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه فيقولون: يا سعيد، حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت، قال: امضوا لأمركم، فإني لائذ بخالقي ولا راد لقضائه، فساروا حتى بلغوا واسطا فقال سعيد: قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد حضر فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، فإذا أصبحتم فالميعاد بيننا المكان الذي تريدون. فقال بعضهم: لا تريدون أثرا بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائز الأمير، فلا تعجزوا عنه. وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد؟! ونظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه، وشعث رأسه، واغبر لونه، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا: يا خير أهل الأرض، ليتنا لم نعرفك، ولم نسرح إليك، الويل لنا ويلا طويلا، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر، والعدل الذي لا يجور. قال: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله في. فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة، قال كفيله: أسألك بالله لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لن نلقى مثلك أبدا. ففعل ذلك، فخلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم محتفون الليل كله، ينادون بالويل واللهف. فلما انشق عمود الصبح، جاءهم سعيد فقرع الباب، فنزلوا وبكوا معه، وذهبوا به إلى الحجاج، وآخر معه، فدخلا، فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا نعم، وعاينا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم. فقال: أدخلوه علي. فخرج المتلمس فقال لسعيد أستودعك الله، وأقرأ عليك السلام. فأدخل عليه. فقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال: فما قولك في محمد صلي الله عليه وسلم ؟ قال: نبي الرحمة، إمام الهدى. قال: فما قولك في علي، في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها، فرأيت أهلها عرفت.

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عنده. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: لم تستو القلوب.

قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فجمعه بين يدي سعيد، فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا، إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى، فقال الحجاج: ما يبكيك؟ هو اللهو. قال: بل هو الحزن، أما النفخ، فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود، فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك، قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك قتلة في الآخرة. قال: فتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو، فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب، ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك! فأمر بالنطع فبسط، فقال: اقتلوه. فقال: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض قال: شدوا به لغير القبلة. قال: فأينما تولوا فثم وجه الله قال: كبوه لوجهه. قال: منها خلقناكم وفيها نعيدكم قال: اذبحوه قال: إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فذبح على النطع.

وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة، وقعت في بطنه الأكلة فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم منتن، فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه، فتركه ساعة ثم استخرجه وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناج [(١)].

ما لي ولسعيد بن جبير:

عن يحيى بن سعيد، عن كاتب الحجاج قال مالك - هو أخ لأبي سلمة الذي كان على بيت المال - قال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام يستخفني ويستحسن كتابتي، وأدخل عليه بغير إذن، فدخلت عليه يوما بعدما قتل سعيد بن جبير وهو في قبة له، لها أربعة أبواب، فدخلت عليه مما يلي ظهره، فسمعته يقول: ما لي ولسعيد بن جبير، فخرجت رويدا وعلمت أنه إن علم بي قتلني، فلم ينشب إلا قليلا حتى مات.

عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، قال: دعا سعيد بن جبير حين دعي للقتل فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟

إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله:

قال الحسن: لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال: أنت الشقي بن كسير قال: بل: أنا سعيد بن جبير؛ قال: بل أنت الشقي بن كسير! قال: كانت أمي أعرف باسمي منك قال: ما تقول في محمد؟ قال: تعني النبي قال: نعم قال سيد ولد آدم المصطفى خير من بقي وخير من مضى، قال: فما تقول في أبي بكر الصديق؟ قال: الصديق خليفة رسول الله مضى حميداً وعاش سعيداً ومضى على منهاج نبيه لم يغير ولم يبدل. قال: فما تقول في عمر؟ قال: عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل. قال فما تقول في عثمان؟ قال: المقتول ظلماً المجهز جيش العسرة الحافر بئر رومة المشتري بيته في الجنة، صهر رسول الله على ابنتيه، زوجه النبي بوحي من السماء. قال: فما تقول في علي؟ قال: ابن عم رسول الله وأول من أسلم وزوج

(١) قال الذهبي: هذه حكاية منكرة، غير صحيحة.

فاطمة وأبو الحسن والحسين، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت أعلم بنفسك، قال: بث بعلمك، قال: إذاً نسوءك ولا نسرك، قال: بث بعلمك، قال: أعفني، قال: لا عفا الله عني إن أعفيتك، قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي التي تقحمك الهلاك وسترد غداً فتعلم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك، قال: إذاً تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك، قال: يا غلام السيف والنطع، فلما ولى ضحك قال: قد بلغني أنك لم تضحك! قال: قد كان ذلك، قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله عز وجل ومن حلم الله عنك! قال: يا غلام اقتله، فاستقبل القبلة فقال:{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٧٩]؛ فصرف وجهه عن القبلة فقال:{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥] قال: اضرب به الأرض، قال:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)} [طه: ٥٥] قال: اذبح عدو الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم.

ظهر منك جور في حد الله وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله:

قال ابن ذكوان: إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله فقال الرسول: والله إني لأعلم أني أذهب بك إلى من يقتلك فأذهب إلى أي طريق شئت! فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه قال: فذهب به فلما دخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال: بل شقي بن كسير، فقال: أمي سمتني، قال: شقيت، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال له الحجاج: أما والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى، قال سعيد: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك، ثم قال له الحجاج: ما تقول في رسول الله؟ قال: نبي مصطفى، خير الباقين وخير الماضين، قال: فما تقول في أبي بكر الصديق؟ قال: ثاني اثنين إذ هما في الغار، أعز الله به الدين، وجمع به بعد الفرقة قال: فما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ قال: فاروق، وخيرة الله من خلقه، أحب الله أن يعز الدين بأحد الرجلين، فكان أحقهما

بالخيرة والفضيلة، قال: فما تقول في عثمان بن عفان؟ قال: مجهز جيش العسرة والمشتري بيتاً في الجنة، والمقتول ظلماً، قال: فما تقول في علي؟ قال: أولهم إسلاماً وأكثرهم هجرة، تزوج بنت رسول الله التي هي أحب بناته إليه، فقال: فما تقول في معاوية؟ قال: كاتب رسول الله، قال: فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله إلى الآن؟ قال: سيجزون بأعمالهم فمسرور ومثبور ولست عليهم بوكيل، قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه، وإن يكن مسيئاً فلن يعجز الله، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت بنفسك أعلم، قال: بث فيَّ علمك، قال: إذاً أسوؤك ولا أسرك، قال: بث، قال: نعم، ظهر منك جور في حد الله، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله، قال: والله لأقطعنك قطعاً، وأفرقن أعضاءك عضواً عضواً، قال: إذاً تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك، قال: الويل لك من الله، قال: لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه، قال سعيد: إني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة، فلما ذهبوا به ليقتل تبسم فقال له الحجاج: مم ضحكت؟ قال: من جرأتك على الله عز وجل، فقال الحجاج: أضجعوه للذبح، فأُضجع فقال:{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام: ٧٩]؛ فقال الحجاج: اقلبوا ظهره إلى القبلة فقرأ سعيد:{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥]؛ فقال: كبوه على وجهه فقرأ سعيد:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: ٥٥]؛ فذبح من قفاه؛ قال: فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن البصري فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج؛ فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الدود فمات.

والله لقد فررت حتى استحييت من الله:

قال أبو حصين: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم يعني خالد بن عبد الله ولا آمنه عليك فأطعني واخرج؛ فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله قلت: والله إني لأراك كما سمتك أمك سعيداً؛ قال: فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه فأخبرني يزيد بن عبد الله، قال: أتينا سعيد بن جبير حين

جيء به فإذا هو طيب النفس وبنية له في حجره فنظرت إلى القيد فبكت فشيعناه إلى باب الجسر فقال له الحرس: أعطنا كفلاء فإنا نخاف أن تغرق نفسك! قال يزيد: فكنت فيمن كفل به.

أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذى له:

عن سعيد، قال: قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل ثلاث سنين، فقال الملك: ليرسلن علينا السماء أو لنؤذينه، قالوا: كيف تقدر على أن تؤذيه، وهو في السماء وأنت في الأرض؟ قال: أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذى له. قال: فأرسل الله عليهم السماء.

وروى أصبغ بن زيد، عن القاسم الأعرج، قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

وروي عن ابن شهاب، قال: كان سعيد بن جبير يؤمنا، يرجع صوته بالقرآن.

وروى الثوري، عن حماد، قال: قال سعيد: قرأت القرآن في ركعتين في الكعبة.

جرير الضبي، عن أشعث بن إسحاق، قال: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

وكرهت أن أحنثها:

عن سعيد بن جبير، قال: لدغتني عقرب، فأقسمت علي أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ، وكرهت أن أحنثها.

قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه، من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت [1].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٦٩، أبو نعيم، حلية الأولياء، ٤ / ٢٧٦.

من أقوال سعيد بن جبير :

قال سعيد بن جبير: لأنْ أؤتَمَنَ على بيتٍ من الدرِّ أحبُّ إلَيَّ منْ أنْ أؤتمنَ على امرأةٍ حسناء.

قال كثير بن تميم الداري: كنت جالساً مع سعيد بن جبير فطلع عليه ابنه عبد الله وكان به من الفقه فقال: إني لأعلم خير حالاته، قالوا: وما هو؟ قال: أن يموت فأحتسبه.

قال القاسم الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمِش وفسدت عيناه.

قال سعيد بن جبير: التوكلُ على اللهِ جِمَاعُ(١) الإيمان.

الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه؛ وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يُرى منه الا الصبر(٢).

قال الربيع بن أبي صالح: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج وهو موثق، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟! قلت: الذي أرى بك؛ قال: فلا تبكِ، فإن هذا قد كان في علم الله تعالى، ثم قرأ:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ} [الحديد: ٢٢].

قال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيد بن جبير يعزيني في ابني فرآني أطوف بالبيت متقنعاً، فكشف القناع عن رأسي وقال: الاستتار من الجزع(٣).

---

(١) جاء في (مختار الصحاح) (ص٤٧): (وجِمَاعُ الشيء بالكسر: جمعُه، تقولُ: جِمَاعُ الخباء الأخبيةُ؛ ويقال: الخمرُ جماع الإثم).

(٢) قال ابن القيم: فقوله: اعتراف العبد لله بما أصاب منه، كأنه تفسير لقوله (إنا لله)؛ فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد؛ وقوله (راجياً به ما عند الله) كأنه تفسير لقوله: (وإنا إليه راجعون)، أي: ترد إليه فيجزينا على صبرنا ولا يضيع أجر المصيبة؛ وقوله (وقد يجزع الرجل وهو يتجلد)، أي ليس الصبر بالتجلد، وانما هو حبس القلب عن التسخط على المقدور، ورد اللسان عن الشكوى، فمن تجلد وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر).

(٣) قال ابن القيم تعقيبا علي هذا القول: (وأما قول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم: (لا بأس أن يجعل المصاب على رأسه ثوباً يعرف به)، قالوا: (لأن التعزية سنة، وفي ذلك تيسير

قال أبو سنان: قلت لسعيد بن جبير: المجوسي يوليني من نفسه ويسلم علي أفأرد عليه؟ فقال سعيد: سألت ابن عباس عن نحو من ذلك فقال: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه.

قال سعيد بن جبير: ما زال البلاء بأصحابي حتى رأيتُ أن ليسَ لله فيَّ حاجةٌ، حتى نزل بي البلاء.

قال عمر بن ذَرٍّ: قرأتُ في كتابِ سعيدِ بن جبيرٍ: اعلمْ أنَّ كلَّ يومٍ يعيشُهُ المؤمنُ غنيمةٌ.

قال سعيد بن جبير: إنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة.

قال سعيدٌ بن جبير: لوْ فارقَ ذكرُ الموتِ قلبي خشيتُ أنْ يَفسدَ عليَّ قلبي.

عن سُفيان الثَّوْري عن سعيد بن جُبير قال: ما أعْطِيَتْ أمّةٌ عند المُصِيبة ما أعْطِيَت هذه الأمة من قولها: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]؛ ولو أعْطِيها أحدٌ لأعْطيها يَعْقوب حيثُ يقول: { وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾} [يوسف: ٨٤].

وقال ابن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم: إني أعلم.

قال سعيد بن جبير: التمطي في الصلاة من الشيطان؛ وقال أيضاً: خمس تنقص من الصلاة الالتفات والاحتكاك وتفقيعك أصابعك في الصلاة والوسوسة وتقليب الحصى.

قال سعيد بن جبير في قوله تعالي: {فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ} [الأنعام: ٤٢] خوف السلطان وغلاء السعر[1].

لمعرفته حتى يعزيه)؛ ففيه نظر؛ وأنكره شيخنا؛ ولا ريب أن السلف لم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين؛ والآثار المتقدمة كلها صريحة في رد هذا القول؛ وقد أنكر إسحاق بن راهويه أن يترك لبس ما عادته لبسه، وقال: هو من الجزع. وبالجملة فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيرون شيئاً من زيهم قبل المصيبة، ولا يتركون ما كانوا يعملونه، فهذا كله مناف للصبر. والله سبحانه أعلم).

(١) إنما عوقبوا بخوف السلطان بسبب قلة الخوف من الله، وبغلاء الأسعار بسبب قلة الشكر لله.

قال داود بن أبي هند: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها؛ فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

كان لسعيد بن جبير ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح فلم يصح ليلة من الليالي فأصبح سعيد ولم يصل، فشق ذلك عليه فقال له: ما له قطع الله صوته؟! فما سمع ذاك الديك يصيح بعدها فقالت له أمه: أي بني لا تدْعُ على شيء بعدها.

قال سعيدٌ بن جبير: إنَّ الخشية أنْ تخشى اللهَ تعالى حتى تحولَ خشْيتُكَ بينَكَ وبينَ معصيتِكَ، فتلكَ الخشيةُ؛ والذكرُ طاعةُ اللهِ فمنْ أطاعَ اللهَ فقدْ ذكرهُ ومنْ لمْ يطعْهُ فليسَ بذاكرٍ وإنْ أكثرَ التسبيحَ وقراءةَ القرآن.

قال سعيد بن جبير: من إضاعةِ المالِ أنْ يرزقكَ اللهُ حلالاً فتنفقَهُ في معصيةِ اللهِ.

قال بكير بن عتيق: سقيتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ شربةً من عسلٍ في قدحٍ فشربها ثم قال: واللهِ لأسْألَنَّ عن هذا، فقلتُ له: لِمه؟! فقال: شربتُه وأنا أستلذُّه.

قال سعيد بن جبير: لقِيَني راهبٌ فقالَ: يا سعيدُ، في الفتنةِ يتبينُ مَن يعبدُ اللهَ ممَّن يعبدُ الطاغوتَ.

رأى سعيد بن جبير ناساً يتبعونه فنهاهم وقال: إن هذه مذلة للتابع فتنة للمتبوع.

قال سعيد بن جبير: الغرة في الله أن يصر العبد في معصية الله ويتمنى على الله في ذلك والغرة في الدنيا أن يغتر بها وأن تشغله عن الآخرة أن يمهد لها ويعمل لها كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة:{يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤]؛ وأما متاع الغرور فهو ما يلهيك عن طلب الآخرة فهو متاع الغرور؛ وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

* * *

محمد بن سيرين

أعـلام التابعيـن

محمد بن سيرين

هو أبو بكر محمد بن سِيرين، مولى أنس بن مالك، من سبي عينِ التَّمْر. روى عن: أنس بن مالك، وابن عمر، وأبي هريرة. روى عنه: الشَّعبيُ، وأيوبُ السَّختيانيّ، وقتادةُ، وسَلمة بن عَلْقمة، وخلق كثير. كان فقيها عالما زاهدا عابدا ورعا محدثا من مشاهير التابعين، وجلِتهم، لقي صدرا كثيرا من الصحابة، واشتهر بفنون علوم الشريعة

يعد ابن سيرين من أشهر محدثي البصرة وحفاظها في رواية الحديث ودرايته، وكان من المكثرين لرواية الحديث النبوي الشريف، لذلك كان يعتبر من أشهر من دارت عليهم الرواية في البصرة، ويكفي أنه قد أخرج له أصحاب المصنفات المعتمدة كالإمام البخاري ومسلم وأصحاب السنن، لا بل إن معظم مروياته هي صحيحة مما يدل على أنه كان صاحب عدل وصدق وضبط متيقضا في إيراد الأحاديث النبوية، وهذا التيقض والتحرز في إيراد الأحاديث دفعه لان يكون ممن يمنع رواية الحديث بالمعنى، حتى أننا نجده يلحن في الرواية كما يلحن من روى عنه كما أخبر الخطيب البغدادي، ومع هذا فإنه كان يسمع من يروي الحديث بالمعنى، إن كان عالما فقيها يشهد له، كالإمام الحسن البصري والشعبي والنخعي، لكن يفضل روايتهم للحديث كما سمعوا فقد قال: (إنهم لو حدثوا كما سمعوا كان أفضل).

أما في مجال الحديث دراية فإننا نلاحظ أنه لا يروي إلا عن صحابي أو تابعي ثقة، وأنه كان يحث على الإسناد، فقد أورد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه أنه قال: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه).

كما انه لا يرى باسا بكتابة الحديث لكنه يفضل الحفظ على الكتابة، فقد ذكر الرامهرمزي في كتابه عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين (أنه كان لا يرى بكتابة الحديث بأسا فإذا حفظه محاه).

اشتهر بتفسير الأحلام وكان في تأويله للرؤى يأمر بتقوى الله ويبشر الناس أن من رأي ربه في المنام دخل الجنة، إنه التابعي الجليل محمد بن سيرين الذي كان مثالا يحتذي في الورع والزهد والعبادة، مما جعل الناس في زمانه إذا رأوه كبروا، ويقول أحد معاصريه كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وسمتا وخشوعا فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله.

محمد بن سيرين يكنى أبا بكر، وقال ابن عائشة كان سيرين والده من أهل جرجرايا [١] وكان يعمل قدور النحاس فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. وكان مولى أنس بن مالك كاتبه أنس، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال هذه مكاتبة سيرين عندنا هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفا وعلى غلامين يعملان عليه.

وعن بكار بن محمد قال حدثني أبي أن أم محمد بن سيرين صفية مولاة أبي بكر بن أبي قحافة طيبها ثلاث من أزواج رسول الله ودعوته لها وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريا منهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون.

كان بن سيرين من أعلام التابعين، وإماما من أئمة الزهد والورع، قال ابن عون كان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتقى شيئا أو يحذر شيئا.

وقال جرير بن حازم سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلا فقال ما رأيت الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبت الرجل.

قال مورق العجلى: ما رأيت رجلا أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين. وقال أبو قلابة اصرفوه حيث شئتم فلتجدنه أشدكم ورعا وأملككم لنفسه، وأينا يطيق ما يطيق محمد بن سيرين يركب مثل حد السنان.

من أقوال ابن سيرين :

قال أبو عوانة رأيت محمد بن سيرين يمر في السوق فيكبر الناس.

قال ابن سيرين إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه يأمره وينهاه.

(١) بلدة من أعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد، خربت مع ما خرب عند خراب النهروان.

وعن الأشعث قال كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

وأوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين فقيل له في ذلك وكان محبوسا فقال أنا محبوس قالوا قد استأذن الأمير فأذن لك في ذلك قال فإن الأمير لم يحبسني إنما حبسني الذي له الحق فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله.

عن رجاء بن أبي سلمة قال سمعت يونس بن عبيد يقول أما ابن سيرين فإنه لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما.

قالت حفصة بنت سيرين كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعا لها.

وعن ابن عون قال دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال ما شأن محمد يشتكي شيئا؟ فقالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه.

قال ابن سيرين ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره.

وعن ابن عون قال أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له: كيف تركت أهل مصرك؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاش.

قال ابن عون كان محمد يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها.

وسئل ابن سيرين مرة عن فتيا فأحسن الإجابة فيها فقال له رجل: والله يا أبا بكر لأحسنتَ الفتيا فيها، أو القول فيها، وعرَّضَ كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا! فقال محمد: لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا.

عن عبد ربه القصاب قال: وأعدت محمد بن سيرين رحمه الله أن أشتري له أضاحي فنسيت وعده بشغل ثم ذكرت بعدُ فأتيته قريباً من نصف النهار وإذا محمد ينتظرني فسلمت عليه ورفع رأسه فقال: أما إنه قد يقبل أهون ذنب منك فقلت: شغلت وعنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة فقال: لو لم تجيء حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لا بد منها.

قال ابن سيرين: ثلاثة ليست من المروءة: الأكل في الأسواق، والادّهان عند العطار، والنظر في مرآة الحجام.

قال ابن سيرين: إن رجلين اختصما في تخوم أرض فأوحى الله عز وجل اليها كلميهما، فقالت: يا مسكينان، أو يا شقيان، تختصمان فيَّ ولقد ملكني ألفُ أعور سوى الأصحاء؟!

وقال ابن سيرين: لأن يموت الرجل جاهلاً خير له من أن يقول ما لا يعلم.

وقال: كنا عند أبي عبيدة بن حذيفة في قبة له فأتاه رجل فجلس معه على فراشه، فساره بشيء لم أفهمه، فقال له أبو عبيدة: فإني أسألك أن تضع إصبعك في هذه النار وكانون بين أيديهم فيه نار فقال الرجل: سبحان الله، فقال له أبو عبيدة: تبخل علي بإصبع من أصابعك في نار الدنيا، وتسألني أن أجعل جسدي كله في نار جهنم؟! قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

قال ابن سيرين: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه.

قال يونس: عجبت من كلمات ثلاث: عجبت من كلمة مورق العجلي: ما قلت في الغضب شيئاً فندمت عليه في الرضا، وعجبت من كلمة محمد بن سيرين: ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا، إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو صائر إلى النار؟! وعجبت من كلمة حسان بن أبي سنان: ما شيء أهون عندي من الورع، إذا رابني شيء تركته.

قال ابن سيرين: البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة وتخرج منه الشياطين ويتسع بأهله ويكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين وتخرج منه الملائكة ويضيق بأهله ويقل خيره [١].

(١) عن ثابت قال: كان أبو هريرة يقول: البيت إذا تلي فيه كتاب الله اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين: والبيت الذي لم يتل فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره، وتنكبت عنه الملائكة، وحضره الشياطين. وعن ابن مسعود قال: البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كمثل البيت الخرب الذي لا عامر له. وعنه أيضاً قال: إن أصفر البيوت الذي أصفر من

قال عبدُ اللهِ بنُ السري: قال ابنُ سيرينَ: إني لأعرفُ الذنبَ الذي حُمِّلَ عليَّ به الدَّينُ ما هو، قلتُ لرجلٍ من أربعينَ سنةٍ: يا مُفْلس!

قال محمد بن سيرين: إذا قلت لأخيك من خلفه ما فيه مما يكره فهي الغيبة، وإذا قلت ما ليس فيه فهو البهتان، وظلم لأخيك أن تذكره بأقبح ما تعلم منه وتنسى أحسنه.

قال طوق بن وهب: دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت فقال: كأني أراك شاكياً قلت: أجل قال: اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه، ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطبُّ منه ثم قال: أستغفر الله، أراني قد اغتبته[١].

سمع ابنُ سيرين رجلاً يسبُّ الحجّاجَ، فأقبلَ عليهِ فقالَ: مَهْ أيها الرجلُ، فإنك لو قدْ وافيتَ الآخرةَ كان أصغرُ ذنبٍ عملتَهُ قط أعظمَ عليكَ من أعظم ذنبٍ عمِلَه الحجاجُ، واعلمْ أنَّ الله تعالى حكَمٌ عدْلٌ، إنْ أخَذَ من الحجاج لِمن ظلَمَه فسوفَ يأخُذُ للحجاج ممن ظلَمَهُ، فلا تشغلن نفسَكَ بسبِّ أحدٍ.

قال ابن سيرين: المسلمُ: المسلمُ عندَ الدرهم والدينار[٢].

قال محمد بن سيرين: كان مما يقال للرجل إذا أراد ان يسافر في التجارة: اتق الله واطلب ما قدر لك من الحلال، فإنك إن طلبته من غير ذلك لم تصب أكثر مما قدر لك.

تفسيره للرؤى:

عرف بن سيرين بتفسير الرؤى والأحلام وله كتاب مشهور في ذلك وكان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال اتق الله عز وجل في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام.

ومن عجائب تفسيره للأحلام:

كتاب الله. وعن ليث عن ابن سابط قال: إن البيوت التي يقرأ فيها القرآن لتضيء لأهل السماء كما تضيء السماء لأهل الأرض. قال: وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ليضيق على أهله وتحضره الشياطين وتنفر منه الملائكة وإن أصفر البيوت لبيت صفر من كتاب الله.

(١) يعني الأول.

(٢) أي: عند التعامل بالأموال وعند الابتلاء بها يتبين حال المسلم في دينه.

١ - عن يوسف الصباغ عن ابن سيرين قال من رأى ربه تعالى في المنام دخل الجنة.

٢ - عن خالد بن دينار قال كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها مثقبان فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحا قال ابن سيرين: اتق الله لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

٣ - عن أبي قلابة أن رجلا قال لابن سيرين: رأيت كأني أبول دما. قال: تأتي امرأتك وهي حائض قال: نعم قال: اتق الله ولا تعد.

٤ - عن أبي جعفر عن ابن سيرين أن رجلا رأى في المنام كأن في حجره صبيا يصيح فقص رؤياه على ابن سيرين، فقال: اتق الله ولا تضرب العود.

٥ - عن حبيب أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال ابن سيرين اللبن فطرة والحية عدو وليست من الفطرة في شيء هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

٦ - رأى الحجاج بن يوسف في منامه رؤيا كأن حوراوين أتتاه، فأخذ إحداهما وفاتته الأخرى، فكتب بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك هنيئا يا أبا محمد فبلغ ذلك ابن سيرين، فقال: أخطأت هذه فتنتان يدرك إحداهما وتفوته الأخرى قال فأدرك الجماجم، وفاتته الأخرى.

٧ - رأى ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا فأخذ في وصيته قال: يموت الحسن البصري وأموت بعده هو أشرف مني.

٨ - قال رجل لابن سيرين إني رأيت كأني ألعق عسلا من جام من جوهر فقال اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيته.

٩ - وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أحرث أرضا لا تنبت قال أنت رجل تعزل عن امرأتك.

١٠ - قال رجل لابن سيرين رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقى قال: أنت رجل مصارم لأخيك.

١١ - وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أطير بين السماء والأرض قال: أنت رجل تكثر المنى.

١٢ - جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: إني رأيت كأني على رأسي تاجا من ذهب فقال له ابن سيرين: اتق الله، فإن أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه قال فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتابا من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره وأنه في أرض غربة ويأمر بالإتيان إليه.

لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري:

أتى رجل محمد بن سيرين فقال له: رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة وبيده طنبور يضرب به؟ فقال له ابن سيرين: لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري؛ فقال: الحسن؟! هو والله الذي رأيت! فقال: نعم لأن المزبلة الدنيا، وقد جعلها تحت رجليه؛ وعريه تجرده عنها؛ والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس.

رأيت في المنام كأن حمامة التقمت لؤلؤة:

قال معمر: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت في المنام كأن حمامة التقمت لؤلؤة فقذفتها سواء؛ فقال: ذاك قتادة؛ ما رأيت أحفظ من قتادة.

أتقبل امرأتك وأنت صائم؟! :

قال أيوب: سأل رجل محمد بن سيرين قال: رأيت كأني آكل خبيصاً في الصلاة؛ فقال: الخبيص حلال، ولا يحل لك الأكل في الصلاة! فقال له: أتقبل امرأتك وأنت صائم؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل.

كأن معه سيفاً مخترطة:

قال بكير بن أبي السميط: سمعت محمد بن سيرين سئل عن رجل رأى في المنام كأن معه سيفاً مخترطة فقال: ولد ذكر؛ قال: اندق السيف، قال: يموت.

وسئل ابن سيرين عن الحجارة في النوم؟ فقال: قسوة؛ وسئل عن الخشب في النوم؟ فقال: نفاق.

عن قرة بن خالد قال: كنت أحضر ابن سيرين يُسأل عن الرؤيا، فكنت أحزره يعبر مِن كل أربعين واحدة؛ أو قال: أحزوه.

كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلي الله عليه وسلم **أربع مرات**! :

قال ابن قتيبة: وكان سعيد بن المسيب أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا؛ قال له رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلي الله عليه وسلم أربع مرات! فقال: إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء.

ما أنت رأيتها! :

وقال له آخر: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد؛ فقال: ما أنت رأيتها! ولكن رآها ابن الزبير؛ ولئن صدقت رؤياه ليقتلنه عبد الملك بن مروان ويخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة.

تحتك ذات محرم:

وقال له آخر: رأيتني أبول في يدي فقال: تحتك ذات محرم، فنظر فإذا امرأته بينها وبينه رضاع.

مواقف من حياته:

رأيتُ ظلماً فاشياً:

بعث ابن هبيرة[1] إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، فدخلوا عليه فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربتَ من بابنا؟ قال: رأيتُ ظلماً فاشياً، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تُسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

(١) وكان والياً على العراق.

أستغفر الله أراني قد اغتبته :

عن ابن عون قال كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلا بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم وقال طوق بن وهب دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت فقال كأني أراك شاكيا قلت أجل قال اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ثم قال اذهب إلى فلان فإنه أطب منه ثم قال أستغفر الله أراني قد اغتبته.

و كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال ألك حاجة فإن كان له حاجة قضاها فإن عاد يمشي معه قام فقال له ألك حاجة.

عن هشام عن ابن سيرين أنه اشترى بيعا فأشرف فيه على ثمانين ألفا فعرض في قلبه منه شيء فتركه قال: هشام والله ما هو بربا.

وعن السرى بن يحيى قال: لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفا في شيء دخله، قال سرى: فسمعت سليمان التيمي يقول: لقد تركه في شيء ما يختلف فيه أحد من العلماء.

إني أكره أن أحمل حد جوعي :

وكان ابن سيرين إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول: اسقوني شربة سويق فيقال له: يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقا فيقول: إني أكره أن أحمل حد جوعي على طعام الناس.

يصوم يوما ويفطر يوما:

عن ابن شوذب قال: كان ابن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما وكان اليوم الذي يفطر فيه يتغذى ولا يتعشى ثم يتسحر ويصبح صائما.

إنها ساعة غفلة:

وروي عن موسى بن المغيرة قال: رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل فقال له رجل: يا أبا بكر في هذه الساعة؟ قال: إنها ساعة غفلة.

إنما أعطاني على خير كان يظنه بي:

وعن جعفر بن أبي الصلت قال قلت لمحمد بن سيرين ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة قال: فقال لي: يا أبا عبد الله أو يا هذا إنما أعطاني على خير كان يظنه بي ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل وإن لم أكن كما ظن فبالحري ألاَّ يجوز لي أن أقبل.

إني لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين:

عن عبيد الله بن السري قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين ما هو قلت: لرجل منذ أربعين سنة يا مفلس. فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال: قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندرى من أين نؤتى.

عن عاصم الأحول: قال كان عامة كلام ابن سيرين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

عن هشام بن حسان قال ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلى.

عن أنس بن سيرين قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار.

وعن هشام قال كان ابن سيرين يحيى الليل في رمضان.

إذا ذكر الموت مات كل عضو منه:

عن دهير قال كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته.

قال مهدى: كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه، ويكثر إلينا ونكثر إليه، فإذا ذكر الموت تغير لونه، واصفر وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان.

وفاته:

وتوفى في سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم وهو ابن نيف وثمانين سنة [١].

* * *

(١) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٧ / ١٩٣، الزهد لاحمد ٣٠٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٨، تاريخ البخاري ١ / ٩٠، المعارف ٤٤٢، المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٤، ذيل المذيل ٦٤٠، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الثالث ٢٨٠، الحلية ٢ / ٢٦٣، تاريخ بغداد ٥ / ٣٣١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٨، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٢١٠ آ، وفيات الاعيان ٤ / ١٨١، تهذيب الكمال ص ١٢٠٧، تاريخ الاسلام ٤ / ١٩٢، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٣، العبر ١ / ١٣٥، تهذيب التهذيب ٣ / ٢١٠ ب، مرآة الجنان ١ / ٢٣٢، البداية والنهاية ٩ / ٢٦٧ و٢٧٤، غاية النهاية ت ٣٠٥٧، تهذيب التهذيب ٩ / ٢١٤، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٨، طبقات الفقهاء للسيوطي ٣١، خلاصة تهذيب التهذيب ٣٤٠، شذرات الذهب ١ / ١٣٨.

الحسن البصري

أعـلام التابعيـن

الحسن البصري

إنه علم من أعلام الصالحين وإماماً من أئمتهم، ورجلاً من رجالتهم، ما إن يذكر اسمه إلا ويذكر الزهد - وما إن يذكر الزهد إلا ويذكر اسمه.

رجل هو الزهد، والزهد هو، لم يدرك النبي وإنما كان على درجة من الفطنة والزكاء، والخشية والإنابة والعقل والورع، والزهد والتقوى ما جعله يشبه الصحابة الكرام بل قال عنه علي بن زيد لو أدرك أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وله مثل أسنانهم ما تقدّموه.

قال عنه أحد العلماء: كان جائعاً عالماً عالياً رفيعاً فقيها ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.

قال عنه أحد الصحابة: لو أنه أدرك أصحاب رسول الله لاحتاجوا إلى رأيه.

كانت أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي وكان مولده قبل نهاية خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسنتين.

وكانت أمه تخرج إلى السوق أحياناً فتدعه عند أم سلمة فيصيح جوعاً فتلقمه أم سلمة ثديها لتعلله به، إلى أن تجيء أمه - وإذا برحمة الله تنزل على الثدي فيدر لبناً فيرضع الطفل حتى يرتوي.

فإذا هو يرتوي حكمة وفصاحة وتقى، فما إن شب الحسن إلا وينابيع الحكمة تنبع من لسانه وجمال الأسلوب ورصانة العبارة وفصاحة اللسان تتحدر من كلامه.

إنه الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري المشهور بالحسن البصري، يقال: مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قطبة.

وأمه خيرة مولاة أم سلمة، نشأ إمامنا في المدينة النبوية وحفظ القرآن في خلافة عثمان. وكانت أمه وهو صغير تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من دعا له عمر بن الخطاب.

قال: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس.

فكان الحسن بعدها فقيهاً وأعطاه الله فهماً ثابتاً لكتابه وجعله محبوباً إلى الناس.

فلازم أبا هريرة وأنس بن مالك وحفظ عنهم أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم ، فكان كلما سمع حديثاً عن المصطفى ازداد إيماناً وخوفاً من الله.

إلى أن أصبح من نساك التابعين ومن أئمتهم ومن وعاظهم ودعاتهم، وصار يرجع إليه في مشكلات المسائل وفيما اختلف فيه العلماء، فهذا أنس بن مالك، سُئل عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن؟ قال: سلوا مولانا الحسن. فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا.

وقال أنس بن مالك أيضاً: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

وقال قتادة: وما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه، وكان الحسن مهيباً يهابه العلماء قبل العامة، قال أيوب السختياني: كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج (سنين) ما يسأله عن مسألة هيبة.

وكان الحسن البصري إلى الطول أقرب، قوي الجسم، حسن المنظر، جميل الطلعة مهابياً.

قال عاصم الأحول: قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فأقرئ الحسن مني السلام، قلت: ما أعرفه، قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينيك وأهيبه في صدرك فأقرئه مني السلام، قال فما عدا أن دخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس فأتاه وسلّم عليه.

وكان الحسن صاحب خشوع وإخبات ووجل من الله، قال إبراهيم اليشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فأما الحسن بن أبي الحسن البصري. فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، وكان يقول أي الحسن: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا.

فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قال مطر الوراق: الحسن كأنه رجل كان في الآخرة ثم جاء يتكلم عنها، وعن أهوالها. فهو بخبر عما رأي وعاين.

وقال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك.

ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار.

وقال حكيم بن جعفر قال لي من رأى الحسن: لو رأيت الحسن لقلت: قد بث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

لله ما أطهر هذه القلوب، ولله ما أزكى هذه النفوس، بالله عليك قل لي: هل أرواحهم خلقت من نور أم أطلعوا على الجنة وما فيها من الحور أو عايشوا النار وما فيها من الدثور أم إنه الإيمان يكسى ويحمل فيكون كالنور نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

سبحان الله لا إله إلا الله، ما الذي تغيّر هل لهم كتاب غير كتابنا أم أرواح غير أرواحنا أم لهم أرض غير أرضنا، لا والله لكنها القلوب تغيرت والنفوس أمنت والأجساد تنعمت، غيرتها الذنوب وقيدتها المعاصي حتى أصبحنا لا نرى هذه الصور الإيمانية ولا النفوس القرآنية وصرنا نذكرها كفقير يذكر غناه أو بئسٍ ينادي فرحة دمناه، أين إخبات الصالحين، أو خشوع المؤمنين أو دموع التائبين أو أنين الخائفين.

أين أهل الإيمان، كمدتُ ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

كان الحسن البصري صاحب مواعظ وتذكير، ولكلامه أثر في النفوس وتحريك للقلوب.

قال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان أبو جعفر الباقي إذا ذكره يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

ومن كلامه رحمه الله :

روى الطبراني عنه أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة.

يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

عن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباً ثم قال: لو أن بالقلوب حياةً، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلةٍ صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل (أي حاولت قيام الليل فلم استطعه)، فقال: قيدتك خطاياك.

وجاءه آخر فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء فقال له الحسن: هل تقوم الليل فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجاته.

وكان يقول: من علامات المسلم قوة دين، وجزم في العمل وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحسن في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة (جوع) وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة.

لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يقلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نغيته.

وقال له رجل: إن قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً (أي يتصيدون الأخطاء).

فقال: هون عليك يا هذا، فإني أطمعت نفسي في الجنان فطمعت، وأطعمتها في النجاة من النار، فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلاً، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟

وسُئل الحسن عن النفاق فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، ما خافه إلا مؤمن (أي النفاق) ولا أمنة إلا منافق، صدق من قال: إن كلامه يشبه كلام الأنبياء.

يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا :

قال الحسن البصري رحمه الله يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، يا بن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء ها هنا قليل والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون المعاينة، فكأن قد هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم من رأي محمدا، فقد رآه

غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة رفع لـه علم، فشمر إليه فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم، وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض وآتاه منها قوتا وبلغة ثم قال:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب: ٢١] فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضي له ربه فأبعدهم الله وأسحقهم

يا بن آدم طأ الأرض بقدمك فأنها عن قليل قبرك :

يا بن آدم طإ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر، وأبصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا

يا بن آدم اذكر قوله:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾} [الإسراء: ١٣ - ١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، ظهر الجفاء وقلت العلماء، وعفت السنة وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين، وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها ما لي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، ذهب الناس وبقي النسناس، لو تكاشفتم ما تدافنتم تهاديتم الأطباق، ولم تهادوا النصائح قال ابن الخطاب، رحم الله امرأ أهدي إلينا مساوينا،

أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم وما

يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه.

يا بن آدم الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقه العمل.

ستعلم يا لكع :

وكان إذا قرأ:{أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾} [التكاثر: ١] قال عم ألهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد هذا والله فضح القوم وهتك الستر وأبدى العوار تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا وتمنع في حق الله درهما ستعلم يا لكع الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأذعن بالجزية وسمح بالضريبة وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ويلك قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته.

رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله:

وكان يقول: رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب. رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال: يأهلي صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال:{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾} [مريم: ٥٥] يا بن آدم، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك؟ وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس؟

فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر:

وكان يقول: لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه،

فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه.

رحم الله عبدا كسب طيبا وأنفق قصدا :

وكان يقول: رحم الله عبدا كسب طيبا، وأنفق قصدا وقدم فضلا وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة سرتهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، يا بن آدم إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك، يا بن آدم لا تعمل شيئا من الحق رياء ولا تتركه حياء.

لا أذهب إلى من يوارى عني غناه ويبدي لى فقره ويغلق دوني بابه:

وكان يقول: إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم، فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم، وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وكان يقول: لا أذهب إلى من يوارى غني غناه، ويبدي لى فقره، ويغلق دوني بابه ويمنعني ما عنده، وأدع من يفتح لي بابه، ويبدي لي غناه ويدعوني إلى ما عنده.

وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله:

وكان يقول: يا بن آدم لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، مؤمن مهتم وعلج اغتم وأعرابي لا فقه له ومنافق مكذب ودنياوي مترف نعق بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذبان طمع، والذي نفس

الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموما حزينا وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله، الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه، أي: قوم إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم فسارعوا إلى ربكم، فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه.

فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا:

وقال في يوم فطر وقد رأى الناس وهيئاتهم: إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق أقوام ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، أما والله أن لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب [١].

لأن يتعلم الرجل باباً من العلم:

عن الحسن البصري قال: لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له فوضعها في الآخرة.

إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم :

قيل للحسن البصري: سبقنا القوم على خيلٍ دُهمٍ ونحن على حمر معقرة! فقال: إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

قال الحسن البصري: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن.

قال الحسن البصري: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، ٢ / ٤٩٠.

قال يوسف بن عطية الصفار: رأيت الحسن البصري قاعداً في الشمس يفُتُّ لُبابَ الخبز للنمل.

قيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.

قال الحسن البصري: اللهم لا تجعلني ممن إذا مرض ندم، وإذا استغنى فُتِن وإذا افتقر حزِن.

قيل للحسن البصري: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها.

قال الحسن البصري: نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة؛ وبئست الدار كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه تمتع ليالي وكان زاده منها إلى النار.

اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظامِ النّخرة :

وكان الحَسَن البَصريّ إذا دخل المقبرة قال: اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظامِ النّخرة التي خَرَجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنة أدخِل عليها رَوحاً منك وسَلاماً منّا.

قال الحسن البصري: كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

قال الحسن البصري: إنما غلبهم عمر رضي الله عنه بالصبر واليقين؛ لا بالصوم والصلاة.

بين مخافتين :

قال الحسنُ البصريُّ: إنَّ المؤمنَ يُصبحُ حزيناً ويمسي حزيناً، ولا يسعُهُ غيرُ ذلكَ، لأنهُ بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ما اللهُ يصنعُ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يُصيبُ فيه منَ المهالك.

إن المؤمن يصبح حزيناً :

قـال الحسـن: إن المـؤمن يصـبح حزينـاً ويمسـي حزينـاً وينقلـب بـاليقين فـي الحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة، الكف من التمر والشربة من الماء.

لَمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ :

قال الحسنُ: يحقُّ لمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ وأنَّ الساعة موعدُهُ وأنَّ القيـامَ بين يدي اللهِ تعالى مشهدُهُ: أنْ يطولَ حزنُه.

وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه :

ذكـر الحسـن ذات يـوم قـول أهـل الجنــة{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ} [فاطر: ٣٤] فقال: أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت، لكن أحزان الأخرة! وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامـه مسيرة ثلاثـة آلاف سنة؛ ألـف سنة فـي هبـوط، وألف سنة على متنها، وألف سنة في الصعود.

يا عجباً ممن يلغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث:

يروى عن أبي بكر الهذلي قال: كنا عند الحسن البصـري إذ أقبـل وكيـع بـن أبي أسود فقال: يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب أيصلى فيه؟ فقال الحسن: يا عجباً ممـن يلـغُ فـي دمـاء المسلمين كأنـه كلـب ثـم يسـأل عـن دم البراغيث فقام وكيع ينخلج فـي مشيته تخلـج المجنـون فقـال الحسـن: لله فـي كـل عضو منك نعمة، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك.

يعارض جبار السماوات والأرض!!:

- قال الحسن: العجب لابن آدم يغسل يده بالخرء مرتين ثم يتكبر!! يعارض جبار السماوات والأرض!!.

قال الحسن: يا ابن آدم كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين؟!!

إذا هانت عليك صلاتك؟!:

قال الحسن البصري: ابن آدم أي دينك يعز عليك إذا هانت عليك صلاتك؟! وإذا هانت عليك صلاتك فهي على الله أهون.

قال الحسن: الصلاة خير موضوع، من شاء استقل، ومن شاء استكثر.

قال الحسن: إذا قمت إلى الصلاة فقم قانتاً كما أمرك الله وإياك والسهو والالتفات أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره، تسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه ولا تدري ما تقول بلسانك.

قال الحسن: الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم تزد صاحبها الا بعداً.

قعد الحسن ليلة حتى الصبح فقيل له، فقال: غلبتني نفسي عن الصلاة فقلت لها: فاقعدي! فلم يدعها تنام حتى الصبح.

ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟:

قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره نوراً.

قال الحسن: نعم الشتاء للمؤمن، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه.

ما الحج المبرور؟:

سئل الحسن البصري: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

كان الحسن البصري يقول: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاناً من الله عز وجل.

قال الحسن: لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يهلك الرجل نفسه.

فما بقى من المروءة إذاً؟!:

قال عبد الأعلى السمسار: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد؛ فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذاً [(١)]؟!

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٢٦٨/٩) أن عبد الأعلى السمسار قال: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد، فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذاً؟ قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون

قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

ذكر مبارك أن الحسن قلع ضرسه فأعطاه درهماً، قالوا له: إنه بنصف درهم؛ فقال: أعطوه درهماً فإن المسلم لا يقاسم المسلم درهماً.

قال الزبير الحنظلي: قلت للحسن: صليت يا أبا سعيد؟ قال: لا، قلت: إن أهل السوق قد صلوا؛ قال: إن أهل السوق لا خير فيهم؛ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم.

يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟!:

بعث الحسن البصري قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البناني فخذوه معكم؛ فأتوا ثابتاً فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال: قولوا: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟! فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم.

مواقف من حياة الحسن البصري :

إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله:

لما ولي عمر بن هبيرة الفزارى العراق وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ثلاث ومائة فقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره أعرف في تنفيذه الهلكة فأخاف إن أطعته غضب الله، وإن عصيته لم آمن سطوته فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية، وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون أن يسمع قول الحسن فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد، فقال: يا بن هبيرة خف الله

درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك، يا بن هبيرة، إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك:

وفي رواية أخرى قال: أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئا، وإني لأرجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله، فاتق الله أيها الأمير فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك، وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرة يمقتك بها فيغلق عنك باب الرحمة واعلم أنى أخوفك ما خوفك الله سبحانه حين يقول:{ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤] وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفاك بوائق يزيد، وإن كنت مع يزيد على معصية الله وكلك الله إلى يزيد حين لا يغني عنك شيئا، فبكي عمر بن هبيرة بكاء شديدا ثم أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين: سفسفنا له فسفسف لنا.

فضحتم القراء فضحكم الله:

وفي الخبر أن الحسن البصري مر على باب ابن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال: ما لي أراكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم وفلطحتم نعالكم؟! أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله!.

أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم:

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي [(١)] قال: مرّ الحسن البصريّ رحمه الله بباب عمر بن هبيرة، وعليه القرّاء، فسلمّ ثم قال: ما لكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم؟ أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنّكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله؛ قال عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي: قلت لعمي: ما المفلطح؟ قال: هو الشيء يعرض أعلاه ويدقّ أسفله، ومنه قيل: رأسٌ مفلطحٌ، والعامة تقول مفرطحٌ.

وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟!:

وقال السيوطي: أخبرنا خلف بن تميم عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم، تفرقوا فرق الله بين أعضائكم.

اتق الله في نفسك وإياك والأماني:

وأحضر النضر بن عمرو وكان واليا على البصرة الحسن البصري يوما فقال يا أبا سعيد إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده وقال عز وجل:{وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١] وقال عز من قائل:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الأعراف: ٣٢] فقال الحسن أيها الرجل اتق الله في نفسك وإياك والأماني التي ترجحت فيها فتهلك إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته وإنما هي داران من عمل في هذه أدرك تلك ونال في هذه ما قدر له منها ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا إن الله سبحانه اختار محمدا صلي الله عليه وسلم لنفسه وبعثه برسالته ورحمته وجعله رسولا إلى كافة خلقه وأنزل عليه كتابا مهيمنا وحد له في الدنيا حدودا وجعل له فيها أجلا ثم قال عز وجل:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]

(١) كتاب الأمالي، ص٣.

وأمرنا أن نأخذ بأمره ونهتدي بهديه وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر فذلك باب مخرجنا فأما الأماني فلا خير فيها ولا في أحد من أهلها فقال النضر والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا فقال الحسن لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله فأنزل الله تعالى عليه:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ } [آل عمران: ٣١] فجعل سبحانه اتباعه علما للمحبة وأكذب من خالف ذلك فاتق الله أيها الرجل في نفسك وايم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس يبنون المدر ويؤثرون الأثر ويتنافسون في الثياب أخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم وقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالويل لهم يوم التغابن ويا ويحهم:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)} [عبس: ٣٤ - ٣٧].

فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي:

ودخل عليه يوما آخر فقال: أيها الأمير، أيدك الله إن أخاك من نصحك في دينك وبصرك عيوبك وهداك إلى مراشدك، وإن عدوك من غرك ومناك. أيها الأمير، اتق الله فإنك أصبحت مخالفا للقوم في الهدى والسيرة والعلانية والسريرة وأنت مع ذلك تتمنى الأماني وترجح في طلب العذر والناس أصلحك الله طالبان فطالب دنيا وطالب آخرة وايم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح وتعب الآخر واخترم فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي فتكون من النادمين واعلم أن حكيما قال:

أين الملوك التي عن حظها غفلت ::: حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدي، لقد حدثت أيها الأمير عن بعض الصالحين أنه كان يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون للخونة أمينا وعلى أعمالهم معينا.

أما أهل السموات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك:

وروي أن الحجاج بني دارا بواسط وأحضر الحسن ليراها فلما دخلها قال الحمد لله إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا، وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرا يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده وإلى فرش فينجده وإلى ملابس ومراكب فيحسنها، ثم يحف به ذباب طمع، وفراش نار، وأصحاب سوء فيقول: انظروا ما صنعت، فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين، أما أهل السموات فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء، وغررت في دار الغرور لتذل في دار الحبور، ثم خرج وهو يقول: إن الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه.

وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشأم فقال: يأهل الشأم أيشتمني عبد من عبيد أهل البصرة، وأنتم حضور فلا تنكرون، ثم أمر بإحضاره فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج، فقال: يا أبا سعيد أما كان لإمارتي عليك حق حين قلت ما قلت، فقال: يرحمك الله أيها الأمير، إن من خوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك وأحب فيك ممن أمنك حتى تبلغ الخوف وما أردت الذي سبق إلى وهمك والأمران بيدك العفو والعقوبة فافعل الأولي بك وعلى الله فتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه وحياه.

وفي رواية أخرى فلما دخل قال له الحجاج ها هنا فأجلسه قريبا منه، وقال: ما تقول في علي وعثمان. قال: أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى:{ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾} [طه: ٥١ - ٥٢] علم علي وعثمان عند الله قال: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ودعا بغالية وعلف بها لحيته فلما خرج تبعه الحاجب فقال له: ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه؟ قال: قلت: يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي ويا ولى نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني أذاه، ففعل ربي عز وجل.

أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله اعلم: يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على، إبله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويصون كبيرهم، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها، وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم، واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريدا وحيدا فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل

الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدا، وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم، إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله اكتب إلي يا أبا سعيد بموعظة فأوجز فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فكأن الذي كان لم يكن وكأن الذي هو كائن قد نزل واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر وإن أذاقك تعجيل مرارته فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته وحسن عاقبته وأن الهوى وإن أذاقك طعم حلاوته فلبئس ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة وفاز بالرحمة فأدخل الجنة.

فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز اكتب إلي يا أبا سعيد بذم الدنيا فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الدنيا دار ظعن وانتقال وليست بدار إقامة على حال وإنما أنزل إليها آدم عقوبة فاحذرها فإن الراغب فيها تارك والغني فيها فقير والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق وجدها تذل من أعزها وتفرق من جمعها فهي كالسم يأكله من لا يعرفه ويرغب فيه من يجهله وفيه والله حتفه فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا الصبر على لأوائها أيسر من احتمال بلائها واللبيب من حذرها ولم يغتر بزينتها فإنها غدارة ختالة خداعة قد تعرضت بآمالها وتزينت لخطابها فهي كالعروس العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة وهي والذي

بعث محمدا بالحق لأزواجها قاتلة فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها واحذر عثرتها فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء والبقاء مؤد إلى الهلكة والفناء.

أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر:

واعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وتاركها موفق والمتمسك بها هالك غرق والفطن اللبيب من خاف ما خوفه الله وحذر ما حذره وقدر من دار الفناء إلى دار البقاء فعند الموت يأتيه اليقين الدنيا والله يا أمير المؤمنين دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من العافية ويخاف من سوء عاقبة الدار والدنيا وايم الله يا أمير المؤمنين حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت والعباد في أضغاث أحلام وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ::: وإلا فإني لا إخالك ناجيا

ولما وصل كتابه إلى عمر بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده وقال يرحم الله الحسن فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة وينبهنا من الغفلة ولله هو من مشفق ما أنصحه وواعظ ما أصدقه وأفصحه.

إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا:

وكتب عمر إلى الحسن: أعِنّي بأصحابك، فأجابه الحسن: من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه، ومن كان منهم يريد الآخرةَ فلا حاجة له قِبَلَكَ، ولكن عليك بذوي الأحساب فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا.

اتقوا الله فأن عند الله حجاجين كثيراً:

كان الحسن البصري إذا ذكر الحجاج قال: يتلو كتاب الله على لَخْمٍ وجُذام ويعظ عظة الأزارقة ويبطش بطش الجبارين؛ وكان يقول: اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً.

لا بد للناس من تنفيسات:

قيل للحسن: إنك تقول: الآخِر شرٌّ من الأول، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج!! فقال الحسن: لا بد للناس من تنفيسات.

ما كان أغره بالله:

كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ فسكت عنهم فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت، فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سرير فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال: البائس! ما كان أغره بالله(١).

خير الناس وشر الناس!

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة، فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس! فقال الحسن: كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستون سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعني الصلوات الخمس - فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رئي في النوم، فقيل له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي. فقيل له: بأي شيء فقال: بالكلمة التي نازعني فيها الحسن (٢).

كلمات حكيمة للحسن البصري :

- احذر من نقل إليك حديث غيرك فإنه سينقل إلى غيرك حديثك أيها الناس إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر

---

(١) وهذه رواية أخرى: كان رجل من الخوارج يغشي مجلس الحسن البصري فيؤذيهم، فلما ازداد أذاه قال الحسن: اللهم قد عملت أذاه لنا فاكفناه بما شئت؛ فخر الرجل من قامته؛ فما حمل إلى أهله إلا ميتاً على سريره. انظر: جامع العلوم والحكم ص٣٦٨.

(٢) محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ١٠١.

على ما تكرهون الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عن المعصية فمن قدر على ذلك فقد نال افضل الصبرين أفضل الجهاد جهاد الهوى لا تكن ممن يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ويجري في الحق مجرى السفهاء من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه الموت والمرض والفقر وإنه بعد ذلك لوثاب احذروا العابد الجاهل والعالم الفاسق فإن فيهما فتنة لكل مفتون ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة لا تكن شاة الراعي أعقل منك تزجرها الصيحة وتطردها الإشارة المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر ووجه واحد ونصيحة واحدة وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم المؤمن صدق قوله فعله وسره علانيته ومشهده مغيبه لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت الفكرة من عمله.

والذكر من شأنه والمحاسبة من همته ولا يزال بشر ما استعمل التسويف واتبع الهوى وأكثر الغفلة ورجح في الأماني الحق مر لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العاقبة ومن رجا الثواب خاف العقاب حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة وإنكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية يا بن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمدك وإن أسأت إليه ارتحل يذمك وكذلك ليلك إنما أنت أيها الإنسان عدد فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك وقيل له يا أبا سعيد من أشد الناس صراخا يوم القيامة فقال رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله وكان يقول لو قمت الليل حتى ينحني ظهرك وصمت النهار حتى يسقم جسمك لم ينفعك ذلك إلا بورع صادق وسمع رجلا يكثر الكلام فقال يا بن أخي أمسك عليك لسانك فقد قيل ما شيء أحق بسجن من لسان وكان يقول لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلي أحب خلق الله إلى الله فأفسده لكان ينبغي للعاقل أن يتركه يعني العقل ويقول ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل وما أساء العمل إلا ذل.

- وقال: يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون، وقال: اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها

ولا تعمرها، وقال: ليس العجب ممن عطب كيف عطب إنما العجب ممن نجا كيف نجا وقال: من أخلاق المؤمن قوة في دين وحرص على العلم وقناعة في فقر ورحمة للمجهود وإعطاء في حق وبر في استقامة وفقه في يقين وكسب في حلال.

وفاة حسن البصري:

توفي الإمام الحسن البصري وعمره ٨٨ سنة عام عشر ومائة في رجب منها. بينه وبين محمد سيرين مائة يوم.

عن ثابت البناني قال: انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي: والله ما رأيت جنازةً قطُّ اجتمع فيها من الناس مثل ما اجتمع فيها، وإن كان الحسن لأهلاً لذلك، فقالت لي: يا أبة ما ذاك إلاّ لستر الله عليه، فصغرت واللّه نفسي [(١)]. رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه وجمعنا وإياه في دار كرامته.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٦، الزهد لاحمد ٢٥٨، تاريخ البخاري ٢ / ٢٨٩، المعارف ٤٤٠، المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٢ و٣ / ٣٣٨، أخبار القضاة ٢ / ٣، ذيل المذيل ٦٣٦، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الاول ٤٠، الحلية ٢ / ١٣١، ذكر أخبار أصبهان ١ / ٢٥٤، فهرست ابن النديم ٢٠٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٧، الحسن البصري لأبي الفرج بن الجوزي، تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول ١٦١، وفيات الأعيان ٢ / ٦٩، تهذيب الكمال ص ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٤ / ٩٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٦٦، تهذيب التهذيب ١ / ١٣٣ آ، البداية والنهاية ٩ / ٢٦٦ و٢٦٨، غاية النهاية ت ١٠٧٤، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨، خلاصة تهذيب التهذيب ٧٧، طبقات المفسرين ١ / ١٤٧، شذرات الذهب ١ / ١٣٦.

عطاء بن رباح

أعـلام التابعيـن

عطاء بن رباح

هو أهم تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنهما - ومدرسة مكة.

قال ابن القيم: أهل مكة علمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس.

أنه من أقرب تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنهما - إليه، وقد كان خليفته في الإفتاء في مناسك الحج.

أنه المفتي الرسمي للدولة الأموية في موسم الحج.

أنه من يتميز بالتقوى، وحسن العلاقة مع الله تعالى.

أنه من كان شديد الاتباع للسنة، والسلف الصالح في أقواله وأفعاله.

هو عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح: أسلم - القرشي مولاهم الفهري، أبو محمد، من مولدي منطقة الجند باليمن.

ولد في أواخر خلافة عثمان - رضي الله عنه.

تلقى العلم عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأسامة بن زيد، وابن الزبير، ومعاوية، وجابر، وأبو الدرداء، وأم سلمة، وعائشة، وأم هانئ وغيرهم - رضي الله عنهم -. وورد عنه قوله: أدركت مائتين من الصحابة. ولكن أكثر فتواه عن شيخه ابن عباس - رضي الله عنهما -.

وقد وافقه في أغلب الفتاوى، فكان أحيانا يقول: لم أسمع من ابن عباس في هذه المسألة شيئا.

روى عن عطاء أمم كثير، ولكن من روى عنه في باب المناسك هم:

إبراهيم بن ميمون الصائغ، وإبراهيم بن المهاجر البجلي، وإبراهيم بن يزيد الخوزي الأموي، وإبراهيم بن نافع المخزومي، وأشعث

والأجلح بن عبد الله الكندي، وأسلم المنقري، وإسماعيل بن مسلم المكي، والأوزاعي عبد الرحمن بن يحمد، وبرد بن سنان، وجابر بن يزيد الجعفي،

وجبيب المعلم، وحميد الأعرج، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي، وحفص بن غياث التخعي، وحبيب بن الزبير الهلالي، وحبيب بن أبي مرزوق الرقي، وحجاج بن فرافضة، وخصيف الجزري، وخالد بن دينار، وداود بن شابور المكي، والربيع بن صبيح السعدي، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي، وسفيان الثوري، وطلحة بن عمر الحضرمي، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبد الملك بن أبي سليمان العرزمي، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أحد الفقهاء السبعة، وعبيد الله بن أبي زياد القداح، وعثمان بن الأسود المكي، وعبد الكريم بن مالك الجزري، وعبد الله بن محرر الجزري، وعثمان بن عطاء الخراساني، وعكرمة بن عمار العجلي، وعمر بن ذر الهمداني، وعمرو بن أبي سفيان الجمحي، والعلاء بن المسيب، وعمر بن قيس المكي، وعمرو بن قتادة اليمامي، وقتادة بن دعامة السدوسي، وكثير بن شنظير، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومنصور بن المعتمر، وموسى بن عقبة الأسدي، ومبارك بن حسان السلمي، ومثنى بن الصباح اليماني، ومالك بن دينار، ومطر الوراق، ومغيرة بن زياد، ومحمد بن شريك، ومسعر بن كدام العامري، والنهاس بن قهم القيسي، ومعمر بن قيس السلمي، وقيس بن سعد المكي، وليث بن أبي سليم، وهشام بن عروة، والهذيل بن بلال الفزاري، وهشام بن الغاز الجرشي، وهشام بن حسان الأزدي، وهمام بن يحيى العوذي، وواقد، ويحيى بن سعيد الأموي، ويوسف بن ماهك، ويزيد مولى عطاء، ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح، ويونس بن مسمار الخزاز، وعبد الله بن أبي نجيح الثقفي، وعبد العزيز بن أبي رواد المكي، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بشر جعفر بن إياس اليشكري.

والمكثرون منهم: ابن جريج وهو حامل علمه وملازمه، وليث، وحجاج، وابن أبي نجيح.

وكان عطاء أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي آخر عمره، وقطعت يده في القتال مع عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه -.

ثناء العلماء عليه :

اتفق العلماء على الثناء على الإمام عطاء - رحمه الله -، ومن ذلك: قول أبو حنيفة: ما رأيت رجلا أفضل من عطاء.

قال ابن جريج: أقام أربعين سنة في المسجد الحرام، يصلي بالليل ويطوف.

وقال أيضا: لزمته ثماني عشرة سنة، وكان بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

وقال أيضا: كان المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

وقال أبو معاوية المغربي: رأيت عطاء بن أبي رباح بين عينيه أثر السجود.

وقال عبد الرزاق الصنعاني: خذ أهل مكة الصلاة من عطاء، ثم ابن جريج بعده.

وما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج كان يصلي كأنه أسطوانة.

وفي شأن إخلاصه، ونيته لله: قال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاوس، ومجاهد.

وفي بره بوالديه: كان يطعم عن أبويه صدقة الفطر وهما ميتان حتى مات.

اتباعه السنة:

يحرص الإمام عطاء - رحمه الله - على اتباع السنة في علمه وعمله؛ ولذا كان يثق عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في فتاواه، ويطمئن إليها لعلمه بحرص عطاء على اتباع السنة، ومن ذلك: أنه كان لا يرفع حديثا إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - حتى يتوثق من رفعه، فقد صحح بأن الأثر الوارد بأن " الحاج يستقبل العمل بعد الحج " إنما هو موقوف على عمر وأبي ذر - رضي الله عنهما -، وليس حديثا مرفوعا بهذا اللفظ.

وإن كان معناه واردا في أحاديث صحيحة بأن الحاج يغفر له ذنبه كله.

ومن ذلك: أنه كان غالبا لا يفتي إلا وله إمام في فتواه، فقد سئل عن مسائل

كثيرة، فتورع أن يفتي فيها؛ لأنه لم يسمع أحدا من الصحابة أفتى بها، أو أنه لم يبلغه فيها شيء. وربما أفتى بعد أن يبين أن هذا رأيه ولم يتبع فيه أحدا.

فقد سئل عن قتل اليربوع في الإحرام.

وسئل عن الضربة تذهب بالصوت ما ديته، وسئل عن الحاجب يقطع ما ديته.

وسئل عن القنوت في المكتوبة، وسئل عن الحائض يصيبها زوجها ما كفارته.

وسئل عن الدعاء على الصفا والمروة.

وسئل عن الثيب تستكره نفسها، فأجاب في ذلك بأنه لم يسمع فيها شيئا.

كما سئل عن الفأرة تقع في الودك غير الجامد، وسئل عن التهليل والتحميد بين تكبيرات صلاة العيد، وسئل عن الاستنان (السواك).

يوم الفطر، وسئل عن الحلف بالعتاقة، وسئل عن ذهاب السمع ما ديته، فأجاب فيها بأنه لم يبلغه في ذلك شيء.

ومن ذلك: أنه إذا بلغه الخلاف عن الصحابة في أمر تورع أن يفتي فيه، كما سئل عن تغطية رأس المحرم الميت، فقال: الأمر فيه خلاف.

ومن ذلك: نهيه عن وسائل الشرك، والبدع، كما أفتى بأنه لا يجوز الطواف حول مقام إبراهيم، ولا التمسح به، ولا تقبيله. وأن تراب الحرم لا يخرج منه إلى الحل؛ قطعا لمادة الشرك.

علمه:

أثنى على علم عطاء الصحابة قبل التابعين؛ فقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: يا أهل مكة، تجتمعون إلي وعندكم عطاء؟.

وروي نحوه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان فقيه أهل مكة عطاء ابن أبي رباح بعد العبادلة الأربعة.

وقال إسماعيل بن أبي أمية: إذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد.

وقال محمد بن سعد: قال بعض أهل العلم: انتهت فتوى أهل مكة إليه، وإلى مجاهد، وأكثر ذلك إلى عطاء.

وقال ربيعة: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

عطاء وعلم المناسك:

كان الإمام عطاء - رحمه الله - مقدما في علم المناسك؛ كما قال أبو جعفر الباقر: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء.

وقال قتادة: كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك.

وقال ابن أبي ليلى: كان عالما بالحج.

وقال أبو حازم: ما أدركت أحدا أعلم بالحج من عطاء.

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - وهو أحد الصحابة الأجلاء

المشهورين باتباع السنن، والمشهورين أيضا بعلم المناسك.

يحيل عليه في مسائل الحج.

وكان أئمة التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير يحرصان على معرفة رأيه في مسائل الحج.

وكان بنو أمية يأمرون ألا يفتي أحد غير عطاء في موسم الحج.

وكان يجلس إليه سليمان بن عبد الملك وابناه يسألون عن مناسك الحج.

فانظر إلى ذلك العهد الأموي الزاخر بالعلماء المجتهدين، والأئمة المتبوعين، كيف اطمأنوا إلى فتاوى الإمام عطاء - رحمه الله - فكان فتاواه هي المعمول بها عن رضى جميع علماء عصره الكبار، بأمر خليفة المسلمين حتى كأنهم أجمعوا على صحتها، وقوة دليلها.

قال الأوزاعي: مات يوم مات وهو أرضى، أهل الأرض عند الناس. ومات سنة خمس عشرة ومئة، وقيل: سنة أربع عشرة، وله ثمان وثمانون سنة.

من كلام عطاء بن رباح :

كذبتُ بما قلتُ لك:

عن زيد بن أبي أنيسة عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن التوبة من الفرية، قال: تمشي إلى صاحبك فتقول: كذبتُ بما قلتُ لك وظلمتُ وأسأتُ فإن أخذتَ فبحقك وإن شئتَ عفوتَ.

أكل الحجارة خير من علاج جهنم:

قال جعفر بن ناجية: سألت عطاء بن أبي رباح عن أشياء من معاشنا بأصبهان، فجعل يقول: مكروه؛ فقلت: يا أبا محمد كيف السبيل إلى ذاك؟ فقال: أكل الحجارة خير من علاج جهنم.

يا رب أي عبادك أخشى لك؟:

عن عثمان بن الأسود عن عطاء قال: قال موسى: يا رب أي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه؛ قال: يا رب أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له؛ قال: يا رب أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي.

فبما تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟ :

عن عطاء قال: كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة فيسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: يا بني هل عملت بعدما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا أمَّه، فقالت: يا بني فبما تستكثر من حجج الله علينا وعليك.

قال عطاء: إنما القرآن عِبر، إنما القرآن عِبر.

إذا كان خمس كان خمس:

قال عطاء: إذا كان خمس كان خمس: إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة.

قال عطاء: جاءني طاووس فقال لي: يا عطاء إياك أن ترفعَ حوائجَك إلى من أغلقَ دونَك بابَه وجعلَ دونك حجاباً؛ وعليك بطلبِ حوائجِك إلى من بابُه مفتوحٌ لك إلى يومِ القيامة، طلبَ منكَ أن تدعوه ووعدك الإجابة.

اللهم ارحم في الدُنيا غُربَتي:

الأصمعي قال: كان عَطاءُ ابن أبي رَباح يقول في دُعائه: اللهم ارحم في الدُّنيا غُرْبتي، وعند الموت صَرْعتي، وفي القُبور وحْدَتي، ومَقامي غداً بين يديك.

ما هذه الأخلاق! وما هذه الطبائع!:

قال معاذ بن سعد الأعور: كنتُ جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه، فغضب وقال: ما هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلمُ به فأُريه أنه لا أُحسِنُ منه شيئاً.

مواقف من حياة عطاء بن رباح:

قد خبث زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي إليه كأنه ما سمعه قط لئلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت إلي فإذا قال لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبث زمان يزار فيه مثلي.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة.

ولو كان يخص بالعلم أحداً لكان أهل النسب أولى:

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: خزائن العلم لا يقسمها الله تعالى إلا لمن أحب ولو كان يخص بالعلم أحداً لكان أهل النسب أولى، وكان عطاء عبداً حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً، وكان الحسن البصري مولى، وكان ابن سيرين رضي الله عنه مولى للأنصار.

تعلموا العلم فأني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود:

كان عطاء يعلم الأكابر العلم وجاءه سليمان بن عبد الملك فجلس بين يديه فعلمه مناسك الحج، ثم التفت إلى أولاده وقال: تعلموا العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وحج عطاء رضي الله عنه سبعين حجة، وعاش مائة سنة. وتوفي بمكة سنة خمس عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه.

امسكوا واحفظوا عني خمسا:

قال جريج: رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده: امسكوا واحفظوا عني خمسا: القدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة.

عن عطاء في قوله تعالى:{لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ} [النور: ٣٧] قال: لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله التي فرضها الله تعالى عليهم أن يؤدوها في أوقاتها.

عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح أن يعلى بن أمية كانت له صحبة فكان يقعد في المسجد الساعة فينوى بها الاعتكاف.

أما تقرؤن القرآن؟!:

عن عطاء بن أبي رباح قال ما قال عبد قط يا رب يا رب يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله اليه قال فذكرت ذلك للحسن فقال: أما تقرؤن القرآن:{رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥].

عن عطاء قال: النظر إلى العابد عبادة.

فما هذا الهدى الذي زادهم الله؟!:

قال معقل بن عبيد الله الجزري قلت لعطاء بن أبي رباح: إن ههنا قوما يزعمون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقال:{وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ

تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾} [محمد: ١٧]، فما هذا الهدى الذي زادهم الله؟ فقلت: ويزعمون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله؟ فقال وتلا:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [البينة: ٥].

عرفت فالزم:

قال سعيد بن سلام البصري سمعت أبا حنيفة يقول: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا؟ قلت: نعم. قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحدا بذنب. فقال لي عطاء: عرفت فالزم.

أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته؟!:

قال أحمد بن بديل: سمعت أبا عبيد يقول: دخلنا على محمد بن سوقة قال ألا أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه نفعني؟ قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بن أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تنطق في حاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون إن عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

لا أسألكم عليه أجراً:

قال عثمان بن عطاء الخراساني: انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك، فلما قربنا إذا شيخ أسود على حمار، عليه قميص دريس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة، وركاباه من خشب، فضحكت، وقلت لأبي: من هذا الأعرابي؟ قال: اسكت! هذا سيّد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح.

فلما قربت نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا، ثم ركبا فانطلقا إلى باب هشام. فلما رجع أبي قلت: حدثني ما

كان منكما. قال: لما قيل لهشام: عطاء بن أبي رباح أذن له، وما دخلت إلا بسببه. فلما رآه هشام قال: مرحباً مرحباً: هاهنا، هاهنا، فرفعه حتى مسّت ركبته ركبته، وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله صلي الله عليه وسلم تقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم؛ قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة. ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم. قال: نعم، اكتب يا غلام بأن ترد فيهم صدقاتهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوّكم قد أجريتم لهم أرزاقاً تدرّها عليهم، فإنهم إن يهلكوا غزيتم، قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا تجبى صغارهم ولا تتعتع كبارهم، ولا يكلفون ما لا يطيقون، فإن ما تجبونه معونة لكم على عدوكم. قال: نعم، اكتب يا غلام بأن لا يحملوا ما لا يطيقون. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى أحد.

قال: وأكبّ هشام، وقام عطاء. فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه أدراهم أم دنانير! وقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا، قال: لا أسألكم عليه أجراً، إن أجري إلا عند ربّ العالمين. ثم خرج عطاء، ولا والله ما شرب عندهم حسوة من ماء فما فوقه.

جاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما؛ فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

ما لي إلى مخلوق حاجة:

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك، وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبد الملك، قام إليه فسلم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد: حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ قال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

* * *

طاووس بن كيسان
كيسان كيسان كيسان

أعـلام التابعيـن

طاووس بن كيسان

إنه أبو عبد الرحمن طاووس بن أبي حنيفة كيسان. وقيل: ذكوان، ولقب بطاووس لأنه كان طاووس قراء وفتيا من أصحاب علي وابن عباس وأجمع الحفاظ كابن الجوزي والحافظ أبي نعيم والرازي وغيرهم أنه كان مسكنه الجند حتى قال بعضهم الجند بفتح الجيم والنون من مخاليف اليمن مولده في خلافة أبي بكر.

قال الرازي سئل ابنه عبد الله ممن أنتم فإنه بلغنا أنكم إلى همدان فقال: لا، ولكن إلى خولان وإنما تزوج جد طاووس مولاة لآل هوذة الحميريين فسموا موالي لهم وليسوا بموال.

كان طاووس فقيها زاهدا ورعا محدثا عابدا ناسكا أدرك خمسين من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بحيث صحبهم وأخذ عنهم منهم علي وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وزيد بن ثابت وأبو هريرة ومعظم أخذه عن الأولين.

قيل لعبيد الله بن أبي زيد مع من كنت تدخل على ابن عباس فقال مع عطا والعامة قيل له: فطاووس قال: أيهات كان ذلك يدخل مع الخواص وكان عمرو بن دينار إذا ذكر عنده طاووس يقول ما رأيت مثله.

وروى عنه جماعة من التابعين كمجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وابن الزبير وابن المنكدر وابن منبه والزهري مع جمع غيرهم لا يحصون كثرة.

ومن روايته المستحسنة ما قاله الرازي بإسناده عنه أنه كان يقول: سمعت جابر ابن عبد الله ومعاذ بن جبل وأبا عبيدة بن الجراح يقولون: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(لأن يخرج الرجل من بيته صلاة الغداة فيجلس في مجلسه يعلم الغلمان السكينة والوقار وحسن الأدب أحب إلى الله من أن يعبده مئتي خريف لا يسخط الله عليه)** وعرضت هذا الخبر على بعض الفقهاء فقال لي: انظر إلى أدب النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الخبر كيف لم ينسب إلى المعلم غير

تعليم السكينة والوقار وحسن الأدب تأدبا مع الله إذ قال الله:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢} [الرحمن: ١ - ٢].

تولي طاووس قضاء الجند وصنعاء وكان يجمع بينهما وله في صنعاء مسجد يعرف به وهو الذي كان يقيم به أيام لبثه بصنعاء ولذلك يتوهم جماعة أن بلده صنعاء.

وكان ابن عباس إذا سئل عنه قال ذلك عالم اليمن.

وكان ولاة اليمن يعولون في أمورهم الدينية على قوله وذلك عن وصاة من مواليهم غالبا، فإنه قد كان شهر في البلد أنه إمام وقته وفقيه مصره وكان متى قيل له أمؤمن أنت يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يزيد وكان يقول اجتنبوا القول في القدر فإن المتكلمين فيه لا بد من بيان ما يقولان بما يتكلمان بغير علم.

خرج ذات يوم من مدينة الجند يريد أرضا له فمشى معه رجل يريد البركة فنعق غراب فقال الرجل على طريق العادة والزجر خير خير فغضب طاووس وقال أي خير عند هذا أو شر يا جاهل لا تصحبني ولا تسر معي.

وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة أنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة.

وقال لقي عيسى ابن مريم إبليس فقال: يا عيسى أما تعلم أنه لن يصيبك إلا ما قد قدر عليك؟! قال: نعم. قال: ارق ذروة هذا الجبل فترد منه ثم انظر هل تعيش أم لا؟! فقال عيسى: أوما علمت أن الله تعالى يقول لا يجربني عبدي فإني أفعل ما أشاء.

وكان يقول: من السنة أن يوقر أربعة الوالد والعالم وذو شيبة والسلطان.

وكان يكره البقاء على القبور والتغوط عندها ويقول: لا تتخذوا قبور إخوانكم حشانا والحشان جمع حش كحش وحشان وقال معنى قوله تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧]! التثبيت في الدنيا لا إله إلا الله وفي الآخرة عند المساءلة في القبر.

وقال: أهل الجنة ينكحون ولا يمنون ليس بها مني.

ولـه مسـانيد ومراسـيل فمـن مراسـيله: قـال صـلي الله عليـه وسـلم : إيـاكم والخروج بعد هدأة الليل فإن لله دوابا يبثها في الأرض تفعل ما تؤمر فـإذا سمع أحدكم نهـاق الحمير أو نبـاح الكـلاب فليستعذ بـالله مـن الشيطان الـرجيم فـإنهم يرون ما لا ترون.

ومنها إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا.

ومنها قال صلي الله عليه وسلم :**(لو كان لدي مثل أحد ذهبا لأحببت أن لا تمر بي ثلاث وعندي منه إلا ما أرصده لدين).**

ومنها قال صلي الله عليه وسلم :**(الرحم شعبة من الرحمن تجـيء يـوم القيامـة تتكلم بلسان طلق فمن أشارت إليه بوصل وصله الله ومن أشارت إليـه بقطـع قطعـه الله).**

وحكى أنه اجتمع بمكة بجماعـة مـن العلمـاء كالحسن البصـري وعمـرو بـن دينـار ومكحـول الشـامي وسـليمان بـن محمـد الضـحاك، وكـانوا حينئـذ بمسـجد الخيف بمنى فتذاكروا القدر حتى ارتفعت أصواتهم وكثر لغطهم فقـال طـاووس وكان فيهم رضيا وقال: أنصتوا أخبركم مـا سمعت فأنصـتوا، فقـال: سـمعت أبـا الدرداء يخبر عن رسول الله صلي الله عليـه وسلم قـال:**(إن الله افـترض علـيكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تتكلفوها رحمة بكم من ربكم فاقبلوها)**، تقول ما قال ربنا عز وجل ونبينا صلي الله عليه وسلم الأمور كلها بيد الله ومن عند الله مصـدرها وإليـه مرجعهـا لـيس للعبـد فيهـا تفـويض ولا مشـيئة فقـام القـوم وهـم راضون بكلامه.

وكان من أشد الناس ورعا وتنزها عن ما في أيدي الملوك وغيرهم.

وكان يكره الأمـراء ويحـذر صـحبتهم، ولا يـرى بجـواز الصـلاة خلفهم ولا يقبل لهم عطاء ولا يشرب من المياه التي أحدثتها الملوك بمكـة وطرقاتهـا حتـى أن بغلته هوت للشرب من بعضها فمنعها وكبحها باللجام.

وقال: إن الموتى يلبثون في قبورهم سبعا ولذلك كانوا يستحبون أن يطعم عن الميت تلك الأيام وكان كثير الحج حتى كان يقال إنه حج أربعين سنة.

وكانت وفاته بمكة يوم التروية عقب خروجه من عند هشام سنة ست ومئة وحضر هشام جنازته والصلاة عليه ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه فقال متى وضعتني في اللحد ونصبت علي اللبن ولم يبق غير يسير انظرني فإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإن لم تجدني فاحمد الله.

ففعل ابنه ذلك فلم يعرف الحال إلا بتهلل وجهه وبلغ عمره بضعا وتسعين سنة.

كان طاووسا اليماني له طريقان إلى المسجد طريق في السوق وطريق آخر فكان يأخذ في هذا يوما وفي هذا يوما فاذا مر في طريق السوق فراى تلك الرؤوس المشوية لم يتعش تلك الليلة وقد روي لم ينعس.

وعن عبد الرزاق قال: حدثني أبي قال: كان طاووس يصلي في غداة باردة فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف أو أيوب بن يحيى وهو ساجد في موكبه فأمر بساج أو طليسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فإذا الساج عليه قال فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

وعن ابن طاووس قال قلت لأبي أريد أن أتزوج فلانة قال: أذهب فانظر إليها قال فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت رأسي وادهنت فلما رآني في تلك الهيئة قال: اقعد لا تذهب.

صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

قال طاووس: إني لفي الحجر ذات ليلة إذ دخل علي بن الحسين فقام يصلي، فقلت: رجل صالح من أهل بيت خير، لأصغين إلى دعائه الليلة، فسجد، فسمعته يقول: اللهم عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك.

قال: فحفظتها، فوالله ما دعوتها في كرب إلا فرج عني.

مواقف من حياة طاووس :

استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً:

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما وعظني أحد بأحسن مما وعظني به طاووس، كتب إلى أن استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً، ولا تستعن بأهل الشر يكن عملك شراً كله.

أترى مكان الله أهون عندي من مكانك؟:

قال طاووس: ما شفاني أحد من الحجاج ما شفاني يمني قال له الحجاج وهو يطوف يا يمني، كيف خلفت محمد بن يوسف؟ قال عظيماً سميناً. قال: لست عن السمن أسألك، ولكن عن عدله في رعيته، قال: خلفته ظلوماً غشوماً. قال: كيف لا تشكوه إلى من فوقه؟ قال: ذاك والله أشر منه، قال: تعرفني؟ قال: نعم، أنت الحجاج بن يوسف. قال: تعرف مكانه مني؟ قال: نعم، هو أخوك، قال: فلم يمنعك ذلك أن قلت ما قلت؟ قال: أترى مكان الله أهون عندي من مكانك؟ قال: أي العرب خير؟ قال: بنو هاشم. قال: لم؟ قال: لأن محمداً صلى الله عليه وسلم منهم. قال: وأياهم شر؟ قال: ثقيف. قال: لم؟ قال: لأن الحجاج منهم.

فدعا بعشرة آلاف فأعطاه، ثم قال: يا طاووس، هذا رجل لا تأخذه في الله لومة لائم.

إن من أعظم الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه:

وحج سليمان بن عبد الملك فلقيه طاووس، فقيل حدث أمير المؤمنين، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إن من أعظم الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه**). فتغير وجه سليمان.

أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه:

وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك حتى جلس إلى جنب طاووس ابن كيسان، فلم يلتفت إليه فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، فقال: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه.

ورب قول حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال رجع طاووس يوما عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت أن قول " سبحان الله " يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال رجل من أهل المجلس: سبحان الله! كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف

لا يسقى فرسه من نهر حفرته المرونية:

وكان طاووس رحمه الله لا يسقى فرسه من نهر حفرته المرونية. بينما أخرون عرف عنهم مداهنة السلطان أمثال غيلان بن خرشة الذي كان يسير مع ابن عامر إذ ورد على نهر أم عبد الله فقال ابن عامر: ما انفع هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمير، أنهم ليستعذبون منه، وتفيض مياههم إليه، ويتعلم صبيانهم فيه العوم، وتأتيهم ميرتهم فيه، ثم ساير بعد ذلك زياداً، فقال زياد: ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر! فقال: أجل والله أيها الأمير: تنز منه دورهم، ويغرق فيه صبيانهم، ويبعضون به ويبرغثون.

ما لي حساب، أخذت من الغني وأعطيت الفقير:

ولما استعمل محمد بن يوسف طاووساً باليمن، فلما فرغ قال له: ارفع حسابك؛ قال: ما لي حساب، أخذت من الغني وأعطيت الفقير.

وحدث وهب بن منبه، قال: صليت أنا وطاووس المغرب خلف محمد بن يوسف يعني أخا الحجاج فلما سلم قام طاووس فشفع بركعةٍ ثم صلى المغرب.

ليست هذه مشية من في بطنه خُرءا :

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو الحسن الشيباني حدثني شيخ لنا أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاووس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه وقال: ليست هذه مشية من في بطنه خُرء! فقال عمر كالمعتذر: يا عم ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها.

والله إن كنت لغنياً أن تغضبه علينا:

كان طاووس يصلي في غداةٍ باردةٍ منعمة، فمر به محمد بن يوسف أو أبو نصر ابن يحيى وهو ساجدٌ، في موكبه فأمر بساجٍ أو طيلسان مرتفعٍ وطرح عليه، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته؛ فلما سلم نظر فإذا الساج عليه فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

وفي روايةٍ: أن طاوساً دخل على محمد بن يوسف في غداةٍ باردةٍ، فقعد طاووس على الكرسي، فقال: يا غلام هلم ذلك الطيلسان فألقه على أبي عبد الرحمن، فألقوه عليه، فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان وغضب محمد بن يوسف؛ فقال له وهب بن منبه: والله إن كنت لغنياً أن تغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين؟ فقال: نعم، لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاووس فلا تصنع فيه ما أصنع، إذاً لفعلت.

تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق:

قال علي بن زيد: قال طاووس: بينا أنا بمكة بعث إلي الحجاج فأجلسني إلى جنبه واتكأني على وسادةٍ، إذ سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية؛ فقال: علي بالرجل؛ فأتي به، فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين؛ قال: ليس عن الإسلام سألتك؛ قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن البلد؛ قال: من أهل اليمن؛ قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولاجاً؛ قال: ليس عن هذا سألتك؛ قال: فعم سألت؟ قال: سألت عن سيرته، قال: تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق؛ فقال له الحجاج: ما يحملك على أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني؟ قال الرجل: أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله وأنا وافد بيته ومصدق نبيه، وقاضي دينه؟ قال: فسكت الحجاج، فما أحار به جواباً؛ وقام الرجل من غير أن يؤذن له، فانصرف.

قال طاووس: فقمت في أثره وقلت: الرجل حكيم؛ فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك والرضى بضمانك مندوحةً عن منع الباخلين، وغنىً عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة؛ ثم دخلت في الناس فرأيته

عشية عرفة، وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجتي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر عن مصيبتي بتركك القبول مني؛ ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمع يقول: واسوءتاه منك والله وإن غفرت؛ يردد ذلك.

امتلأت الأرض والله جوراً:

قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بن عبد الملك بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض والله جوراً.

ما أغره بالله:

قال ربيعة بن عطاء: قلت عند القاسم بن محمد: قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله؛ قال: هو أذل وألأم من أن يجترئ على الله، ولكنها الغرة؛ قل: ما أغره بالله.

كراه السلطان:

قال بلال بن كعب: كان طاووس إذا خرج من اليمن يعني إلى مكة لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية.

قال يوسف بن أسباط: مر طاووس بنهر قد حفته بني أمية فأرادت بغلته أن تشرب فأبى أن يدعها، يعني كراه السلطان.

الشريف والوضيع عنده بمنزلة:

قال عمر بن عبد العزيز لطاووس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين يعني سليمان بن عبد الملك، فقال طاووس: ما لي إليه من حاجة! قال: فكأنه قد عجب من ذلك؛ قال سفيان: وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة: وربِّ هذه البنية ما رأيتُ أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووساً.

يا لكع... لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك:

حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاووس قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن نخرج على هذا السلطان وأن نفعل به؛ قال: فخرجنا حجاجا فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل لمحمد بن يوسف، أو أيوب بن يحيى، يقال

له: ابن نجيح؛ وكان من أخبث عمالهم؛ فشهدنا صلاة الصبح في المسجد؛ فاذا ابن نجيح قد أُخبر بطاووس؛ فجاء، فقعد بين يديه؛ فلم يجبه؛ فكلمه، فأعرض عنه؛ ثم عدل إلى الشق الأيسر، فأعرض عنه؛ فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده، وجعلت أسأله، رجاء له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك؛ قال: بل لمعرفته بي فعل بي ما رأيت؛ قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئاً؛ فلما دخلت المنزل التفت إلي فقال لي: يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

فما هو إذاً كما تقولون؟!:

قال عبد الرزاق: قدِمَ طاووسُ مكة فقدم أميرٌ فقيل له: إن من فضله ومن ومن، فلو أتيته! قال: ما لي إليه حاجة! قالوا: إنا نخاف عليك! قال: فما هو إذاً كما تقولون.

قد بنت عليها العنكبوت:

عن النعمان بن الزبير أن محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا إلى طاووس بخمسمئة دينار، وقالوا للرسول: إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك؛ فخرج بها حتى قدم على طاووس، فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير؛ قال: ما لي بها من حاجة؛ قال: فأراده على قبضها فأبى؛ فغفل طاووس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب فقال لهم: قد أخذها؛ فلبثوا حيناً، ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه، فقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا؛ فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير؟ قال: ما قبضت منه شيئاً؛ فرجع الرسول، فأخبرهم، فعرفوا أنه صادق؛ فقيل للرجل الذي ذهب بها، فبعثوه إليه، فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هل قبضت منك شيئاً؟ قال: لا، قال: فهل تدري أين وضعته؟ قال: نعم، في تلك الكوة، قال: فأبصرْه حيث وضعتَه، قال: فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت؛ فأخذها، فذهب بها إليهم.

الحمد لله الذي عافاني من الجنون ونجاني من فتنة عثمان:

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: لما وقعت فتنة عثمان بن عفان قال رجل لأهله: قيدوني فإني مجنون، فلما قتل عثمان قال: حلوا عني القيد، الحمد لله الذي عافاني من الجنون ونجاني من فتنة عثمان.

أني رأيت الله قد أدبر عنكم فأدبرت. ثم رأيت الله قد أقبل عليكم فأقبلت:

كان طاووس رحمه الله إذا قدم مكة نزل بصديق له، فقال ذات يوم: يا أبا عبد الرحمن، إن الدنيا أقبلت علينا حتى لو اشترينا ترابا لربحنا فيه، ولو أن البيضة سقطت من السطح لم تنكسر؛ فقطع النزول به. فأتاه الرجل بعد ذلك فقال: أن الدنيا قد أدبرت عنا؛ فنزل به فسأل الرجل، فقال: أني رأيت الله قد أدبر عنكم فأدبرت. ثم رأيت الله قد أقبل عليكم فأقبلت.

من أقوال طاووس :

قال طاووس: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة، فلما خلقتم سكنت.

نحن في زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب، فإذا ذكرنا الأحياء ماتت.

وعن طاووس أنه قال لولده: يا بني، إذا وضعتني في لحدي فارفع لبنة وانظر فإن رأيتني فاحمد الله، وإن لم ترني فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال طاووس: لئن تختلف السياط على ظهري أحب إلي من أن أنام يوم الجمعة والإمام يخطب.

وقال طاووس: من سمى الله على طعامه لم يسأله عن نعيمه.

وقيل: ذكر الله على الطعام شفاء يبرىء من الداء، وذكر الناس داء لا يقبل الشفاء.

وقيل: إذا أكلتم فسموا وأدنوا أي اذكروا الله وكلوا مما بين أيديكم. وكان ابن عباس إذا وضع الطعام يقول: بسم الله عني وعن كل آكل معي. وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من الطعام يقول: اللهم قد أشبعت وأرويت وطيبت فهنئنا برحمتك. وقال بعض القصاد: يا معشر الناس إن الشيطان إذا سمى الإنسان

على الطعام والشراب لم يأكل معه،

فكلوا خبر الذرة والمالح ولا تسموا ليأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسموا الله حتى تقتلوه عطشاً.

وقال طاووس: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي العجين من الملح.

ورأى طاووس رجلاً مسكيناً في عينيه عمش وفي ثوبه وسخ فقال له: عُدْ أنَّ الفقر من الله فأين أنت عن الماء؟!

وقال طاووس: من السنة أن يوقَّرَ العالم.

قال ليث بن سليم: قال لي طاووس: ما تعلمتَ فتعلمْهُ لنفسك، فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

ذكر داود بن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق حج فدق الناس بعضهم بعضاً فلما كان في وجه السحر ذهب عنهم فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم وقام طاووس يصلي فقال ابن طاووس: ألا تنام قد نصبت الليل؟! فقال طاووس: ومن ينام السحر؟!

قال أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة على المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين.

أتى طاووس رجلاً في السحر فقالوا: هو نائم، فقال: ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر.

قال عبد الله بن صالح المكي: دخل علي طاووس يعودُني، فقلتُ: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي، فقال: أدع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

قال عطاء: جاءني طاووس فقال لي: يا عطاء إياك أن ترفعَ حوائجَك إلى من أغلقَ دونَك بابَه وجعلَ دونك حجاباً؛ وعليك بطلبِ حوائجِك إلى من بابُه مفتوحٌ لك إلى يوم القيامة، طلبَ منكَ أن تدعوه ووعدك الإجابة.

وقال طاووس: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه.

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: كان طاووس رضي الله عنه يعتذر من طول السكوت ويقول: إني جربت لساني فوجدته لئيماً راضعاً.

عن ابن طاووس عن أبيه قال: مثل الإسلام كمثل شجرة فأصلها الشهادة وساقها كذا، شيئاً سماه، وثمرها الورع ولا خير في شجرة لا ثمر لها ولا خير في إنسان لا ورع له.

وقال عبد الله بن طاووس: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتُنسَب إليهم وإن لم تكن منهم، وأعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن خلقه.

قال سفيان الثوري: كان طاووس يجلسُ في بيتِهِ فقيل له في ذلك فقال: حيفُ الأئمة وفسادُ الناس [(١)].

* * *

(١) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٥ / ٥٣٧، طبقات خليفة: ٢٨٧، تاريخ خليفة: ٢٣٦، التاريخ الكبير ٤ / ٣٦٥، التاريخ الصغير ١ / ٢٥٢، تاريخ الفسوي ١ / ٧٠٥، الجرح والتعديل ٤ / ٥٠٠، حلية الاولياء ٤ / ٣، ٢٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٣، اللباب ١ / ٢٤١، تهذيب الاسماء واللغات ١ / ٢٥١، وفيات الاعيان ٢ / ٥٠٩، تهذيب الكمال: ٦٢٣، تهذيب التهذيب ٢ / ١٠١ / ٢، تاريخ الاسلام ٤ / ١٢٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠، العبر ١ / ١٣٠، طبقات القراء ١ / ٣٤١، تهذيب التهذيب ٥ / ٨، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٠، طبقات الحفاظ: ٣٤، خلاصة تهذيب الكمال: ١٨١، شذرات الذهب ١ / ١٣٣.

سفيان الثوري

أعـلام التابعيـن

سفيان الثوري

ومن العلماء الجهابذة النقاد بالكوفة سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله وهو ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة.

في مدينة الكوفة، ولد سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد الأئمة الأعلام سنة ٩٧هـ، وتفتحت عينا سفيان على الحياة، فوجد كتب الحديث والفقه تحيط به من كل جانب، فقد كان والده من العلماء الكبار الذين يحفظون أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم .

نشأ سفيان في أسرة فقيرة صالحة تعبد الله حق عبادته، وكانت أمه تنظر إليه وهو مازال طفلاً وتقول له: اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي، وإذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير، فإن لم تَرَ ذلك فلا تتعبن نفسك.. فيالها من أم صالحة!! لا تفكر في الجاه ولا الثراء، ولكن كل ما كانت ترجوه لولدها أن يتعلم علمًا نافعًا يبتغي به وجه الله، وبدأ، سفيان يتعلم ويجعل من والده قدوة صالحة له، ويستجيب لرغبة والدته التي أحبها من قلبه.

ومرت الأيام، وأصبح سفيان شابًّا فتيًّا، وفي إحدى الليالي أخذ يفكر ويسأل نفسه: هل أترك أمي تنفق علي؟ لابد من الكسب والعمل.. لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إليَّ من أن أحتاج إلى الناس؛ فالمال ضروري للإنسان حتى ولو كان عابدًا زاهدًا، ومن أجل ذلك عمل سفيان بالتجارة، ولم يكن المال هدفه في الحياة، بل وهب سفيان نفسه للعلم وأخذ يتعلم ويحفظ أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصبح في دنياه لا يطلب إلا العلم، فكان يقول: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم.

واشتهر سفيان بين الناس بعلمه وزهده وخوفه من الله، وظل طالب علم، متواضعًا يتعلم ويستفيد من الآخرين، يستمع إليهم، ويحفظ ما يقولون، وينشر ما تعلمه على الناس، يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويملي عليهم أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان سفيان الثوري إذا لقي شيخًا سأله: هل

سمعت من العلم شيئًا؟ ولقد منحه الله ذاكرة قوية فحفظ الآلاف من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم التي كان يحبها أكثر من نفسه.

كان ينصح العلماء ويقول لهم: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء؟! وكان يقول: إذا فسد العلماء، فمن بقي في الدنيا يصلحهم ثم ينشد:

يا معشرَ العلماءِ يا مِلْحَ البلدْ ما يصلح الملحَ إذا الملح فَسَدْ

وبمرور الأيام، كانت شهرة سفيان الثوري تزداد في بلاد الإسلام، ويزداد معها احترام الناس له، لخلقه الطيب، وعلمه الغزير، وحبه لرسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته، حتى إن أحد العلماء قال عنه: ما رأيت أحدًا أعلم من سفيان، ولا أورع من سفيان، ولا أفقه من سفيان، ولا أزهد من سفيان، وكان الناس يتسابقون إلى مجلسه ويقفون بباب داره في انتظار خروجه.. قال عنه شعبة وغيره: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري.

قال أبو الحارث سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

وذكر سفيان الثوري عند زائدة فقال: ذلك أعلم الناس في أنفسنا.

قال عبد الله يعنى بن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري.

عن حماد قال: أيما أفقه عندكم الحكم وحماد أو سفيان. فسكت الناس فلم يجبه أحد فقال: كان سفيان بحراً.

عن الوليد بن مسلم قال: رأيت الثوري بمكة يستفتي ولما يخط وجهه بعد.

قال سفيان: إني لأفرح بالليل إذا جاء.

وكان سفيان إذا كتب إلى رجل كتب بسم الله الرحمن الرحيم من سفيان بن سعيد إلى فلان ابن فلان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما

بعد، فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب جعلنا الله وإياك من المتقين قال وقال سفيان إن دعاك هؤلاء الملوك تقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تجئهم فإن قربهم مفسده للقلب.

قال يوسف بن أسباط: سفيان الثوري كتب بسم الله الرحمن الرحيم من سفيان ابن سعيد إلى فلان بن فلان سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعد فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، جعلنا الله وإياك من المتقين قال: قال سفيان: إن دعاك هؤلاء الملوك تقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تجبهم فإن قربهم مفسدة للقلب.

قال: وسمعت يوسف بن أسباط يقول: كان سفيان إذا أخذ في الفكرة يبول الدم.

قال: وسمعت يوسف بن أسباط يقول: أراد سليمان الخواص أن يركب البحر فقالوا له: لابد لنا من أمير، فقال: أنا أميركم فبلغ ذلك سفيان الثوري، فكتب إليه الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا، فلما قرأ الكتاب قال: لست لكم بأمير.

قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري: لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عز وجل عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس. قال سفيان الثوري أكرموا الناس على قدر تقواهم، وتذللوا عند أهل الطاعة، وتعززوا عند أهل المعصية وأعلموا أن القراءة لا تحلوا إلا بالزهد في الدنيا.

وقال يوسف: قال لي سفيان الثوري: ناولني المطهرة أتوضأ، ونحن في المسجد فناولته فوضع يمينه على خده الأيمن، ووضع يساره على خده الآخر، ثم نمت أنا فاستيقظت، وقد طلع الفجر وهو على حاله فقلت: يا أبا عبد الله قد طلع الفجر فقال لي: ما زلت أفكر في أمر الآخرة منذ ناولتني المطهرة إلى الساعة.

قال: وسمعت يوسف بن أسباط قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أحب الرجل أخاه في الله عز وجل ثم أحدث حدثا في الإسلام فلم يبغضه عليه فلم يحبه في الله عز وجل.

أخبر منصور بن سابق قال: ألح على سفيان رجل من إخوانه من أهل البصرة في التزويج فقال له فزوجني قال: فخرج سفيان إلى مكة وأتى الرجل البصرة فخطب عليه امرأة من كبار أهل البصرة ممن لها المال والشرف فأجابوه وهيأت قطاراً من الحشم والمال حتى قدمت مكة على سفيان، فأتى الرجل سفيان فقال له: أخطب عليك؟ فقال: من؟ قال: ابنة فلان. فقال: مالي فيها حاجة، إنما سألتك أن تزوجني امرأة مثلي قال: فإنهم قد أجابوا، فقال له: مالي فيها حاجة. قال: تفضحني عند القوم قال مالي فيها حاجة. قال: فكيف أصنع؟ قال: ارجع إليهم، فقل لهم: لا حاجة لي فيها، قال: فرجع فأخبرهم، فقالت المرأة: فبأي شيء يكرهني؟ قال: قلت المال. قالت: فإني أخرج من كل مال لي وأصبر معه. قال: فجاء الرجل فرحاً نشيطاً، فأخبره فقال لا حاجة لي فيها امرأة نشأت في الخير ملكة لا تصبر على هذا، قال: فأبى أن يقبلها فرجعت.

ومات سفيان سنة إحدى وستين ومائة وهو ابن أربع وستين سنة وأخبرني أنه ولد سنة سبع وتسعين. قال وكيع: مات سفيان وله مائة وخمسون ديناراً بضاعة فأوصى إلى عمارة بن يوسف في كتبه فمحاها وأحرقها ولم يعقب. سفيان كان له ابن فمات قبله فجعل كل شيء له لأخته وولدها ولم يورث أخاه المبارك بن سعيد شيئاً، وتوفي أخوه المبارك بالكوفة سنة ثمانين ومائة.

قال إسماعيل: رأيت سفيان الثوري لما أتانا نعيه وذلك في رمضان فلما فرغنا من القيام وضعت رأسي في المسجد فدخل من بعض أبواب المسجد فلما رأيته قمت إليه فقلت يا أبا عبد الله ما صنع بك ربك قال غفر لي أو قال ادخل الجنة قلت يا أبا عبد الله لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم وحزبه قال نعم.

قال أسامة: كنت بالبصرة حين مات سفيان الثوري فلقيت يزيد بن إبراهيم التستري فقال لي: قيل لي في منامي الليلة مات أمير المؤمنين،

فقلت للذي يقول في المنام: أمات سفيان الثوري؟ فقلت له: قد مات الليلة وقد كان مات تلك الليلة ولم يكن علمه.

قال شيرازاذ الواسطي كنت بعبادان فرأيت رجلاً جيء به في ثياب بياض قد مات فوضع في سفينة، فقلت: من هذا الذي قد مات على السنة ونجا وصار في الآخرة فلما ارتفع النهار جاءنا الخبر أن سفيان الثوري مات في تلك الليلة.

قال أبو كريمة المعبر الكوفي قال رجل: ذكر أنه رأى فيما يرى النائم أنه أدخل الجنة فإذا هو بيونس بن عبيد وابن عون، وأيوب، وسليمان التيمي وذكر قوماً من أهل البصرة من أهل الحديث لم أحفظ إلا هؤلاء الأربعة يتحدثون في روضة من رياض الجنة قال فخطر بقلبي ذكر سفيان الثوري فقلت لهم لقد كان سفيان عندنا من خيار الناس فما لي لا أراه فيكم فقالوا بأبصارهم إلى السماء فقالوا ما نرى سفيان إلا كما نرى النجم.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال لم يكن إلا أن وضعت في لحدي حتى وقفت بين يدي الله تعالى فحاسبني حسابا يسيرا: ثم أمر بي إلى الجنة، فبينما أنا أدور بين أشجارها وأنهارها لا أسمع حسا ولا حركة إذ سمعت قائلا يقول: سفيان بن سعيد، فقال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوما؟ قلت: إي والله، فأخذني النثار من كل جانب. وعلى كل حال مخالفة الهوى توجب شرف الدين وشرف الآخرة وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة، وتذله في الباطن والظاهر.

مات سفيان بالبصرة متوارياً من السلطان ودفن عشاء فقال الشاعر:

تحرز سفيان وفر بدينه ::: وأمسى شريك مرصداً للدراهم

قال بشار بن قيراط وكان شريك أبي حنيفة حججت مع أبي حنيفة وسفيان فكانا إذا نزلا منزلا أو بلدة اجتمع عليهما الناس وقالوا فقيها العراق فكان سفيان يقدم أبا حنيفة ويمشي خلفه وإذا سئل عن مسألة وأبوحنيفة حاضر لم يجب حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب فسئل ابو حنيفة عن النبيذ فأراد ان يرخص فيه

فوضع سفيان يده على فم أبي حنيفة ثم قال له إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة.

من وصايا سفيان الثوري :

قال سليمان بن عيسى: قال سفيان الثوري رحمه الله: أما بعد، عفانا الله وإياك من سخطه، وأعاذنا من النار برحمته، أوصيك بتقوى الله، واحذر عقابه، وأن تجهل بعد إذا علمت فتهلك ولا تهلك بعد إذا وضح لك، وتغتر بأهل الباطل بطلبهم الدنيا وحرصهم عليها وجمعهم إياها؛ فإن القول فيها شديد، والخطر عظيم، والأجل قريب، وكأن قد كان ما تحذر. فتفرغ، وفرغ قلبك، ثم الجد الجد، والوحاء الوحاء، الهرب الهرب؛ فارتحل إلى الآرخرة قلب أن يرحل بك، واستقبل رسل ربك بما تحب أن تستقبل به، وانكمش في أمورك، واشدد مئزرك، وقدم جهازك من قبل أن يقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد. فقد وعظتك بما وعظت به نفسي، والتوفيق من الله، ومفتاح التوفيق الدعاء والتضرع والاستكانة والندامة على ما فرطت في أمرك، ولا تضيع حقك من هذه الأيام والليالي. أسأل الله الذي منَّ علينا بمعرفته أن لا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا، وأن يتولى منا ومنكم ما تولى من أوليائه وأحبابه برحمته؛ إنه على كل شيء قدير.

وقال رحمة الله عليه: السنة سنتان: سنة أخذها هدى وتركها ضلالة، وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة. وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإن العبد يحاسب يوم القيامة بالفرائض؛ فإن جاء بها تامة أو لم يفردها كاملة ألحق بها النوافل حتى يكمل بها، وأول الفرائض الانتهاء عن المحارم والمظالم؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ} [النساء: ٥٨]، فنعم والله ما وعظ به.. وقال تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ} [البقرة: ١٩٧] وإنما عنى اتقوا الله في المظالم أن تنالوها فتنفقوها في أعمال البر.

وقال رحمه الله: وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تخافن إلا ذنبك، ولا تستنكف أن تعمل لآخرتك ما ينفعك، ولا تستحي أن تتعلم العلم، واعمل ما ينفعك في آخرتك، فإن العمل عليك فريضة واجبة، وإنما فضل العلم ليتقى به، وقال: إنما العلم خشية الله تعالى. وسئل رحمه الله: بم عرفت ربك؟ فقال: بفسخ العزائم، ومنع الهمة. وقال: الصلاة والزكاة من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، والناس عندنا مسئولون، والإيمان يتفاضل.

و - قال الوليد بن مسلم: سألت سفيان ومالكاً والأوزاعي عن أحاديث الصفات، فقالوا: نؤمن بها، وتمضي كما جاءت، ولا نفسرها.

وقال: من قال: " القرآن مخلوق " فهو كافر. وقال: من قال: " إن عليا أحق بالإمامة من أبي بكر " فقد أخطأ، ولا أدري أيرفع له عمل إلى السماء أم لا. وقال: الخلفاء وأئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز. وقال: القدرية كفار الجهمية، وقال لشعيب: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان قول، ولا يصح قول إلا بعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة. قلت: وما السنة؟ قال: تقديم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قال: ولا ينفعك ما كتب حتى تقدم عثمان، ولا ينفعك ما كتب حتى تشهد للعشرة بالجنة، ولا ينفعك ما كتب حتى ترى المسح على الخفين، وأنه آثر عندك من غسل الرجلين، ولا ينفعك ما كتب حتى تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ثم قال: ولا ينفعك ما كتب حتى تصلي الصلاة خلف كل بر وفاجر، قلت: في سائر الصلوات؟ قال: في الجمعة والعيدين، ثم قال: وأن تشهد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. من قال غير هذا فهو كافر. والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ثم قال شعيب بن حرب: والله ما قالت القدرية ما قال الله تعالى، ولا ما قالت الملائكة، ولا ما قال الأنبياء ولا ما قال أهل النار، ولا ما قال أهل الجنة، ولا ما قال أخوهم إبليس،

قال الله تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) الآية. وقالت الملائكة: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

وقال عيسى عليه السلام: (إن هي إلا فتنتك)، وقال أهل الجنة: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)، وقال أهل النار: (غلبت علينا شقوتنا) وقال إبليس: (بما أغويتني) الآية، ثم قال: ولا تصل إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة إلا الجمعة والعيدين، ثم إذا وقفت بين يدي الله تعالى فقل: حدثني بهذا سفيان بن سعد ثم خل بيني وبين ربي.

من كلام سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسين السلمي: عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فإنها وزر كله، وإياك يا أخي والرياء في القول والعمل، فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب، ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه، فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذي لا يشفق على دينه كيف يشفق على دينك؟ وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة الذين يخوضون في حديث الدنيا فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك، وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك، وانصح لكل مؤمن إذا سألك في أمر دينه، وإياك أن تخوض مؤمناً فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله.

و إذا أحببت أخاك في الله فابذل له نفسك ومالك، وإياك والخصومات والجدل والمراء فإنك تصير ظلوماً خواناً أثيماً، وعليك بالصبر في المواطن كلها، وإياك والحدة والغضب فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار، ولا تمارين عالماً فيمقتك، وإنّ الاختلاف إلى العلماء رحمة والانقطاع عنهم سخط الرحمن، ودع كثيراً مما يريبك إلى مالا يريبك تكن سليماً، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر تكن حبيب الله، وأقلل الفرح والضحك بما تصيب من الدنيا تزدد قوة عند الله، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وأحسن

سريرتك يحسن الله علانيتك، وإذا هممت بأمر من أمر الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينك وبينها الشيطان. كن طاهر القلب، نقي الجسد من الذنوب والخطايا، نقي اليدين من المظالم، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة، خالي البطن من الحرام، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، كف بصرك عن الناس .لا تمشين لغير حاجة. أقل العثرة، وأقبل المعذرة، ولا تبغض أحداً ممن يطيع الله.صل من قطعك وصل رحمك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء، وأقل دخول السوق فإنهم ذئاب عليهم ثياب وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس، وإذا دخلتها لزمك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنك لا ترى فيها إلا منكراً، فقم على طرقها فقل: " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة وإلا بالله العلي العظيم "، فقد بلغنا أنه يكتب لقائلها بكل من في السوق، عجمي أو فصيح، عشر حسنات، ولا تجلس فيها، واقض حاجتك وأنت قائم يسلم لك دينك، وإياك أن يفارقك الدسم فإنه أتم لعقلك، ولا تمنعن نفسك من الحلاوة فإنها تزيد في الحلم، وعليك باللحم ولا تدم عليه ولا تدعه أربعين يوماً فإنه يسئ خلقك، وعليك بالعدس فإنه يغزر الدموع ويرق القلب، وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان. وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلن قلبك، وعليك بطول الصمت تملك الورع. ولا تكونن حريصاً على الدنيا، ولا حاسداً، ولا تكن طعاناً تنج من ألسنة الناس، وكن رحيماً تكن محبباً إلى الناس، وارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض، وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر، ولا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلاً، وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا. اشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب، ولا تحقرن شيئاً من المعروف، انظر يا أخي أن يكون أول أمرك تقوى الله في السر والعلانية، واخش خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث ثم الحشر ثم الوقوف بين يدي الجبار عزوجل، ومحاسب بعملك ثم المصير إلى إحدى الدارين: إما إلى جنة ناعمة

خالدة، وإما إلى نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه، وارج رجاء من يعلم أنه يعفو أو يعاقب.

من حِكم سفيان الثوري :

كتب مبارك أخو سفيان الثوري إليه يشكو ذهاب بصره. فكتب إليه سفيان: أما بعد. فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك. فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك. والسلام.

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله، فقال: ليست بالفسق ولا الفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد: طعام موضوع، وحجابٌ مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

قال سفيان الثوري: أشجع الناس أشدهم من الهوى أمتناعاً.

وقال: من المحقرات تنتج الموبقات.

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد، فقال لي: يا سفيان! إذا أنعم الله عليك نعمةً فاحمد الله، وإذا استبطأت رزقاً فاستغفر الله، وإذا حزبك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال لي: يا سفيان! ثلاث وأي ثلاث.

ثلاث خصال من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك، والابتداء بالسلام.

ثلاث من لم تكن فيه لم يطعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

ثلاث لا يعرفون إلا في ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة.

قال ابن مسعود: ثلاث من كن فيه، ملأ الله قلبه إيماناً: صحبة الفقيه، وتلاوة القرآن، والصيام.

قال عمر بن الخطاب: الرجال ثلاثة: رجل عاقل عفيف مسلم ينظر في الأمور فيوردها مواردها ويصدرها مصادرها إذا أشكلت على عجزة الرجال وضعفتهم، ورجل يلبس عليه رأيه، فيأتي ذوي الرأي والمقدرة فيستشيرهم،

وينزل عند ما يأمرونه به، ورجل جاهل لا يهتدي لرشد، ولا يشاور مرشداً.

قال يوسف بن أسباط: أتيت سفيان الثوري رحمه الله، فقلت: يا أبا عبد الله! أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدني يرحمك الله، قال: أنكر من عرفت. قلت: زدني يرحمك الله. قال:

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم ::: وتوسمن أمورهم وتفقد فبه اليدين

وإذا ظفرت بذي الأمانة والتقى ::: قرير عينٍ فاشدد

وقال سفيان الثوري: من أحب الدنيا وسرته، نزع خوف الآخرة من قلبه.

وكان سفيان الثوري يقول: الدنيا داء التواءٍ لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح برخائها، ولم يحزن لشقائها.

كان سفيان الثوري يتمثل:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ::: على أنهم فيها عراةٌ وجوع سحابة

أراها وإن كانت تحب فإنها ::: صيفٍ عن قليل تقشع

رأى سفيان بن عيينة سفيان الثوري في المنام فقال له: أوصني؛ قال: أقلل من معرفة الناس، ثلاث مرات.

وقال سفيان الثوري: لو ثبت اليقين في القلوب طارت فرقا أو شوقا، أما شوقاً إلى المجنة أو فرقا من النار.

وقال سفيان الثوري: إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه.

وقال سفيان الثوري: إذا لم يكن للعالم حرفة ولا عقار كان شرطياً لهؤلاء الظلمة، وإذا لم يكن للجاهل حرفة كان رسولاً للفساق.

وقال سفيان الثوري: إن فجار القراء اتخذوا سلماً إلى الدنيا، فقالوا: ندخل على الأمراء فنفرج عن المكروب، ونكلم في المحبوس.

وقال سفيان الثوري: إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم.

وسمع سفيان الثوريّ قوماً يقولون بعضهم لبعض: كيف حالك؟ فقال: لقد بلغني أن من كان قبلكم كان يكره أن يسأل أخاه عن حاله إلا من يكون مجمعاً على تغيير سوء حاله إذا أخبره.

وقال سفيان الثوري هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى.

وقال سفيان الثوري: لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد

وقال سفيان الثوري: لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس

كتب سفيان الثوري إلى أخ له: واحذر حب المنزلة فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا.

وقيل لسفيان: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم إنَّ كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر.

وقال سفيان الثوري: صلاح المؤمن في هذا الزمان المال.

قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد من نيتي، ولا يقصد به أغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة، والجاه، والمال، ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس، ونحو ذلك فليستبدل الأدنى بالذي هو خير.

كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثورى: " من أطلق نظَرة طال أسفُه، ومن أطلق أمله ساء عملُه، ومن أطلق لسانَه قتل نفسه.

وقال سفُيان الثوْريّ: حُمْق العُوّاد أشدُّ على المَرضى من أمراضهم يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس.

قال سُفْيان الثَّوْرِيّ: المالُ سِلاح المُؤمن في هذا الزمان.

قال عليّ بن حمزة ابن " أُخت " سُفيان الثوري: لما مَرِض سُفيان مَرَضه الذي مات فيه ذهبتُ ببَوْله إلى دَيْرانيّ فأرَيْتُه إياه فقال: ما هذا ببول حَنِيفيّ قلت: بلى والله من خِيارهم.

قال: فأنا أذهب معك إليه.

قال: فدخل عليه وجَسَّ عِرْقه فقال: هذا رجُلٌ قطع الحُزن كَبِده.

عن سفيان الثورى قال العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوى غيره.

قال سفيان الثوري أول العبادة الصمت ثم طلب العلم ثم العمل به ثم حفظه ثم نشره

قال سفيان الثوري: إني لألقى الرجل فيقول لي مرحباً فيلين له قلبي، فكيف بمن أطأ بساطه، وآكل ثريده، وأزدرد عصيده؟.

سئل سفيان الثوري عن الفتوة، فقال الفتوة العقل والحياء، ورأسها الحافظ، وزينتها الحلم والأدب، وشرفها العلم والورع، وحليتها المحافظة على الصلوات، وبر الوالدين وصلة الرحم، وبذل المعروف، وحفظ الجار وترك التكبر ولزوم الجماعة والوقار وغض الطرف عن المحارم ولين الكلام وبذل السلام وأبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه وصدق الحديث واجتناب الحلف وإظهار المودة وإطلاق الوجه وإكرام الجليس والإنصات للحديث وكتمان السر وستر العيوب وأداء الأمانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد، والصمت في المجالس من غير عي، والتواضع من غير حاجة، وإجلال الكبير، والرفق بالصغير، والرأفة والرحمة للمسكين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء وكمال الفتوة الخشية لله عز وجل فينبغي للفتى أن تكون فيه هذه الخصال، فإذا كان كذلك كان فتى حقا.

وقال سفيان الثوري - رحمه الله ورضي عنه -: كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة. فإذن النوم على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة. وأما إذا كان لو لم ينم لانبعث في العبادة من الأذكار والوظائف فهذا يقظته خير من نومه. فإذا نام لأجل أن يذهب عنه التعب والكسل والسآمة وينهض إلى الوظائف والأذكار على غاية من النشاط وصفاء الذهن والخاطر، فنومه أيضا عبادة. وحاصل هذا كله من كان في مقام المراقبة في جميع حركاته وسكناته فكل حركاته وسكناته قربات وطاعات. فكم بين العارف المتيقظ والجاهل الغفلان من البعد والبون. والله أعلم بما كان وما يكون. والله الموفق.

وأوصى سفيان الثوري رحمه الله تعالى بعض أصحابه فقال: إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحدا فافعل، وليكن همك مرمة جهازك، وكان يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيت.

ومن حكمه:

أصلحْ سَرِيْرَتَك يصلح اللهُ علانيتَك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفِك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربَحْهما جَميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها.

يأتي على الناس زمان تموت القلوب، وتحيى الأبدان.

ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء.

ما عالجت شيئاً أشد علي من نفسي؛ مرة عليَّ، ومرة لي.

قال بشر بن الحارث: قيل لسفيان: أيكون الرجل زاهداً، ويكون له مال؟

قال: نعم؛ إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، احذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك.

لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً، وحزناً، وشوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار.

ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزك نفسك.

إذا زارك أخوك فلا تقل له: أتأكل؟ أو أقدم إليك؟ ولكن قدِّم، فإن أكل وإلا فارفع.

إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.

لا تتكلم بلسانك، ما تكسر به أسنانك.

إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينها، فكأنما دق ضلعاً من أضلاعي، لا أقدر على مكافئته.

عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

إلهي؛ البهائم يزجرها الراعي فتنزجر عن هواها، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه؛ فيا سوأتاه.

ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه، ومثله حزناً.

لو أن البهائم تعقل ما تعقلون من الموت - ما أكلتم منها سميناً.

إنما مثلُ الدنيا مثلُ رغيفٍ عليه عسلٌ مرَّ به ذبابٌ، فقطع جناحيه، وإذا مر برغيف يابس مرَّ به سليماً.

لم أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؛ كيف أنهاكم عن الأكل، والله - تعالى - يقول:{خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ} [الأعراف: ٣١].

لأن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.

لا تبغض أحد ممن يطيع الله، وكن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.

عليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم فإنه يسد عليك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلين قلبك، وعليك بالصمت تملك الورع.

لا تكن طعاناً تنجُ من ألسنة الناس، وكن رحيماً محبباً إلى الناس.

عليك بالسخاء تسترِ العورات، ويخففِ الله عليك الحساب والأهوال.

عليك بكثرة المعروف يؤنسك الله بقبرك، واجتنب المحارم تجدْ حلاوة الإيمان.

ارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً.

قال سمعت محمد بن عبيد الطنافسي: كنا عند سفيان الثوري فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله أرأيت هذا الحديث الذي يروى إن الله يبغض أهل البيت اللحمين أهم الذين يكثرون أكل اللحم؟ فقال سفيان لا هم الذين يكثرون أكل لحوم الناس.

حدث العباس قال: كنا عند سفيان الثوري فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله رأيت في المنام كأن ريحانة قبل الشام ماتت. فقال له سفيان: إن صدقت رؤياك مات الأوزاعي قال: فجاء رجل إلى سفيان فقال: عظم الله أجرك في أخيك الأوزاعي فقد مات.

عن سفيان الثوري قال: ما تريد إلى شيء إذا بلغت فيه الغاية تمنيت أن تنفلت منه كفافاً.

و كان يحيى بن خالد يجري على سفيان الثوري كلّ شهرٍ ألف درهم، فسمع يحيى سفيان يقول في سجوده: اللهم، إنّ يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه أمر آخرته، فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في منامه فقال له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي بدعوة سفيان.

مواقف من حياة سفيان الثوري :

أوصيك بتقوى الله فأن اتقيت الله عز وجل كفاك الناس:

كتب سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد فقال:

من سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله فإن اتقيت الله عز وجل كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عندك من الله شيئاً، سألت أن أكتب إليك كتاباً اصف لك فيه خلالاً تصحب بها أهل زمانك وتؤدي إليهم ما يحق لهم عليك وتسأل الله عز وجل الذي لك، وقد سألت عن أمر جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحد، وكيف يستطاع ذلك؟ وقد كدر هذا الزمان، إنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شره إلا من دعا بدعاء الغريق، فهل تعلم مكان أحد هكذا؟ وكان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم

فعليك بتقوى الله عز وجل والزم العزلة واشتغل بنفسك واستأنس بكتاب الله عز وجل، واحذر الأمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم فإن استطعت أن تأمر بخير في رفق فإن قبل منك حمدت الله عز وجل وإن رد عليك أقبلت على نفسك فإن لك فيها شغلاً، واحذر المنزلة وحبها فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا، وبلغني أن أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلة علم وبصر وقلة صبر وقلة أعوان على الخير مع كدر من الزمان وفساد من الناس وعليك بالأمر الأول والتمسك به وعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقر واليأس غنى وفي العزلة راحة من خلاط السوء، وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة، وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة في تركهم فيما نرى وإياك والأمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة فإن تلك خدعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلماً، وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله أو يسمع منه، وإياك وحب الرياسة فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، واحذر الرياء فإن الرياء أخفى من دبيب النمل، وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدري أيما ركب، وذكر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: لا تزال يد الله عز وجل على هذه الأمة وفي كنفه وفي جواره وجناحه ما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم وما لم يبر خيارهم أشرارهم وما لم يعظم أبرارهم فجارهم فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل بهم الفاقة وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب، وقال: إذا كان ذلك لا يأتهم أمر يضجون منه إلا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك.

فليكن الموت من شأنك ومن بالك، وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دنياك، وقال عمر: أكثروا ذكر الموت إنكم إن ذكرتموه في كثير قلله وإن ذكرتموه في قليل كثره، واعلموا أنه قد حان للرجل يشتهى الموت أعاذنا الله وإياك من المهالك وسلك بنا وبك سبيل الطاعة.

فينبغي للعبد أن يتأمل هذه الرسالة جيداً ولتكن له عبرة وعظة من هذا الإمام الذي يقول في زمانه ما قال فماذا نقول نحن في زماننا هذا والله المستعان.

فما عذرك غداً إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟!:

وقال سفيان الثوري: لما حج المهدي قال: لا بد لي من سفيان. فوضعوا لي المرصد حول البيت فأخذوني بالليل، فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال: لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمورنا، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟ فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غداً إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه: كم أنفقنا في سفرتنا هذه؟ فقال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً. فقال: ويحك، أجحفنا بيت مال المسلمين!

وقال سفيان الثوري لأبي جعفر المنصور: إني لأعلم رجلاً إن صلح صلحت الأمة وإن فسد فسدت الأمة، قال: ومن هو؟ قال: أنت!

رمي اللسان لا يخطئ:

وقال سفيان الثوري لأن أرمى عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح ::: فساق إليه سهم حتف معجل

هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟!:

كان يجلس مع سفيان الثوري رجل ضرير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة

أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال: إنّي أخاف أن يقال لي يوم القيامة: هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟.

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك:

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد الصمد: إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان: لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصمد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

النظر إلى وجه الظالم خطيئة:

وعنه أنه قال: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم.

وقال، وقد ذكروا أمر السلطان وطلبهم إياه: أترون أني أخاف هوانهم؟ إنما أخاف كرامتهم.

شغلني ذكر النار عن النوم واللذات:

قال عبد الرحمن بن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلاً هو أرق من سفيان الثوري، قال ابن مهدي: وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما كان ينام إلا في أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم واللذات، كأنه يخاطب رجلاً في البيت، ثم يدعو بماء إلى جابنه فيتوضأ ثم يقول على أثر وضوئه: اللهم إنّك عالم بحاجتي غير معلم بما أطلب، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي إن الجزع قد أرقني والخوف فلم يؤمني، وكل هذا من نعمك السابغة علي، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك، إلهي قد علمت أن لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين، ثم يقبل على صلاته. وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إنّي كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه.

العقل لزوم الحق وقول الصدق:

وسمع سفيان الثوري رجلاً في مجلسه يقول: كان معاوية عاقلاً، فقال: العقل لزوم الحق وقول الصدق.

من السفلة؟:

قال ابن المبارك: سألت سفيان الثوري من الناس؟ قال: العلماء، قلت: من الأشراف؟ قال: المتقون، قلت: من الملوك؟ قال: الزهاد، قلت: من الغوغاء؟ قال: القصاص الذين يستأكلون أموال الناس بالكلام، قلت: من السفلة؟ قال: الظلمة.

يشتهي لها الرجل الموت:

كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد: أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه في ما بلغنا، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك، ولهم من العلم ما ليس لنا ولا لك. فكيف بنا وقد أدركناه على قلة علم وبصر، وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فإن عمر يقول: إياكم والطمع فإنه فقر حاضر، وإن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خليط السوء. وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة. وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما ترى. وإياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الشياء. وإياك أن تخدع فيقال: ذلك رجل تشفع فيه ترده عن مظلوم أو ترده عن مظلمة، وإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخاً. وكان يقال: اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فإن فيهما فتنة لكل أحد. إياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله، فإذا لم تزل كذلك فقد عرفت. وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهذا باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء. واعمل بنية فإن الحسن رحمه الله كان يقول: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإنه ما من عبد يعمل حتى يهم، فإن كان له مضى، وإن كان عليه أمسك، فإن النية ليست كل ساعة تقع. وإن طاووس قيل له: ادع لنا بدعوات فقال: ما أجد الآن لذلك نية. وكان حذيفة

رضي الله عنه يقول: يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق. وسئل حذيفة عن أي الفتن أشد فقال: أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تترك. وقد ذكر عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: لا تزال يد الله على هذه الأمة في كنفه، ما لم يمل فراؤهم إلى امرائهم، وما لم يوقر خيارهم شرارهم، وما لم يعظم أبرارهم فجارهم؛ فإذا فعلوا ذل رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة، وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب. وقال حذيفة: لا يأتيهم أمر يضحكون منه إلا ردف أمر يشغلهم عن ذلك. فليكن الموت من شأنك وبالك. وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنكم إذا ذكرتموه في قليل كثرة. واعلم أنه قد دنا من الناس أمور، وحضرت أمور يشتهي لها الرجل الموت، والسلام.

وإياك والركون إلى الظلمة:

قال سفيان الثوري: " من أخذ من ظالم درعاً أو مالاً أو سلاحاً فغزا به في سبيل الله لعن بكل قدم يرفعها ويضعها حتى يرجع ". وإياك ومحبة فاجرٍ أو ظالم أو فاسق أو مبتدع أو تميل إلى أحد منهم أو تَبشَّ في وجهه. قال صلي الله عليه وسلم :(**لا تجعل لفاجر عندي يداً فترزقه مني محبة وإياك والركون إلى الظلمة**) قال الله تعالى:{ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ } [هود: ١١٣]، إياك وحب من لا يستحق المحبة من المخطئين أو تقبل منهم إحساناً فإنه جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ".

وما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت فأعظك؟!:

كان سفيان الثوري يطوف بالبيت، فقدم الرشيد يريد الطواف، فقطع سفيان طوافه وذهب وتلا هذه الآية:{لَّا تَجِدُ قَوْمًا } [المجادلة: ٢٢].

وأرسل أبو جعفر إلى سفيان الثوري فلما دخل عليه قال: عظني أبا عبد الله قال: وما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت فأعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جواباً.

ولكنّك قَبضت عليَّ قَبْضة جبّار:

ولَقِي أبو جعفر سُفْيان الثَّوريَّ في الطواف وسُفيان لا يَعْرفه فَضرب بيده على عاتِقه وقال: أتَعْرفني قال: لا ولكنّك قَبضت عليّ قَبْضة جبّار.

إن الله سبحانه نهانا عنكم:

لقي المنصور سفيان الثوري فقال له: ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله؟ فقال: إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول:{ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ } [هود: ١١٣] ودخل عليه يوماً وقد أرسل إليه، فقال له: سل حاجتك، قال أو تقضيها؟، قال: نعم، قال: حاجتي أن لا ترسل إلي حتى آتيك، ولا تعطيني شيئاً حتى أسألك. ثم خرج فقال المنصور: القينا الحب إلى العلماء فلقطوه، إلا ما كان من سفيان الثوري.

تريد أن أكون مثلك؟!:

قال الفريابي سمعت سفيان الثوري يقول أدخلت على أبي جعفر بمنى فقلت له اتق الله فإنما أنزلت هذه المنزلة صرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعاً حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً وكان ينزل تحت الشجر فقال لي فإنما تريد أن أكون مثلك قال قلت لا تكن مثلي ولكن كن دون ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه فقال لي أخرج.

قال أبو عبيد الله ما أعلقنا مخالينا هذه في عنق أحد إلا قضم منها إلا سفيان الثوري.

قال الشافعي دخل سفيان الثوري على أمير المؤمنين فجعل يتجان عليهم ويمسح البساط ويقول ما أحسنه ما أحسنه بكم أخذتم هذا ثم قال البول البول حتى أخرج قال أبو محمد قلت يعني أنه احتال بما فعل ليزهدوا فيه فيتباعد منهم ويسلم من شرهم.

الوضوء الوضوء:

قال النضر بن زرارة طلب أبو جعفر الثوري حتى قدم عليه فأدخل عليه قال فأقبل على سفيان بالملامة فقال تبغضنا وتبغض دعوتنا وتبغض عترة رسول الله صلي الله عليه وسلم قال والثوري يقول سلام سلام قال ثم رفع الثوري رأسه فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)} [الفجر: ٦ - ٧]، إلى قوله:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر: ١٤] قال فنكس أبو جعفر رأسه وجعل ينكت بقضيب في يده الأرض فقال سفيان الوضوء الوضوء ثم قام فخرج عنه.

ولكن أكره أن أذل:

قال يحيى بن سليم الطائفي كان محمد بن إبراهيم يعني الهاشمي والياً على مكة وبعث إلى سفيان الثوري بمائتي دينار فأبى أن يقبلها قلت له يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالاً قال بلى ولكن أكره أن أذل [1].

* * *

(١) مصادر ترجمة سفيان الثوري: الفهرست: ٢٢٥ وطبقات الشيرازي، ص ٢٣ وطبقات ابن سعد ٦: ٣٧١ والمعارف: ٤٩٧ والجواهر المضية ١: ٢٥٠ وحلية الأولياء ٦: ٣٥٦ وتهذيب التهذيب ٤: ١١١ وتاريخ بغداد ٩: ١٥١ وتذكرة الحفاظ: ٢٠٣ ورجال ابن حبان: ١٦٩.

الشعبـــي

أعـلام التابعيـن

الشعبي

والشعبي: هو عامر بن شراحيل الكوفي عالم أهل زمانه، وكان حافظاً علامة ذا فنون، كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة.

وكان رحمه الله تعالى من نوادر الحفاظ، ما يسمع شيئاً إلا حفظه، حتى إنه كان إذا دخل السوق يضع في أذنيه كرسفاً - أي: قطناً - ويقول: حتى لا أسمع أقوال الناس فأحفظها؛ لأنه كان كلما سمع شيئاً حفظه، ولهذا لم يكن يكتب، ولا يحتاج إلى الكتابة؛ لأنه كان يستمع الشيء فيحفظه، وهذا من النوادر التي يقل وجودها في الناس، أي: الحافظة الخارقة، وله نظراء من الحفاظ المعروفين.

مر رضي الله عنه برجل يغتابه فأنشد:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ::: لعزة من أعراضنا ما استحلت

وكان يقول: إياكم والقياس في الدين فإن من قاس فقد زاد في الدين، وكان يقول: لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة قال سفيان رضي الله عنه: إعظاماً لها وخوفاً من وقوع ذنب فيها، وكان يقول: اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنهما فتنة لكل مفتون، وكان رضي الله عنه يقول: لم يحضر وقعة الجمل من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا أربعة علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاءوا بخامس فأنا كاذب وقيل له مرة يا فقيه فقال: لست بفقيه، ولا عالم إنما نحن قوم سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، وإنما الفقيه من تورع عن محارم الله عز وجل، والعالم من خشي الله تعالى بالغيب، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: تعايش الناس بالدين زمناً طويلا حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة زمناً طويلا حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء زمناً طويلا حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة، وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه.

وكان يقول: ليتني لم أتعلم علماً وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا علي ولا لي وكان رضي الله عنه يقول: ما بكينا من زمان إلا وبكينا عليه وكان رضي الله عنه يقول: أدركنا الناس وهم لا يعلمون العلم إلا لعاقل ناسك وصاروا اليوم يعلمونه لمن لا عقل له ولا نسك.

ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا. واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان.

روي أن ابن عمر رضي الله عنه مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وإنه أعلم بها مني. وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم .

وحكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحثثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة وقال لي: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة،، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة. ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رُددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة قلت: لا، قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها " عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره "، فقلت له: والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدري لم كتبها قلت: لا، قال: حسدني عليك،

وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال.

وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع فيه فقال له: ان كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً غفر الله لك.

وكان موسراً يشتري اللحم في كلّ جمعة بدرهم واحد، وكان يقول: لدرهم أعطيه في النوائب أحبُّ إليَّ من خمسة أتصدق بها. - مرّ على قوم وهم ينالون منه ولايرون، فلما سمع كلامهم قال " من الطويل ":

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ ::: لعزَّةَ من أعراضنا ما أستحلتِ

وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال: لأن اتركها وأنا موسر أحب إلي من أن اتكلفها وأنا معسر.

وقال الشعبي: كانت درة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجاج؛ وقال أيضاً: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

مواقف من حياة الشعبي :

واجْعَلْ بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني:

لما أقْضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تَاقَتْ نفسُه إلى محادثة الرجال والأشراف على أخبار الناس، فلم يجد مَنْ يصلح لمنادمته غير الشَّعْبِي، فلما حُمِل إليه ونادمه وحَظِيَ عنده قال له: يا شعبيُّ لا تساعدني على ما قبح، ولا تردَ علي الخطأ في مجلسي، ولاتكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجْعَلْ بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدَّثُ فلا يفوتنَكَ منه شيء، وأرنِي فهمك في طرْفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تَطْرِية جوابي، ولا تَسْتَدْع

بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسْوَأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ حالاً منهم من استخف بحقهم، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حتى الحرمة فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه، وعند إصابته فرصة.

من أين تهب الريح!:

وقال عبد الملك للشعبي يوماً: من أين تهب الريح. قال: لا علم لي يا أمير المؤمنين قال عبد الملك: أما مهبُّ الشمال فمن مطلع بنات نَعْش إلى مطلع الشمس، وأما مهبُّ الصَّبَا فمن مطلع الشمس إلى مطلع سُهَيْل، وأما الجنوب فمن مطلع سهَيْل إلى مغرب الشمس، وأما الدَّبُور فمن مغرب الشمس إلى مطلع بنات نَعْش.

يامُفوّت الحاجات!:

وكان الشعبي يتحدث فيقول: إن للحديث سكتات وإشارات وموافقات وتعريجات، فمواضع يتوقف فيها ومواضع يطوى فيها طيَّاً، وليس كلّ أحدٍ أعطي ذلك ويحسن ذلك. - وكان يقول له ابن شبرمة: يامُفوّت الحاجات! لما كان يشغل جلساءه بحسن حديثه عن حوائجهم.

وكان لايقوم من مجلسه حتى يقول: أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلي الله عليه وسلم ، وأشهد أنّ الدين كما أمر، وأشهد أنّ الإسلام كما وصف، وأشهد أنّ الكتاب كما بلّغ، وأشهد أنّ القول كما حدث، وأشهد (أنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المُبينُ)! فإذا ذهب ينهض قال: ذكر الله محمداً منا بالسلام.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز استعمل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب، فاستقضى عبد الحميد الشعبيَّ بأمر عمر، فقضى سنةً ثمّ استعفاه فأعفاه.

إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك! :

وسمع رجلاً يشتمه فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك! ثمّ تمثلَّ:

ليست الأحلامُ في حـــال الرضـــى ::: إنمـــا الأحـــلامُ في حـــال الغضَـــبْ

والله ماكان شيءٌ من هذا:

وهجاه رجلٌ قضى عليه لزوجته فقال:

فُـــــتنَ الشـــــعبيُّ لّمـــــا ::: رفـــــعَ الطَـــــرْفَ إليهـــــا
فتنتـــــه حـــــين ولَّـــــت ::: ثمّ هـــــزَّت منكبيهـــــا
فتنتـــــه بقـــــوامٍ ::: وبخطَّـــــي حاجبيهـــــا
وبنـــــان كالمـــــداري ::: وبحســـــن معصـــــميها
مـــن فتـــاةٍ حـــين قامـــت ::: رفعـــــت مأمتيهـــــا
كيـــف لـــو أبصـــر منـــها ::: نحرهـــــا أو ســـــاعديها
لصـــبا حـــتى تـــراه ::: ســـاجداً بـــين يـــديها
قـــال للجلـــواز: ::: قـــدمها وأحضـــر شـــاهديها
فقضـــى جـــوراً علـــى الخصـــم ::: ولم يقـــض عليهـــا
بنـــتِ عيســـى بـــن جـــرادٍ ::: ظَلَـــمَ الخصـــم لـــديها
مـــا علـــى الشـــعبي لم يـــوُ ::: فِ الـــذي كـــان عليهـــا

فلما سمع الشعبي الأبيات ضحك وقال: لا والله ماكان شيءٌ من هذا.

أما إنه يحبه الرجالُ ويكرهه مؤنثوهم!:

قال الشعبي: ماأروي شيئاً أقلَّ من الشعر، ولو شئتُ أن أنشد شهراً ولا أعيد شيئاً لفعلت. - وقال أبو بكر الهُذَلي للشعبي: أتحبّ الشعر؟ قال: نعم! قال: أما إنه يحبه الرجالُ ويكرهه مؤنثوهم!

ألا يستحي مثلك يقول هذا؟!

قال أبو بكر الهذلي لابن سيرين: إذا أتيت الكوفة فالزم الشعبيَّ واستكثر من حديثه! فلقد رأيته يستفتي وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأحياءٌ. - وسئل عن شيء فقال: لاعلم لي بهذا! فقال: ألا يستحي مثلك يقول هذا؟! فقال: إنّ الملائكة لم تستحي من قولهم: " لاعلم لنا " أستحيي أنا!؟

هذا منّا أو منكم؟!

قدم الشعبيُّ أيَّام عبد الله بن الزبير البصرة، فجلس إلى أناس في مسجدها فيهم الأحنف بن قيس، فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة، ولم يزل بهم الحديث حتى قال قائلٌ من أهل البصرة: وما أهل الكوفة، هل هم إلا خولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! قال الشعبيّ: فعرض في قلبي قولُ أعشى همدان فقلتُ " من الرمل ":

أفخَرْتم أن قتلتم أعْبُداً ::: وهزمتم مرّةً آلَ عَزَلْ
نحن سُقناهم إليكم عنوةً ::: وجمعنا أمركم بعد الفشلْ
فإذا فاخرتمونا فاذكروا ::: ما فعلنا بكمُ يومَ الجملْ
بين شيخٍ خاضبٍ عثنونه ::: وفتىً أبيضَ وضَّاحٍ رفلْ
جاءنا يهدرُ في سابغةٍ ::: فذبحناهُ ضُحىً ذبح الحملْ
وعفونا فنسيتم عفونا ::: وكفرتم نعمة الله الأجلْ

فضحك الأحنف ثمّ قال: يا أهل البصرة، فخر عليكم الشعبيُّ، فأحسنوا مجالسته! ثمّ قال: يا جاريةُ، هاتي الصحيفة الصفراء! فرمى بها إلى الشعبي، فإذا فيها من المختار: " من أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس مورد قومه سقر، حيثُ لايستطيع لهم الصدر، وإني لا أملك لهم ما خُطَّ في القدر، وقد بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رُسُلي، ولعمري لقد كذبت الأنبياء قبلي وأوذوا، وإن كنتُ لستُ بخيرٍ من نبي منهم، والسلامُ على من اتبع الهدى. " ثمّ أقبل عليَّ فقال: هذا منّا أو منكم؟! فغلبني وهو ساكت.

فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل:

وقال الشعبيُّ: رأيتُ عجباً، كنَّا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القومُ: ليقمْ كلُّ رجلُ منكم فليأخذ بالرُكن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يُعطى، قمْ، ياعبدالله بن الزبير! فإنك أولُ مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهّمَّ إنك عظيمٌ تُرجى لكلّ عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلي الله عليه وسلم ألا تميتني حتى توليني الحجاز ويُسلّم عليَّ بالخلافة! وجاء فجلس، وقالوا: قُم، يامصعب! فقام حتى إذا أخذ بالركن اليماني فقال: اللهمَّ إنك ربٌّ كلّ شيء، وإليك يصير كلُّ شيء، أسألك بقدرتك على كلّ شيء ألا تميتني حتى توليني العراقين وتزوجني سكينة بنت الحسين! وجاء فجلس، وقالوا: قم، ياعبد الملك! فقام فأخذ الركن وقال: اللهم ربّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم ربَّ الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وأسألك بحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولاينازعني أحدٌ ألا أُتيتُ برأسه! ثمّ جاء فجلس، ثمّ قالوا: قم، ياعبد الله بن عمر! فقام حتى أخذ بالركن ثمّ قال: اللهمَّ إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك إلا تميتني حتى تُوجب لي الجنة! - قال الشعبيّ: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل. وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: إنه ليس شيءٌ من لذة الدنيا إلا وقد أُصبتُ به ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقلة الإخوان للحديث، وقبلك عامرٌ الشعبيُ، فابعث به إليدَ ليُحدثني! فجهزه الحجَّاج وبعث به إليه. قال: فدخلتُ فإذا عبدُ الملك جالسٌ على كرسي وبين يديه رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية على كرسيّ، فسلمتُ فردّ السلام، ثمّ أومى إليّ بقضيبه فقعدت على يساره، ثمّ أقبل على الذي بيد يديه فقال: من أشعر الناس؟ قال: أنا! قال الشعبيّ: فأظلم عليَّ مابيني وبين عبد الملك، ولم أصبر أن قلتُ: ومن هذا، ياأمير المؤمنين، الذي

يزعم أنه أشعر الناس؟ قال: فعجب عبد الملك من عجلتي، ثمّ قال: هذا الأخطل! قلتُ: ياأخطلُ، أشعر منك الذي يقول:

هـــذا غُـــلامٌ حَسَـــنٌ وجهـــهُ ::: مُقتبلُ الخيرِ ســريعُ التمــامْ أصــغر
للحارثِ الأكـبر والحــارث الـــ ::: والحــــارث خــــير الأنــــامْ
ثمّ لهنــــدٍ ولهنــــدٍ وقـــــد ::: أســرعَ في الخــيراتِ منــه إمــامْ
ســـتّةُ أمـــلاكٍ هُـــمُ مـــا هُـــمُ ::: هُمْ خيرُ من يشربُ صوب الغمــامْ

فقال عبد الملك: رُدَّها عليَّ! فرددتها عليه حتى حفظها، فقال الأخطل: من هذا، ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيُّ! قال: والجِلَوز، ما أستعذت بالله من شر هذا! صدق والله، النابغة أشعر مني! قال الشعبيّ: ثمّ أقبل عليَّ عبد الملك فقال: كيف أنت؟ قلتُ: بخير، ياأمير المؤمنين! فلا زلتَ به! ثمّ ذهبت لأضع معاذير لي لما من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمان ابن محمد بن الأشعث، فقال: مه، فإنا لانحتاج إلى هذا المنطق، ولا تراه منا في قول ولافعل حتى تفارقنا. ثمّ أقبل عليَّ فقال: ماتقول في النابغة؟ قلتُ: ياأمير المؤمنين، قد فضلّه عمرُ بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء! خرج عمرُ وببابه وفد غطفان، فقال: يامعشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أتــرك لنفســك ريبــةً ::: ولــيس وراء الله للمــرء مــذهبُ
لئن كُنت قد بُلغــتَ عــني رســالةً ::: لمبلغك الواشــي أغــشُّ وأكــذبُ
ولســـتُ بمســتبقٍ أخــا لاتلمــهُ ::: على شعثٍ أيُّ الرجــال المُهــذَّبُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: فأيكم الذي يقول:

لي ابن مُحــرق أعملــتُ نفســي ::: وراحلتي وقد هدت العُيــونَ علــى
أتيتــك عاريـــاً خلقـــاً ثيـــابي ::: خـــوفٍ تُظـــنُّ بي الظُنُـــونُ
وألفيـــتُ الأمانـــةَ لم تخنـــها ::: كـــذلك كـــان نُـــوحٌ لايخـــونُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هــو مــدركي ::: وإن خِلْتُ أن المنتأى عنــك واســعُ
خطاطيفُ حُجْنٌ في حبــالٍ متينــةٍ ::: تَمُــدُّ بهــا أيــدٍ إليــك نــوازعُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: هذا أشعرُ شعرائكم. فأقبل على الأخطل فقال: أتحبُ أنك قلته؟ قال: لا، والله إلا أنني وددتُ أني كنت قلتُ أبياتا قالها رجلٌ منا، كان والله - ماعلمتُ - مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع. قال: وماقال؟ فأنشده قصيدته " من البسيط ":

إنَّا مُحيّوك فاسلم أيها الطللُ ::: وإن بليت وإن طالت بك الطيلُ
ليس الجديدُ به تبقى بشاشته ::: إلا قليلاً ولا ذو خلةٍ يصلُ
والعيشُ لاعيشُ إلا ماتقرُّ به ::: عينٌ ولاحال إلا سوف تنتقل
إن ترجعي من أبي عثمان منجحةً ::: فقد يهون على المستنجح العملُ
والناسُ من تلق خيراً قائلون له ::: ما يشتهي ولأم المخطئ الهبلُ
قد يُدرك المُتأني بعض حاجته ::: وقد يكون مع المستعجل الزللُ

قال الشعبيُّ: قلت: والقُطامي قال أفضل من هذا! قال: وماقال؟ قلتُ:

طرقتُ جنوب رحالنا من مطرقٍ ::: ماكنتُ أحسبها قريبَ المعنقِ

حتى أتيت على آخرها، فقال عبد الملك: ثكلت القطامي أمه! هذا والله ألشعر. قال: فالتفت إليَّ الأخطل فقال: ياشعبيُّ، إنّ لك فنوناً في الأحاديث، وإن لنا فنّاً واحداً، لاأعرض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقلني هذه المرة! قال: من يكفل بك؟ قلتُ: أمير المؤمنين! فقال عبد الملك: هو عليَّ أن لايعرض لك أبداً! ثمّ قال: ياشعبيُّ، أيُّ شعراء نساء الجاهلية كانت أشعر؟ قلت: خنساء! قال: ولم فضلتها؟ قلتُ: لقولها:

وقائلةٍ والنعشُ قد فات خطوها ::: لتدركه: يالهف نفسي على صخرِ
ألا ثكلتْ أمُّ الذين غدوا به ::: إلى القبر ماذا يحملون إلى القبرِ

فقال عبد الملك: أشعرُ منها واللهِ ليلى الأخيلية حيث تقول:

مهفهفُ الكشح والسربال منخرقٌ ::: عنه القميصُ لسيرِ الليل محتقرُ
لايأمن الناس ممساه ومصبحه ::: في كل فجٍ وإن لم يغزُ ينتظرُ

ثمّ قال: ياشعبيّ، لعله شقَّ عليك ماسمعت؟! قلت: إي والله، ياأمير المؤمنين، أشدَّ المشقة! إني إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق

يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية، وأهل الشأم أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق. - ومكثت عنده سنتين، بعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه: ياأخي، إني قد بعثت إليك بالشعبيّ، فانظر هل رأيت مثله؟! وقيل: لما دخل الشعبي على عبد الملك خطّأه في مجلس ثلاث مرات، سمع الشعبيُّ منه حديثاً، فقال: اكتبنيه! فقال: نحن معاشر الخلفاء، ما نكتب أحداً! وذكر رجلاً فكنّاه، فقال: من هذا، ياأمير المؤمنين؟ فقال: الخلفاء لاتسأل عن جلسائها وهم يسألون!

ابعث إليَّ بأجمع رجلٍ عندك!:

وقال قتادة: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليَّ بأجمع رجلٍ عندك! فبعث إليه بالشعبيّ. فلما قدم عليه قال له عبد الملك: علم بني ستَّ خصال، ثمّ شأنك بعد تأديبهم! علمهم صدق الحديث كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر ينجدوا ويمجدوا - يعني أنهم يكونوا أسخياء وفرساناً - وجُزَّ شعورهم تشتد رقابهم، وأطعمهم اللحم تصح قلوبهم، وجنبهم الحشم فإنه مفسدة لهم، وجالس بهم علية الرجال يناقضونهم الكلام فإنه خيار الناس! وقال عبد الملك للشعبي: لله در ابن قميئة حيث يقول:

كأني وقد خلفتُ تسعين حجةً ::: خلعتُ بها عني عذار لجامي فكيف بمن
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ::: يُرمى وليس برامي
فلو أنها نبلٌ إذا لاتقيتها ::: ولكنني أرمى بغير سهام

أفتدري لم أدخلناك؟!:

قال الشعبي دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب ابن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لأنصرف فقال لي ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ثم قال إذا قمت فاتبعني فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته فلما طعن في الدار التفت إلي فقال ادخل فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته فالتفت لي فقال ادخل فدخلت معه فإذا حجلة وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف فإذا جارية قد خرجت فقالت يا شعبي إن الأمير يأمرك

أن تجلس فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فإذا أنا بمصعب بن الزبير ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة قال فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما مصعب وعائشة فقال مصعب يا شعبي هل تعرف هذه فقلت نعم أصلح الله الأمير قال ومن هي قلت سيدة نُساء المسلمين عائشة بنت طلحة قال لا ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر

ومازِلتُ من ليلى لَدُنْ طَــرّ شــاربي ::: ....

وذكر البيتين ثم قال إذا شئت فقم فقمت.

فلما كان العشي رحت واذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت فلما رآني قال لي ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فأصغى إلي فقال هل رأيت مثل ذلك لإنسان قط قلت لا والله قال أفتدري لم أدخلناك قلت لا قال لتحدث بما رأيت ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فما انصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرفت به بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا وبنظرة من عائشة بنت طلحة.

لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء:

وكان عامر بن شراحيل الشعبي ممن خرج على الحجاج وكان قتيبة بالري، وسأل الحجاج عن الشعبي فأخبره يزيد بن أبي مسلم، مولى الحجاج، بمصيره إلى قتيبة، فكتب إلى قتيبة باشخاصه فلما قدم به استشار ابن أبي مسلم في أمره فقال: ما أدري ما أشير به، غير ان اعتذر ما استطعت، فلما دخل على الحجاج سلم بالإمرة ثم قال: أيها الأمير إن الناس أمروني أن اعتذر إليك بغير الحق، وايم الله لا قلت في مقامي هذا إلا حقاً، قد والله سعرنا عليك الحرب واجتهدنا كل الجهد فما ألونا، ولقد نصرك اله علينا وظفرك بنا، فإن سطوت علينا فبذنوبنا وما كسبت أيدينا، وإن عفوت فبحلمك عنا وبعد الحجة علينا.

فقال: أنت والله أحب إلي قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا فيقول: والله ما فعلت ولا شهدت، فقد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف، قال الشعبي: ثم دعاني فارتعت حتى ذكرت قوله أنت آمن عندنا فاطمأننت، فلما دخلت عليه قال: هيه يا شعبي. فقلت: أصلح الله الأمير، أوحش الجناب وأحزن

المنزل ونبا بنا، واستشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، واستحلسنا البلاء، وفقدنا الصالحين من الإخوان - أو قال صالحي الإخوان - وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء، وما أعتذر إلى الأمير ألا أكون شيعت عليه، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري وأعلمه حالي فصدقه يزيد. فقال الحجاج: قد قبلت عذرك يا شعبي، وأمر بعطائه فرد عليه وقال: انصرف مصاحباً.

حدثنا يوسف بن موسى القطان عن جرير عن مغيرة قال: دخل الشعبي على الحجاج فقال له: ما الذي نقمت؟. قال: لا يسألني الأمير ما نقمت ولكن ليسلني لم بطرت.

عن عيسى الحناط قال: لما ظهر الحجاج على ابن الأشعث، جعل يؤتى بالناس فأتي بالشعبي فقال: هيه يا شعبي. قال: أصلح الله الأمير، أجدب الجناب واعترانا السهر، وامتلأنا رعباً، وأتينا فتنةً لم نكن فيها أبراراً أتقياء ولا فجاراً أقوياء. قال: صدق الشعبي، خلو سبيله.

عن الشعبي قال: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض وكرهت ترك عيالي وولدي، فأتيت يزيد بن أبي مسلم، وكان لي صديقاً، وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت: قد صرت إلى ما ترى؟ قال: إن الحجاج لا يكذب ولا يخدع ولكن قم بين يديه وأقر بذنبك واستشهدني على ما شئت، قال: فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا قائم بين يديه فقال: أعامر؟ قلت: نعم أصح الله الأمير. قال: ألم أقدم العراق فأحسنت إليك ووفدتك إلى أمير المؤمنين واستشرتك؟ قلت: بلى. قال: فأنى كنت في هذه الفتنة؟ قال: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأحزن بنا المنزل وأوحش الجناب وفقدنا صالحي الإخوان وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرةً أقوياء، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري. فصدقه يزيد، فقال الحجاج: هذا، لا من ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأحاديث كان وكان.

عن الشعبي قال: أتي بي الحجاج، فلما انتهيت إلى الباب لقيني يزيد بن أبي مسلم، فقال: إنا لله يا شعبي لما بين كفيك من العلم، وليس بيوم شفاعة، بؤ الأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو، ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال مثل مقالة يزيد. فقال لي الحجاج: وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا؟. فقلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، وضاق المسلك، واكتحلنا السهر واحتلسنا الخوف ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء.

فقال: صدق والله، ما بروا بخروجهم ولا قووا بحمد الله علينا إذ فجروا، أطلق عنه.

ثم قال: ما تقول في أم وأخت وجد؟. قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم : عثمان بن عفان، وعلي وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت. قال: ما قال فيها ابن عباس إن كان لمتقناً؟. قلت: جعل الجد أباً فأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيئاً. قال: فابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستة فأعطى الأخت النصف ثلاثة، والجد الثلث اثنين، والأم سدساً. قال: فأمير المؤمنين عثمان؟ قلت: جعلها أثلاثاً. قال: فزيد بن ثابت؟ قلت: جعلها من تسعة، أعطى الأم الثلث ثلاثة والجد أربعة، والأخت اثنين. قال: فأبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت النصف ثلاثة، والأم الثلث، والجد السدس. فقال: مروا القاضي أن يمضيها على قول أمير المؤمنين عثمان.

إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل! :

قال علقمة بن مرثد: لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهراً أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال: إن الأمير داخلٌ عليكما فجاء عمر يتوكأ على عصا له فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتباً أعرف أن في انفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله عز وجل فهل تريا لي في متابعتي

إيـاه فرجـاً؟ ففـال الحسـن: يـا أبـا عمـرو أجـب الأميـر، فـتكلم الشـعبي فـانحط فـي حبـل ابـن هبيـرة! فقـال: مـا تقـول أنـت يـا أبـا سـعيد؟ فقـال: أيهـا الأميـر قـد قـال الشـعبي مـا قـد سـمعت؛ قـال: مـا تقـول أنـت يـا أبـا سـعيد؟ فقـال: أقـول يـا عمـر بـن هبيـرة يوشـك أن ينـزل بـك ملـك مـن ملائكـة الله تعـالى فـظ غلـيظ لا يعصــي الله مــا أمـره فيخرجـك مـن سـعة قصـرك إلـى ضـيق قبـرك! يـا عمـر بـن هبيـرة إن تتـق الله يعصـمك مـن يزيـد بـن عبـد الملـك ولا يعصـمك يزيـد بـن عبـد الملـك مـن الله عـز وجـل! يـا عمـر بـن هبيـرة لا تـأمنْ أن ينظـر الله إليـك علـى أقـبح مـا تعمـل فـي طاعـة يزيـد بـن عبـد الملـك نظـرة مقـت فيغلـق بهـا بـاب المغفـرة دونـك! يـا عمـر بـن هبيـرة لقـد أدركـت ناسـاً مـن صـدر هـذه الأمـة كـانوا والله علـى الـدنيا وهـي مقبلـة أشـد إدبـاراً مـن إقبـالكم عليهـا وهـي مـدبرة؛ يـا عمـر بـن هبيـرة إنـي أخوفـك مقامـاً خوفكـه الله تعـالى فقـال: " ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ "؛ يـا عمـر بـن هبيـرة إن تـكُ مـع الله تعـالى فـي طاعتـه كفـاك بائقـة يزيـد بـن عبـد الملـك؛ وإن تـك مـع يزيـد بـن عبـد الملـك علـى معاصـي الله وكلـك الله إليـه؛ قـال: فبكـى عمـر وقـام بعبرتـه؛ فلمـا كـان مـن الغـد أرسـل إليهمـا بإذنهمـا وجوائزهمـا وكثـر منـه مـا للحسـن وكـان فـي جائزتـه للشـعبي بعـض الإقتـار، فخـرج الشـعبي إلـى المسـجد فقـال: يـا أيهـا النـاس مـن اسـتطاع مـنكم أن يـؤثر الله تعـالى علـى خلقـه فليفعـل، فوالـذي نفسـي بيـده مـا علـم الحسـن منـه شـيئاً فجهلتـه، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه!!.

كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير! :

قال: وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننـا حتـى تكـاد قلوبنـا تطيـر؟! فقـال الحسـن: والله لـئن تصـحب أقوامـاً يخوفونـك حتـى يدركك الأمـن خيـر لـك مـن أن تصـحب أقوامـاً يؤمنونـك حتـى يلحقك الخوف.

صفة أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم :

قـال لـه بعـض القـوم: أخبرنـا صـفة أصـحاب رسـول الله صـلي الله عليـه

وسلم ، قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد وممشاهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم؛ ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

رأيتُ ظلماً فاشياً:

وبعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، فدخلوا عليه فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربتَ من بابنا؟ قال: رأيتُ ظلماً فاشياً، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تُسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

كلام حكمة خرج من قلب خراب! :

سمع الشعبي الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول: أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء؛ فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء؛ فلا يغرنَّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، وأقصروا من الأمل لقصر الأجل؛ فقال: كلام حكمة خرج من قلب خراب!.

فضحتني!:

عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه: بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم فقص قصته عليه فقال: انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فخاصمهم إليه فقضى على إبنه فقال له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك، فضحتني! فقال: والله يا بني

لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله هو أعز علـى منك أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم.

إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون:

قال الشعبي: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها وبكت، فقلت: يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة؛ فقال: يا شعبي إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون.

متى ذهبت عينك؟ :

دخل الشعبي الحمام وفيه رجل حاسر، فغمض عينيه، فقال له الرجل: يا شيخ، متى ذهبت عينك؟ فقال: مذ أبدى الله عورتك.

سئل الشعبي عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فقالوا: ألا تستحي؟ فقال: ولم أستحي مما لم يستحي منه الملائكة حين قالت " لا علم لنا "؟

مع خطائك صواباً كثيراً:

قال الأصمعي: استأذن الشعبي على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأذن له، فلما مثل بين يديه قال: أنا الشعبي يا أمير المؤمنين، قال عن علم بك أذن لك، قال الشعبي: فعقدت أولة إلى أن قال: من أشعر الناس؟ فقال الأخطل: أنا ولم أعرفه فقلت: كذبت يا شيخ، امرؤ القيس أشعر منك، قال: صدقت، ولكن أمير المؤمنين سألني عن أهل زمانه فخبرته، فإذا كذبت امرءاً فاعرف ما خطب قولك، فعقدت في يدي ثانية أخطأت فيها، فنهض الشيخ فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين، فوجم، وعلمت أني قد أخطأت ثالثة، إذ صيرت أمير المؤمنين ولي مسألتي، فالتفت إلي عبد الملك فقال لي: هذا الأخطل؛ يا شعبي، لا يهولنك ما كان منك، فإن مع خطائك صواباً كثيراً.

ويحك أويدعك الشيطان تأكل لحمه! :

سأل رجل الشعبيّ عن أكل الذباب فقال: إن اشتهيت فكله. وسأل آخر الشعبي عن أكل لحم الشيطان فقال: ويحك ويدعك الشيطان تأكل لحمه؟ ارض منه بالكفاف.

ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا:

قال الشعبيّ في الشّيعة: أخذوا بصدورٍ لا أعجاز لها، وأعجازٍ لا صدور لها، لو كانوا من الطّير لكانوا رخماً، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمراً.

أنت أنت ذاك الرجل! :

قال الشعبي: حضرت مجلس زياد وحضره رجل فقال: أصلح الله الأمير، إن لي حرمة أفأذكرها؟ قال: هاتها، قال: رأيتك بالطائف وأنت غليم ذو ذؤابة وقد أحاط بك جماعة من الغلمان وأنت تركض هذا مرة برجلك وتنطح هذا مرة برأسك وتكدم هذا مرة بأسنانك، وكانوا مرة ينثالو عليك وهذه حالتك وحالهم، ومرة يندون عنك وأنت تتبعهم حتى كاثروك واستقووا عليك، فجئت حتى أخرجتك من بينهم وأنت سليم وكلهم جريح، قال: صدقت أنت أنت ذاك الرجل؟ قال: أنا ذاك، قال: حاجتك؟ قال: حاجة مثلي الغنى عن الطلب، قال: يا غلام أعطه كل سفراء وبيضاء عندك، ونظر فإذا قيمه ما يملك في ذلك اليوم أربعة وخمسون ألف درهم، فأخذها وانصرف، فقيل له بعد ذلك: أنت رأيت زياداً وهو غلام بهذه الحال؟ قال: إي والله لقد رأيته وقد اكتنفه صبيان صغيران كأنهما من سخال المعز، فلولا أدركته لظننت أنهما يأتيان على نفسه.

قال الشعبيّ: أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوماً فقلت: أعده عليّ فقال: أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد وقلت له حين أذن لي عليه: أن الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك. وكنيت عنده رجلا، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أميرالمؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال: إنا نكتّب ولا نكتَّب.

ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة:

قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن.

أي الشراب أحب إليك؟ :

استسقى الشعبي على مائدة قتيبة بن مسلم، فقال: يا أبا عمرو أي الشراب أحب إليك؟ فقال: أعزه مفقوداً، وأهونه موجوداً. فقال قتيبة: اسقوه الماء.

فأنقعها من أول الليل! :

سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية، قال: خللها، قال: أتخوف أن لا نبلها، قال: أن تخوفت فأنقعها من أول الليل.

أي الأصابع؟ :

روى الشعبي حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم : تسحروا ولو أن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعها في فمه. فقال رجل في المجلس: أي الأصابع؟ فتناول الشعبي إبهام رجله وقال هذه.

وسئل الشعبي: أكان الحجاج مؤمناً؟ قال: نعم، بالطاغوت.

إن لم يكن هذا متنا من الغم!:

ومزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم، هواء داخل، وهواء خارج.

من أقوال الشعبي :

قال الشعبي: الذي يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه.

الكلام مصائد العقول.

عليك بالصدق حيث تُرى أنه يضرك؛ فإنه ينفعك، واجتنب الكذب في موضع ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك.

قال الشعبي: لقد سمعت من عبد الملك بن مروان كلاماً على أعواده هذه حسدته عليه سمعته يقول: اللهم إن ذنوبي عظمت فجلت عن الصفة وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

وقال الشَّعبيّ لرجل قال له: ألا تنتقم من فلانٍ فقد عاداك ونصب لك؟ فقال:

ليست الأحلام في حال الرِّضا ::: إنما الأحلام في حال الغضبْ

ورُوي عن الشَّعبي أنه قال: " إنّ القلوب تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة ".

ما أفلح بخيلٌ قط. أما سمعتم قول الله تعالى:{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦].

قال حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم.

الشيب علة لا يعاد عنها ومصيبة لا يعزى عليها.

الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

عن الشعبي أن شريحاً قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي؛ وأحمده إذ رزقني الصبر عليها؛ وأحمده إذ وفقني للإسترجاع لما أرجو فيه من الثواب؛ وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

عن سعيد بن يزيد قال: سمعت الشعبي يتمثل:

أنت الفتى كل الفتى ::: إن كنت تصدق ما تقول

لا خير في كذب الجواد ::: وحبذا صدق البخيل

زينُ العلم حلمُ أهله.

السُّنة إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه، إذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعائهم.

قال الشعبي: قال لي عبد الملك جنبني ثلاثاً وأورد عليَّ ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحداً، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً.

وقال الشعبيُّ: تعايشَ الناسُ بالدينِ زمناً طويلاً حتى ذهبَ الدينُ ثمَّ تعايشَ الناسُ بالمروءةِ زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءةُ، ثم تعايشَ الناسُ بالحياءِ زمناً طويلاً حتى ذهبَ الحياءُ ثم تعايشَ الناسُ بالرغبةِ والرهبةِ وأظنُّ أنهُ سيأتي بعدَ هذا ما هو أشدُّ منه.

وسئل الشعبي عن حسن الخلق؟ قال: البذلة والعطية والبشر الحسن؛ قال هلال: وكان الشعبي كذلك.

فانتظرْ ماذا يخرجُ من رأسِك! :

وقال الشعبيُّ: مرضَ الأسدُ فعادَه السباعُ ما خَلا الثعلب، فقال الذئبُ: أيها الملكُ مرضتَ فعادَكَ السباعُ إلا الثعلبَ! قال: فإذا حضرَ فاعلمْني، قالَ: فبلغَ ذلكَ الثعلبَ فجاءَ فقالَ له الأسدُ: يا أبا الحصين عادني السباعُ كلُّهم فلمْ تعدني!! قال: بلغني مرَضُ الملِكِ فكنتُ في طلبِ الدواءِ! قال: فأيّ شيءٍ أصبتَ؟ قال: قالوا: خرزة في ساقِ الذئبِ ينبغي أن تُخرَجَ! قال: فضرَبَ الأسدُ بمخالبِهِ إلى ساقِ الذئبِ! فانسَلَّ الثعلبُ وقعدَ على الطريق، فمرَّ بهِ الذئبُ والدماءُ تسيلُ عليه! قال: فناداه الثعلبُ: يا صاحبَ الخفِّ الأحمرِ إذا قعدتَ بعدَ هذا عندَ السلطانِ فانتظرْ ماذا يخرجُ من رأسِك! وأما هذه فقد خرجتْ من رجلك.

وقال الشَّعْبِي: ما جاءَك عن أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم فخُذه ودَعْ ما يقول هؤلاء الصَّعافِقَة [١].

ما اختلفتْ أمةٌ بعدَ نبيِّها إلا ظهرَ أهلُ باطلِها على أهل حقها.

ما كُذب على أحد في هذه الأمة كما كُذب على علي رضي الله عنه.

قال ليثٌ: كنتُ أسألُ الشعبيَّ فيعرضُ عني ويجبهني بالمسألةِ فقلتُ: يا معشرَ العلماءِ يا معشرَ الفقهاءِ تروون عنا أحاديثكم وتجبهوننا بالمسألة

---

(١) قال ابن الأثير: (هم الذين يدخُلون السوق بلا رأس مالٍ؛ فإذا اشترى التَّاجرُ شيئاً دخل معَه فيه؛ وَاحِدُهم صَعْفَق؛ وقيل صَعْفُوق؛ وصَعْفَقِيّ؛ أرادَ أنَّ هؤلاء لا عِلم عندهم؛ فهم بمنْزلة التّجار الذين ليس لهم رأسُ مالٍ؛ وفي حديث آخر أنه [أي الشعبي] سُئِل عن رجُل أفطرَ يوماً من رمضان، فقالَ: ما يقولُ فيه الصَّعافِقة؟).

؟[١]! فقال الشعبي: يا معشر العلماء يا معشر الفقهاء!!! لسنا بفقهاءَ ولا علماءَ، ولكنا قومٌ قد سمعنا حديثاً فنحنُ نحدّثُكم بما سمعنا؛ إنما الفقيهُ مَن ورِعَ عن محارمِ الله والعالم من خاف الله.

وقال الشعبي: إنا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فرويناه ولكن الفقهاء من إذا علم عمل.

وسبّ الشعبيّ رجل، فقال له: إن كنت كاذباً يغفر الله لك، وإن كنت صادقاً يغفر الله لي.

الغضب غول الحلم.

وقال سفيان: حدثني رجل من أهل الكوفة قال: سئل عامر، يعني الشعبي، لما حضرته الوفاة بمن تأمرنا؟ قال: ما أنا بعالم ولا أترك عالماً، وإن أبا حصين الأسدي رجل صالح.

وقال مالك بن مغول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئاً.

لا تمنعوا العلمَ أهلَهُ فتأثّموا، ولا تحدّثوا بهِ غيرَ أهلِهِ فتأثموا.

كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم [٢].

قال الشعبي: يا طلاب العلم لا تطلبوا العلم بسفاهة وطَيْشٍ، اطلبوه بسكينة ووقارٍ وتُؤدَة.

إنما كان يطلبُ هذا العلمَ من اجتمعتْ فيه خصلتان: العقلُ والنسكُ، فإنْ كانَ عاقلاً ولمْ يكنْ ناسكاً قيلَ: هذا أمرٌ لا ينالُهُ إلا النُسّاك فلِمَ تطلبُه؟! وإنْ كانَ ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيلَ: هذا أمرٌ لا يطلبُهُ إلا العقلاءُ فلِمَ تطلبُه؟! قالَ الشعبيُّ: فقد رهبتُ أنْ يكونَ يطلبُهُ اليومَ منْ ليسَ فيهِ واحدةٌ منهما، لا عقلٌ ولا نسكٌ.

وعن الشعبي قال: من رق وجهه رق علمه.

---

(١) جاء في (لسان العرب) (٤٨٣/١٣): (وجَبَه الرجلَ يَجْبَهُه جَبْهاً: رَدَّه عن حاجتِه واستقبله بما يكره. وجَبَهْتُ فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غِلظة. وجَبَهْتُه بالمكروه إذا استقبلته به).

(٢) قال ابن تيمية تعليقاً على كلام الشعبي: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم.

وقال الشعبيُّ: لو أنَّ رجلاً سافرَ من أقصـى الشـامِ إلـى أقصـى اليمنِ فحفظَ كلمةً تنفعُهُ فيما يستقبلُ من عمرهِ رأيتُ أنَّ سفرَهُ لمْ يَضِعْ.

عن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده علي.

عن وادع بن الأسود عن الشعبي قال: ما أروي شيئاً أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيده.

العلمُ أكثرُ من عدد القطرِ فخذْ منْ كلِّ شيءٍ أحسنَهُ؛ ثمَّ تلا " فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ".

قال داود بن يزيد الأودي: قال لي الشعبي: يا أبا يزيد قم معي حتى أفيدك فمشيت معه وقلت: أي شيء يفيدني؟ قال: إذا سئلت عما لا تعلم فقل: الله أعلم به، فإنه علم حسن.

عن الشعبي قال: من قتل اثنين فهو جبار؛ ثم قرأ:{أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} [القصص: ١٩].

من كذب فهو منافق، ثم قال: ما أدري أيهما أبعد غوراً، يعني في النار، الكذب أو الشح.

ما تركَ أحدٌ في الدنيا شيئاً للهِ إلا أعطاهُ اللهُ في الآخرةِ ما هو خيرٌ له.

ما من خطيب يخطب إلا عرضت عليه خطبته يوم القيامة.

ما بكيتُ من زمانٍ إلا بكيت عليه.

قال الشعبي: إن كرام الناس أسرعهم مودة، وأبطؤهم عداوة، مثل الكوب من الفضة: يُبطئ الانكسار ويُسرع الانجبار، وإن لئام الناس أبطؤهم مودة، وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار: يسرع الانكسار ويبطئ الانجبار.

من اجتنبَ مجلسَ حيِّه كثُرَ علمُه وزكَى عملُه.

من زوَّجَ كريمتَهُ من فاسقٍ فقد قطعَ رحمَها.

قال الشعبي: لو أصبتُ تسعاً وتسعينَ وأخطأتُ واحدةً لأخذوا الواحدةَ وتركوا التسع والتسعين[1].

* * *

(١) يعني أن الناس يجمعون الزلات والعيوب ويحفظونها وينشرونها وإن كانت قليلة نادرة ويطوون المحاسن ويكتمونها وإن كثرت.

مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٦ / ٢٤٦، طبقات خليفة ت ١١٤٤، تاريخ البخاري ٦ / ٤٥٠، تاريخ البخاري الصغير ١ / ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، المعارف ٤٤٩، المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٩٢، أخبار القضاة ٢ / ٤١٣، المنتخب من ذيل المذيل للطبري ٦٣٥، الجرح والتعديل القسم الاول من المجلد الثالث ٣٢٢، الاكليل ٨ / ١٤٥، الحلية ٤ / ٣١٠، طبقات الشافعية للعبادي ٥٨، تاريخ بغداد ١٢ / ٢٢٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨١، سمط اللآلي ٧٥١، الجمع بين رجال الصحيحين ٣٧٧، تاريخ ابن عساكر، والاصل ٨ / ٣٤٢ ب، طبقات فقهاء اليمن ٧٠، اللباب ٢ / ٢١، معجم البلدان (شعب)، وفيات الاعيان ٣ / ١٢، تهذيب الكمال ص ٦٤٢، تاريخ الاسلام ٤ / ١٣٠، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٤، العبر ١ / ١٢٧، تهذيب التهذيب ٢ / ١١٤ آ، البداية والنهاية ٩ / ٢٣٠، غاية النهاية ت ١٥٠٠، طبقات المعتزلة ١٣٠، ١٣٩، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥، النجوم الزاهرة ١ / ٢٥٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٢، خلاصة تهذيب التهذيب ١٨٤، شذرات الذهب ١ / ١٢٦، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٤١.

كعب الأحبار

أعـلام التابعيـن

كعب الأحبار

هو: كعب بن ماتع، بن عمرو بن قيس من آل ذي رعين، وقيل: ذي الكلاع الحميري، وقيل: غير ذلك في اسم جده ونسبه، يكني أبا إسحاق، كان في حياة النبي صلي الله عليه وسلم رجلا، وكان يهوديا عالما بكتبهم، حتى كان يقال له: كعب الحبر، وكعب الأحبار.

وكان إسلامه في خلافة سيدنا عمر، وقيل: في خلافة الصديق، وقيل: إنه أسلم في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، ولكن تأخرت هجرته، فمن ثم لم يره، والأول هو الأصح والأشهر، وقد سكن المدينة وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحول في عهد سيدنا عثمان إلى الشام، فسكنها، إلى أن مات بحمص، في خلافة عثمان سنة اثنتين، أو ثلاث، أو أربع وثلاثين، والأول هو الأكثر، وقد كان عنده علم بكتب أهل الكتاب، والثقافة اليهودية، كما كان له حظ من الثقافة الإسلامية ورواية الأحاديث.

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم ، ولكنه مرسل؛ لأنه لم يلقَ النبي ولم يسمع منه، وعن عمر، وصهيب، والسيدة عائشة، وروى عنه من الصحابة معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وبقية العبادية، وعطاء بن أبي رباح، وغيره من التابعين.

وقد أثنى عليه العلماء، قال ابن سعد: ذكروه لأبي الدرداء فقال: " إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا " والظاهر أنه أراد مما يتعلق بكتب أهل الكتاب، وأخرج ابن سعد من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير، قال: قال معاوية: ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عند العلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين "، وقال فيه الحافظ ابن حجر في " الفتح ": كان من أخيار الأحبار.

رأي علماء الجرح والتعديل فيه:

وعلماء الجرح والتعديل، وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أي راوٍ، مهما تستر، لم يتهموه بالوضع والاختلاق، والجمهور على توثيقه، ولم نجد له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين، وقد ترجم له الإمام الذهبي ترجمة قصيرة في: " تذكرة الحفاظ "، وتوسع ابن عساكر في ترجمته، في: " تاريخ دمشق "، وأطال أبو نعيم في: " حلية الأولياء ".

في أخباره، وعظاته وتخويفه لعمر، وترجم له الحافظ ابن حجر في: " الإصابة "، و: " تهذيب التهذيب "، وتكاد تتفق كلمة النقاد على توثيقه.

مقالة سيدنا معاوية بن كعب:

ولكن قد يعكر على ما ذكرنا: ما ورد في حقه في الصحيح: روى البخاري في صحيحه بسنده، عن حميد بن عبد الرحمن: أنه سمع معاوية وهو يحدث رهطا من قريش بالمدينة - يعني لما حج في خلافته - وذكر كعب الأحبار، فقال: " إن كان من أصدق - وفي رواية: لمن أصدق - هؤلاء الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ".

وظاهر كلام معاوية، يخدش كعبا في بعض مروياته، كما يدل أيضا على أن الذين كانوا يحدثون بمعارف أهل الكتاب، كان فيهم صادقون، وأن كعبا كان من أصدق هؤلاء، ولكنها لا تدل على أنه وضاع أو كذاب.

وقد حسن العلماء الظن بكعب، فحملوا هذه الكلمة على محمل حسن قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور: " بدل من قبله فوقع في الكذب، قال والمراد بالمحدثين، أنداد كعب ممن كانوا من أهل الكتاب، وأسلموا، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم، فحدث عما فيها، قال: ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعبا كان أسد منهم بصيرة، وأعرف بما يتوقاه، وقال ابن حبان في " الثقات ": أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذابا، وقال ابن الجوزي: المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذابا، لا أنه يتعمد الكذب.

والظاهر: أن سيدنا معاوية رضي الله عنه لم يقل مقالته هذه في كعب الأحبار إلا بعد أن اختبره في مروياته، وآرائه، فوجد بعضها لا يوافق الحق والصدق، وأنه كان يذكر آراء، وأقوالا ليست صحيحة، وتحتاج إلى المراجعة والتثبت.

وليس أدل على هذا: من هذه الحادثة التي كانت بين معاوية، وكعب، فقد روى ابن لهيعة قال: حدثني سالم بن غيلان، عن سعيد بن أبي هلال: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟! فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإن الله قال:{وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف: ٨٤]، وهذا إن صح: يدل على أنه كان يذكر آراء من عند نفسه، وباجتهاده في بعض الروايات، وهي غير صحيحة، وإلا فلو كان موجودا في التوراة أو في غيرها لكان الأقرب في الرد أن يقول في الرد: وجدت ذلك في كتب الأولين.

وقد علق على هذه الحادثة الحافظ ابن كثير، فقال: وهذا الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في هذا الإنكار؛ فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب، يعني فيما ينقله، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه: أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل، مصحَّف، محرَّف، مختلق، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى، ورسول الله صلي الله عليه وسلم إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير، وفساد عريض. وتفسير كعب قول الله تعالى:{وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف: ٨٤] بأنه يربط خيله بالثريا غير صحيح، ولا مطابق للواقع؛ فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك، ولا إلى الترقي في أسباب السماوات، وإنما التفسير الصحيح: أن الله يسر له الأسباب أي الطرق، والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد، وكسر الأعداء، وكبت الملوك، وإذلال أهل الشرك فقد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا.

وكذلك: نجد أبا هريرة أيضا يراجع كعبا في بعض أقواله، فقد سأله عن الساعة التي في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله

تعالى شيئا، إلا أعطاه إياه، فيجيبه كعب: بأنها في جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا، ويبين له: أنها في كل جمعة، فيرجع كعب إلى التوراة، فيرى الصواب مع أبي هريرة، فيرجع إليه، وكذلك: نجد أبا هريرة يسأل عبد الله بن سلام، عن تحديد هذه الساعة، ويقول له: أخبرني ولا تضنَّ علي، فيجيبه ابن سلام، بأنها آخر ساعة في يوم الجمعة، فيرد عليه أبو هريرة بقوله: كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة، وقد قال الرسول:(**لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي؟!**)، وتلك الساعة لا يصلى فيها، فيجيبه بقوله: ألم يقل رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي**).

ولو أن الصحابة راجعوا أهل الكتاب في كل مروياتهم التي أخذوها عنهم، لكان من وراء ذلك خير كثير، ولخلت كتب التفسير من هذا الركام من الإسرائيليات، التي تصادم العقل السليم، والنقل الصحيح، ولكن هذا ما كان.

ومع هذا: لم نعلم أحدًا طعن فيه، ورماه بالكذب والاختلاق إلا ما كان من بعض المتأخرين.

ومهما يكن من شيء فقد تبين لنا أنه ما كان وضاعا يعتمد الكذب، وأن الإسرائيليات التي رواها، إن كان وقع فيها كذب، وأباطيل، فذلك يرجع إلى من نقل عنهم من أسلافه الذين حرفوا وبدلوا، وإلى بعض كتب اليهود التي حشيت بالأكاذيب، والخرافات وإما إلى خطئه في التأويل كما في قصة ذي القرنين، وزعم كعب أنه كان يربط خيله في الثريا، ويفسر بعض الآيات الواردة في القصة بذلك.

وإما إلى إستناده إلى الظن والحدس من غير دليل، كما في قصته مع الصحابي الجليل أبي هريرة في الساعة التي في يوم الجمعة، وزعمه أنها في جمعة واحدة في السنة، لا في كل جمعة، ثم رجوعه إلى ما رآه أبو هريرة من أنها في كل جمعة من العام.

ومع هذا: ترى أنه كان أولى به وأجمل وهو عالم مسلم، لو أنه تحرى الحق، والصدق، وميز في مروياته بين الغث والسمين، وما يجوز نقله، وما لا يجوز، فإن ناشر مثل هذا لا يخلو من مؤاخذة وإثم، وصدق رسول الله صلي

الله عليه وسلم حيث يقول: " من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين "، رواه مسلم، وكنا نحب لو أنه أراحنا من كل هذا الركام المتهافت، الذي سمم العقول والأفكار، وجرَّ على المسلمين البلاء.

ولم أر أحدًا طعن فيه بالوضع، أو الاختلاق، والكذب، إلا ما قاله بعض المتأخرين كما أسلفت، وكان كثير النقل عن كتب أهل الكتاب، ويظهر أنه كانت له ثقافة واسعة بكتب الأولين، وحكمهم، وأخبارهم، وقد ذكر عنه ابن كثير في بدايته حكما صائبة، ومواعظ كثيرة، وقصصا استغرقت بضعا وعشرين صحيفة، وليس فيها ما يستنكر إلا القليل وكذلك نقل عنه في التفسير روايات كثيرة جدا، وجلها من الإسرائيليات.

ونحن لا ننكر أنه بسببه دخل في كتب التفسير إسرائيليات، وقصص بواطل، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك، واختلقه من عند نفسه، ولكنا مع هذا: لا نخليه من التبعة، والمؤاخذة؛ أن كان واسطة من الوسائط التي نقلت هذا إلى المسلمين، وألصقت بالتفسير إلصاقا، والقرآن منها بريء ويا ليته ما فعل[١].

مواقف من حياة كعب :

فقال الخصب: وأنا لاحق بمصر:

قال المسعودي: وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الشخوص إلى العراق - حين بلغه ما عليه الأعاجم من الجمع ببلادهم - سأل كعب الأحبار عن العراق، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله لما خلق الأشياء ألحق كل شيء بشيء، فقال العقل: أنا لا حق بالعراق، فقال العلم: وأنا معك، فقال المال: وأنا لاحق بالشام، فقالت الفتن: وأنا معك، فقال الخصب: وأنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك، فقال الفقر: وأنا لاحق بالحجاز فقالت القناعة: وأنا معك فقال الشقاء: وأنا لاحق بالبوادي، فقالت الصحة: وأنا معك.

---

(١) محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ص ١٣١ وما بعدها.

فينحّيك فيكون نقصاً عليك:

تباعد كعب الأحبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أميرالمؤمنين! إنّ في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعلّه يأتيه من هو آثر عنده منك فينحّيك فيكون نقصاً عليك.

الهدية تفقأ عين الحكيم:

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كانت الهدية فيما مضى هدية، أما اليوم فهي رشوة. وقال كعب الأحبار: قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه: الهدية تفقأ عين الحكيم.

وقال الشاعر:

إذا أتت الهدية باب قومٍ ::: تطايرت الأمانة من كواها

ما يمنعك من أن تجلس على الوسادة؟! :

ودخل كعب الأحبار على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على فراش، وهم يمينه ويساره وسادتان، فقال له عمر رضي الله عنه: اجلس يا أبا إسحاق، وأشار بيده إلى الوسادة، فثناها كعب وجلس على البساط. فقال له عمر رضي الله عنه: ما يمنعك من أن تجلس على الوسادة؟ قال: فيما أوصى سليمان بن داوود عليهما السلام: لا تغش السلطان حتى يملّك، ولا تنقطع عنه حتى ينساك، وإذا دخلت عليه فاجعل بينك وبينه مجلس رجلٍ أو رجلين، فعسى أن يأتي من هو أولى منك بذلك المجلس. فاستلقى عمر رضي الله عنه وقال:{وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾} [الأعراف: ١٥٩].

أخبرني عن البيت الحرام! :

قال: وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب الأحبار فقال: أخبرني عن البيت الحرام؟ فقال كعب: أنزله الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم، فقال له: يا آدم إن هذا بيتي أنزلته معك، يطاف حوله كما يطاف حول عرشي،

ويصلي حوله كما يصلى حول عرشي. ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضعوا البيت عليه. فكان آدم يطوف حوله كما يطاف حول العرش، ويصلي عنده كما يصلى عند العرش. فلما أغرق الله تعالى قوم نوح، رفعه إلى السماء وبقيت قواعده. وقال وهب بن منبه: كان البيت الذي بوأه الله تعالى لآدم عليه السلام يومئذ من ياقوت الجنة. وكان من ياقوتة حمراء تلتهب، لها بابان: أحدهما شرقي والآخر غربي. وكان فيه قناديل من نور آنيتها ذهب من تبر الجنة. وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض. والركن يومئذ نجم من نجومه وهو يومئذ ياقوتة بيضاء. والله أعلم

ما هكذا تقول التوراة يا أبا مسلم:

وعن أبي مسلم الخولاني أن كعب الأحبار قال له: كيف تجد لك قومك يا أبا مسلم؟ قال: أجدهم يا أبا إسحاق يجلوني ويكرموني، فقال له كعب: ما هكذا تقول التوراة يا أبا مسلم، فقال أبو مسلم: وكيف تقول التوراة يا أبا اسحاق؟ فقال كعب: يا أبا مسلم إن التوراة تقول إن أعدى الناس بالرجل الصالح قومه، يخاصمه الأقرب فالأقرب لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، قال أبو مسلم: وصدقت التوراة.

من كلام كعب :

وقال كعب الأحبار: لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أتصدق بوزني ذهبًا.

عن كعب الأحبار أنه قال: ينادى يوم القيامة: إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب.

وعن كعب الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت إلا مصر، فقيل له: ولم؟ فقال: لأنها معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، وهو بلد مبارك لأهله فيه.

قال كعب الأحبار: كان يحيى بن زكريا عليهما السلام حسن الوجه والصورة، لين الجناح، قصير الأصابع، طويل الأنف. مقرون الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قوياً في طاعة الله عز وجل وقد ساد الناس في عبادته.

وسئل كعب الأحبار عن السلطان فقال: ظل الله في أرضه من ناصحة اهتدى ومن غشة ضل

عن كعب الأحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك

روى كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل إلى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان إذا كسرت رجله مشى بالأخرى إلا النعام فإنه يبرك إلى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل أنه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال إن القناص إذا أدركها أدخلت رأسها في شيء له شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الأذى يقال أنها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل أن الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه ما دام الأبوان حاضرين لأنهما إذا راياه ركضه الذكر إلى أن يسلمه إلى الأنثى فتركضه إلى أن تسلمه إلى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان لأصمان ا يسمعان النعام والأفاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما إلى سمع.

وقال كعب الأحبار: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس، فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا مكانهم.

قال كعب الأحبار: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الصائم بالنهار، الظامئ بالهواجر.

وقال كعب الأحبار: إذا أحببتم أن تعملوا: ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن ثناء.

عن كعب الأحبار: أن الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتى بلغ بحر الهوكند وهو بحر الصين، فقال لهم: دلوني، فدلوه أياما وليالي، ثم صعد، فقالوا: ما رأيت؟ فقال: استقبلني ملك فقال: أيها الآدمي الخطاء إلى أين؟ فقلت: أردت أن انظر عمق هذا البحر، قال: وكيف وقد هوى فيه رجل من زمن داود فلم يبلغ ثلث قعره إلى الساعة، وذلك منذ ثلثمائة سنة.

وقال كعب الأحبار: قسم الله الحسن عشرة أعشار، فأعطى آدم تسعة أعشار، ونصف العشر الباقي يوسف عليه السلام، والنصف الآخر سائر الناس.

وسمع كعب الأحبار من يقرأ: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فالقى إلى مسكين رداءه، فقيل له، فقال: مكتوب في التوراة: ليس ينبغي لأحد أن يسمعها إلا فلذ من ماله فلذة، ولم يكن معي إلا ردائي.

وقال كعب الأحبار لأبي هريرة رضي الله عنه: في التوراة من يظلم يخرب بيته. قال أبو هريرة: وذلك في كتاب الله تعالى:{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ} [النمل: ٥٢]، فالظلم أدعى شيء إلى سلب النعم وحلول النقم.

وغضب كعب الأحبار على غلامه فحذفه بالدواة فشجه، فقيل له: أنت في حلمك تغضب؟ قال: قد غضب خالق الحلم.

وعن كعب الأحبار قال: من خشي أن يتخم من طعام أو شراب فليقرأ: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨] الآية، فإنه لم يتخم إن شاء الله تعالى.

وروي عن كعب الأحبار قال: مكتوب في التوراة: ليكن وجهك سبطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

وعن كعب الأحبار. أن رجلاً من بني إسرائيل أتى فاحشة فدخل نهراً يغتسل فيه، فناداه الماء: يا فلان ألا تستحي ألم تتب من هذا الذنب؟ فقلت: إنك

لا تعود فيه؟ فخرج من الماء فزعاً وهو يقول: لا أعصي الله، فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله فلم يزل معهم حتى تخطوا موضعهم فنزلوا يطلبون الكلأ، فمروا على ذلك النهر، فقال الرجل: أما أنا فلست بذاهب معكم، قالوا له: لم؟ قال: لأن ثم من قد اطلع مني على خطيئةٍ فأنا أستحيي منه أن يراني، فتركوه ومضوا، فناداهم النهر: يا أيها العباد! ما فعل صاحبكم؟ قالوا: زعم لنا أن هاهنا من قد اطلع منه على خطيئةٍ فهو يستحيي منه أن يراه، قال: يا سبحان الله! إن بعضكم ليغضب على ولده أو على قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحبه، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحب فأنا أحبه، فأتوه فأخبروه، واعبدوا الله على شاطئي. فأخبروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون الله زماناً، ثم إن صاحب الفاحشة توفي، فناداهم النهر: يا أيها العباد والعبيد الزهاد! غسلوه من مائي وادفنوه على شاطئي حتى يبعث يوم القيامة من قربي، ففعلوا به ذلك، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكي، فإذا أصبحنا سرنا، فباتوا على قبره يبكون، فلما جاء وجه السحر غشيهم النعاس، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سروة، فكان أول سروٍ أنبته الله تعالى على وجه الأرض، فقالوا: ما أنبت هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب عبادتنا فيه، فأقاموا يعبدون الله على قبره، كلما مات منهم رجلٌ دفنوه إلى جانبه حتى ماتوا بأجمعهم، قال كعب: فكانت بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم.

وقال كعب الأحبار: ان النيل هو نهر العسل في الجنة، والفرات هو نهر الخمر في الجنة، وسيحان هو نهر الماء في الجنة، وجيحان هو نهر اللبن في الجنة، وقيل: إن عناصر هذه الأنهار الأربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى، وقيل: من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم.

فائدة بذلك وهى: أن الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الأربعة على كل قائمة اسم نهر، وهى سيحان وجيحان والنيل والفرات، فإنها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح، وأما نهر مهران بأرض الهند فقيل: أنه فرقة من النيل، وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع.

وقال كعب الأخبار رضي الله عنه: " خلق الله تعالى آدم، وكتب بيده،

وغرس الجنة بيده، ثم قال لها تكلمي "، فقالت: قد أفلح المؤمنون

وعن كعب الأحبار أنه قال: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة.

وقال كعب الاحبار رضى الله عنه: إن بين السماء والأرض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤوسها كرؤوس الخيل، ولها ذوائب النساء، ولها أجنحة طوال وليس لها في السماء ملجأ ولا في الأرض مأوى، وأنها تبيض وتفرج على السحاب في الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء. ويقرب من ذلك أن الطير المسمى بالحجل يعشش في الهواء وأنه يلقح في الهواء كما تلقح النخلة من النخيل، وأنه يأتى إلى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها ويحضنه فإذا تحرك الفرخ في البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التي باضته في الأصل ولا يقيم في الهواء ويقال: إن العقاب لا يسافد أنثاه وأن الذي يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحل السكران. قيل: إن الحجل يكون في أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون في أعالى الريح فيلقح منه وقيل في المعنى

ما أنت الا كالعقاب فأمه ::: معلومة وله أب مجهول

وقال يحيى بن سعيد: جلت البلاد فما رأيت الورع ببلد من البلدان أعرفه إلا بالمدينة وبمصر. وقال خالد بن يزيد: كان كعب الأحبار يقول: لولا رغبتي في الشام لسكنت مصر؛ فقيل: ولم ذلك يا أبا إسحاق؟ قال: إني لأحب مصر وأهلها؛ لأنها بلدة معافاة من الفتن، وأهلها أهل عافية، فهم بذلك يعافون، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، وهو بلد مبارك لأهله فيه.

وعن كعب الأحبار أنه قال: من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة، فلينظر إلى مصر إذا أخرفت وغذا أزهرت، وإذا اطردت أنهارها، وتدلت ثمارها، وفاض خيرها، وغنت طيرها.

وعن عياش بن عباس: أن كعب الأحبار سأل رجلا يريد السفر إلى مصر، فقال له: أهد لي تربة من سفح مقطمها، فأتاه منه بجراب، فلما حضرت كعباً

الوفاة أمر به ففرش في لحده تحت جنبه.

وعن كعب الأحبار أنه قال: إنه موضع الحاجات والمواهب من الله عز وجل لا يرد سائلاً فيه [(١)].

* * *

(١) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٧ / ٤٤٥، طبقات خليفة: ت ٢٨٩٥، المحبر: ١٣١، التاريخ الكبير ٧ / ٢٢٣، التاريخ الصغير ١ / ٦٢، المعارف: ٤٣٠، الجرح والتعديل ٧ / ١٦١، جمهرة أنساب العرب: ٤٣٤، تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٢٨٠ آ، أسد الغابة ٤ / ٤٨٧، تهذيب الاسماء واللغات ١ / ٢ / ٦٨، تهذيب الكمال: ١١٤٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٤٩، العبر ١ / ٣٥، تهذيب التهذيب ٣ / ١٧٠ آ، الاصابة ٣ / ٣١٥، تهذيب التهذيب ٨ / ٤٣٨، النجوم الزاهرة ١ / ٩٠، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٧٣، شذرات الذهب ١ / ٤٠.

إبراهيم النخعي

أعـلام التابعيـن

إبـراهيم النـخعي

الإمـام، الحـافظ، فقيـه العـراق، أبـو عمـران، إبـراهيم بـن يزيـد بـن قيس بـن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد.

روى عن خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وأبي زرعة البجلي، وخيثمة بن عبد الرحمن، والربيع بن خثيم، وأبي الشعثاء المحاربي، وسهم بن منجاب، وسويد بن غفلة، والقاضي شريح، وشريح بن أرطاة، وأبي معمر عبد الله بن سخبرة، وعبيد بن نضيلة، وعمارة بن عمير، وأبي عبيدة بن عبد الله، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخاله عبد الرحمن بن يزيد، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين.

ولم نجد له سماعا من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة كالبراء وأبي جحيفة وعمرو بن حريث.

وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع، على أن روايته عنها في كتب أبي داود والنسائي والقزويني، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل مع عدهم كلهم لإبراهيم في التابعين، ولكنه ليس من كبارهم، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، رحمه الله تعالى.

روى عنه خلق كثير منهم: الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وحماد بن أبي سليمان تلميذه، وسماك بن حرب، ومغيرة بن مقسم تلميذه، وأبو معشر بن زياد ابن كليب، وأبو حصين عثمان بن عاصم، ومنصور بن المعتمر، وعبيدة بن معتب وإبراهيم بن مهاجر، والحارث العكلي، وسليمان الأعمش، وابن عون، وشباك الضبي، وشعيب بن الحبحاب، وعبيدة بن معتب، وعطاء بن السائب، وعبد الرحمن بن أبي الشعثاء المحاربي، وعبد الله بن شبرمة، وعلي بن مدرك، وفضيل ابن عمرو الفقيمي، وهشام بن عائذ الأسدي، وواصل بن

حيان الأحدب، وزبيد اليامي، ومحمد بن خالد الضبي، ومحمد بن سوقة، ويزيد بن أبي زياد، وأبو حمزة الأعور ميمون، وخلق سواهم.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وقد أدرك منهم جماعة، ورأى عائشة.

وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا، فقيها، متوقيا، قليل التكلف وهو مختف من الحجاج.

عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: كان الشعبي وإبراهيم وأبو الضحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث، فإذا جاءهم شيء ليس فيه عندهم رواية، رموا إبراهيم بأبصارهم.

قال يحيى بن معين: مراسيل إبراهيم أحب إلي من مراسيل الشعبي. قال ابن عون: وصفت إبراهيم لابن سيرين، قال: لعله ذاك الفتى الأعور الذي كان يجالسنا عند علقمة، كان في القوم وكأنه ليس فيهم.

عن إبراهيم، قال: ما كتبت شيئا قط.

قال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير.

وقال طلحة بن مصرف: ما بالكوفة أعجب إلي من إبراهيم وخيثمة.

قال فضيل الفقيمي: قال لي إبراهيم: ما كتب إنسان كتابا إلا اتكل عليه.

وقال سعيد بن جبير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟.

قال الحاكم: كان إبراهيم النخعي يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود.

وكان يبغض المرجئة ويقول: لأنا على هذه الأمة - من المرجئة - أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة.

توفي وله تسع وأربعون سنة.

كان إبراهيم يصوم يوما ويفطر يوما.

قال ابن عون،: كان إبراهيم يأتي السلطان، فيسألهم الجوائز.

عن العلاء بن زهير، قال: قدم إبراهيم على أبي وهو على حلوان، فحمله على برذون، وكساه أثوابا، وأعطاه ألف درهم فقبله.

قال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلي ثم يأتينا، فيمكث ساعة كأنه مريض.

عن حماد، قال: بشرت إبراهيم بموت الحجاج، فسجد، ورأيته يبكي من الفرح.

وقال يحيى القطان: مات وهو ابن نيف وخمسين بعد الحجاج بأربعة أشهر أو خمسة.

قال أبو حمزة الثمالي: كنت عند إبراهيم النخعي، فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، إن الحسن البصري يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. فقال رجل: هذا من قاتل على الدنيا، فأما قتال من بغى، فلا بأس به. فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابنا عن ابن مسعود. فقالوا له: أين كنت يوم الزاوية؟ قال: في بيتي. قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي. قالوا: فإن علقمة شهد صفين مع علي. فقال: بخ بخ، من لنا مثل علي بن أبي طالب ورجاله.

عن شعيب بن الحبحاب، قال: كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلا سابع سبعة أو تاسع تسعة. فقال الشعبي: أدفنتم صاحبكم؟ قلت: نعم. قال: أما إنه ما ترك أحدا أعلم منه، أو أفقه منه. قلت: ولا الحسن ولا ابن سيرين؟ قال: نعم، ولا من أهل البصرة، ولا من أهل الكوفة، ولا من أهل الحجاز. وفي رواية: ولا من أهل الشام.

وقيل: إن إبراهيم لما احتضر جزع جزعا شديدا، فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولا يرد علي من ربي إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة.

عن الأعمش، قال: جهدنا أن نجلس إبراهيم النخعي إلى سارية، وأردناه على ذلك فأبى، وكان يأتي المسجد وعليه قباء وريطة معصفرة. قال: وكان يجلس مع الشرط.

قال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكيا، حافظا، صاحب سنة.

قال مغيرة: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب لقاءه خرجت الجارية فقالت: اطلبوه في المسجد.

عن إبراهيم، قال: أتى رجل، فقال: إني ذكرت رجلا بشيء، فبلغه عني، فكيف أعتذر إليه؟ قال: تقول: والله إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء.

مواقف من حياة إبراهيم النخعي:

ولم لا أبكي! :

قال قيس بن الربيع: بلغني أن إبراهيم النخعي بكى عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مبشراً يبشرني بالجنة أو بالنار. والله لوددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث.

والله ما أبصر إلاّ ما بصّرني غيري:

وأراد بعض الأمراء أن يولّي إبراهيم النخعيّ القضاء وعلم أنه لا يتخلّص منه بالإباء من ذلك فقال له: والله ما أبصر إلاّ ما بصّرني غيري يعني الله تبارك وتعالى يوهمه العمى فتخلّص منه.

نزغة من نزغات الشيطان:

قال علي بن محمد: كان سبب حبس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم [1] أنه إبراهيم النخعي فلم يستحل أن يدله عليه فجاء به الحجاج فأمر بحبسه في الديماس ولم يكن لهم ظل من الشمس ولا كن من البرد وكان كل اثنين في سلسلة فتغير إبراهيم فجاءته أمه في الحبس فلم تعرفه حتى كلمها فمات في السجن فرأى الحجاج في منامه قائلا يقول مات في هذه

(١) أي يحسب.

الليلة رجل من أهل الجنة فلما اصبح قال هل مات الليلة أحد بواسط؟ قالوا: نعم، إبراهيم التيمى مات في السجن؛ فقال: حلم، نزغة من نزغات الشيطان، فأمر به فألقي على الكناسة.

علي أحب إلي من عثمان:

عن جريرعن أبي إسحاق إبراهيم النخعي قال: علي أحب إلي من عثمان ولأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتناول عثمان بسوء.

رموا بأبصارهم إلى إبراهيم النخعي:

قال إسماعيل بن أبي خالد: كان الشعبي وأبو الضحى وإبراهيم وأصحابنا يجتمعون في المسجد فيتذاكرون الحديث فاذا جاءتهم فتيا ليس عندهم منها شيء رموا بأبصارهم إلى إبراهيم النخعي.

احتيج إلي؟! :

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم النخعي قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب يقول: احتيج إلي؟! احتيج إلي؟!

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري؟! :

وقال أبو حصين: أتيت إبراهيم النخعي أسأله عن شيء فقال: ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري.

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء:

وعن ميمون بن أبي حمزة قال: قال لي إبراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

كنا نهاب إبراهيم النخعي كما نهاب الأمير:

وقال أشعث بن سوار: جلست إلى إبراهيم النخعي ما بين العصر إلى المغرب فلم يتكلم فلما مات سمعت الحكم وحماداً يقولان: قال إبراهيم، فأخبرتهما بجلوسي إليه فلم يتكلم! فقالا: أما إنه لا يتكلم حتى يُسأل.

وقال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم النخعي كما نهاب الأمير.

إياك وإياهم:

قال أبو حمزة الأعور: لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت إبراهيم النخعي فقلت: يا أبا عمران أما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات؟! فقال: أوه! لفقوا قولاً واخترعوا ديناً من قِبَل أنفسهم، ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقالوا: هذا هو الحق، وما خالفه باطل؛ لقد تركوا دين محمد صلي الله عليه وسلم ؛ إياك وإياهم.

الجور في الطريق خير من الجور في الدين. :

وعن سفيان عن واصل الأحدب قال: رأى إبراهيم النخعي أمير حلوان يسير في زرع فقال إبراهيم: الجور في الطريق خير من الجور في الدين.

فطلى وجهه بطلاء وشرب دواء:

وقال معاذ بن معاذ: حدثنا ابن عون قال: ذكر إبراهيم النخعي أنه أرسل إليه زمان المختار بن أبي عبيد فطلى وجهه بطلاء وشرب دواء ولم يأتهم فتركوه.

من كلام إبراهيم النخعي:

قال إبراهيم النَّخعيّ إنّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرَّحمة فتعمُّ من حوله، وإنّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السَّخطة فتعمُّ من حوله.

إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال.

كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى.

ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.

ما رأيت راكباً أحسن من زبدٍ على تمر.

وقال إبراهيم النخعي: لو كنت ممن أعان على الحسين ثم قيل: لي ادخل الجنة لاستحييت أن يراني رسول الله صلي الله عليه وسلم فيها.

إني لأرى الشيء مما يعاب فما يمنعني من عيبه إلاّ المخافة إنَّ أبتلى به.

وسأل إبراهيم النَّخعيُّ عامراً الشَّعبيَّ عن مَسألة فقال: لا أدري فقال: هذا والله العالِم سُئِل عمّا لا يَدْري فقال: لا أدري.

وكان إبراهيمً النَّخعيّ في طَريق فلَقِيه الأعْمَش فانصرف معه فقال له: يا إبراهيم إنّ الناسَ إذا رأوْنا قالوا: أعمش وأعور قال: وما عَليك أن يَـأْثموا ونؤجر قال: وما عليك أن يَسْلَموا ونَسْلَم.

دع الاعتذار فانه يخالط الكذب

وقال إبراهيم النخعي: كم بينكم وبين أقوام أقبلت الدنيا عليهم فهربوا منها، وأدبرت عنكم فتبعتموها؟.

وقال إبراهيم النخعي: ثلاث كانوا لا يعدونهن من الغيبة: الإمام الجائر والمبتدع والفاسق المجاهر بفسقه.

إذا تخالجك أمران، فإن أحبهما إلى الله أيسرهما.

وقال: كان من كان قبلكم في أشفق الثياب وأشفق القلوب.

وقال: كان من كان قبلكم من أهل الميسرة خصبهم في بيوتهم، وكان في اللباس تجوز، فكانوا يبدؤون فيغلقون عليهم أبوابهم، قال: فإن كان فضلاً فعلى الأقارب، وإن كان فضلاً فعلى الجيران، وإن كان فضلاً فها هنا وها هنا؛ وكان يعجبهم أن يكون في بيوتهم التمر للزائرين والسائل.

قال محمد بن سوقة: زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول: كنا إذا حضرنا الجنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار؛ قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم.

وقال: كانوا يستحبون الزيادة ويكرهون النقصان أي في العمل وإلا فشيء ديمة، وكان إذا فاتهم شيء من الليل قضوه بالنهار.

كانوا يكرهون الطلب في أطارف الأرض.

كانوا يطلبون الدنيا فإذا بلغوا الأربعين طلبوا الآخرة.

النظر في مرآة الحجام دناءة.

عن إبراهيم النخعي قال: من ابتغى شيئاً من العلم يبتغي به وجه الله عز وجل آتاه الله منه ما يكفيه.

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى هديه وإلى سمته.

احذروا الكذابين.

وقال إبراهيم النخعي: إني لأسمع الحديث فانظر إلى ما يؤخذ به فآخذ به وأدع سائره.

وقال إبراهيم النخعي: ما خاصمت أحداً قط.

الكذب يفطر الصائم.

كانو يكرهون أن يصغروا المصحف، قال: وكان يقال: عظموا كتاب الله.

عن الأعمش قال: سمعت إبراهيم النخعي يقول: كانوا يكرهون أن يسموا العبد عبد الله يخافون أن يكون ذلك عتقاً، وكانوا يكرهون أن يظهروا صالح ما يسرون يقول الرجل: إني لأستحي أن أفعل كذا وكذا وأصنع كذا وكذا وكانوا يعطون الشيء ويكرهون أن يقولوا: أعطيك احتسب به الخير أو يقولون: حر لوجه الله، وكانوا يعطون ويسكتون ولا يقولون شيئاً.

يهلك الناس في خلتين: فضول المال وفضول الكلام.

قال الحارث العكلي: كنت آخذاً بيد إبراهيم النخعي فذكرت رجلاً فتنقصته فلما دنونا من باب المسجد انتزع يده من يدي وقال: اذهب فتوضأ، قد كان يعدون هذا هجراً.

إن الأغنياء لا يعطونك بقدر ما يغنونك، إنما يعطونك بقدر ما يفضحونك.

كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في الله [1].

* * *

(١) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٦ / ٢٧٠، طبقات خليفة ت ١١٤٠، تاريخ البخاري ١ / ٣٣٣، المعارف ٤٦٣، المعرفة والتاريخ ٢ / ١٠٠ و٦٠٤، الجرح والتعدل القسم الأول من المجلد الاول ١٤٤، الحلية ٤ / ٢١٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الاول ١٠٤، وفيات الأعيان ١ / ٢٥، تهذيب الكمال ص ٦٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٦٩، تاريخ الإسلام ٣ / ٣٣٥، العبر ١ / ١١٣، تهذيب التهذيب ١ / ٤٥ آ، البداية والنهاية ٩ / ١٤٠، غاية النهاية ت ١٢٥، تهذيب التهذيب ١ / ١٧٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٩، خلاصة تهذيب التهذيب ٢٣ شذرات الذهب ١ / ١١١.

عبد الله بن المبارك
المبارك المبارك

أعـلام التابعيـن

عبد الله بن المبارك

في مدينة مرو سنة 118هـ ولد عبد الله بن المبارك ونشأ بين العلماء نشأة صالحة، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ودرس الفقه، وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره، فقد كان سريع الحفظ، لا ينسى ما يحفظه أبدًا، يحكي أحد أقربائه واسمه صخر بن المبارك عن ذلك فيقول: كنا غلمانًا في الكتاب، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب، فأطال خطبته، فلما انتهى قال لي ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم، فقال: هاتها، أسمعنا إن كنت حفظتها كما تدَّعي، فأعادها عليه ابن المبارك وقد حفظها ولم يخطئ في لفظ منها.

وفي الثالثة والعشرين من عمره رحل عبد الله إلى بلاد الإسلام الواسعة طلبًا للعلم، فسافر إلى العراق والحجاز.. وغيرهما، والتقى بعدد كبير من علماء عصره فأخذ عنهم الحديث والفقه، فالتقى بالإمام مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة النعمان، وكان عبد الله كلما ازداد علمًا، ازداد خوفًا من الله وزهدًا في الدنيا، وكان إذا قرأ كتابًا من كتب الوعظ يذكره بالآخرة وبالجنة والنار، وبالوقوف بين يدي الله للحساب، بكى بكاء شديدًا، واقشعر جسمه، وارتعدت فرائصه، ولا يكاد يتكلم أحد معه.

وكان عبد الله يكسب من تجارته مالا كثيرًا، وها هو ذا يعطينا درسًا بليغًا في السلوك الصحيح للمسلم، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو علي وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلاً لعبد الله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام كيف ذا؟! فقال له عبد الله بن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأُكْرِم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقًّا إلا سارعت إليه حتى أقوم به، وكان عبد الله بن المبارك لا يبخل على أحد بماله،

بل كان كريمًا سخيًّا، ينفق على الفقراء والمساكين في كل سنة مائة ألف درهم.

وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء وجود، حتى عوتب في ذلك فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلي الله عليه وسلم لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثّ العلم.

وكان ابن المبارك يحبُّ مكة، ويكثر من الخروج إليها للحج والزيارة، وكان كلما خرج من مكة قال:

بُغْضُ الحياةِ وخوْفُ اللَّهِ أخرجنَي وَبيعُ نَفْسي بما لَيسَتْ لَهُ ثمَنَا

إني وزنْتُ الَّذي يبْقَي لِيعْدلَه ما ليس يبْقي فَلا واللَّهِ ما اتَّزَنَا

وكان عبد الله بن المبارك يجاهد في سبيل الله بسيفه، حتى إن كثيرًا ممن أتوا ليستمعوا إلى علمه، كانوا يذهبون إليه فيجدونه في الغزو، وكان يرى أن الجهاد فريضة يجب أن يؤديها المسلمون كما أداها الرسول صلي الله عليه وسلم ويروى عنه أنه أرسل إلى صاحبه الفضيل بن عياض يحثُّه على قتال الأعداء، ويدعوه إلى ترك البكاء عند البيت الحرام قائلاً له:

يا عابدَ الحرَمَيْن لو أبْصَرْتَنا ::: لَعلِمْتَ أنَّكَ في العبَادةِ تَلْعَبُ

من كان يَخْضِبُ خدَّه بدُمُوعِه ::: فنحوُرنا بدمائِنا تتخضَّب

أوْ كان يُتْعب خيلَه في باطل ::: فخيولُنا يوم الصبيحة تَتْعبُ

ريح العبير لكم، ونحن عبيرُنا ::: رَهَجُ السَّنَابك والغبارُ الأطيبُ

وأحبَّ عبد الله بن المبارك أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم حبًّا عظيمًا وكان لا يجيب أحدًا يسأله عن حديث منها وهو يمشي، ويقول للسائل: ليس هذا من توقير العلم.

وكان حفّاظ الحديث في الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا:

مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله - يقصدون عبد الله بن المبارك -.

ولقد اجتمع نفر من أصحابه يومًا وقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة والزهد، والورع، والإنصاف، وقيام الليل، والعبادة، والفروسية، والشجاعة، والشدة في بدنه، وترك الكلام في ما لا يعنيه.. حتى أجهدهم العدُّ.

ولقد قدر الناس عبد الله بن المبارك وزادت مهابته لديهم على مهابة هارون الرشيد.. رُوي أن هارون الرشيد قدم ذات يوم إلى الرقَّة فوجد الناس يجرون خلف عبد الله بن المبارك لينظروا إليه، ويسلموا عليه، فنظرت زوجة هارون الرشيد من شباك قصرها، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟! قالوا: عالم من خراسان قدم الرقَّة يقال له عبد الله بن المبارك) فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بالشرطة والأعوان.

وفي يوم من أيام شهر رمضان سنة 181هـ توفي عبد الله بن المبارك وهو راجع من الغزو، وكان عمره ثلاثة وستين عامًا، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله، قال: مات اليوم سيد العلماء.

قال محمد بن المثنى: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما رأت عيناي مثل أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، ولا أشد تقشفًا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك.

نشأته:

نشأ ابن المبارك في أسرة متواضعة؛ فقد كان أبوه أجيرًا بسيطًا يعمل حارسًا لبستان أحد الأثرياء، غير أن والده هذا كان سبب رخائه أورثه المال رذاذًا، ثم صار على يده وابلاً ثجاجًا.

إن المتأمل لهذا المال الذي وصف بأنه رذاذ ليعلم أنه سبب الخير كله، فقد اكتسبه " والده المبارك " بجد وجهدٍ وكفاح وصبر، فكان ثمرة يانعة مقنعة لرجل ورع، حريص على أداء حق العمل، فلم يرض إلا أن يشغل كل وقته في العمل تحريًا للأجر الحلال، فلم يتطلع يومًا للأكل من البستان، وهو ما يكتشفه صاحب البستان ويتعجب له.

ففي إحدى زياراته طلب منه رمانة يأكلها، فجاءه بواحدة، فوجدها حامضة لم تنضج، فرماها، وطلب منه أخرى، فكانت كذلك، فغضب وصاح: أما تعرف الناضج من غيره؟ تظل هذا العمر معي ولا تستطيع أن تقدم أحسن ما لديك؟!

فقال مبارك - صادقًا -: وكيف أعرف وأنا لم أذق شيئًا منه!!

فتعجب صاحب البستان، وقال: ألا تتمتع ببعض ما هو تحت يديك؟!

قال مبارك: لم تأذن لي في ذلك.. فكيف أستحل ما ليس لي؟!

سكت الرجل مندهشًا وقال له: فقد أذنت، من الآن فكل!

من هنا نعرف لأي أبٍ ينتمي عبد الله، إنه ينتمي لأب صالح ولصلاح الأب جائزة عظمى يجدها عند لقاء ربه، ويبقى أثرها في الأبناء!! وهو ما نجده في القصص القرآني الحكيم من قصة الغلامين اليتيمين قال تعالى:{وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾} [الكهف: ٨٢].

فكان صلاح الأب سببًا في استخراج الكنز، وكذلك كان الحال مع عبد الله بن المبارك، فسنة الله لا تتخلف، كان الأب صالحًا فاستخرج عبد الله كنزًا تمثل في مال صار على يديه وابلاً ثجاجًا، وحصّل علما وأدبًا وفقها مازالت تتوارثه الأجيال!

رحلاته في طلب العلم:

ارتحل ابن المبارك إلى الحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان.

لقد أثمرت رحلات ابن المبارك، لأنه قد ارتسم لنفسه منهاجًا يسير عليه، فلم يكن همه من ارتحاله جمع العلم مهما كان مصدره، بل كان التحقق من مصدره أساس منهجه؛ فقد سأله أبو إسحاق قائلاً: " يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك. فقال عبد الله: يا أبا إسحاق عن من هذا؟ قال: قلت: هذا من حديث

شهاب بن خراش. قال: ثقة عن من قال؟ قلت: عن الحجاج بن دينار. قال: ثقة قال: عن من؟ قلت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم . قال: يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلي الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف ".

فهو حين يتوقف أمام هذا الحديث، لا ينكر ما فيه من البر، إلا أنه لا ينسب الحديث إلى النبي صلي الله عليه وسلم مادام لم يتوفر لديه السند إلى رسول الله وإن كان الحجاج ثقة!!

منزلته عند العلماء:

لأجل هذه الدقة التي توفرت لدى ابن المبارك والتزم بها، كان اهتمام الإمام مالك به.. فقد روي عن يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستؤذن لعبد الله بن المبارك بالدخول، فأذن له، فرأينا مالكًا تزحزح له في مجلسه ثم أقعده بلصقه، وما رأيت مالكًا تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مر بشيء فيسأله مالك: ما مذهبكم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يجاوبه، ثم قام فخرج، فأعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان.

ولنا أن نستعيد ما قاله والي المدينة حين جاءه الإمام الشافعي يحمل كتابًا من والي مكة ليتمكن الشافعي من لقاء الإمام مالك؛ حيث قال والي المدينة للشافعي: " يا فتى! لو كلفتني المشي من جوف المدينة راجلاً حافيًا كان أهون عليَّ من المشي إلى باب مالك.. وليتنا إذا ركبنا ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب ". لنعلم من هذا منزلة عبد الله بن المبارك عند الإمام مالك!!

أما منزلته عند ابن عيينة فهي شيء فوق ذلك كله؛ حيث قال: " نظرت في أمر الصحابة فما رأيت لهم فضلاً على ابن المبارك إلا بصحبتهم النبي صلي الله عليه وسلم وغزوهم معه ".

طيب خلق وسعة علم:

كان ابن المبارك رجلاً يحفظ حق أساتذته ويجل شيوخه، فلم يكن يُحدث في وجود أحد منهم، ولكن محبيه طلبوا ذلك في وجود حماد بن زيد وهو من هو في ذلك العصر، فما عسى ابن المبارك أن يفعل؟!

يقول إسماعيل الخطبي: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد، فقال أصحاب الحديث لحماد: سل أبا عبد الرحمن أن يحدثنا. فقال: يا أبا عبد الرحمن، تحدثهم؛ فإنهم قد سألوني؟ قال: سبحان الله يا أبا إسماعيل، أحدث وأنت حاضر؟! فقال: أقسمت عليك لتفعلن. فقال: خذوا. حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد، فما حدث بحرف إلا عن حماد.

لقد وجد ابن المبارك نفسه أمام قسم حماد، ولكن ما فعله يشهد له بسعة العلم ودماثة الخلق!!

وقد سُمع ابن المبارك يقول إعظامًا لقدر حماد بن زيد:

أيها الطالب علمًا ::: إئت حماد بن زيد
فاستفد حلما وعلما ::: ثم قيده بقيد

وإن كان شعره هذا يشهد بالعلم لحماد بن زيد، فقد أحسن عندما قال عن أبي حنيفة:

رأيت أبا حنيفة كل يوم ::: يزيد نبالة ويزيد خيرًا
وينطق بالصواب ويصطفيه ::: إذا ما قال أهل الجور جورًا

لقد كان ابن المبارك خير من يعترف لأساتذته بالفضل وحسبه أن قال: " لولا أن الله عز وجل أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس ".

شجاعته:

وكان من الشجاعة بالمكان الجهير، وله في ساحة الجهاد نوادر ذائعة، فقد كان في سرية ببلاد الروم خرجت للاستطلاع لا للقتال، ففاجأتها قوة ضخمة من الأعداء، واصطف الفريقان ونهض فارس رومي يدعو للمبارزة وفقًا لما كان معهودًا إذ ذاك، فتقدم إليه بطل مسلم، فلم يستطع نزاله، وخر شهيدًا، وتقدم

ثـانٍ فكانـت النتيجـة هـي النتيجـة، وتخـوف المسـلمون وذعـروا مـن رهبـة هـذا الصـائل الفاتك. وغلا الدم في رأس ابن المبارك، فخف إليه، واشتد الصراع بين الفارسين، وكل منهمـا يبدي مـن أسـاليب الصـيال مـا فـي طوقـه كرًّا وفرًّا، فـي واقعـة شـديدة، لـم يـر النـاس أرهـب منهـا! ثـم حصـلت المفاجـأة حـين طعـن ابـن المبارك غريمه طعنة أصابت منه مقتلاً فسقط علـى الأرض، وكبـر المسلمون، ورجع ابن المبارك وقد غطى وجهه حتى لا يشتهر بين الناس.

لقد كـان الإمـام العـالم يعـرف فضـل الجهـاد، وهـو الـذي أرسـل إلـى أخيـه الفضيل ابن عياض برسالة يقول فيها:

ياعابـد الحـرمين لـو أبصـرتنا ::: لعلمت أنـك في العبـادة تلعـب
من كان يخضـب خـده بدموعـه ::: فنحورنـا بـدمائنا تتخضـب
أو كـان يتعـب خيلـه في باطـل ::: فخيولنـا يـوم الصـبيحة تتعـب
ريح العـبير لكـم ونحـن عبيرنـا ::: رهج السـنابك والغبـار الأطيـب
ولقـد أتانـا مـن مقـال نبينـا ::: قول صـحيح صـادق لا يكـذب
لا يسـتوي غبـار خيـل الله في ::: أنف امرئ ودخـان نـار تلـهب
هـذا كتـاب الله ينطـق بيننـا ::: ليس الشـهيد بميـت لا يكـذب

وفي الأبيات تضمين لحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعـود اللـبن في الضرـع، ولا يجتمـع غبـار في سـبيل الله ودخان جهنم)**.

سخاؤه:

أمـا عـن سـخائه فحدث ولا حـرج، فمواقـف سـخائه كثيـرة مبثوثـة فـي كتـب التراث نذكر منها ما رواه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق عن أبيه قال: كان ابن المبارك إذا كـان وقـت الحـج، اجتمـع إليـه إخوانـه مـن أهـل مـرو، فيقولـون: نصـحبك. فيقـول: هـاتوا نفقـاتكم، فيأخـذ نفقـاتهم، فيجعلهـا فـي صـندوق، ويقفـل عليهـا، ثـم يكتـري لهـم، ويخـرجهم مـن مـرو إلـى بغداد، فـلا يـزال ينفـق علـيهم ويطعمهم أطيـب الطعـام، وأطيـب الحلـوى، ثـم يخـرجهم مـن بغداد بأحسـن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم فيقول لكل

واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا، دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.

ومنها أنه جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي دينًا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبعمائة درهم. وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضًا قد فنى، فأجز له ما سبق به قلمي.

ولكثرة إنفاقه عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلي الله عليه وسلم ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

وفاته:

قال الفسوي في " تاريخه ": سمعت الحسن ابن الربيع يقول: شهدت موت ابن المبارك، مات لعشر مضت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، ومات سحرًا، ودفناه بهيت، ولبعض الفضلاء:

مررت بقبر ابن المبارك زائرًا ::: فأوسعني وعظًا وليس بناطق
وقد كنتُ بالعلم الذي في جوانحي ::: غنيًا وبالشيب الذي في مفارقي
ولكن أرى الذكرى تنبه عاقلاً ::: إذا هي جاءت من رجال الحقائق

وعن عبد الرحمن بن عبيد الله يقول: كنا عند الفضيل بن عياض فجاء فتى في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة، فنعى إليه ابن المبارك، فقال فضيل: " إنا لله وإنا إليه راجعون، أما إنه ما خلف بعده مثله.

مواقف من حياة عبد الله بـن المبارك :

أكلت فرسي حرامًا:

- كان عبد الله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب رمحه وربط فرسه وتوضأ وشرع يصلي فلما سلم وجد فرسه أنها انفلتت وأكلت من الزرع.

فقال: أكلت فرسي حرامًا فلا ينبغي لي أن أغزو عليها فتركها لصاحب الزرع واشترى غيرها وغزا عليها.

ليس كل خلاف يُستراح له:

- وعندما ناظره أهل الكوفة في النبيذ وجعلوا يستدلون على حله بأقوال وشرب بعض أهل الكوفة له، قال: " دعوا عند الاختلاف الاحتجاج بالرجال "، أوكما قال؛ ولله در الأول حين قال:

ليس كل خلاف يُستراح له إلا خلافاً له حظ من النظر.

سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!! :

- وجلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخى هل غزوت الروم؟! قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا. فقال عبدالله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

والكذب للرافضة:

- وقال رحمه الله تعالى: " الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل لأهل الرأي، والكذب للرافضة " يعني للشيعة.

احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك:

- وفي السير: أن ابن المبارك.. كان كثيراً ما يسافر إلى الرقة.. وينزل في خان فيها..

فكان شاب يأتي إليه.. ويقوم بحوائجه.. ويسمع منه الحديث..

فقدم عبد الله الرقة مرة.. فلم ير ذلك الشاب..

فسأل عنه.. فقالوا: إنه محبوس.. لدين ركبه..

فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم..

فلم يزل عبد الله يستقصي.. حتى دُلَّ على صاحب المال.. فدعا به ليلاً وأعطاه عشرة آلاف درهم.. وحلفه أن لا يخبر أحداً.. ما دام عبد الله حياً.. وقال له: إذا أصبحت.. فاخرج الرجل منفلما خرج الفتى من الحبس.. قيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا.. وكان يسأل عنك.. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة.. فلما قابله.. قال له عبد الله: يا فتى.. أين كنت؟ لم أرك في الخان! قال: كنت محبوساً بدين..

قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني.. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس..

فقال له عبد الله: احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.. ثم فارقه ومضى..

إلا رأيت أنه خيرٌ منك:

- وروى الخطابي أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك قدم خراسان فقصد رجلاً مشهوراً بالزهد والورع فلما دخل عليه لم يلتفت إليه الرجل ولم يأبه به ولم يهتم به، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك فقال له بعض من عنده: أتدري من هذا؟ قال " لا، قالوا: هذا أمير المؤمنين في الحديث... هذا عبد الله بن المبارك فبهت الرجل وخرج إلي بن المبارك مسرعاً يعتذر إليه ويتنصل مما حدث وقال: يا أبا عبد الرحمن: أعذرني وعظني، قال ا بن المبارك: نعم إذا خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك علي أحد إلا رأيت أنه خيرٌ منك "

الذي فعلت له لا يخفى عليه:

- ويقول الحسن بن الربيع عن جهاد الإمام الجليل عبد الله بن المبارك " خرج فارس من المسلمين ملثم فقتل فارسا من العدو كان فعل بالمسلمين فكبر له المسلمون، فدخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد، فتتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه، فعرفته فقلت: أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك؟ فقال الذي فعلت له لا يخفى عليه ".

كلام . . . بالقرآن!

- قال عبد الله بن المبارك خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت:{ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾} [يس: ٥٨] قال: فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت:{وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ} [الرعد: ٣٣] فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تريدين قالت:{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا} [الإسراء: ١] فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع قالت:{ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا} [مريم: ١٠] فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين قال:{هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ} [الشعراء: ٧٩] فقلت: فبأي شيء تتوضئين قالت:{فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا} [النساء: ٤٣] فقلت لها: أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قال:{ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ} [البقرة: ١٨٧] فقلت: ليس هذا شهر رمضان قالت:{وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١٥٨] فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر قالت:{وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤] فقلت: لم لا تكلميني كما أكلمك قالت:{مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾} [ق: ١٨] فقلت: فمن أي الناس أنت قالت:{وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦] فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل قالت:{ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ} [يوسف: ٩٢] فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت:{وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ} [البقرة: ١٩٧] قال فأنخت ناقتي قالت:{قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ} [النور: ٣٠] فغضضت بصري عنها وقلت لها: اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ} [الشورى: ٣٠] فقلت: لها أبصري حتى أعلقها قالت:{فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ} [الأنبياء: ٧٩] فعلقت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت:{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ} [الزخرف: ١٣ - ١٤] قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح فقالت:{ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ} [لقمان: ١٩] فجعلت أمشي رويداً رويداً

وأترنم بالشعر فقالت: {فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ} [المزمل: ٢٠] فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ} [البقرة: ٢٦٩] فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}
[المائدة: ١٠١] فسكت ولم أكملها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها فقالت:{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦] فعلمت أن لها أولاداً فقلت: وما شأنهم في الحج قالت:{وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦] فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها قالت:وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]،{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]،{يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢] فناديت: يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت:{فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ} [الكهف: ١٩] فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت:{كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾} [الحاقة: ٢٤] فقلت: الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل، فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء فقلت:{ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١].

أنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بينهم:

- وحدث الحسن بن عيسى بن ماسرحس، قال سمعت عبد الله بن المبارك، وقد قيل له: يا أبا عبد الرحمن إنك تكثر القعود في البيت وحدك، فقال: ليس أنا وحدي، أنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بينهم - يعني النظر في الكتب.

وقوم طلبوا الدنيا:

- وحدث أبو حنيفة بإسناد له والمازني قالا: ولي إسماعيل بن علية الصدقاتِ بالبصرة، فكتب إلى عبد الله بن المبارك يصف له ما وقع فيه، ويقول

له: أحب أن تبعث إلى إخوننا من القُراءِ لنشغلهم، فكتب إليه عبد الله بن المبارك: القراء ضربان: قوم طلبوا هذا الأمر لله، فأولئك لا حاجة لهم في لقائك، وقوم طلبوا الدنيا، فأولئك أضر على الناس من الشرط، وكتب إليه:

يا جاعلَ الدين له بازيا ::: يصيدُ أموالَ المساكينِ
احتلتَ للدنيا ولذاتها ::: بحيلةٍ تذهبُ بالدينِ
وصرتَ مجنوناً بها بعدما ::: كُنتَ دواءً للمجانين
أينَ رواياتك فيما مضى ::: عنِ ابن عونٍ وابن سيرينِ
أينَ أحاديثك والقولُ في ::: لزومِ أبواب السلاطينِ
تقولُ أُكرِهْتُ وماذا كَذا ::: زَلّ حِمارُ العلْم في الطِّين

فلم أدر من أيهم أعجب:

- قال عبد الله بن المبارك: لما أفضت الخلافة إلى هارون، وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فأرادها على نفسها، فقالت: لا أصلح لك؛ إن أباك قد أطاف بي، فأغري بها. قال: فبعث إلى أبي يوسف فقال: جارية من جواري المهدي أردتها فتحصنت مني وذكرت أن أبي قد وقع بها، فعندك في هذا شيء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، لا تصدقها، ليست بمأمونة على نفسها.

قال عبد الله بن المبارك: فلم أدر من أيهم أعجب، من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج من وطء جارية لأبيه رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أم من هذا فقيه الأرض وقاضيها، قال: تهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيره في رقبتي.

يا طبيب أعندك دواء المذنوب؟!:

- وعن عبد الله بن المبارك قال: مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له: يا طبيب أعندك دواء المذنوب فقال: نعم فلما تفترق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصاف وبليلج الرضا وغارقون في الكتمان وسقمونا الأحزان فأمر سهم بماء الأجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الأرق واشربهم على الحرق فإنه شفاؤك وأنشد:

يـــا طبيبــــاً بـــذكره يتـــداوى ::: وصـــفوه لكـــل داء غريـــب
ليس حزني عليك شـــيء عجيـــب ::: إنما الصبر عنـــك شـــيء عجيـــب

هذا حرام فهل عملت غيره؟!:

- وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: حججت في بعض السنين فرأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فقال: إذا رجعت إلى بغداد فأقرئ بهرام المجوسي مني السلام وقل له: الله تعالى راض عنك فلما رجعت إليه قلت: هل لك من خير عند الله قال: زوجت ابني ببنتي وصنعت وليمة فقلت: هذا حرام فهل عملت غيره قال: تزوجت أنا ببنتي وصنعت وليمة فقلت له: هذا حرام، فهل عملت غيره؟ قال: جاءتني مسلمة وأصبحت مصباحا من سراجي فلما صارت في الباب أطفأته ثم رجعت أشعلته أيضا ثم أطفأته في الباب وهكذا ثلاث مرات في الرابعة أشعلته ومضت فتبعتها إلى منزلها وقلت: لعلها جاسوسة، فسمعت أولادها يقولون: قد أضرنا الجوع، فقالت: استحييت من الله أن أطلب من غيره، فرجعت وأخذت طعاما وحملته إليهم، فقلت له: أبشر فإن النبي صلي الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول: إن الله راض عنك فأسلم وحسن إسلامه.

أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ :

- وعطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عز وجل، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال الحمد لله. فقال ابن المبارك: يرحمك الله. فعجب الحاضرون من حسن أدبه.

هذا والله الملك لا ملك هارون:

- وقدم هارون الرشيد الرقة، فانحفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: من هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، يقال له عبد الله ابن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً:

- وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلماً من الشام، فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية، وكان قد نسي القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد.

ألست صاحبي بالأمس؟ :

- وعن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه، أنه قال: خرجت إلى الجهاد ومعي فرس فبينما أنا في بعض الطريق إذ صرع الفرس، فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة، فقال: أتحب أن تركب فرسك. قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره، وقال: أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت. قال: فانتفض الفرس وقام، فأخذ الرجل بركابي وقال: اركب فركبت ولحقت بأصحابي، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا، فقلت: ألست صاحبي بالأمس؟ قال: بلى. فقلت: سألتك بالله من أنت؟ فوثب قائماً فاهتزت الأرض تحته خضراء، فإذا هو الخضر عليه السلام. قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه: فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفي بإذن الله تعالى.

أترضى حالك هذه للموت؟ :

- وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما سخت نفسي بذلك بعد، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن تندم.

من شعر الحكمة لعبد الله بن المبارك:

- كتب عبد الله بن المبارك وكان يرابط في ثغر من ثغور المسلمين إلى الفضيل بن عياض يقول: -

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ::: لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ::: فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ::: فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا ::: رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ::: قول صحيح صادقٌ لا يكذب
لا يستوي وغبار أهل الله ::: في أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ::: ليس الشهيد بميت لا يكذب

- وقال:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي ::: وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ::: ولم يتجرّعوا غصص المعاصي

- وقال:

رأيت الذنوب تميت القلوب ::: وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ::: وخير لنفسك عصيانها
وهل بدل الدين غير الملوك ::: وأحبار سوءٍ ورهبانها

- وقال:

لله درّ القنوع من خلق! ::: كم من وضيع به ارتفعا؟!
يضيق الفتى بحاجته ::: ومن تأسى بدونه اتسعا

- وقال:

العلم كنز وذخره لا تعادله ::: نعم القرين إذا ما عاقل صحبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ::: لا تعدلن به داراً ولا ذهبا
اشدد يديك به تحمد مغبته به ::: تنال الغنى والدين والحسبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه ::: عما قليل فيلقى الذل والحربا

- وقال:

يا عُـدولَ الـبلادِ أنـتم ذِئـابٌ ::: سَـترتكم عـن العيـونِ الثّيـابُ
غيرَ أنَّ الـذئابَ تصـطادُ وحشـاً ::: ومباآتُها القِفـارُ اليَبـابُ
ويَصـيدُ العـدولُ مـالَ اليتـامى ::: باقتنـاصٍ كمـا يصـيدُ العُقـابُ
عَمّـروا موضِـعَ التصـنعِ منـهم ::: ومحلُّ الإخـلاصِ منـهم خـرابُ

- وقال:

قد يفـتح المـرء حانوتـاً لمتجـره ::: وقد فتحت لك الحـانوت بالـدين
بين الأساطين حـانوت بـلا غلـق ::: تبتاع بالـدين أمـوال المسـاكين
صيرت دينك شـاهيناً تصـيد بـه ::: وليس يفلح أصـحاب الشـواهين

- وقال رجل لعبد الله بن المبارك: أوْصِني فقال: احفظْ لِسانَك، ثم أنشده قوله:

احْفَـظْ لسـانَك إنّ اللسـانَ ::: حَريصٌ على المَـرْءِ في قَتْلِـه دَلِيـلُ
وإِنَّ اللسـانَ بريـدُ الفُـؤادِ ::: الرجـالِ عَلـى عَقْلِـهِ

- ومن قوله:

هُمومُـكَ بـالعَيْشِ مَقرونَـةٌ ::: فمـا تَقْطَـعُ العَـيْشَ إلاّ بهَـمّ
حَـلاوَةُ دُنْيـاكَ مَسـمُومَةٌ ::: فمـا تأْكُـلُ الشَّـهْدَ إلاَّ بِسَـمّ

- وقال:

إلى الله أَشْـكو لا إلى النـاسِ أَنَّـني ::: أَرَى صَالحَ الأَخـلاقِ لا أَسْـتَطيعُها
أَرَى خَلَّـةً في إخْـوَةٍ وعَشـيرةٍ ::: وذِي رَحِمٍ، ما كُنْتُ مّمِن يُضِـيعُها
فلَـوْ طَـاوَعَتْني بالمكَـارِمِ قُـدْرَةٌ ::: لَجـادَ عَلَيْهـا بـالنَّوالِ رَبِيعُهـا

- وقال:

دُنْيَـا تَـدَاوَلها العِبَـادُ ذَميمَـةً ::: شِيبَتْ بأَكْرَهَ مِـنْ نَقيـعِ الحَنْظَـلِ
وبَنَـاتُ دَهْـرٍ لا تَـزَالُ مُلِمَّـةً ::: فيها فَجَـائعُ مِثْـل وَقْـعِ الجَنْـدَلِ

- وقال:

إذا مـا الليـل أظلـم كابـدوه ::: فيسـفر عنـهم وهـم ركـوع
أطـار الخـوف نـومهم فقـاموا ::: وأهل الأمـن في الـدنيا هجـوع

- وودع عبد الله بن المبارك رجلا، فقال:

ونحـــن نتـــادي أنّ فرقـــة بيننـــا ::: فـــراق حيـــاةٍ لا فـــراق ممـــات

- وقال:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منـــه ::: بعروتـــه الـــوثقى لمـــن دانـــا
لولا الخلافـــة لم تـــأمن لنـــا ســـبل ::: وكـــان أضـــعفنا نهبـــاً لأقوانـــا

- وقال:

يد المعروف غـــنم حيـــث كانـــت ::: تحملـــها شـــكور أو كفـــور
ففي شـــكر الشـــكور لهـــا جـــزاء ::: وعنـــد الله مـــا كفـــر الكفـــور

ومن أقواله الحكيمة :

- اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدريّ في الوجه.

- التعزّز على الأغنياء تواضع.

- لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب.

- ومر عبد الله بن المبارك برجل واقف بين مقبرة ومزبلة فقال: يا رجل، إنك بين كنَزين: كنزِ الأموال، وكنز الرجال.

- وصلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك، وبادر القيام، فجذب ثوبه وقال: أما لك إلى الله حاجة.

- ووذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال: لو كنت مغتاباً لاغتبت أمي، لأنها أحق بحسناتي إليها.

- وقال عبد الله بن المبارك، قال سفيان: كان يقال: إذا عرفت نفسك لم يضرك ما قيل لك.

- وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً.

- فساد الدين إلى ثلاث طوائف، أخطرها علماء السوء، الأئمة المضلون، الرؤوس الجهال، الذين يفتون بغير علم فيَضِلوا ويُضِلوا.

- من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

رأيت الذنوب تميت القلوب ::: وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ::: وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك ::: وأحبار سوء ورهبانها

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وفي رواية:

رأيتُ الذنوب تميت القلوبَ ::: ويورث الذلّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب ::: وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ::: وأحبارُ سوء ورهبانُها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ::: ولم يغل في البيع أثمانُها
لقد رتع القوم في جيفة ::: يبين لذي العقل إنتانُها

اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

- وعن عبد الله بن المبارك قال: إن رجلا حكيمًا جمع الأحاديث فاختار منها أربعين ألفا ثم اختار منها أربعة آلاف ثم اختار منها أربعمائة ثم اختار منها أربعين، ثم اختار منها أربع كلمات إحداهن لا تثقن بامرأة على كل حال، والثانية لا تغتر بالمال على كل حال، والثالثة لا تحمل معدتك ما لا تطيقه، والرابعة لا تجمع من العلم ما لا ينفعك.

- وعن عبد الله بن المبارك قال: حدثنا وهيب قال: ما اجتمع قوم في مجلس أو ملأ إلا كان أولاهم بالله الذي يفتتح بذكر الله حتى يفيضوا في ذكره. وما اجتمع قوم في مجلس أو ملأ إلا كان أبعدهم من الله الذي يفتتح بالشر حتى يخوضوا فيه، وفي الحديث: " طوبى لمن كان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر وويل لمن كان مفتاحًا للشر مغلاقًا للخي ".

- وقيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لمْ تجلس معنا؟! قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين؛ قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟! قال: أذهب أنظر في

علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم؛ ما أصنع معكم؟! أنتم تغتابون الناس! فإذا كانت سنة مئتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من أسد وتمسك بدينك يسلم لك.

- وقام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي؟ في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم؛ قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن.

- رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كبير تصغره النية.

- رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

- عن ابن المبارك قال: كان رجل ذا مال لم يسمع بعالم إلا أتاه حتى يقتبس منه فسمع أن في موضع كذا وكذا عالماً فركب السفينة وفيها امرأة فقالت: ما أمرك يا هذا؟ قال: إني مشغوف بحب العلم فسمعت أن في موضع كذا عالماً آتيه، قالت: يا هذا كلما زيد في علمك يزيد في عملك أو تزيد في علمك والعمل موقوف؟ فانتبه الرجل ورجع وأخذ في العمل.

- عن عبد الله بن المبارك قال: جئت على سفيان عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟! فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.

عن أبي صالح الأنطاكي قال: سمعت ابن المبارك يقول: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث، إما يموت فيذهب علمه؛ وإما يَنسى، وإما يصحب السلطان فيذهب علمه[1].

* * *

(١) مصادر الترجمة: طبقات خليفة: ٣٢٣، تاريخ خليفة: ١٤٦، التاريخ الكبير: ٥ / ٢١٢، التاريخ الصغير: ٢ / ٢٢٥، المعارف: ٥١١، الجرح والتعديل: ٥ / ١٧٩، الولاة والقضاة: ٣٦٨، حلية الأولياء: ٨ / ١٦٢، الانتفاء: ١٣٢، تاريخ بغداد: ١٠ / ١٥٢، طبقات الشيرازي: الورقة: ٢٦، ترتيب المدارك: / ٣٠٠، صفوة الصفوة: ٤ / ١٣٤ - ١٤٧، وفيات الأعيان: ٣ / ٣٢، تهذيب الكمال: ٧٣٠، تهذيب التهذيب: ٢ / ١٧٧ / ٢ تذكرة الحفاظ: ١ / ١٧٤، العبر: ١ / ٢٨٠، الديباج المذهب: ١٣٠، غاية النهاية: ١ / ٤٤٦، تهذيب التهذيب: ٥ / ٣٨٢، النجوم الزاهرة: ٢ / ٢٧، خلاصة تهذيب الكمال: ٢١١، الطبقات الكبرى للشعراني: ٥٠، شذرات الذهب: ١ / ٢٩٥.

الفضيل بن عياض

أعـلام التابعيـن

الفضيل بن عياض

الخشية من الله والبكاء يلازمانه، لا يُرى إلا وعيناهٍ تفيض من الدمع، كلما ذكر اسم الله تعالى عنده ظهر عليه الخوف والوجل، وارتعشت كل أعضاء جسده، ترى من يكون هذا الرجل الذي غمر الإيمان قلبه؟!

كان عاصيًا فتاب الله عليه، وجعله من عباده المؤمنين، تحول من قاطع طريق يروع الآمنين إلى عابد زاهد، وكان سبب توبته؛ أنه كان يتسلق جدران أحد المنازل بالليل؛ فسمع صوتًا يتلو قوله تعالي:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد: ١٦] فلما سمعها قال: بلي يا رب، قد آن.

فرجع فمرَّ على أرض خربة، فوجد بها قومًا، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: ننتظر حتى نصبح، فإن الفضيل يقطع علينا الطريق، قال أي: الفضيل: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني!! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع أي أن الله قدر لي أن آتي إلى هذا المكان لأتوب وأرجع إليه اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.. لقد جعل مظاهر توبته مجاورته لبيت الله حيث الرحمة والبركة، يدعو الله ويستغفره، ويندم على ما فرط في حقه.

في أرض خراسان ولد الفضيل بن عياض ثم رحل إلى الكوفة في العراق، فسمع الأحاديث النبوية الشريفة والفقه من العلماء؛ أمثال الأعمش ويحيي بن سعيد الأنصاري، وجعفر الصادق فأثرت تأثيرًا كبيرًا في شخصيته، حتى أصبح من الزهاد الذين يرون أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا تستحق أن يتكالب الناس عليها، ويتصارعون من أجلها، فهي فانية زائلة، بل الأولى أن يعمل الناس لأخراهم، فهي الباقية الدائمة بفعل الخير، وتجنب المعاصي، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها حتى توفي.

الفضيل بن عياض

إنه هو الفضيل بن عياض بن سعود بن بشر أبو علي التميمي. شيخ الإسلام والإمام القدوة، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه. وممن روى عنه شيخه سفيان الثوري أجل شيوخه. وترجمته زاخرة بالحديث عن زهادته وعبادته وتأثير مواعظه في القلوب.

وكان إذا خرج في جنازة مع الناس، يعظهم ويذكرهم بالآخرة، حتى إذا وصل إلى المقبرة، جلس في حزن شديد، وظل يبكي ولا ينقطع بكاؤه، سأله الخليفة هارون الرشيد ما هي صفات المؤمن أيها الزاهد؟ فقال له الفضيل: صفات المؤمن؛ صبر كثير، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

ومرَّ الفضيل بن عياض على جماعة أغنياء، فوجدهم يلعبون ويشربون ويلهون؛ فقال لهم بصوت عال: إن مفتاح الخير كله هو الزهد في الدنيا، وقد سأله أحدهم: وما الزهد في الدنيا؟ فقال: القناعة والرضا وهما الغنى الحقيقي، فليس الغنى في كثرة المال والعيال، إنما الغنى غنى النفس بالقناعة والرضا في الدنيا، حتى نفوز في الآخرة، ثم توجه إلى الله داعيًا: اللهم زهدنا في الدنيا، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجتنا.

وحجَّ هارون الرشيد ذات مرة؛ فسأل أحد أصحابه أن يدله على رجل يسأله؛ فدله على الفضيل، فذهبا إليه، فقابلهما الفضيل وقال للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولّي الخلافة دعا أناسًا من الصالحين فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء يعني الحكم فأشيروا علي.. فعدَّ عمر الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فبكى الرشيد، فقال له صاحب الرشيد: ارفق بأمير المؤمنين، فقال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ يقصد أن عدم نصحه كقتله فقال له الرشيد: زدني يرحمك الله..

فأخذ يعظه وينصحه، ثم قال له: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة**) (متفق عليه) فبكى هارون وقال له: أعليك دين أقضيه عنك؟ فقال: نعم،

دين لربي لم يحاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني، فالويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا؛ أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلَّمك الله ووفَّقك، ثم صمت فلم يكلمنا؛ فخرج الرشيد وصاحبه، وكان الفضيل شديد التواضع، يشعر دائمًا بأنه مقصر في حق الله، رغم كثرة صلاته وعبادته.

وتمضي الأيام، ويتقدم السن بالفضيل بن عياض وذات مرة كان بعض الناس جلوسًا عنده، فقالوا له: كم سنك؟ فقال:

بلغتُ الثّمانين أوجُزْتَهَا ::: فَمَاذا أُؤمِّلُ أَو أَنْتَظِرْ
عَلَتْني السِّنُون فأبْلَيْنَني ::: فَدَقَّ العِظامُ وَكَلَّ البَصَرْ

ومرض الفضيل، فسُمِع يقول: ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إلي منك، وأقام الزاهد العابد الفضيل بن عياض بمكة حتى توفي عام ١٨٧هـ وأطلق عليه هناك شيخ الحرم المكي.

قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن شديد الفكرة ما رأيت يريد الله بعلمه وأخذه وإعطائه، ومنعه وبذله، وبغضبه وحبه، وخصاله كلها غيره - يعني الفضيل.

روي عن إبراهيم بن الأشعث قوله: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويكر ويبكي، حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهباً إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

مواقف من حياة الفضيل :

لو طابت لأولئك لطابت لي:

حدث سفيان بن عُيَيْنَة قال: دعانا الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل أخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان، أيهم أمير المؤمنين؟ فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: أنت يا حَسَنَ الوجه، الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك، لقد تَقَلَّدْتَ أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى كل رجل منا ببدرة، فكلٌ قبلها إلا الفضيل، فقال له الرشيد: يا أبا علي، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين، وأشبع بها جائعاً واكْسُ بها عرياناً، فاستعفى منها، فلما خرجنا قلت له: يا أبا علي، اخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر، فأخذا بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لي.

أنت هو يا حسن الوجه! :

قال الرشيد لسفيان بن عيينة: إني عزمت أن أرى الفضيل بن عياض، فقال له سفيان: يا أمير المؤمنين، إنه رجل قد زهد في الناس والدنيا جميعاً، وأخاف أن تأتيه فتستجفيه، فقال له: كلا ما عزمت على إتيانه حتى وطنت نفسي على احتمال ما يكون منه؛ يا سفيان، إن عز القوي عز لا يزحمه منكباً إمرة ولا خلافة. قال: فأتيت فضيلاً بما قال: فقال: ما أعقله لولا أنه يحب العاجل، ثم قال: إني لأحب أن يأتيني وأكره أن يأتيني، فأما محبتي لمجيئه فلعلي أعظه بموعظة ينتفع بها هؤلاء الناس، وأما كراهيتي لمجيئه فلأني أراه يرفل في النعم عارياً من الشكر. قال: ثم أذن، فمضيت مع الرشيد إليه، وقد اختلط الظلام، وعلى الرشيد طيلسان غسيل قد غطى به رأسه، فلما هجمنا عليه في بيته وشم الرائحة سمعته يقول: اللهم إني أسألك رائحة الخلد التي أعددتها لأوليائك المتقين، فرفع طرفه إليه وعينه تقطر فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ ثم وعظه فجعل يبكي حتى اشتد نشيجه، ثم قال له: ازدد من هذا، فما أعرف في هذه الليلة أحداً أحوج إليه منك، ثم وثب إلى صلاته، وما كان ذاك إلا كخطفة الطير. فلما صرنا إلى صحن الدار قال لي الرشيد: يا سفيان، ما رأيت التقوى في وجه أحد قط أبين

منها في وجه هذا الشيخ، ولولا التحشم منك لقبلت ما بين عينيه، فقلت له: والله لعلى ودي أن تكون فعلت ذلك، فكتب الله لك ثوابه وأجره، فقال: إني أرجو أن يكون قد كتب لي ثوابه بالنية ولو لم أفعل. انظر - فديتك - إلى هذا الحديث، وانظر إلى زمانك وإمامك وسلطانك، فإنك ترى فرقاً يوحش القلب، ويورث الأسف، ولله أمر هو بالغه لا نعترض عليه، ولا ننازع فيه، ولكن نلجأ إلى كنفه، ونسأله زيادة من عطفه، فإنه رحيم بعباده ودود.

لكني سمعت قوله: " يعرف المجرمون بسيماهم " :

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزّهد ويقول: يا بنيّ، ارفق بنفسك؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلّي فسمع سورة الرحمن، فظلّ يتلوّى وأبوه ينادي: أما سمعت قوله:{حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾} [الرحمن: ٧٢]: فقال: يا أبت، لكني سمعت قوله:{يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ} [الرحمن: ٤١].

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:

قال سعد بن زنبور: كنا على باب الفضيل بن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ:{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾} [التكاثر: ١]، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزها ::: فماذا أؤمل أو أنتظر؟
أتاني ثمانون من مولدي ::: وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني.

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر.

لو كانت الدنيا ذهب يفنى:

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: لو كانت الدنيا ذهب يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا

خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى: {هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾} [ص: ٣٩] فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة:{هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾}. ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم. هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: ٩٢ - ٩٣] وقال:{وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك:

ولما دخل ابن السماك على هارون قال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك، فلا ترض من نفسك إلا ما رضي به عنك، فإنك ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وأولى الناس بذلك. يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين من أذاقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك، وإنك لا تقدم إلا على حالة نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتوناً مغروراً، وإنك وإيانا لفي دار سفر وجيران ظعن.

إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك:

ولما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال: بم أتكلم؟ فقال: في الخروج من هذا الأمر. قال: يسيران أنت فعلته. قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا تضعها إلا في أهلها. قال: ومن يقوى على ذاك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلدك. قال: عظني يا أبا

حازم. قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك. ثم قال: يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. يا أمير المؤمنين إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر، فاختر لنفسك أيهما شئت.

قال: فما لك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له. قال: فارفع إلي حوائجك. قال: قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت، يقول الله عز وجل:{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٢]. فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله، أو يزيد في قليل ما قسم الله؟ قال: فبكى سليمان بكاء شديداً فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين! فقال له أبو حازم: اسكت! فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. ثم خرج من عنده فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده وقال للرسول: قل له يا أمير المؤمنين، والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي؟

فأن في صلاحه صلاح العباد والبلاد:

وقال الفضيل: جور ستين سنة خير من هرج ساعة، فلا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور أو فاسق يتمنى كل محذور، فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد.

تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا:

وقال الفضيل: لو ظفرت ببيت المال لأخذت من حلاله وصنعت منه طيب الطعام، ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأبرار والأخيار، فإذا فرغوا قلت لهم: تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا.

من يحسن هذا غيرك؟ :

وقال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لما أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبل ابن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟

أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك:

ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج فقال: يا فضيل هل عليك دين؟ فقال: نعم دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني. فقال الرشيد: إني أسألك عن دين العباد. فقال: عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس. قال: هذه ألف دينار فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك، أسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقال: إن مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه.

تقتله أنت وأصحابك، وارفق به أنا! :

قال الفضل بن الربيع: حج هارون الرشيد، فاتاني فخرجت إليه مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: ويحك قد حل في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، قال: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباسي اقض دينه، فلما خرجنا، قال: ما أغنى عنك صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: هاهنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فكانت حاله كحال سفيان بن عيينة، فقلت له: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، قال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة لبشر؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية

من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول البيت عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبلي فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله فقلت في نفسي ليكلمنه الليله بكلام من قلب نقي فقال له: خذ لما جئناك له يرحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرها ولداً، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك أو أكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت فإني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام. فهل معك مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه، فقلت: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا بن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك، وارفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه كثرة النوم فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإنه يطرد بك إلى ربك نائماً أو يقظان، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، ولا أعود لولاية حتى ألقى الله تعالى، قال: فبكى هارون بكاء شديد، ثم قال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى جاء إلى البني صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة؟ فقال له النبي صلي الله عليه وسلم : إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديداً، وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فان استطعت أن تقي هذا الوجه فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلي الله عليه وسلم قال: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة،؟ فبكى هارون وقال

له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادتك، فقال له: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك؟ ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: يا عباسي إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، فهذا سيد المسلمين٠فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف يرحمك الله، فانصرفنا.

تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي:

وجاء أبو محمد السمرقندي إلى الفضيل ومعه أولاد البرامكة، وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه أن يحدثهم فامتنع فقام مغضباً فقال الفضيل: ردوه. فردوه فقال: بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم. فقيل: يا روح الله فمن نجالس؟ فقالوا: من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة مجالسته، قم فقد حدثتك.

ما هم بمجاورين:

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها

حوانيت ويقولون: نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

اصبروا، فأنما هي الليلة:

قال الفضيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي: لما حبست الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال: فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال: اصبروا، فإنما هي الليلة.

فلما دخل الليل، قام يصلي، فقال: يا رب، مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة، الليلة، لا أصبح فيه.

فما أصبحنا حتى ضربت أبواب السجن: أين البحراني، أين البحراني؟ فقال كل منا: ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال: أطيعوا الله لا يضيعكم.

ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل:

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما آخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعها، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحارلبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهري، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

وقال: انظر كم قيمة هذه؟ قال: فنظر زماناً طويلاً، ثم قال: لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإني أراه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم أثنتي عشرة بدرة، في كل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل.

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك، قيراط منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً.

إذا كانت الأئمة ظالمة:

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن الله تعالى يهلك الرعية وإن كانت هادية مهدية إذا كانت الأئمة ظالمة لأن أعمال الأئمة تعلو أعمال الرعية.

فأذا كنت يا أمير المؤمنين تسألني عن معالم الدين فبأي شيءٍ تسوس رعيتك!:

قيل: طاف الرشيد بالبيت فوطئ جرادةً، فلم يدر ما عليه فيها، فبعث بالمأمون إلى الفضيل بن عياض فسلم عليه وقال: يا أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: لنا إليك حاجةٌ، فأحب أن تعبر إلينا. فلم يجب الفضيل بشيء، فرجع المأمون وقال: رأيت رجلاً ليست به إليك حاجةٌ، فقام الرشيد مغضباً حتى خيف على الفضيل منه؛ فوقف عليه وسلم، فوسع الفضيل له ورد عليه السلام. فلما جلس أقبل على الفضيل فقال: رحمك الله، قد كان الواجب أن تأتينا وتعرف حقنا إذ ولانا الله أموركم فصيرنا الحكام في دمائكم، والذابين عن حريمكم، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك؛ إني وطئت الآن في الطواف على جنديةٍ فما ديتها؟ قال: فبكى الفضيل بكاءً شديداً حتى علا صوته وقال: إذا كان الراعي يسأل عن الغنم هلكت الغنم، وإنما يجب على الراعي أن يرتاد لغنمه المرعى، وجيد الكلأ، وعذب الماء، فإذا كنت يا أمير المؤمنين تسألني عن معالم الدين فبأي شيءٍ تسوس رعيتك؟ قال: فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف.

لم أعنك رحمك الله:

وعن عبد الله الهروي قال: كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قيس، فقال: لو أن رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن.

وما للعالم وما للأمير:

حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله فيقال: أين العالم؟ فيقال عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالم وما للقاضي، وما للعالم وما للأمير ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

فما عوضك!:

كان لبعض الملوك نديم فسكر ففاتته الصلاة، فجاءت جارية له بجمرة نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت: إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة، فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل وابن عيينة، فإذا تحت رأسه لبنة وليس تحت جنبه حصير فقالا له: إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيرا منه فما عوضك؟ قال القناعة والرضا بما أنا فيه.

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجي ء بهم إلى المزبلة فيقول: انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون.

ما جاء بك!:

كان الفضيل جالسا وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال: ما جاء بك؟ قال المؤانسة قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا!:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه: لو علم

الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا.

من كلام الفضيل :

وقال الفضيل أوحى الله إلى الجبال أني مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى لتواضعه.

وقال الفضيل بن عياض: إن الفاحشة لتشيع في كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا.

وقال الفضيل: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

قال الفضيل بن عياض: ما عملت ذنباً إلا وجدته في خلق زوجتي ودابتي.

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون!! فمن علم انه لله عبد وانه إليه راجع فليعلم انه موقوف، ومن علم انه موقوف، فليعلم انه مسئول، فليعد للسؤال جوابا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك فيما مضى، فانك إن أسأت فيما بقى، أخذت بما مضى وما بقى والأعمال بالخواتيم.

قال الفضيل بن عياض: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن.

كان الفضيل بن عياض يقول: إني لأعصي اللهَ؛ فأعرف ذلك في خلق دابَّتي وجاريتي "!

و قال الفُضيل بن عياض رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا.

قال الفضيل بن عياض: لَقلْعُ الجبال بالإبر أهون من قلع رئاسة قد ثبتت في القلوب.

و قال الفضيل: أدركت السلف يقولون إن لله في كل شيء زكاة وزكاة العقل

طول الحزن.

وقال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير.

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه.

عن إبراهيم بن الأشعث سمعت الفضيل يقول: قال الله عز وجل: يا بن آدم إذا كنت تتقلب في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذرني لا أصرعك بين معاصيك، يا بن آدم اتقني ونم حيث شئت.

قال الفضيل: ينبغي لحامل القرآن ألاَّ تكون له حاجة إلى أحد من الناس، إلى الخليفة فمن دونُ، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

قال الفُضيْل: هذا زمان احفظ لسانك، واخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر

وقول الفضيل: كفى بالله محبوبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا، اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا.

وقال الفضيل: إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت: أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجئ إلي من يشغلني عن ربي.

وقال الفضيل رحمه الله تعالى ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك.

وقال الفضيل بن عياض: ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى سربال ستره إلا نادى الخليل جل جلاله من بطنان عرشه أنا الجواد ومن مثلي يجود على الخلائق وهم عاصون وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوا وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود على العاصين وأتفضل

على المسيئين من ذا الذي دعاني فلم أستجب له من ذا الذي سألني فلم أعطه من ذا الذي أناخ ببابي فطردته أنا المتفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم وقيل معنى الكريم أنه إذا أذنب عبد غفر لكل من فعل ذلك الذنب وغفر لمن اسمه على اسم ذلك العبد.

قال الفضيل رضي الله عنه: من أقام نفسه في ذل في الحلال حضره الله مع الصديقين ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة.

وقال الفضيل: كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون.

و قال الفضيل: روي لي أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك.

قال الفضيل بن عياض: ألا ترون كيف يزوي الله سبحانه الدنيا عمن يحب؟ ويمررها عليهم مرة بالجوع، ومرة بالعري، ومرة بالحاجة، كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تقمطه بالصبر مرة، وبالحضض مرة، وإنما تريد صلاحه.

حدث عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول في جهنم أرحية تطحن العلماء طحنا فقيل: من هؤلاء؟ قال: قوم علموا فلم يعملوا.

حدث إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير وصاحبه منه في راحة ولا تخالط سيءُ الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من ان يصحبني قارئ سيئ الخلق إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه.

قال الفضيل بن عياض: من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ.

قال الفضيل: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذن لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس فكانوا لهم تبعاً، ولكنهم ابتذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا، ووجدوا لغامز فيهم مغمزاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعظم بها

مصيبة.

قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمراً، فأحببت ما أحب الله.

وسئل الفضيل رحمه الله عن قراءة القرآن بألحان، فقال: إنما أخذ هذا من الغناء قوم اشتهوا الغناء فاستحبوا فحولوا نصب الغناء على القرآن، وعسى أن يقرأ رجل ليس له صوت فلا يعجبهم وهو خير من صاحب الصوت؛ ويقرأ الآخر فيعجبهم صوته فيقولون: ما أحسن قرآنه! ولعله لا يجاوز قرآنه حنجرته.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال: " نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء للقلب، ونظر المؤمن لصاحب البدعة يورث العمى ". وقال: إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. وقال: لا يرفع لصاحب بدعة عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

قال الفُضيل بن عياض رحمه الله: من مقت نفسه في الله أمنه الله من مقته.

وعن فيض بن إسحاق قال: كنت عند الفضيل بن عياضٍ رضي الله عنه إذ جاءه رجلٌ فسأله حاجةً فألح بالسؤال عليه، فقلت له: لا تؤذ الشيخ. فقال لي الفضيل: اسكت يافيض، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمةٌ من الله عليكم، فاحذروا أن تملّوا النعم فتتحوّل. ألا تحمد ربّك أن جعلك موضعاً تسأل، ولم يجعلك موضعاً تسأل؟!

من دعاء الفضيل بن عياض رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الغنى في الدنيا، وأعوذ بك من الرغبة فيها، وأسألك الزهد في الدنيا، وأعوذ بك من الفقر فيها.

وقال الفُضَيل بن عِيَاض: كان العُلَمَاء رَبيعَ الناس إذ رآهم المَريضُ لم يسرّه أن يكون صَحيحاً وإذا نظر إليهم الفقيُر لم يَودَّ أن يكون غنياً " وقد صاروا اليومَ فتنة للناس ".

وقال الفُضَيل بن عِياض: استَخيروا الله ولا تتخيروا عليه فرُبما اختار العبدُ

أمرًا هلاكُه فيه.

وكان الفضيل بن عِيَاض يقول: إلهي لو عَذبْتَني بالنـار لـم يَخْرُج حُبُّك مـن قَلبي ولم أنسَ أياديكَ عندي في دار الدنيا وقال عبد الله بنُ مسعود: اللهم وَسِّع علي في الدنيا وزَهِّدني فيها ولا تُزْوِها عَني وتُرَغبني فيها.

وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الأمراء من يجالس العلماء.

وقال الفضيل: من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل.

وكان يقول: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه.

قال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال: فقلت له لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل الفتوة.

وقال الفضيل بن عياض: لو عرضت علي الدنيا بحذافيرها حلالاً أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

ومن كلام الفضيل بن عياض: يا بن آدم إنّما يفضلك الغني بيومك، أمسى قد خلا وغد لم يأت، فإن صبرت يومك أحمد أمرك، وقويت على غدك، وإن عجزت عن يومك ذممت أمرك وضعفت عن غدك. وإنّ الصبر يورث البرء، وإنّ الجزع يورث السقم، وبالسقم يكون الموت وبالبرء تكون الحياة.

قال الفضيل: لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا.

وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني. وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع إليه فقال: وجدته غالياً، قال: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه.

وذكر الزهد عند الفضيل فقال: هو حرفان في كتاب الله تعالى:{ لِّكَيْلَا

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ} [الحديد: ٢٣].

قال الفضيل: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر.

وقال الفضيل: لو أن رجلاً أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق. فإن قيل: أليس قد روى أن عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى: تلقاني ضاحكاً كأنك آمن؟ فقال عيسى: وأنت تلقاني عابساً كأنك آيس؟ فأوحى الله تعالى إليهما إن أحبكما إلي أبشكما لصاحبه. قلنا: كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليست طلاقة الوجه والتبسم في وجه أخيك منهياً عنه، وإنما المكر ومما ذكرناه في أول الباب من التملق والتصنع.

قال الفضيل: المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

وقال الفضيل بن عياض أنه قال: لكل شيء ديباج، وديباج القراء ترك الغيبة.

قال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: الكامل من برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته.

قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري: دلني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالة لا توجد.

قال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

اجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا، فافترقوا وهم مجتمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع.

قال: وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه: اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلةٍ نلت هذا

منك يا رب؟

وكان الفضيل يقول: المال يسوّد غير السيّد ويقويّ غير الأيّد.

قال الفضيل بن عياض: من أكثر من قول الحمد لله كثر الداعي له، قيل: ومن أين قلت هذا؟ قال: لأن كل من يصلي يقول: سمع الله لمن حمده.

قال الفضيل بن عياض لأصحابه: إذا قيل لأحدكم: أتخاف الله؟ فليسكت، فإنّه إذا قال: لا، جاء بأمرٍ عظيم، وإن قال نعم، فالخائف على خلاف ما هو عليه.

قال الفضيل بن عياض: يا ربّ إنّي لأستحيي أن أقول: توكّلت عليك، لو توكّلت عليك لما خفت ولا رجوت غيرك.

قال الفضيل بن عياض: دعاك الله إلى دار السلام، وقد آثرت في دنياك المقام، وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مؤالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هواك، وأنت معانيه صباحك ومساك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه؟.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الدنيا دار المرضى، والناس فيها مرضى، وللمجانين في دار المرضى شيئان: غل وقيد. ولنا غل الهوى، وقيد المعصية.

ومن كلامه رضي الله عنه أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم. وكان يقول من أحب أن يسمع كلامه إذا تكلم فليس بزاهد.

وكان يقول: إذا اغتابك عدو فهو أنفع لك من الصديق فإنه كلما اغتابك كان لك حسناته.

وكان رضي الله عنه يقول: سيد القبيلة في آخر الزمان منافقها، وهناك يحذر منهم لأنهم داء لا دواء له.

وكان رضي الله عنه يقول: فر من الناس غير تارك للجماعة.

وكان رضي الله عنه يقول: ليس هذا زمان فرح إنما هو زمان غموم.

وكان يقول لكل شيء ديباجة وديباجة القراء ترك الغيبة، وكان يكره لقاء الإخوان مخافة التزين منه ومنهم.

وكان يقول: من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث، وكان رضي

الله عنه يسقي على الدوام وينفق من ذلك على نفسه وعياله.

وكان رضي الله عنه يقول: إذ أحب عبداً أكثر غمه في الدنيا، وإذا أبغض عبداً وسع عليه دنياه، وكان يقول لو حلفت أني مراء كان أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراء، وكان يقول: لا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له حاجة عند أحد من الأمراء والأغنياء إنما ينبغي أن يكون حوائج الخلق إليه هو وكان رضي الله عنه يقول: تباعد من القراء جهدك فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك وإن غضبوا شهدوا عليك زوراً وقبل ذلك منهم.

وجلس إليه سفيان بن عيينة فقال له الفضيل: كنتم معاشر العلماء سراجاً للبلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً يهتدي بكم فصرتم حيرة أما يستحي أحدكم من الله إذا أتى إلى هؤلاء الأمراء وأخذ من مالهم وهو لا يعلم من أين أخذوه، ثم يسند بعد ذلك ظهره إلى محرابه ويقول: حدثني فلان عن فلان فطأطأ سفيان رأسه وقال نستغفر الله ونتوب إليه.

وكان يقول: قراء الرحمن أصحاب خشوع وذبول، وقراء الدنيا أصحاب عجب وتكبر وازدراء للعامة.

وكان يقول: الغيبة فاكهة القراء.

واجتمع رضي الله عنه هو وشعيب بن حرب في الطواف فقال: يا شعيب إن كنت تظن أنه شهد الموقف والموسم من هو شر مني ومنك فبئس ما ظننت وكان رضي الله عنه يقول من طلب أخاً بلا غيب صار بلا أخ، وكان يقول: لا تؤاخ من إذا غضب منك كذب عليك.

وكان يقول: قد بطلت الأخوة اليوم كان الرجل يحفظ أولاد أخيه من بعده ويعولهم حتى يبلغوا رشدهم كأنهم أولاده.

وكان يقول: ليس بأخيك من إذا منعته شيئاً طلبه غضب منك.

وكان يقول: كان لقمان قاضياً علي بني إسرائيل مع كونه عبداً حبشياً لصدقه في الحديث وتركه ما لا يعنيه.

وكان يقول: طول الصراط خمسة عشر ألف فرسخ فانظر يا أخي أي رجل

تكون.

وسأله إسحاق بن إبراهيم أن يحدثه فقال لـه الفضيل رضـي الله عنـه: لـو طلبت مني الدنانير لكان أيسر علي من الحديث ولو أنك يا مفتون عملت بما علمت لكان لك شغل عن سماع الحديث وكان رضي الله عنه يقول: من قرأ القرآن سئل يوم القيامة كما تسأل الأسـاء عليهم الصلاة والسلام عن تبليغ الرسالة فإنه وارثهم، وكان يقول عالم الآخرة علمه مستور وعالم الدنيا علمه منشور، فاتبعوا عالم الآخرة واحذروا عالم الدنيا أن تجالسوه فإنه يفتنكم بغروره وزخرفته ودعواه الحمل من غير عمل أو العمل من غير صدق، وكان رضي الله عنه يقول: لو أن أهل العلم زهدوا في الدنيا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت الناس لهم ولكن بذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس ومن علامة الزهاد أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمراء ومن داناهم وكان رضي الله عنه يقول: من عرف ما يدخل جوفه كان عند الله صديقاً، فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين.

قال في قوله تعالي:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧].

قال: أخلصه، وأصوبه، قيل: يا أبا علي! ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صوباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله.

حيث ما كنت فكن ذَنَباً، ولا تكن رأساً؛ فإن الرأس تهلك، والذنب ينجو.

كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي.

صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً.

لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلة أهله، ولا تغتر بكثرة الناس.

إذا أتاك رجلاً يشكو رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - فقل: فإن كنت تحسن تنتصر بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل.

المؤمن يزرع نخلاً، ويخاف أن يثمر شوكاً، والمنافق يزرع شوكاً، ويطلب أن يثمر رطباً.

نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.

إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

من وقي خمساً وقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة.

لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره - لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

ما أحب عبدٌ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص، والعيوب؛ ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير.

ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه.

أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام، ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

رب ضاحك، وأكفانه قد خرجت من عند القصار [1].

---

(١))القصار: المغسل.

من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال.

بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

عاملوا الله - عز وجل - بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال، ورجا فيك الخير دون غيرك.

من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه.

إن الله - عز وجل - ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

المؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

وقال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب، الخليقة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك ببغضهم لك، ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي [1].

* * *

(١) مصادر الترجمة: الجرح والتعديل ٤ / ٤٧٠، التاريخ الكبير: ٧ / ١٢٣، التاريخ الصغير: ٢ / ٢٤١، المعارف: ٥١١، المعرفة والتاريخ للفسوي: ١ / ١٧٩، الجرح والتعديل: ٧ / ٧٣، طبقات الصوفية للسلمي: ٦ / ١٤، حلية الأولياء: ٨ / ٨٤، تاريخ ابن عساكر: ١٤ / ١٢٩ / أس، صفوة الصفوة: ٢ / ١٣٤، التوابون: للمقدسي: ٢٧، وفيات الأعيان: ٤ / ٤٧ - ٥٠، تهذيب الكمال: ١١٠٤، تهذيب التهذيب: ٣ / ١٤١ / ٢، تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٤٥، العبر: ١ / ٢٩٨، ميزان الاعتدال: ٣ / ٣٦١، روض الرياحين لليافعي: ٤١، تهذيب التهذيب: ٨ / ٢٩٤، النجوم الزاهرة: ٢ / ١٢١، ١٤٣، البصائر والذخائر: ٤ / ١٨٨، خلاصة تهذيب الكمال: ٣١٠، الجواهر المضية: ١ / ٤٠٩، شذرات الذهب: ١ / ٣٦١.

سفيان بن عيينة

أعـلام التابعيـن

سفيان بن عيينة

من العلماء الجهابذة النقاد بمكة سفيان بن عيينة. وهو بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولى لهم أبو محمد كوفي سكن مكة

علم سفيان بن عيينة وفقهه :

قال عبد الرحمن بن مهدي: كان سفيان بن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز.

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

قال الشافعي: ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة وما رأيت أحداً أكف عن الفتيا منه ما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه.

قال الشافعي: مالك وسفيان قرينان.

حدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنن من سفيان بن عيينة.

قال عثمان بن زائدة الرازي، وكان رجلاً صالحاً: قدمت الكوفة فقلت لسفيان الثوري: من ترى أن أسمع منه؟ قال عليك بزائدة بن قدامة وسفيان بن عيينة.

قال عبد الله بن المبارك: سئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة فقال: ذاك أحد الأحدين يقول ليس له نظير.

قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة.

قال نعيم بن حماد: كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحداً أجمع لمتفرق من ابن عيينة [1].

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١ / ٣١.

حدث أبي ذؤيب بن عمرو السهمي المديني قال: سألت سفيان بن عيينة هل سمعت من صالح مولى التوءمة شيئاً قال نعم هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيده يعني يكثره سمعت منه ولعابه يسيل يعني من الكبر، وما علمت أحداً من أصحابنا يحدث عنه لا مالك بن أنس ولا غيره قال عبد الرحمن فقد بان أن ابن عيينة منتقد لرواة الآثار فإني لا أعلمه روى عن صالح مولى التوءمة شيئاً.

وسئل عن محمد بن إسحاق قيل له: لم يرو أهل المدينة عنه فقال سفيان: جالست بن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة، وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً قلت لسفيان: كان بن إسحاق جالس فاطمة بنت المنذر.

قال وكيع: ما كتبنا عن بن عيينة إلا والأعمش حي سنة ست وأربعين ومائة.

أخبرمحمود بن آدم المروزي فيما كتب قال: ما رأيت وكيعاً عند بن عيينة قط إلا جاثياً بين يديه على ركبتيه ساكتاً لا يتكلم.

قال أبا معاوية: كنا نخرج من مجلس الأعمش فنأتي ابن عيينة.

قال سفيان: كنت ألزم أيوب بالليل عند عمرو بن دينار، وكنت أفيده عن عمرو بن دينار رؤوس الأحاديث، وأذهب معه فأسأل له عن تلك الأطراف، وكان يسألني كم روى عمرو عن فلان وكم روى عن فلان فأقصها عليه ثم أكتب له من كل شيخ شيئاً وأسال له عمراً عنها.

قال علي يعني ابن المديني: سمعت سفيان قال: ربما عادني بن أبي نجيح وأنا غليم وكنت طويل الملازمة بالليل والنهار.

قال أبو أسامة: دخل بن عيينة علي زائدة، وهو مريض فسأل زائدة بن عيينة عن حديث فحدثه فدعا زائدة بشيء وكتبه.

ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة. وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل: أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون، رحمه الله تعالى.

مواقف من حياة سفيان بن عيينة:

أبوهم أنت أخوهم أنت!:

حدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: دخل سفيان بن عيينة على معن بن زائدة وهو باليمن ولم يكن سفيان تلطخ بشيء من أمر السلطان بعد فجعل سفيان يعظه ويذكر له أمر المسلمين فجعل معن يقول له أبوهم أنت أخوهم أنت.

والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم **بك أشد من شقائك بنا! :**

وورد في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر، فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك، حتى عد جماعة، ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس: أتنصف يا أبا محمد قال: إن شاء الله تعالى، فقال: والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس:

خل جنبيك لرام ::: وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ::: لك من داء الكلام
إنما السالم من أل ::: جم فاه بلجام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني السلطان.

وما رأيت أكف عن الفتيا منه:

وقال الشافعي: ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكف عن الفتيا منه.

وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين. قال سفيان المذكور: كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان، ثم ينشد:

خلت الديار فسدت غير مسود ::: ومن الشقاء تفردي بالسؤود

وإني قد استحييت من الله:

قيل: إنه في آخر سنة حج قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل

مرة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في العام القابل.

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها، وهو من أهل الكوفة.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألونني عن عمر بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي: يا بني، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث، يضطر في حفظ تلك الأحاديث.

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا :

خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له: يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية

الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاؤه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة:

خَلَتِ الديارُ فسُدت غير مُسوّد ::: ومن الشقاء تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

إن هذا لفي كتاب الله عز وجل:

قال المكي: كنت عند سفيان بن عيينة وجاء رجل فقال له: إن جاري قد آذاني، وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: من آذى جاره ورثه الله داره، فقال له: إن هذا لفي كتاب الله عز وجل، قال الرجل: وأين ذلك؟ قال: قال الله عز وجل: { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾} [إبراهيم: ١٣ - ١٤]، فقام المكي وقبل رأسه.

فكسر الملعقة:

دخل سفيان بن عيينة على الرشيد وهو يأكل من صحفة بملعقة فقال: يا أمير المؤمنين، حدثني عبيد الله بن أبي يزيد عن جدك ابن عباس في قوله عز وجل:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ} [الإسراء: ٧٠] أي: جعلنا لهم أيدياً يأكلون بها، فكسر الملعقة.

العلماء ثلاثة:

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

كم كان يصلي بهم لو أكلوا اللوزينج:

حدثنا محمد بن مزيد البوشنجي، قال: سمعت سفيان بن وكيع بن الجراح، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: دعانا سفيان الثوري يوماً فقدم إلينا تمراً

ولبناً خاثراً فلما توسطنا الأكل قال: قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى قال سفيان بن وكيع: لو كان قدم إليهم شيئاً من هذا اللوزينج [١] المحدث لقال لهم: قوموا بنا نصلي التراوح.

المعرفة تنفع عند الكلب العقور:

قال سفيان بن عيينة: عرض المغيرة بن شعبة بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال: يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شاب كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابن عمي لحا ليس له علي فضيلة في نسبٍ ولا نجدةٍ فألحقني به، قال: لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي موجدة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقاً لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصؤول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟ [٢].

سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست!! :

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصتهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك)**. والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء [٣].

---

(١) اللوزينج من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز.
(٢) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس.

يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك:

بكى سفيان بن عيينة يوماً، فقال له يحيى بن أكثم: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بليت بمجالستكم. فقال له يحيى، وكان حدثاً، فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بمجالستك بعد أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك.

أنا لكم مثل جبل أبي قبيس:

كان يجتمع في مجلس سفيان بن عيينة مائة ألف نفس، وكان يقول: أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، أصعدوا علي وأطلعوا على التابعين.

العجب منك كل العجب! :

قال سفيان بن عيينة: كنت في حلقة رجل من ولد عبد الله بن عمر فسئل عن شيء فقال: لا أدري. فقال له يحيى بن سعيد: العجب منك كل العجب**!** تقول لا أدري وأنت ابن إمام هدى؟ فقال: أولا أخبرك بأعجب مني عند الله وعند من عقل عن الله: من قال بغير علم، أو حدث عن غير ثقة.

إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر:

قال سفيان بن عيينة: اجتمع أطباء فارس وابن كلدة على أن الداء إدخال الطعام على الطعام. وقالوا: إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر. والشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج [(١)].

الإيمان قول وعمل:

قال يحيى بن المحشو. سمعت سفيان بن عيينة وقد سأله رجل عن الإيمان فقال: الإيمان قول وعمل، قال: يزيد وينقص؟ قال يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه مثلا ذا، وأشار بأطراف أصابه، قال: فكيف نصنع بقوم عندنا بطرسوس يزعمون إنما هو قول: قال كان القول قولهم واستوى قاعدا قبل أن تنزل أحكام الإيمان وشروطه أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار.

وسلم إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا: لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم فأمرهم بالصلاة ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يهاجروا إلى المدينة غربا، ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأولادهم وإخوانهم، ويقولوا كقولهم ويصلوا صلاتهم ويهاجروا كهجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أن أحدهم أتى برأس أبيه، فقال يا رسول الله هذا رأس الشيخ الكافر، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبداً، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللاً، فأمرهم ففعلوا، والله لو لم يفعلوا لما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا مهاجرتهم ولا قتلهم آباءهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم، قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وكانت أشد الخلال عليهم ففعلوا، وأتوا به سراً وعلانية قليلها وكثيرها، فلما علم الله الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وضروبه فأنزل الله عليهم:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣]، فمن ترك خلة من خلال الإيمان كان عندنا كافراً، ومن تركها كسلاً أو تهاوناً أدبناه وكان عندنا ناقصاً. هكذا السنة يا بني فأبلغها عني من لقيت من جماعة المسلمين.

كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة:

قال محمد بن حسان التهتي: شهدت فضيل بن عياض في مجلس سفيان بن عيينة فتكلم الفضيل فقال: كنتم معشر العلماء سراج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة، كنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة، لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء، وقد علمتم من أي هو يجيء، يسند ظهره فيقول: حدثني فلان عن فلان، فرفع سفيان رأسه فقال: هاه هاه،

والله إن كنا لسنا بصالحين إنا لنحب الصالحين، فسكت فضيل، فطلب إليه سفيان، فحدثنا تلك الليلة ثلاثين حديثاً [١].

يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به:

وجه الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله ليأتيه فيحدثه فقال مالك: إن العلم يؤتى! فسار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدار، فقال: يا أمير المؤمنين، من إجلال الله تعالى إجلال العلم، فقام وجلس بين يديه وبعث إلى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدثه، فقال الرشيد بعد ذلك: يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به [٢].

يا أعرابي، ما أعجبك من حديثنا! :

لزم أعرابي سفيان بن عيينة حتى سمع منه ثلاثة آلاف حديث، ثم جاءه يودعه، فقال له سفيان: يا أعرابي، ما أعجبك من حديثنا؟ قال: ثلاثة أحاديث: حديث عائشة عن النبي صلي الله عليه وسلم وآله وصحبه أنه كان يحب الحلواء ويحب العسل، وحديثه عليه الصلاة والسلام: إذا حضر العشاء وحضرة الصلاة، فابدأوا بالعشاء، وحديث عائشة عنه صلي الله عليه وسلم : ليس من البر الصيام في السفر [٣].

إن لم تكن من الصالحين فأنا نحب الصالحين:

وقال بعضهم للفضيل: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال: ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال: يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين.

سلام خاص وعام عليك:

عن علي بن يونس المديني " قال: كنت جالسا عند مالك " بن أنس " فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب فقال مالك: رجل صالح صاحب سنة أدخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام فقال: سلام خاص

(١) ابن الشجري، الأمالي الشجرية.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء.
(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية.

وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله فقال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله فصافحه مالك وقال: يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك فقال سفيان: قد عانق من هو خير منا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال مالك: جعفرا قال: نعم فقال مالك: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال سفيان: ما عم جعفرا يعمنا وما خصه يخصنا إذا كنا صالحين أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك قال: نعم يا أبا محمد فقال: حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلي الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خلق [١].

ماذا تفعل الدنيا بأهلها!؟ :

قال: حدثني سفيان بن عيينة قال: بينا أنا ومسعر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لَحْيَيْها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال إسماعيل: لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا: لا والله ومن هي قال: هذه بَغُومُ ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

(حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ ::: وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ)

انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسعر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط.

فلم تنفتل إليه! :

قال سفيان بن عيينة: زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي،

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد.

فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه! قال: ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلا يبكيان[(١)].

كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها:

قال سفيان بن عيينة: كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكتاً وأصحابه يتحدثون فقالوا له: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟! قال: كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها؛ ثم بكى.

كأنك لم تدع إلى ضر مسك:

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل:{مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ} [يونس: ١٢].

أكثروا سؤال العافية:

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: كان عبد الأعلى التيمي يقول: أكثروا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزى في الآخرة فما يؤَمِّن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة؟! فما يؤَمِّن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في

(١) كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه [لعل هذه اللفظة زائدة] حللاً فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه تعني الحلة.

الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك: الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعمَّر فيها لا نبليها.

شكراً لله:

عن سفيان بن عيينة قال: عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال: وأمطر أهل مكة مطراً فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكراً لله إذ عافاه الله من ذلك.

من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه:

قال سفيان بن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه.

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!

فكتبته عنك:

قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ: حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له: عوام قال: سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه فتبسم سفيان وقال له: هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك قال: وعلى ذلك أحب أن تمليه علي فإني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي.

سفيان بن عيينة وجاره السهمي:

وحدثت من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوماً: إني أرى جارنا هذا السهمي قد أثرى وانفسحت له نعمةٌ، وصار ذا جاهٍ عند الأمراء، ووافداً إلى الخلفاء، فمم ذاك؟ يعني يحيى بن جامعٍ، فقال له جلساؤه: إنه يصير

إلى الخليفة فيتغنى له، فقال سفيانُ: فيقول ماذا؟ فقال أحدُ جلسائه: يقول:

أطوف بهاري مع الطائفين ::: وأرفع من مئزري المسبلِ

فقال سفيان: ما أحسن ما قال! فقال الرجلُ:

واسهر ليلي مع العاكفين ::: وأتلوا من المحكم المنزلِ

قال: حسن والله جميل، قال: إن بعد هذا شيئاً، قال سفيان: وما هو؟ قال:

عسى فارج الكرب عن يوسفٍ ::: يسخرُ لي ربةَ المحملِ

فزوى سفيانُ وجههُ، وأومأ بيده أن كفَّ، وقال: حلالاً حلالاً! (١).

من كلمات سفيان بن عيينة :

عن سفيان بن عيينة قال: كان يقال: الصمت زين للعالم، وستر للجاهل.

عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للعلم شبهاً إلا النار نقتبس منها ولا ننتقص عنها).

عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عز وجل؛ ومن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه.

وكان سفيان بن عيينة يتمثل في ذم الدنيا بهذين البيتين

دنيا تساق لها العباد ذميمة ::: شيبت بأكره من نقيع الحنظل

وبنات دهر لا تزال صروفه ::: فيها وقائع مثل وقع الجندل

قال حامد بن يحيى سمعت سفيان بن عيينه يقول من يسأل نذلا حاجة فقد رفعه عن قدره.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢ / ١٩٢.

وعن سفيان بن عيينه، قال: عاتب الله عز وجلّ المسلمين كلّهم في رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا أبا بكر، فإنه خرج من العاتبة، قال الله تعالى: " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ".

وقال سفيان بن عيينة: لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه.

قال سفيان بن عيينة: الدنيا كلها هموم وغموم فما كان منها سرور فهو ربح.

وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل.

وقال سفيان بن عيينة: " ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله ".

عن سفيان بن عيينة قال: غضب الله الداء الذي لا دواء له.

قال سفيان بن عيينة: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر ثم يجلس فيهيج البكاء ساعة بعد ساعة ويقول: لأمر ما خلقنا، لأمر ما خلقنا، لئن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن.

وقال سفيان بن عيينة: إنما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا [١].

قال سفيان بن عيينة، وذكر عنده البغي: أراد إخوة يوسف أن يذلوه فما برح بهم الدهر حتى قالوا:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ} [يوسف: ٨٨] [٢].

وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة سيف لمشركي العرب وهو قوله تعالى: {وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً} [التوبة: ٣٦] وسيف لأهل الردة على يد أبي بكر رضي الله عنه وهو:{تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ} [الفتح: ١٦] وسيف لأهل الكتاب على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:{ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ} [التوبة: ٢٩] وسيف لأهل القبلة والصلاة على يد علي

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية.

رضي الله عنه:{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ} [الحجرات: ٩] ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

قال سفيان بن عيينة: لو لم ينزل الله تعالى علينا إلا قوله تعالى:{أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ} [البقرة: ٢٣٥]" لكان قد أعذر [١].

وقال سفيان بن عيينة: إن الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلاً أياماً.

قال سفيان بن عيينة: إذا كانت حياتي حياة سفيه، وموتي موت جاهل، فماذا ينفعني ما جمعت من غرائب الحكمة [٢].

قال سفيان بن عيينة: إذا اجتمع قوم يذكرون الله اعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم، فإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك.

قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله أجاب دعاء شر الخلق إذ قال: رب فانظرني.

قال سفيان بن عيينة: دخلنا على فضيل في مرضه فقال: ما جاء بكم؟ والله لو لم تجيئوا كان أحب إلي؛ ثم قال: نعم الشيء المرض لولا العيادة.

رأى سفيان بن عيينة سفيان الثوري في المنام فقال له: أوصني؛ قال: أقلل من معرفة الناس، ثلاث مرات [٣].

كان سفيان بن عيينة يقول: لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها، وينشد:

فضع الزِّيارة حيث لا يزرى بها ::: كرم المزور ولا يعاب الزَّائر

قال سفيان بن عيينة: من حسن خلقه ساء خلق خادمه.

قال سفيان بن عيينة: ما استقصى كريمٌ قط، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى:

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء.
(٢) ابن الشجري، الأمالي الشجرية.
(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار.

{عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ} [التحريم: ٣].

عن إبراهيم بن محمد بن العباس، قال: سمعت سفيان بن عيينة، وقد سئل عن المروءة ماهي؟ فقال: الأنصاف من نفسك، والتفضل على غيرك، ألم تسمع قول اللـه تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ} [النحل: ٩٠] لاتتمّ المروءة إلاّ بهما، العدل هو الإنصاف، والإحسان التفضل.

قال سفيان بن عيينة: وسمعت أعرابياً يقول في الموقف: اللهم إن ذنوبي لن تضرك، ورحمتك إياي لن تنقصك، فلا تمنعني مالا ينقصك، واغفر لي مالا يضرك[١].

قال سفيان بن عيينة: قال أمير المؤمنين لأبي حازم: أوصني، قال: هين يسير، لا تأخذن شيئاً إلا بحقه، ولا تمنعن شيئاً من حقه، قال: يا أبا حازم، من يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وهرب من النار.

قال سفيان بن عيينة، قيل لبعض السلف: أترجو الأجر فيما أحل الله لك؟ قال: نعم، قيل: أرأيت لو فعلت شيئاً هو حرام أكنت تخاف الإثم فيما حرم الله عليك؟ قال: نعم، قال: فارج الأجر فيما أحل الله، كما تخاف الإثم فيما حرم الله عليك.

قال سفيان بن عيينة، قال عبد الله بن مسعود لأصحابه: أنتم جلاء قلبي، ثم أقبل سفيان على أصحابه وقال: ولكنكم غطاء قلبي.

قال سفيان بن عيينة: أكبر الكبائر الشّرك بالله تعالى، والقنوط من رحمة الله عزّ وجلّ، واليأس من روح الله عزّ ذكره، والأمان من مكر الله جلّ ثناؤه، ثم قرأ: {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩]،{مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ} [المائدة: ٧٢]،{لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [يوسف: ٨٧]،{وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ} [الحجر: ٥٦].

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس.

وقال: ثنتان منجيتان، وثنتان مهلكتان؛ فالمنجيتان النّهي والنّيّة، قال: والنّيّة أن تنوي أن تطيع الله فيما تستقبل، والنّهي أن تنهى نفسك عمّا حرّم الله عليك؛ والمهلكتان: العجب والقنوط.

وسئل سفيان بن عيينة: هل حرّمت الصّدقة على أحدٍ من الأنبياء قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقبل عترته الطّاهرة؟ قال: ألم تسمع قول إخوة يوسف:{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: ٨٨] وهم لا يعرفون يوسف، يريدون أن يتصدّق عليهم وعلى يعقوب.

سئل سفيان بن عيينة عن الكراهية لرفع الصوت وكثرة الكلام عند الميت وفي الجنازة قال: لأنه الحشر إلى الآخرة، ألم تسمع قوله:{ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾} [طه: ١٠٨] فلتعظيم الموت استحبّ قلّة الكلام.

وسئل عن قوله صلي الله عليه وسلم :(**لا يضرّ المدح من عرف نفسه**)، قال: ألم تسمع قوله: {ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥]، وقول العبد الصالح:{إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾} [الشعراء: ١٠٧]، أي لكم ناصحٌ أمين، فمن عرف أنّ ما به من نعمةٍ فمن الله تعالى فال بأس:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى: ١١]، وإن أثنى عليه غيره عرفت أنّ ذلك ستر الله تعالى ونعمته، ألم تسمع قول الله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [مريم: ٥٠]، وكان محمدٌ صلي الله عليه وسلم لسانه الذي أنطقه الله تعالى عنه، فأكذب من قال فيه غير الحقّ:{ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾} [النحل: ١٢٠]، وقال:{ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا } [آل عمران: ٦٧]، فهذا اللّسان الصّدوق. وقال ابن مسعود: إنّي لأعلمكم بكتاب الله تعالى وما أنا بخيركم؛ وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إنّ بين جنبيّ علماً جماً فسلوني قبل أن تفقدوني. فمن عرف أنّ الأمر من الله تعالى لم يضرّه المدح، لأنّه قد عرف نفسه، ولا يضرّ ثناءٌ من أثنى عليه كقول عمر: اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنّون.

سئل سفيان بن عيينة عن قول مطّرفٍ: فإذا بدء الأمر من الله، وتمامه بالله، وملاكه الدعاء، قال: ألم تسمع قوله تعالى:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف: ٥٤ - ٥٥]. يقال: ما الكبر، والجبر، والنّبر، والدّبر، والسّبر، والشّبر، والغبر، والعبر، والسّدر، والهتر، والغمر، والزّبر.

قال سفيان بن عيينة: صحبت النّاس خمسين سنةً ما ستر أحدٌ لي عورةً، ولا ردّ عني غيبةً، ولا عفا لي عن مظلمةٍ، ولا قطعته فوصلني، وأخصّ إخواني لو خالفته في رمّانةٍ فقلت: حامضة، وقال: حلوة، لسعى فيّ حتى يشيط دمي (١).

وكتب مرة إلى أخ له أما آن لك يا أخي أن تستوحش من الناس ولقد أدركنا الناس وهم إذا بلغ أحدهم الأربعين سنة جن عن معارفه وصار كأنه مختلط العقل من شدة تأهبه للموت وكان إذا أعطاه الناس شيئاً يقول أعطوه لفلان فإنه أحوج مني.

وكان يقول: من صبر على البلاء ورضي بالقضاء فقد كمل أمره وكان يقول: بحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً لا يصلحه، وكان يقول: خصلتان يعسر علاجهما ترك الطمع فيما بأيدي الناس، وإخلاص العمل لله.

وكان يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فماذا أصنع بالعلم الذي كتبت.

وكان يقول بمن زيد في عقله نقص من رزقه.

وكان يقول: لا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا فمن لم يكن معه لا إله إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حي.

وكان يقول: ما أنعم الله عز وجل على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وإن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا.

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ٩٩٩ م، الطبعة الرابعة.

وكان يقول: فسر حديث: " من كشنا فليس منا " ونحوه على أن المراد ليس هو على هدينا وحسن طريقتنا فقد أساء الأدب فإن السكوت عن تفسيره أبلغ في الزجر.

وكان رضي الله عنه يقول: الزهد في الدنيا هو الصبر وارتقاب الموت.

وقال: حرملة أخرج لي سفيان بن عيينة رغيف شعير من كمه، وقال لي: دع ما يقوله الناس فإنه طعامي منذ ستين سنة.

وكان رضي الله عنه يقول: ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بد منه.

وكان يقول: ماء زمزم بمنزلة الطيب لا يرد.

وكان يقول: إذا كانت نفس المؤمن متعلقة بدينه حتى يقضي فكيف بصاحب الغيبة فإن اللين يقضي والغيبة لا تقضي ولو أن رجلا أصاب من مال رجل شيئاً ثم تورع عنه بعد موته فجاء به إلى ورثته لكنا نرى أن ذلك كفارات له ولو أنه اغتابه ثم تورع وجاء بعد موته إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حل ما كان في حل فعرض المؤمن أشد من ماله.

وكان يقول: وصى الخضر موسى عليهما السلام أن لا يعير أحداً بذنب.

وكان رضي الله عنه يقول: إن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام سراً وللعلماء رضي الله عنهم سراً، وإن للملوك سراً فلو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أظهروا سرهم للعامة لفسدت النبوة، ولو أن العلماء رضي الله عنهم أظهروا سرهم للعامة لفسدت عليهم، ولو أن الملوك أظهروا سرهم للعامة لفسد ملكهم.

وكان رضي الله عنه يقول: العلم إن لم ينفعك ضرك.

وكان إذا فرغ من صلاته يقول: اللهم اغفر لي ما كان فيها.

وكان يقول: لا يكون طالب العلم عاقلا حتى يرى نفسه دون كل المسلمين.

وكان يقول: إذا لم تصل حقك إلا بالخصومة والسلطان فدعه لما ترجو من سلامة دينك.

وكان يقول: كم من شخص يظهر الزهد في الدنيا والله مطلع على قلبه أنه محب لها.

وكان رضي الله عنه يقول: كتمان الفقر مطلوب لأنه من الأعمال الصالحة وذلك من أشد ما يكون على النفس.

وكان رضي الله عنه بقول: الجهاد عشرة فجهاد العدو واحد وجهاد النفس تسعة وكان رضي الله عنه يقول: إنما عرفوا لأنهم أحبوا أن لا يعرفوا.

وكان يقول: ائتوا الصلاة قبل النداء ولا تكونوا كالعبد السوء لا يأتي للصلاة حتى يدعى إليها.

وكان رضي الله عنه يقول: ما عليك أضر من علم لا تعمل به.

وكان يقول: شرار من مضي عام أول خير من خياركم اليوم.

وكان رضي الله عنه يقول: أن الزمان الذي يحتاج الناس فيه إلى مثلنا لزمان سوء.

قال محمد بن قدامة سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر يا أبا عبد الله ما بقي أحد أخافه غيرك وكأني بك قد مت فرثيتني فلما مات سفيان بن عيينة قال ابن مناذر يرثيه:

راحوا بسُفيانَ على نَعْشِه ::: والعِلْمُ مَكسُوّيْن أكْفانا
إنّ الذي غُودِرَ بالْمُنْحَنَى ::: هَدَّ من الإسلام أَركانا
لا يُبعِدَنْكَ اللهُ من مَيّتٍ ::: وَرَّثْنا عِلْماً وأحزانا [1]

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢ / ١٩٢.

أيوب السختياني

أعـلام التابعيـن

أيوب السختياني

الإمام، الحافظ، سيد العلماء، أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي، مولاهم البصري، عداده في صغار التابعين.

مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين.

لقي ابن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: مارأيتُ مثل أيوب.

عن إسحاق بن محمد، سمعت مالكاً يقول: كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه.

عن سلام، قال: كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

عن عارم، حدثنا حماد قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسماً في وجوه الرجال من أيوب.

- عن سلام بن مسكين، سمعت أيوب يقول: لا خبيث أخبث من قارئ فاجر.

وكان يقول: ليتق الله رجل. فإن زهد، فلا يجعلن زُهده عذاباً على الناس، فلأن يُخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.

وكان أيوب ممن يُخفي زهده، دخلنا عليه، فإذا هو على فراش مخمس أحمر، فرفعته أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خصفة محشوة بليف.

قال أيوب: ما صدق عبدٌ فأحب الشهرة.

عن حمّاد بن زيد، قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة فجعل يمتخط ويقول: ما أشد الزكام.

عن ابن شوذب، قال: كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان، ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية، ويصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية. وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم، ويدعو بدعاء

القرآن، ويؤمن من خلفه وآخر ذلك يُصلي على النبي صلي الله عليه وسلم ، ويقول: اللهم استعمِلنا بسنته، وأوزعنا بهديه، واجعلنا للمتقين إماماً، ثم يسجد. وإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات.

وعن هشام بن حسان: أن أيوب السختياني حج أربعين حجة.

قال معمر: كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير. - كان أيوب في طريق مكة، فأصاب الناس عطش حتى خافوا، فقال أيوب: أتكتمون علي؟ قالوا: نعم، فدور رداءه ودعا، فنبع الماءُ، وسقوا الجمال ورووا، ثم أمرّ يده على الموضع كما كان.

واتفقوا على أنه توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة [(١)].

مواقف من حياة أيوب السختياني :

ومن أحبّ عثمان فقد استنار بنور الله:

كان أيّوب السّختيانيّ من الزّهّاد والعقلاء، وهو الذي قال: من أحبّ أبا بكرٍ فقد أقام الدّين، ومن أحبّ عمر فقد أوضح السّبيل، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحبّ عليّاً فقد استمسك بالعروة الوثقى [(٢)].

قاتله الله فلقد أجاد:

وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عباسٍ البصرة فأتاه أيوب السختياني وسليمان التميمي ويونس ابن عبيد فبينا هو يحدثهم إذ سمع غناء فقال عكرمة: اسكتوا فنسمع ثم قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال: ما أجود ما قال: فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه وعاد إليه أيوب، فقال يزيد بن هارون: لقد أحسن أيوب [(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ٢٤٦، ٢٥١، حلية الاولياء ٣ / ٢ - ١٤، تهذيب الكمال: (١٣٤)، تذكرة الحفاظ ١ / ١٣٠ - ١٣٢، تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٧، شذرات الذهب ١ / ١٨١، خلاصة تهذيب الكمال، ٤٢.

(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٨ / ١٠٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢ / ١٩.

لم لم تكتب عن طاووس! :

قال سفيان بن عيينة: قلت لأيوب السّختياني: لم لم تكتب عن طاووس؟ قال: أتيته فوجدته بين ثقلين، عبد الكريم بن أبي الخارق، وليث بن أبي سليم [١].

يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين:

عثمان رضي الله عنه: تاجروا الله بالصدقة تربحوا كان أيوب السختياني يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين، ويقول: احتلفوا علينا. فيدفعها مرة إلى المساكين، ومرة إلى الإمام [٢].

لخشيت المقت من الله:

خرج أيوب السختياني في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي لهذا كاره لخشيت المقت من الله [٣].

يا فتيان احترفوا:

كان أيوب السختياني يقول: يا فتيان احترفوا، فإني لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم، يعني الأمراء [٤].

والله إني أخاف أن أكون بها شقياً:

كان أيوب السختياني يخفي زهده، وما رئي أحد أشد تبسماً في وجوه الرجال منه، ودخلوا عليه فإذا على فراشه مجلس أحمر، فرفعوه فإذا خصفه محشوة بليف، وكان يقوم الليل، فإذا كان من آخر اليل يرفع صوته، يوهم أنه قام تلك الساعة. وكان يقول أهلكت المعرفة، والله إني أخاف أن أكون بها شقياً [٥].

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١٥٦.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/ ١٦٠.
(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٢٠٧.
(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٢٢٧.
(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٠٩.

ما قعدت معكم:

رأى أيوب السختياني صاحباً يبادر حاجة، فقال: قم فإني لو علمت أن أم نافع تحتاج إلى دستجة بقل ما قعدت معكم. أراد أن من حق حاضر مجلس العلم أن يكون فارغ البال قد قضى حوائجه.

الشهرة اليوم في القصر:

قال معمر: رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الأرض فقلت: ما هذا؟ فقال: إنما كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها واليوم الشهرة في تقصيرها؛ وكان يقول للخياط: أقطع وأطل فإن الشهرة اليوم في القصر.

لعلي أتعلق منه بسقطة:

وذكر أبو حنيفة أيوب السختياني فقال: رحمه الله تعالى ثلاثا لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت: لأقعدن إليه لعلي أتعلق منه بسقطة فقام بين يدي القبر مقاما ما ذكرته إلا اقشعر له جلدي.

هكذا يفعل العاقل:

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السختياني فقيل له: يا أعرابي لعلك قدري قال: وما القدري فذكر له محاسن قولهم قال: أنا ذاك ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم فقال: لست بذاك قال: فلعلك مثبت قال: وما المثبت فذكر محاسنهم فقال: أنا ذاك ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم فقال: لست بذاك! قال أيوب: هكذا يفعل العاقل يأخذ من كل شيء أحسنه [١].

لست أفتي في هذا بشيء:

حلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار. فقيل له: سل عن يمينك. فأتى أيوب السختياني فأخبره، فقال: لست أفتي في هذا بشيء، يغفر الله لمن يشاء. فأتى عمرو بن عبيد فأخبره، فقال: تمسك بأهلك، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار فليس يضرك أن تزني [٢].

(١) ابن عبدربه، العقد الفريد، ٣ /١٣١.
(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ

ولا نصف كلمة:

عن سلام ابن أبي المطيع أن رجلاً من أهل الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، قال: فولى أيوب وجعل يشير بأصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة.

النرد والشطرنج سواء:

عن عيسى بن صبيح مولى عمرو بن عبيدة القاضي قال: كنت مع أيوب السختياني فرأى قوماً يلعبون بالشطرنج فقال لمحمد بن المنكدر، فقال: من يلعب بالنرد [١] فقد عصى الله ورسوله؛ فقال له عمرو بن عبيدة: ليس هذا نرد، هذا شطرنج [٢]؛ فقال أيوب: النرد والشطرنج سواء.

إذا ذكر النبيَّ صلي الله عليه وسلم **بكى حتى أرحمه:**

قال مالك رحمه الله في شأن أيوب السختياني رضي الله عنه: " حجّ حجّتين؛ فكنتُ أرمقه ولا أسمع منه، غير أنّه إذا ذكر النبيَّ صلي الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه؛ فلما رأيتُ منه ما رأيتُ وإجلالَهُ النبيَّ صلي الله عليه وسلم كتبتُ عنه! "

ويكون قلبه لهم سليما:

قال ابو أيوب السختياني: (... ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد برىء من النفاق ومن ينتقص أحدا منهم أو بغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح والخوف عليه ان لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما.

ـ ٢٠٠٤ م الطبعة: الأولى، ٢ / ١٢٨.

(١) النرد: بفتح فسكون لفظ معرب: لعبة تعتمد على الحظ، ذات صندوق وحجارة وزهرين وينتقل فيها الحجارة حسبما يأتي به الزهران، وتعرف اليوم ب " الطاولة ".

(٢) الشطرنج: لفظ معرب، لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا، تمثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود.

احفظ عني ثلاث خصال:

قال أيوب السختياني: قال لي أبو قلابة: يا أيوب احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية.

اللهم أنسِه ذكري:

كان أيوب السختياني صديقاً ليزيد بن الوليد؛ فلما ولي الخلافة قال: اللهم أنسِهِ ذكري.

أما ترى أما ترى:

عن حسن بن واقد القصاب، أن أبا جعفر البصري، وكان من أهل الخير والصلاح، قال: اضجعت شاة لأذبحها فمر أيوب السختياني فألقيت الشفرة، وقمت معه أتحدث، فوثبت الشاة فحفرت في أصل الحائط، ودحرجت الشفرة فألقتها في الحفرة، وألقت عليها التراب. فقال لي أيوب: أما ترى أما ترى. فجعلت على نفسي أن لا أذبح شيئاً بعد ذلك اليوم [١].

رأيته يماشي صاحب بدعة:

و دُعي أيوب السختياني إلى غسل ميّت، فخرج مع القوم حتى إذا كشف عن وجهه عرَفه، فقال: (أقبِلوا قِبَل صاحبكم، فلست أغسله، رأيته يماشي صاحب بدعة).

فاعلم أنه ضالٌ مضل:

قال أيوب السختياني: إذا حدَّثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وحدِّثنا من القرآن، فاعلم أنَّه ضالٌ مضل.

(١) (الدميري، حياة الحيوان الكبري، ٢ / ٦١.

من كلام أيوب السختياني :

وكان أيوب السختياني يقول: لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف.

قال أيوب السختياني النمام ذو الوجهين أحسن الاستماع وخالف في الأبلاغ.

وكان ايوب السختياني يقول تعلموا النحو فانه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف (١).

وقال أيوب السختياني: ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشعر به.

وقال أيوب السختياني: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: الغنى عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم (٢).

قال أيوب السختياني: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً باختلاف العلماء.

قال أيوب السختياني: لو لم نلق الله إلا بذنب ما يقوله الناس فينا، ويثنون علينا فنرضى به، للقيناه بهلكة إلا أن يغفر الله (٣).

وكان أيوب السختياني يقول: ليتق الله رجل، وإنّ زهد فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.

سأل سعيد بن المسيب أيوب السختياني عن حديث فقال: إني أشك فيه فقال: شكك أحب إلي من يقين شعبة (٤).

وكان أبو أيوب السختياني يقول إذا بلغني موت أخ كان لي فكأنما سقط عضو مني.

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٣٨٥.
(٢) ابن عبدربه، العقد الفريد، ٣ /١٣١.
(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١١٥.
(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٠٩/١.

وقال أيوب السختياني رحمه الله: " إني أُخبرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي "، وقال: " إن الذين يتمنون موتَ أهل السُّنَّةِ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون " [١].

قال مالك بن أنس: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه[٢].

قال أيوب السختياني: إن من نعم الله على العبد أن يكون مأموناً على ما جاء به.

قال عبد الله بن بشر: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني فيكون لما يرى منه أشد اتباعاً منه لو سمع حديثه.

قال أيوب السختياني: يزيدني حرصاً على الحج لقاء إخوان لي لا ألقاهم بغير الموسم [٣].

قال حماد بن زيد: مرض يونس بن عبيد فقال أيوب السختياني: ما في العيش بعدك من خير.

قال أيوب السختياني: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٦٨/١.

(٢) ما أحسن أن يجتمع عند المرء العلم والتقوى، وما أشد انتفاع الناس حينئذ بعلمه ودعوته؛ قال الذهبي في ترجمة الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي البغدادي (٤٦٢ - ٥٣٨) في (التذكرة) (١٢٨٢/٤ - ١٢٨٣): (الحافظ العالم محدث بغداد... قال السمعاني: هو حافظ ثقة متقن واسع الرواية دائم البشر سريع الدمعة عند الذكر حسن المعاشرة، جمع الفوائد وخرج التخاريج، لعله ما بقي جزء مروي إلا وقد قرأه وحصل نسخته، ونسخ الكتب الكبار، مثل الطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب؛ وكان متفرغاً للحديث: إما أن يقرأ عليه، أو ينسخ شيئاً؛ وقال ابن ناصر: ... لم يتزوج قط؛ وقال ابن الجوزي: كنت أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السلف، انتفعت به ما لم أنتفع بغيره).

(٣) روضة العقلاء، ص ٨٨.

قال يونُس بن عبيد: ما أعلمُ شيئاً أقلَّ من درهمٍ طيبٍ ينفقهُ صاحبُهُ في حقٍّ، أو أخٍ يُسْكَنُ إليهِ في الاسلامِ، وما يزدادانِ إلا قلةً [١].

* * *

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/٣٠٧.

محمد بن مسلم بن
الزهري بن الزهري

أعـلام التابعيـن

محمد بـن مسلم بـن الزهري

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر[١] بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري[٢]. وأمه من بني الدئل من بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقيل اسمها: عائشة بنت عبد الله الأكبر بن شهاب. كنيته: (أبو بكر).

قيل: إنه كان رجلاً دميماً، ليس له ذاك النبل، لم يكن بالجميل.

وقال سفيان: " رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية وفي حمرتها انكفاء قليل كأنه يجعل فيه كَتَمَاً ".

وقال أيضاً: " كان الزهري أعيمش وعليه جميمة " [٣].

---

(١) هناك رجل آخر اسمه عبد الله بن شهاب الأكبر، وهو أخو عبد الله الأصغر، كان اسمه عبد الجان، فسماه النبي صلي الله عليه وسلم عبد الله، وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ومات بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، وأخوه عبد الله بن شهاب الأصغر شهد أحداً مع المشركين، ثم أسلم بعد، ومات بمكة، نسب قريش لمصعب الزبيري، ص: ٣و٢٧٤، وانظر: الإصابة ٣٧٥/٢.

(٢) انظر: ترجمته في نسب قريش لمصعب الزبيري، ص ٣و ٢٧٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٧، تحقيق زياد منصور، والعلل لأحمد ٢٤٩/٢، رقم (٢٥٤٣)، وجمهرة النسب لابن الكلبي ٧٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٢٠/١، والتاريخ الصغير له ٣٥٦/١، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٦١، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٦٢٠/١، والجرح والتعديل ٧١/٨، والحلية لأبي نعيم ٣٦٠/٣، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٣٠، وتاريخ دمشق (انظر: ترجمة الزهري تحقيق شكر الله قوجاني ٣٨، وما بعدها)، ووفيات الأعيان ١٧٧/٤، وتهذيب الكمال ٤١٩/٢٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٦/٥، وتاريخ الإسلام له ١٣٦/٥، وتذكرة الحفاظ له ١٠٨/١، والبداية والنهاية ٣٤٠، وغيرها.

(٣) نسب قريش ٢٧٤، وطبقات خليفة ٢٦١، وتاريخ دمشق ٣٨، ٤٠، تحقيق قوجاني، وتهذيب الكمال ٤٢٠/٢٦. الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ١٥٧) تحقيق: زياد منصور. الدمامة: - بالفتح - القِصَر، والقُبْح، ورجل دميم. النهاية ١٣٤/٢. انكفاء أي تغير. النهاية ١٨٣/٤.

الكتم: نبت يخلط مع الوسمة، ويصبغ به الشعر أسود، وقيل: هو الوسِمة. النهاية ١٥٠/٤، والوسِمة - بكسر السين، وقد تسكن - نبت، وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر. النهاية

وروى أيضاً: أنه كان رجلاً قصيراً، قليل اللحية، له شعيرات طوال، خفيف العارضين.

اختلف في تاريخ ولادته إلى أقوال وإن كان أرجحها هو عام إحدي وخمسن[1].

نشأ الزهري في المدينة فقيراً لا مال له مقطعاً من الديوان، حتى ضاقت عليه الأرض، فلا يدري أين يتجه، ليحصل على مالٍ يسدُّ به حاجته وأهل بيته، ويقضي ديونه، حتى ألهمه ربه بالتوجه إلى الشام، فوفد على عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وثمانين فقضى دينه، وفرّج الله همّه على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة، ثم جعل يتردد بين الشام والحجاز حتى توفاه الله.

كانت بداية طلبه للعلم بالمدينة النبوية صغيراً، فبدأ - كما هو معتاد عند أبناء المسلمين - بحفظ القرآن الكريم، فحفظه في ثمانين ليلةً، ثم أقبل على تعلّم الأنساب، فذهب إلى عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العدوي، وكان عالماً بالأنساب، فجلس يتعلم منه الأنساب عامةً ونسب قومه خاصةً، فجاء رجلٌ يسأل عبد الله بن ثعلبة عن مسألة فقهية في الطلاق فَعَيِيَ عن الجواب، وأشار إلى سعيد بن المسيب، فقال الزهري: قلت في نفسي: ألا أراني مع هذا الرجل المسن يعقل أن رسول الله صلي الله عليه وسلم مسح على رأسه وهو لا يدري ما هذا! [2]فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب، فجالسته سبع حجج، وأنا لا أظن أن أحداً عنده علم غيره.

١٨٥/٥. العمش: محركة ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات. القاموس (عمش).
جميمة: تصغير جمة، والجمة من شعر الرأس، ما سقط على المنكبين. النهاية ٣٠٠/١.

(١) ذكر ذلك خليفة بن خياط في تاريخه ٢١٨، وانظر: وفيات الأعيان ١٧٨/٤ وسير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤١.

(٢) يقصد بالمسح، مسح النبي صلي الله عليه وسلم وجهه عام الفتح كما في تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٣٥ - ٣٦)، ولفظه: " كان النبي صلي الله عليه وسلم قد مسح وجهه عام الفتح ".

وفي رواية: أن السائل عن المسألة الفقهية هو الزهري نفسه، فقال: إن كنت تريد هذا فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب [١].

ومهما يكن، فقد ترك الزهري تعلم الأنساب، واتجه إلى تعلم الأحكام، فجدَّ واجتهد في تحصيل العلم حتى فاق أقرانه.

قال عنه إبراهيم بن سعد الزهري: ما سبقنا ابن شهاب بشيء من العلم إلا أنه كان يشدُّ ثوبه عند صدره، ويسأل عما يريد، وكنا تمنعنا الحداثة.

وقال إبراهيم بن سعد أيضاً: قلت لأبي: بِمَ فاقكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها، ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقي في المجلس شاباً إلا سأله، ولا كهلاً إلا سأله، ولا فتى إلا سأله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يُبقي شاباً إلا سأله، ولا كهلاً إلا سأله، ولا فتى إلا سأله، ولا عجوزاً إلا سألها، ولا كهلة إلا سألها، حتى يحاول ربات الحجال [٢].

وقال أبو الزناد: " كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس ".

وقال أيضاً: " كنت أطوف أنا وابن شهاب، ومع ابن شهاب الألواح والصحف، قال: فكنا نضحك به ".

وقال صالح بن كيسان: " كنت أطلب العلم أنا والزهري، قال: فقال - أي الزهري - نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب ولم أكتب، قال: فأنجح وضيعت " [٣].

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢٢٠)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٦٣٣و٣٤٩) وتاريخ دمشق (٤٩ - ٥٠). الطبقات الكبرى (١٥٧ - ١٥٨)، والتاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٥ - ٣٦)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٧٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩)، و(١٦٨) من القسم المتمم، تحقيق: زياد، والمعرفة (١/ ٦٣٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٩٢/١)، وتهذيب الكمال (٩/ ٤٤٩).

(٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٣٩)، وتاريخ أبي زرعة رقم (٩٦٧)، وتاريخ دمشق (٦٠) رقم (٦١)

ولعل الزهري كان حريصاً على أخذ العلم ممن عرف عنهم مثل سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهما من قريش، حتى وفد على عبد الملك، فجعل عبد الملك يسائله عمن لقي، قال الزهري: فجعلت أسمي له وأخبره بمن لقيت من قريش لا أعدوهم، فقال عبد الملك: فأين أنت عن الأنصار؟ فإنك واجدٌ عندهم علماً، أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد بن ثابت؟ أين أنت عن عبد الرحمن بن يزيد بن جارية؟ قال: فسمى رجالاً منهم، قال: فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم، فوجدت عندهم علماً كثيراً.

غير أنه داوم على الأخذ من أربعة كلهم بحور في العلم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كان هؤلاء قد أخذوا علمهم عن الصحابة فضم علمهم إلى علمه، فصار أوحد أهل زمانه، ونجم أقرانه.

وقد ساعده على ذلك أمور منها: كتابته، فقد كان يكتب كل ما سمع، ومنها قوة حافظته وذاكرته فقد توفرت عنده الأدوات التي يحتاجها طالب العلم، وهي الكتابة والحفظ والذكاء والفهم، فسبحان المعطي، فقد روي عنه قال: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته.

وقال معمر: " سمعت الزهري يقول: ما قلت لأحد أعد عليّ ".

وقال الزهري: " اختلفت من الشام إلى الحجاز خمساً وأربعين سنة، فما كنت أسمع حديثاً أستطرفه " [1].

وقال: " ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث، إلا حديثاً واحداً، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت ".

من ترجمة الزهري، الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٨) و(ص: ١٦٨) من القسم المتمم، تحقيق: زياد، والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٣٧)، وتاريخ أبي زرعة رقم: (٩٦٦)، والحلية لأبي نعيم (٣/ ٣٦٠)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢٩٦)، وتاريخ دمشق (٦٢) رقم (٦٥).

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٣)، وتاريخ أبي زرعة رقم (٩٤٨)، والحلية لأبي نعيم (٣/ ٣٦٢). محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤١.

وقد اختبره هشام بن عبد الملك ذات يوم، فسأل الزهري أن يملي على بعض ولده، فدعا بكاتب، فأملى عليه أربع مائة حديث، ثم خرج الزهري من عند هشام، قال: أين أنتم يا أصحاب الحديث، فحدثهم بتلك الأربع مائة حديث، ثم أقام هشامٌ شهراً أو نحوه، ثم قال للزهري: إن ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع، قال: فلا عليك، ادع بكاتبٍ، فدعا بكاتب فحدثه بالأربع مائة حديث، ثم قابل هشام بالكتاب الأول، فإذا هو لا يغادر حرفاً واحداً [1].

وقال مالك بن أنس: حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام قمت فأخذت بعنان دابته فاستفهمته، قال: تستفهمني؟ ما استفهمت عالماً قط ولا رددت شيئاً على عالم قط، قال: فجعل عبد الرحمن بن مهدي يعجب ويقول: فَذِيْكَ الطِّوال وتلك المغازي! [2].

وقال مالك أيضاً: أخذت بلجام بغلة الزهري فسألته أن يعيد عليّ حديثاً، فقال: ما استعدت حديثاً قط.

وفي رواية أخرى قال: حدثنا ابن شهاب أربعين حديثاً فتوهمت في حديث منها، فانتظرته حتى خرج فأخذت بلجام بغلته ثم سألته عن حديث واحد شككت فيه فقال: أو لم أحدثكه؟ قال: قلت: بلى، ولكني توهمت فيه، فقال: لقد فسدت الرواية، خل لجام الدابة، فخليته ومضى[3].

---

(١) الطبقات الكبرى (١٦٦) القسم المتمم، والحلية (٣/ ٣٦٣)، وتاريخ دمشق (٨٥) ترجمة الزهري. المعرفة والتاريخ (١/ ٦٤٠)، وتاريخ دمشق (٨٩) رقم (١٠٢) من ترجمة الزهري. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤١.

(٢) الجرح والتعديل (٨/ ٧٢) رقم (٣١٨)، وتاريخ دمشق (٧٦) رقم (٨٠) من ترجمة الزهري، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٣).

(٣) تاريخ دمشق (٨٣) رقم (٩٢) من ترجمة الزهري.

منزلته العلمية. :

تبوأ الزهري مكانة بين الناس لم يصلها أحد من أقرانه فأثنى عليه كبار المحدثين واعترفوا بفضله، قال الإمام مالك بن أنس: " كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج الزهري ". وذلك لإتقانه وحفظه.

قال عمرو بن دينار: " ما رأيت أبصر للحديث من ابن شهاب ".

وقال: " ما رأيت أنصَّ للحديث من هذا الشيخ ".

وفي رواية: " ما رأيت مثل هذا القرشي قط ".

وقال أيضاً: " جالست جابر بن عبد الله وابن عمر وابن عباس وابن الزبير، فلم أر أحداً أنسق للحديث من الزهري ".

وقال معمر: " ما رأيت مثل الزهري في وجهه قط، يعني الحديث، ولا مثل حماد ابن سلمة، يعني في الرأي " (١).

وقال مكحول: " ما أعلم أحداً أعلم بسنة ماضية من الزهري ".

وقال: " ابن شهاب أعلم الناس ".

وقيل له: " من أعلم الناس؟ قال: ابن شهاب، فقيل: ثم من؟ قال ابن شهاب ".

وقال: " ما بقي على ظهرها أعلم بسنة ماضية من الزهري ".

وقال قتادة: " ما بقي على ظهرها إلا اثنان، الزهري وآخر، فظننا أنه يعني نفسه ".

وقال سفيان: " مات الزهري يوم مات وما على الأرض أحد أعلم بالسنة منه " (٢).

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٢١). الطبقات الكبرى (١٧٤)، وتاريخ الإسلام (٥/ ١٤٦)، وتاريخ دمشق رقم (١٢٢)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٣٧)، والحلية (٣/ ٣٦١).

(٢) الطبقات الكبرى (١٧٨) القسم المتمم، والطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٩)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٤١ - ٦٤٢)، وتاريخ أبي زرعة رقم (٩٥٨). محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام

وقال الليث: " قال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب ".

وقال الجُمَحي: " ما رأيت أحداً أقرب شيء من ابن شهاب من يحيى ابن سعيد ولولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن ".

وقال مالك: " ما رأيت محدثاً فقيهاً إلا واحداً، قيل: من هو؟ قال: ابن شهاب ".

وقال ابن أُكَيمة: " لولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن ".

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: " هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل، قال: فأتوه فإنه ليس أحد أعلم بسنة ماضية منه ".

وقال: " ما أتاك به الزهري بسنده فاشدد به يديك ".

وقال أيوب السختياني: " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري " [(١)].

وقال أيضاً " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري، فقيل له: ولا الحسن؟ قال: ما رأيت أعلم من الزهري ".

وقال أبو بكر الهذلي: " لم أر مثل هذا قط ".

وفي رواية له قال: " جالست الحسن وابن سيرين فما رأيت مثله، يعني الزهري ".

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: " ما أرى أحداً جمع ما جمع ابن شهاب ".

وعن جعفر بن ربيعة قال: " قلت لعِراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا الرسول صلى الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان، وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير، وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب، فإنه

الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤١.

(١) المعرفة (١/ ٦٣١). تاريخ أبي زرعة رقم: (٩٦٠)، والإرشاد للخليلي (١/ ١٨٩)، وتاريخ دمشق (١٢٤٠) ترجمة الزهري. الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٩)، والطبقات (١٧٨)، القسم المتمم، والتاريخ الكبير (١/ ٢٢٠)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٣٨).

جمع علمهم جميعاً إلى علمه ".

وقال عنه عبد الملك بن مروان: " ما مات رجل ترك مثلك ".

وأخيراً قال عنه الليث بن سعد: " ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه، ولو سمعت من ابن شهاب يحدث عن الترغيب، فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، فإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه، ثم يتلوه بدعاء جامع يقول: اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة " [١].

روى الإمام الزهري رحمه الله عن شيوخ عدة في الحديث والسير والمغازي وغيرها، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وثعلبة بن أبي مالك، والسائب بن يزيد رضي الله عنه وسنان بن أبي سنان الدؤلي وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعباد بن زياد، المعروف أبوه بزياد بن أبي سفيان وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الرحمن بن أزهر القرشي الزهري.

وكان الزهري رحمه الله مدلساً [٢]، فقد وصفه الشافعي والدارقطني وغير واحد بذلك كما قال الحافظ.

ولكن تدليسه كان نادراً كما قال الذهبي.

وقد ذكره العلائي رحمه الله في الطبقة الثانية من طبقات المدلسين، وهم ممن احتمل الأئمة تدليسهم، قال رحمه الله: " وثانيها: من احتمل الأئمة تدليسه وخرجوا له في الصحيح، وإن لم يصرح بالسماع،

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٨). المعرفة والتاريخ (١/ ٤٧١ و١/ ٦٢٢ - ٦٢٣). التاريخ الكبير (١/ ٥)، والحلية (٣/ ٣٦٣).

(٢) التدليس هو: أن يروي الراوي عن شيخه حديثاً لم يسمعه منه بلفظ عن أو قال أو ذكر ونحو ذلك مما يوهم الاتصال ولا يصرح بحدثنا. جامع التحصيل ٩٧، وتدريب الراوي ٢٢٣/١ - ٢٢٤. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٢.

وذلك لإمامته أو لقلة تدليسه في جنب ما رَوَى أو لأنه لا يدلس إلا عن ثقة، كالزهري وسليمان الأعمش، وإبراهيم النخعي ".

وما يؤخذ علي الزهري مخالطته الملوك من بني أمية فقد ذكر بعض علماء الزيدية أن مخالطة الزهري لسلاطين بني أمية يعد موالاة لهم وإعانة لهم، وهذا قدح وجرح في شخصية الزهري، وأنه ما وقف معهم إلا ليعينهم على المظالم على العموم.

وقد تولى العلامة ابن الوزير في كتابه (العواصم والقواصم) الرد على هذه التهمة بكلام طويل أذكر منه ما يفي بالمقصود، قال رحمه الله: " والأمر في الزهري قريب والإشكال فيه سهل، لكن القدح الذي قدح به السيد على الزهري يقتضي القدح في كثير من العلماء والفضلاء، ممن خالط الملوك فإن التاركين لذلك من العلماء هم الأقلون عدداً، وإذا طالعت كتب التواريخ لم تكد تجد أحداً من العلماء إلا وله علاقة بالسلاطين أو مخالطة لهم أو وفادة عليهم أو قبول لعطاياهم، فمنهم المقل ومنهم المكثر " (١).

ثم قال: " وأما من خالط الملوك أو كاتبهم أو قبل عطاياهم فهو السواد الأعظم من المتقدمين والمتأخرين من الصحابة والتابعين، وأنا أذكر منهم عيوناً حسب ما حضرني. ثم ذكر رحمه الله نماذج من ذلك منها:

مخالطة يوسف عليه السلام لعزيز مصر.

أن الحسن بن علي - رضي الله عنه - كان يكاتب معاوية ويدخل عليه، ويأخذ منه العطايا.

ذكر أيضاً مخالطة الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن لهارون الرشيد.

قلت: وأما قوله: إنه إنما وقف معهم ليعينهم على المظالم على العموم، فغير مسلم لوجهين:

---

(١) العواصم والقواصم ١٨٧/٨ - ١٨٨. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٣.

الوجه الأول: أنه كان يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره قال: أنا معمر عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك، فقال: الذي تولى كبره منهم علي بن أبي طالب، قلت: لا، حدثني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم سمعوا عائشة تقول: الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي.

وأخرج أبو نعيم في الحلية؛ من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال: " كنت عند الوليد بن عبد الملك فتلا هذه الآية{وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١١]، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، قال الزهري: أصلح الله الأمير، ليس كذا أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وكيف أخبرك؟ قال: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق " (١).

قال الحافظ ابن حجر: " وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة، تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي فظنوا صحتها حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيراً " (٢).

الوجه الثاني: قدح الزهري في الوليد بن يزيد، بسبب إسرافه في المعاصي.

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي الزناد قال: " كان الزهري يقدح أبداً عند هشام بن عبد الملك في خلع الوليد بن يزيد ويعيبه، ويذكر أموراً عظيمة لا ينطق بها، حتى يذكر الصبيان أنهم يخضبون بالحناء، ويقول هشام: لا يحل لك إلا خلعه ".

---

(١) الحلية لأبي نعيم ٣٦٩/٣. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٤.

(٢) فتح الباري ٤٣٧/٧. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٤.

فيتضح مما سبق أن قولهم: إنما وقف الزهري مع بني أمية ليعينهم على المظالم على العموم لا دليل عليه، فقد دلت تلك النصوص المتقدم ذكرها على أن ابن شهاب الزهري رحمه الله كان لا يداهن في قول الحق أبداً وقد شهد له بذلك كبار أئمة الإسلام.

الطبقات الكبرى، القسم المتمم (١٨٣) تحقيق: زياد منصور، وفي سندها الواقدي وهو متروك، لكن تشهد لها رواية الطبري في تاريخه ٢٥٣/٧، بألفاظ متقاربة.

قال الإمام الأوزاعي: " ما أدهن ابن شهاب لملك قط دخل عليه، ولا أدركت خلافة هشام أحداً من التابعين أفقه منه " فلا يصدق تلك التهمة إلا من أعمى الله بصيرته عن الحق الأبلج.

وذكر الحافظ ابن حجر أنه قد ورد عند ابن مردويه من وجه آخر عن الزهري قال: " كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي، وهو يقرأ سورة النور مستلقياً فلما بلغ هذه الآية﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] حتى بلغ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١]، جلس ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟ قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول؟ لئن قلت: لا لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم، قلت في نفسي: لقد عودني الله على الصدق خيراً، قلت: لا، قال: فضرب بقضيبه على السرير ثم قال: فمن فمن؟ حتى ردد ذلك مراراً، وقلت: لكنه عبد الله بن أبي.

وقد كان هشام بن عبد الملك يعتقد معتقد الوليد، فقد ذكر ابن حجر أن يعقوب بن شيبة أخرج في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني عن الشافعي قال: حدثنا عمي قال: " دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت، هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ قال: ابن أبي، قال: كذبت هو علي،

فقال أنا أكذب لا أبا لك، والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبيد الله، وعلقمة عن عائشة: أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي[(١)].

وقد اتهم علماء الشيعة الزهري بالنصب [(٢)] زوراً وبهتاناً.

فيقول الطوسي: " محمد بن شهاب الزهري عدو ".

وقال ابن أبي الحديد: " وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام " - يعني علي بن أبي طالب -.

وهذه التهم مردودة من وجوه:

الأول: أن موقف الزهري من الوليد بن عبد الملك في قصة من تولى كبر الإفك دليل على حبه لعلي رضي الله عنه.

الثاني: أن مذهبه في علي رضي الله عنه هو مذهب أهل السنة من السلف الصالح حيث يقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً - رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الثالث: أن الزهري قد روى عن جماعة كبيرة من آل البيت منهم: كثير بن العباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله والحسن ابنا محمد بن علي بن أبي طالب، وزين العابدين بن علي بن الحسن وزيد بن علي بن الحسن، وأبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر.

الرابع: أنه قد أثنى على علي بن الحسين فقال فيه: " ما رأيت هاشمياً أفضل

---

(١) وقد أخرج هذه الرواية ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الزهري رقم (٢٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور ١٥٧/٦. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٥.

(٢) أهل النصب الذين ناصبوا علياً رضي الله عنه أي أظهروا له العداء وفسقوه، أساس البلاغة للزمخشري ٩٦٠، وفي القاموس: أهل النصب: المتدينون ببغض علي رضي الله عنه، لأنهم نصبوا له أي عادوه: نصب.

من علي بن الحسين ".

وقال عنه: " كان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته، وأفقههم، وأحسنهم طاعة، وأحبهم إلى مروان بن الحكم وابنه عبد الملك.

وقال: " لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين.

بل قيل: إن من أصح الأسانيد: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي[١].

فكيف يعقل أن يكون ناصبياً، وآل البيت عنده بهذه المنزلة، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. وكان عمره حين وفاته اثنتين وسبعين سنة[٢].

مواقف من حياة الزهري:

أما والله لو كنت غنياً لجالسني:

ذكر أبو حازم عند الزهري فقال: أما والله إنه لجاري، وما جالسته قط، قال أبو حازم: ذاك لأني مسكين، أما والله لو كنت غنياً لجالسني، قال الزهري: قد سببتني، قال: أجل.

فكن على حذر:

قال الزهري: سمعت رجلاً يقول لهشام بن عبد الملك: لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور تعاقباً فكن على حذر.

---

(١) تاريخ دمشق رقم (١٣٠) وجامع الأصول ١٥٤/١، تهذيب الكمال ١٣٦/٢٦. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٥/٥، وتاريخ أبي زرعة رقم (٩٧٣). الجرح والتعديل ١٧٨/٦ رقم الترجمة (٩٧٧).

(٢) تاريخ دمشق ٤١، ٤٧، ١٨٥، ووفيات الأعيان ١٧٨/٤، وتهذيب الكمال ٤٤١/٢٦، محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١ / ١٤٦.

أخرج الله منه زق عسل:

قال الزهري: كان يقال: بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل، يعني عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

أما علمت أنّي أمرت أن لا يتكلّم أحدٌ بأعراب؟ :

قال محمد بن شهاب الزّهري: كنت عند عبد الملك بن مروان فدخل عليه رجلٌ حسن الفصاحة، فقال له عبد الملك: كم عطاؤك؟ قال: مائتا دينار، قال: في كم ديونك؟ قال: في مائتي دينار، قال: أما علمت أنّي أمرت أن لا يتكلّم أحدٌ بإعراب؟ قال: ما علمت ذلك، قال: أمن العرب أنت أم من الموالي؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن تكن العربية أباً فلست منها، وإن تكن لساناً فإنّي منها، قال: صدقت، قال الله تعالى:{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)} [الشعراء: ١٩٥].

إنّما هو دينٌ:

قال ابن شهاب الزّهري: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال لي: من أين قدمت يا زهريّ؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلّفت يسودها؟ قلت عطاء بن أبي رباح، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بالديّانة، قال: إنّ أهل الديّانة والرّواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء، قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: أمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبدٌ نوبيٌّ أعتقته امرأةٌ من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: أمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحّاك بن مزاحم، قال: أفمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري، قال: أفمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: ويلك فمن يسود أهل

الكوفة؟ قلت: إبراهيم النّخعيّ، قال: أفمن العرب؟ قلت: من العرب،

قال: ويلك فرّجت عنّي، والله ليسودنّ الموالي العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قال، قلت: يا أمير المؤمنين، إنّما هو دينٌ، من حفظه ساد، ومن ضيّعه سقط [(١)].

كيف عاد الزهري إلى قول الحديث! :

حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا الحسن بن عمارة، قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه، فقلت: إن رأيت أن تحدثني، قال: أما علمت أني قد تركت الحديث؟ فقلت: أما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عيينة، عن يحيى بن الجزار، قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: " ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ".

قال: فحدثني أربعين حديثاً [(٢)].

يا أضغاث يا أضغاث! :

عن الزهري، قال: أتيت عبد الملك بن مروان فاستأذنت عليه فلم يؤذن لي، فدخل الحاجب، فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلاً شابا أحمر، زعم أنه من قريش، قال: صفه فوصفه له، قال: لا أعرفه إلا أن يكون من ولد مسلم بن شهاب، فدخل عليه، فقال: هو من بني مسلم فدخلت، قال: من أنت؟ فانتسبت له وقلت: إن أبي هلك وترك عيالاً صبية، وكان رجلاً متلافاً لم يترك مالاً، فقال: لي عبد الملك: أقرأت القرآن؟ قلت: نعم بإعرابه، قال: وما ينبغي منه من وجوهه وعلله؟ قال: قلت: نعم، قال: إنما فوق ذلك فضل إنما يراد أن يعايا ويلغز به، قلت: نعم، قال: تعلمت الفرائض؟ قلت: نعم، قال: الصلب والجد

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٩ / ١٥٢.
(٢) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ١٥١.

واختلافهما؟ قلت: أرجو أن أكون قد فعلت، قال: وكم دين أبيك؟ قلت له: كذا وكذا، قال: قد قضى الله دين أبيك، وأمر لي: بجائزة ورزق يجري، وشراء دارٍ قطيعة بالمدينة، وقال: اذهب فاطلب العلم ولا تشاغل عنه بشيءٍ فإني أرى لك عيناً حافظة وقلباً زاكياً، وأئت الأنصار في منازلهم، قال الزهري وكنت أخذت العلم عنهم بالمدينة، فلما خرجت إليهم إذا علم جم فأتبعتهم حتى ذكرت لي امرأة نحو قباء تروي رؤيا فأتيتها، فقلت: أخبريني برؤياك، قال: فقالت: كان لي ولدان واحدٌ حين حبا، والآخر يتبعه، وهلك أبوهما وترك واهناً وداجناً ونخلات، فكان الداجن نشرب لبنها ونأكل تمر النخلات، فإني لبين النائمة واليقظانة - قال: القاضي: هكذا في الخبر والمشهور في العربية اليقظى - ولنا جديٌ فرأيت كأن ابني الأكبر قد جاء إلى شفرةٍ لنا فأخذها، وقال يا أمه! قد أضررت بنا وحبست اللبن عنا، فأخذ الشفرة وقام إلى ولد الداجن فذبحه بتلك الشفرة، ثم نصب قدراً لنا ثم قطعه ووضعه فيها، ثم قام إلى أخيه فذبحه بتلك الشفرة، واستنبهت مذعورة وإذا ابني الأكبر قد جاء، فقال: يا أمه! أين اللبن، فقلت: يشربه ولد هذه الداجن، فقال: ما لنا في هذا من شيءٍ، وقام إلى الشفرة فأخذها ثم أمرها على حلق الداجن ثم نصب القدر، قالت: فلم أكلمه حتى قمت إلى ابني الصغير فاحتضنته فأتيت به بعض بيوت الجيران فخبأته عندهم، ثم أقبلت مغتمة لما رأيت، ثم صعد على بعض تلك النخلات فأنزل رطباً ثم قال: يا أمه! أدني فكلي، قلت: لا أريد، ثم مضى في بعض حوائجه وترك القدر فإني لمنكبة على بليس عندي إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بآتٍ قد أتاني، فقال: مالك مغتمة؟ فقلت: لكذا وكذا، ولأن ابني صنع كذا وكذا، فنادى يا رؤياه يا رؤياه! فجاءت امرأةٌ شابةٌ حسنة الوجه طيبة الريح، فقال: ما أردت من هذه المرأة الصالحة، قالت: ما أردت منها شيئاً، فنادى: يا أضغاث يا أضغاث! فأقبلت امرأةٌ سوداء الخلقة وسخة الثياب دونها، فقال: ما أردت من هذه المرأة؟ قالت: رأيتها صالحة فأردت أن أغمها، قالت: ثم انتبهت فإذا ابني أقبل، فقال: يا أمه! أين أخي؟ قلت: لا أدري حبا إلى بعض الجيران، قالت: فذهب يمشي لهو أهدى إلى موضعه حتى

أخذه وجاء به فقبله، ثم قعد فأكل وأكلت معه [١].

أربع كلمات:

وقال الزهري: ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات، فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك. قال: ما هن؟ قال: لا تعد أحداً عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهلاً إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاء فاحذر العواقب، وللدهر ثورات فكن على حذر [٢].

فالله أحق أن يعمل بفرائضه:

عن الزهري. قال سألني هشام بن عبد الملك. قال أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، قلت نعم، وكان ذلك قبل أن تنزل الفرائض فالله أحق أن يعمل بفرائضه ".

من الخير اتقاء الشر:

أعطى الزهري شاعراً، فقيل له في ذلك فقال: إن من الخير اتقاء الشر.

هذا فراق بيني وبينك :

(١) قال القاضي: قوله: في الخبر وترك لي ماهناً وداجناً، الماهن: الخادم، ويقال: مهن الرجل مهنة ومهنة، وفلان في مهنة أهله ومهنة أهله، والفتح عند كثير من أهل اللغة أعلى، ويقال: مهن مهانة من الهوان، ومن المهان بمعنى الخادم، قول الشاعر:

وهزئن مني أن رأين مويهناً تبدو عليه شتامة المملوك

وأما الداجن، فهي الشاة من شياه البيوت التي تعلف، وجمهور الفقهاء لا ترى في دواجن الشاء زكاة، وهو مذهب عامة أهل العراق وبه نقول، وقد أوجب عددٌ من فقهاء الحجاز الزكاة في دواجن الغنم، كما أوجبها الجميع في سوائمها، واختلافهم في عوامل الإبل والبقر كختلافهم في دواجن الغنم، وكلامنا في هذا على استقصاء الحجج مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في الفقه.

وقول المرأة: وإني لمتكئةٍ على بلسٍ لي، البلس: بعض ما يكون في رحل القوم من المتاع الذي يتكأ عليه، وهو اسم أعجمي لا أعرفه في العربية وأراه بالرومية وقد استعمل على تولده قديماً وحديثاً فروي في خبرٍ ذكر أن أبا جفر الجمحي نظر بين الحسن بن زيد ومحمد بن عبد العزيز، فقال: إنه أقامني على البلس يعني الحسن، فكأنه اسم لما يعلى عليه من كراسي أو ما أشبهه ن. المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ١٧٥.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ٢٢.

كان عبد الملك بن مروان يسمي حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره، فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك. وقال: إني كنت أتحرج أن أطأ غلة، وأن الحجاج يكتب إلي في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك! وقال له الزهري يوماً: بلغني أنك شربت الطلاء! فقال: أي والله والدماء! وقال: عجباً للسلطان كيف يحسن، وإذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه! (١)

زين العابدين:

قال ابن شهاب الزهري شهدت علي بن الحسين يوم حمله إلى عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي، فدخلت عليه وهو في قبة والقيود في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم، فقال: يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني؟ أما لو شئت ما كان، فإنه إن بلغ منك ومن أمثالك ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، ثم قال: يا زهري لا جزت معهم على ذا ميلين من المدينة. قال: فما لبثت إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة، قال: فلما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لا ننام لنرصده، إذ أصبحنا نفتقده فما وجدنا بين محمليه إلا حديده. قال الزهري: وقدمت بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته، فقال إنه قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل علي فقال ما أنا فقلتة: أقم عندي، قال: لا أحب، ثم خرج فو الله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة، قال الزهري فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث يظن، إنه مشغول بنفسه، قال: حبذا شغل مثله٠قال: وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين (٢).

إن الناس ليغووننا عن ديننا :

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٧٧/١.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٢٣.

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات.

قال: باطل يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أكرم على الله أم خليعة غير نبي قل: بل نبي خليفة.

قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داور عليه السلام: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ".

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا.

عن عطاء بن يسار قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي.

فقال: كذبت. فقلت: أو المشورة قال النبي صلي الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ولا خاب من استخار.

وقدر أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي والحزم فقال: " وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ".

ولما هممت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلي الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان مطاعا فيهم فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتدادا. فنفعهم الله برأيه [١].

إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب:

قال ابن شهاب الزهري: دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال لي: من أنت فانتسبت له فقال: لقد كان أبوك

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١ / ٣٦.

وعمك نعاقين في فتنة ابن الأشعث فقلت: يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب.

فأعجبه ذلك وقال: أين نشأت قلت: بالمدينة قال: عند من طلبت قلت: سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال: فأين أنت من عروة بن الزبير فإنه بحر لا تكدره الدلاء.

فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات [(١)].

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام:

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدىفيه فضله عليك وقد قال عز وجل:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم: ٧]؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال:{لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ} [آل عمران: ١٨٧]؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالا منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل:{ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ } [النساء: ١٠٩]؛ اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١ / ٣١٠.

وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوه غداً باسمك مع الجرمة وأن تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم وسلماً إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟! فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: { فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ } [الأعراف: ١٦٩] الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره! احذر فقد أتيت، وتخلّص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عزب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى:{ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾} [الذاريات: ٥٥]، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيراً منعوه أو علمك شيئاً جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن

يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله؟!
ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته [١].

وإنه لجاري وما علمتُ أنَّ هذا عنده! :

قال الزهري لسليمان بن عبد الملك: ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟ قال: وما عسيتُ أن أقولَ في العلماء إلا خيراً! إني أدركتُ العلماءَ وقد استغنَوا بعلمهم عن أهلِ الدنيا ولم يستغنِ أهلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم؛ فلما رأوا ذلك قدموا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم يُنِلْهمْ أهلُ الدنيا من دنياهم شيئاً! إن هذا وأصحابَه ليسوا علماء، إنما هم رواة؛ فقال الزهري: وإنه لجاري وما علمتُ أنَّ هذا عنده! قال: صدقَ أما إني لو كنتُ غنياً عرفتني!! فقال له سليمان: ما المخرج مما نحن فيه؟! قال: أن تمضي ما في يديك لما أُمِرتَ به وتكفَّ عما نهيتَ عنه؛ فقالَ: سبحان الله! من يطيق هذا؟! قال: من طلب الجنة وفرَّ من النار، وما هذا فيما تطلب وتفر منه؟!

من كلام الزهري :

قال الزهري: حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل.

قال الزهري: الأذُن مَجَّاجةٌ وللنفس حَمْضَةٌ[٢].

عن الزهري قال: ما رأيت قوماً أشبه بالنصارى من السبئية. قال أحمد بن يونس: هم الرافضة.

عن القاسم بن هزان سمع الزهري يقول: لا يرضين الناس قول عالم لا يعمل ولا عامل لا يعلم.

(١) صفة الصفوة، ٢/١٦٠ - ١٦٤.

(٢) قال أبو عبيد: (المجَّاجةُ التي تمجُّ ما تسمع، يعني أنها تُلقيه فلا تقبله إذا وُعظتْ بشيء أو نُهيت عنه. وقوله: وللنفس حَمْضَةٌ، الحمضة الشهوة للشيء، وإنما أُخذت من شهوة الإبل للحَمْض، وذلك إذا مَلّت الخُلّة اشتهت الحمضة، وهو كل نبت فيه مُلوحة، والخُلّة ما لم تكن فيه ملوحة. قال الأصمعي: والعرب تقول: الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها).

روى مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال: إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه صلي الله عليه وسلم ، وأدب النبي صلي الله عليه وسلم أمته، أمانة الله إلى رسوله، ليؤديه على ما أُدِّي إليه؛ فمن سمع علماً فليجعله امامه، حجة فيما بينه وبين الله عز وجل [(١)].

قال الزهريُّ: كنا نأتي العالمَ فما نتعلمُ مِن أدبِهِ أحبُّ إلينا مِن عِلْمِهِ.

قال الزهري: إن هذا العلمَ إنْ أخذتَه بالمكاثرة غلبَك ولم تظفرْ منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به.

قال ابن شهاب الزهري: دعُوا السُنَّة تمضي لا تَعْرِضُوا لها بالرأي.

قال الزهري: وهل يُنتفع من السيئ الخلق بشيء؟ [(٢)].

قال الزهري: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب[(٣)].

سئل الزّهري عن الزّهد فقال: والله ما هو من خشونة المطعم

وقد قال ابن شهابٍ الزُّهري: ليس الناسك إلا من غلب الحرام صبره، والحلال شكره.

عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنيء لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء [(٤)].

شتم رجل الزهري فقال: إن كنت كما قلت فهو شر لي، وأن لم أكن كما

---

(١) جامع الخطيب، ٧٨/١.

(٢) إحكام الأحكام لابن حزم، ص٧٨٩، روضة العقلاء، ص٦٥.

(٣) فبطول المجلس يحصل غالباً الملل والغفلة والدخول في أحاديث كثيرة مختلفة وتكرر محاولات الشيطان لاهتبال بعض غفلة أولئك الجالسين فيوقعهم في بعض ما يريد.

(٤) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٢٠١.

قلت فهو شر لك. وكان يقول: متى قلت لمملوك أخزاك الله فهو حر.

كان الزهري إذا حدث عن القرآن والسنة تلاه بدعاء: اللهم إني أسألك كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة.

الزهري: تعلم سنة خير من عبادة سنتين.

قارف الزهري ذنباً فساح، فلقيه علي بن الحسين، فقال: يا زهري لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك. فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالاته [1].

وقال الزهري: ما سمعت كلاماً أوجز من كلام عبد الملك بن مروان لولده حيث يقول: اطلبوا معيشة لا يقدر عليها سلطان جائر. قيل: ما هي؟ قال: الأدب.

قال الزهري: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل. وقال: عدوك ذو العقل أبقى عليك وأرعى من الرامق الأحمق.

قال الزهري: ثلاث إذا كن في القاضي فليس بقاض: إذا كره اللوائم، وأحب المحامد، وخاف العزل؛ وبه ألمّ الشاعر في قوله:

سيان في الحكم شاكيه وشاكره ::: من الأنام وهاجيه ومطريه[2]

* * *

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٤٩٢.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/١.

مالك بن دينار

أعـلام التابعيـن

مالك بن دينار

هو مالك بن دينار البصري. أبو يحيى. من رواة الحديث. كان واعظا ورعا يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة،

علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته. ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك، فمن بعده، وحدث عنه، وعن الأحنف بن قيس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، وعدة.

حدث عنه سعيد بن أبي عروبة، وعبد الله بن شوذب، وهمام بن يحيى، وأبان بن يزيد العطار، وعبد السلام بن حرب، والحارث بن وجيه، وطائفة سواهم، وليس هو من أساطين الرواية. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن.

وقال: مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمهم ؛ لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط، إذا تعلم العالم العلم للعمل كسره، وإذا تعلمه لغير العمل، زاده فخرا.

قال حزم القطعي: دخلنا على مالك وهو يكيد بنفسه، فرفع طرفه ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء لبطن ولا فرج. قيل: كان أبوه دينار من سبي سجستان، وكناه النسائي أبا يحيى، وقال: ثقة.

وروى رياح القيسي عنه قال: ما من أعمال البر شيء، إلا ودونه عقيبة، فإن صبر صاحبها، أفضت به إلى روح، وإن جزع، رجع. وروى جعفر بن سليمان، عن مالك قال: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة. ثم يقول: خذوا، فيتلو، ويقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه.

قال محمد بن سعد: مالك ثقة، قليل الحديث، كان يكتب المصاحف.

قال الدارقطني: مالك بن دينار ثقة، ولا يكاد يحدث عنه ثقة.

قال السري بن يحيى: قال مالك بن دينار: إنه لتأتي علي السنة لا آكل فيها لحما إلا من أضحيتي يوم الأضحى.

قال سليمان التيمي: ما أدركت أحدا أزهد من مالك بن دينار.

قال جعفر بن سليمان، سمعت مالكا يقول: وددت أن الله يجمع الخلائق، فيأذن لي أن أسجد بين يديه، فأعرف أنه قد رضي عني، فيقول لي: كن ترابا.

قال رياح بن عمرو القيسي: سمعت مالك بن دينار يقول: دخل علي جابر بن زيد، وأنا أكتب، فقال: يا مالك ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله، هذا والله الكسب الحلال. وعن شعبة، قال: كان أدم مالك بن دينار في كل سنة بفلسين ملح.

قال جعفر بن سليمان: كان ينسخ المصحف في أربعة أشهر، فيدع أجرته عند البقال فيأكله. وعنه: لو استطعت لم أنم مخافة أن ينزل العذاب. يا أيها الناس النار النار.

توفي مالك بن دينار سنة سبع وعشرين ومائة [١].

مواقف من حياة مالك بن دينار:

وهو عن الله راض والله عنه راض:

عن بن شوذب قال: اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع، فتذاكروا العيش فقال مالك: ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها فقال محمد: طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء وهو عن الله راض والله عنه راض[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ٢٤٣، طبقات خليفة: ٢١٦، تاريخ خليفة: ٣٩٥، التاريخ الكبير. ٧ / ٣٠٩، ٣١٠، التاريخ الصغير ١ / ٣١٦، تاريخ الفسوي ٢ / ٩٦، الجرح والتعديل ٨ / ٢٠٨، تهذيب الاسماء ٢ / ٨٠، ٨١، تهذيب الكمال: ١٢٩٧، تهذيب التهذيب ٤ / ١٨ / ١، تاريخ الاسلام ٥ / ١٢٨، ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٦، العبر ١ / ٢٣٨، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٤، خلاصة تهذيب الكمال: ٣٦٧، شذرات الذهب ١ / ١٧٣.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٢٤٤.

ما أشبهكم بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم :

وقال جعفر بن سليمان: حدثنا مالك بن دينار، قال: أتينا أنسا أنا وثابت، ويزيد الرقاشي، فنظر إلينا، فقال: ما أشبهكم بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم لأنتم أحب إلي من عدة ولدي، إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم، إني لأدعو لكم في الأسحار.

ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟ :

دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار في ثياب جياد، فقال له مالك: مثلك يلبس هذا اللباس؟! فقال: ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟

قال: بل تضعك. فقال: هذا التواضع.

ثم قال: يا مالك، إني أخاف أن يكون ثوباك قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

إنما مالك حمارا :

قال ابن شوذب: قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلت جوائزهم؟ قال: سل جلسائي.

قالوا: يا أبا بكر! اشترى بها رقيقا، فأعتقهم.

قال: أنشدك الله، أقلبك الساعة على ما كان عليه؟

قال: اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

يقولون: مالك زاهدا أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟ :

كان مالك بن دينار يقول: يقولون: مالك زاهد! أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فأعرض عنها [١].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧ / ٣٣٥.

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت:

عن عبد الواحد بن زيد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد فجاء رجل، فكلم مالكا، فأغلظ له في قسمة قسمها، قال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك، ومن يغشاك لتكثر غاشيتك، وتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك، وَقَال: والله ما أردت هذا، قال: بلى، والله لقد أردته فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له، فلما أكثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت، قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتا، فحمل إلى أهله على سرير، وكان يقول: إن أبا محمد مستجاب الدعوة (١).

لقد حالت النار بيننا وبينك:

عن مالك بن دينار قال: استعمل هرم بن حيان، قال: فظن أن قومه سيأتونه فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه فسلموا عليه من بعيد فقال: مرحبا بقومي، ادنوا، فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك، قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، قال: فرجعوا (٢).

فما زال يقول ذلك حتى أبكاني:

قال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب فيقول: امرؤ زود نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، امرؤ عقل عن الله أمره، امرؤ أفاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول ذلك حتى أبكاني (٣).

---

(١) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٥/ ٣٩٢.

(٢) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م، ٧ / ١٣٣.

(٣) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢ / ١٤٠.

أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفا من معروفك:

قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بإمرأة جهيرة في الحجر وهي تقول: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفا من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك يامعروفا بالمعروف فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب قولي خيرا يرحمك الله قالت: وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي قوما فإني أبادر طي صحيفتي

قال أيوب فما حدثت نفسي بإمرأة قبلها فقلت لها: لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته فقلت: أنا مالك ابن دينار وهذا أيوب السختياني فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر (١)

تذهب عيناك:

عن مالك بن دينار قال: رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال: فكان النساء يجئن فينظرن إليها فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك فقالت: إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها رحمها الله (٢)

إن ذكر جهنم لا يدعنى أن أنام:

عن مالك بن دينار قال: قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله: مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال: إن ذكر جهنم لا يدعنى أن أنام (٣).

لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا:

مالك بن دينار قال: رأيت أبا عبدالله مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد السلام فقلت: ما يمنعك أن ترد على السلام فقال: أنا

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢ / ٢٠١.
(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢ / ٢٧٨.
(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ / ٢٠٧.

ميت فكيف أرد عليك السلام قال: قلت له: فماذا لقيت بعد الموت؟ قال: فدمعت عينا مالك عند ذلك وقال: لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قال فقلت: فما كان بعد ذلك قال: وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات.

قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه قال فلبث بعد ذلك أياما مريضا من غشيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات رحمه الله (١).

يا أيها الناس الرحيل الرحيل:

عن عبدالواحد بن زيد قال: شهدت حوشبا جاء إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن مناديا يقول: يا أيها الناس الرحيل الرحيل فما رايت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع قال: فصاح مالك صيحة وخر مغشيا عليه. قال مضر كان الحسن يسمى محمد بن واسع زين القرآن (٢).

فتمرط والله دين ذلك القارىء:

جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الخرم يعني أجمل الناس او ينطلق إلى جارية قد سمنها أبوها كأنها زبدة فيتزوجها فتأخذ بقلبه فيقول لها: أي شيء تريدين؟ فتقول: خمار خز وأي شيء تريدين؟ فتقول: كذا وكذا قال مالك: فتمرط والله دين ذلك القارئ ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة فيكسوها فيؤجر ويدهنها فيؤجر.

أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا ما كان غضبك لي:

قال: وسمعت مالكًا يقول: كان حبر من أحبار بني إسرائيل قال: فرأى بعض بنيه يوما غمز النساء فقال مهلا يا بني قال فسقط من سريره فانقطع نخاعه فأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش وأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن أخبر فلانا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا ما كان غضبك لي إلا أن قلت مهلا يا بني مهلا (٣).

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٤١.
(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٦٧.
(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٧٥.

وما يدريك أنه يحبك؟! :

عن مالك بن دينار قال: احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرا لإجابة فخرجت أنا وعطاء السليمى وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرين حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلى فلما اظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لاينقصك أنفد ما عندك أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعة الساعة.

فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت: أما تستحي مما قلت؟ قال: وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته أتراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي ثم بادر يسعى فقلت: ارفق بنا قال: أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة قال: نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلى واحدا بعد واحد، وأنا أقول غير هذا إلى أن قال ما بقي عندي أحد فلما خرجنا إذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت: بعني هذا قال: هذا غلام مشوم لا همة له إلا بالبكاء فقلت: ولذلك أريده فدعاه وقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين دينارا فلما خرجنا قال يا مولاي لماذا اشتريتني قلت: لنخدمك نحن قال: ولم ذاك قلت أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى قال وقد اطلعت على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال إلهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة فإذا هو ميت.

كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها:

قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة فإذا هي تقول: يا رب، كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار قال: فوالله ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك: فوضعت يدي على رأسي ثم صرخت وجعلت أقول ثكلت مالكا أمه وعدمته جويرية منذ الليلة قد بطلته (١).

أمجنون أنت! :

قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة شيخاً في عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى علـــى صـــور النـــا ::: س وإن فتشـــوا فليســـوا بنـــاس

قال فتقدمت إليه فقلت: أمجنون أنت؟ قال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم مر وأنشأ يقول:

واريت أمري بالجنون عـــن الـــورى ::: كيما أكـــون بواحـــدي مشـــغول
يا من تعجـــب في الأنـــام لمنطقـــي ::: ماذا أقـــول ومنطقـــي مجهـــول (٢)

بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك:

قال رباح القيسي: سمعت مالك بن دينار، يقول: أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقي فإذا أنا بسعدون في بعض الخرابات فقلت له: بالذي خلقك استسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال " يا فاطر الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك " قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرابيلها وجادت بوابلها فخرج يخوض الماء وهو يقول:

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤ / ١٦.
(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٩.

قل لدنياي أبعدي وتولي ::: ان تريني فإنني لا أراك
وصلي واملكي وداد سوائي ::: انني مغرم بحب سواك
إن تكوني أسرت بالذنب قوما ::: فاذهبي أنت لست من أسراك [١]

يا أيها الراقد كم ترقد!:

قال مالك بن دينار كنت حاجاً فغلبتني عيناي فرقدت عند الكعبة فوقف سعدون على رأسي، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد ::: قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ::: فازدد إذا ما سجد السجد [٢]
لئن لم تترك العين ::: فقد أبصرك القلب

قال مالك بن دينار: مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ويقولون: هو يزعم إنه يرى ربه على الدوام. قال فزجرت عنه الصبيان، وقلت له: ما الذي يزعم هؤلاء؟ قال وما يزعمون؟ قلت يزعمون انك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله! ما فقدته لما أطعته. ثم أنشأ يقول:

علي بعدك لا يصبر ::: من عادته القرب
ولا يقوى على هجرك ::: من تيمه الحب
لئن لم تترك العين ::: فقد أبصرك القلب [٣]

ان عرفت الله حق معرفته أغناك ذلك عن كل كلام وموعظة:

عن سعيد بن يحيى: كنا عند مالك بن دينار فمر بنا خليفة البهراني فسلم على حالك، فقال: عظنا يا أبا عبد الله، فقال: يا ابا يحيى، أنك والله ان عرفت الله حق معرفته أغناك ذلك عن كل كلام وموعظة، أبا يحيى، ان المؤمنين لم يعبدوا الههم عن رؤية: انما عبدوه عن دلالة، انهم والله لما نظروا إلى اختلاف الليل والنهار، ودوران هذا الفلك، وارتفاع هذا

---

(١) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٢٠.
(٢) النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٢٢.
(٣) النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ /٥٢.

السقف المرفوع بغير عمد، ومجاري هذه البحار والانهار، علموا ان لذلك صانعا ومدبرا لا يغرب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه في السماوات والارض، فعبدوا الله بدلائله على نفسه، عبادة أنضت الابدان، وآحالت الألوان، حتى كأنما عبدوه عن رؤية. فهم في الدنيا حية قلوبهم، ميتة جوارحهم، الا عند الذكر والمناجاة والنهوض إلى طاعته، فبكى مالك بكاء شديدان ثم قام عشيته لم يتكلم بشيء [(١)].

كيف طرحت الدرهم في الطين! :

عن مالك بن دينار أنه حضر رجلاً يبني داراً، وهو يعطي الأجراء الدراهم، فمد يده فأعطاه درهما، فطرحه في الطين، فتعجب الرجل وقال: كيف طرحت الدرهم في الطين؟ فقال مالك: أعجب منه أنك طرحت كل دراهمك في الطين، يعني ضيعتها في البناء [(٢)].

والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان:

قال مالك بن دينار: مررت على قصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ::: ولا يذهب بساكنك الزمان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب، وثم عجوز فقالت: يا عبد الله قد والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان.

أبو العتاهية:

لئن كنت بالدنيا بصيراً فإنما ::: بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ::: فما فاته منها فليس بضائر

ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي:

كان مالك بن دينار يمر بالسوق فيرى ما يشتهيه فيقول: يا نفس اصبري، ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٢.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٥١.

يا فاسق! إنما كان تضرعك لغير الله:

مر مالك بن دينار بدار ليلا، وإذا قائل يقول:

يا سيدي قد جاءك المذنب ::: يرجو الذي يرجوه من يعتب
فاصفح له عن ذنبه منعماً ::: وهب له منك الذي يطلب

فوقف مالك يتسمع ويبكي، والقائل يردد البيتين بصوت حزين. فلما قارب السحر قال:

يا ناصباً معانه فننسه ::: إليك من مقلتك المهرب

فقال مالك: يا فاسق! إنما كان تضرعك لغير الله، ومضى.

إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة. :

وقال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كرجل نصب فخاً، فوقع عصفور قريباً منه، فقال للفخ: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: فلم اختفيت؟ قال لطول العبادة، قال: فما هذا الحب المصبوب؟ قال: أعددته للصائمين. قال: نعم الجار أنت. فلما غابت الشمس أخذ العصفور الحبة فخنقه الفخ فقال: إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة.

قلوب الملوك بيدي:

عن مالك بن دينار: وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة. لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إلى الله أعطفهم عليكم.

ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها! :

قال مالك بن دينار: لما بعث الله عيسى ابن مريم كب الدنيا على وجهها، ثم رفعها الناس حتى بعث الله تعالى محمداً فكب الدنيا على وجهها، ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟ [١]

أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. :

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٨٨.

ولما نظر مالك بن دينار إلى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، ناداه أن ارفع من ثيابك. فقال له المهلب: أوما تعرفني؟ قال له مالك: بلى إني أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة.

نسيت شيئاً فأذكركه! :

ويروى أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة، فنظر إلى جماعة وقوفاً فقال: ما هذا؟ قالوا: مالك بن دينار يذكر الناس. فقال الوصيف معه: اذهب إلى مالك بن دينار فقل له يرتفع إلينا إلى القبر. فجاء الوصيف فأدى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك: لا، ما لي إليه حاجة فأجيبه فيها، فإن تكن له حاجة فليجئ إلى حاجة نفسه. فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك، فلما دنا منها نزل ونزل من معه، ثم جاء يمشي إلى الحلقة حتى جلس، فلما رآه مالك بن دينار سكت فأطال السكوت، فقال له بلال: يا أبا يحيى ذكرنا. قال: نسيت شيئاً فأذكركه. قال له: فحدثنا. قال: أما هذا فنعم.

اليوم أنتقم لها منك! :

وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى: من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السوء دفعت لك غنماً سماناً صحاحاً، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك!

وما ينفعك دعائي وبالباب مائتان يدعون عليك! :

وروي أن مالك بن دينار دخل على بلال بن أبي بردة فقال له بلال: ادع الله لي يا أبا يحيى. قال: وما ينفعك دعائي وبالباب مائتان يدعون عليك؟ [1]

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ١٢٧.

قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً:

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له: عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك. فقال: هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من جانب البيت: قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً.

إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل:

وقال مالك بن دينار لراهب: عظني! فقال: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل.

فلم أعرف قبر الأسود من قبره:

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، فطعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى القبر، فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بسودان يحملون صاحب لهم إلى القبر، فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل السبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره. وعلى هذا قول الشاعر:

ولقد مررت على القبور فما ::: ميزت بين العبد والمولى [1]

أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن يطرح في رجلي مثل كبولك هذه:

دخل مالك بن دينار على رجل في السجن يزوره فنظر إلى رجل جندي قد اتكأ في رجليه كبول قد قرنت بين ساقيه وقد أتي بسفرة كثيرة الألوان فدعا مالك بن دينار إلى طعامه فقال له: أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن يطرح في رجلي مثل كبولك هذه.

ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب:

وقال مالك بن دينار ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس إذا لقى الناس وأرحم الناس إذا استحكم الباس ويقال أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً وقال عمر بن العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى إن كنتم تريدون رحمتي

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢ / ٦٤.

فارحموا عبادي:

ابـــغ للنـــاس مـــن الخيـــــــ ::: ـر كمـــا تبغـــي لنفســـك [١]

إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة:

وقال له جار له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، رغيف أبيض ولبن في زجاج، فأتاه به فجعل ينظر إليه ثم يقول: دافعت شهوتي عمري كله، حتى إذا لم يبق من عمري إلا مثل ظمء الحمار آخذها؟ انظروا يتيم آل فلان فادفعوه إليه، ومات بشهوته [٢].

كلكم يبكي فمن أخذ هذا المصحف؟!:

وتكلم مالك بن دينار فأبكى أصحابه ثم افتقد مصحفه فنظر إلى أصحابه وكلهم يبكي فقال: ويحكم! كلكم يبكي فمن أخذ هذا المصحف.

ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك:

لما مات أخو مالك بن دينار بكى مالك وقال: يا أخي لا تقر عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك [٣].

وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني:

وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: خرجت إلى مكة حاجا فبينما أنا سائر إذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي مالا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس إحرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت: هذا جاهل فدنوت منه فقلت له: يا فتي قال لبيك قلت له لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله أني لأخشي أن أقول لبيك فيقول: لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك فقلت له: لا تقول ذلك فإنه حليم إذا غضب رضي وإذا رضي لم يغضب وإذا وعد وفي ومتى توعد عفا فقال: يا شيخ، أتشير على

(١) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ١ / ١٥٥.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ١٥٦.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ / ٢٢٢.

بالتلبية قلت نعم فبادر إلى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضي فما رأيته إلا بمني وهو يقول: اللهم إن الناس ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (١).

من ها هنا جاء الاتفاق:

رأى مالك بن دينار غراباً يطير مع حمامة فعجب وقال: اتفقا وليس من شكل واحد، ثم وقعا على الأرض فإذا هما أعرجان، فقال: من ها هنا جاء الاتفاق، من العصمة تعذر المعاصي.

هذا إسم ما عرفني به أحد إلا أنت:

قالت: امرأة مالك بن دينار له في أثناء مجادلة: يا مرائي فقال لها: لبيك هذا إسم ما عرفني به أحد إلا أنت (٢).

هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك:

كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته إذهب إلى السوق واطلب عملا نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئا عند الملك وقال أعطيك كلا فباتوا جياعا فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلاً وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق

---

(١) الإبشيهي، المستطرف، ١ / ٣٣٤.

(٢) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢ / ٢٥٠.

فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكرا لله.

أنت منهم ومعهم والمرء مع من أحب:

عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقال: نكتب أسماء المحبين فقال: بالله هل أنا منهم فقالا لا فوقع مغشياً عليه ثم رأى في منامه قائلا يقول أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب.

فحللته من وثاقه ومضينا:

قال مالك بن دينار: رضي الله عنه خرجت إلى الحج فرأيت طيرا في منقاره رغيف فتبعته فجاء إلى شيخ موثوق وصار يلقمه لقمة لقمة ثم طار وجاء بماء في فمه فسكبه في فم الشيخ فقلت له: من أنت؟ قال: من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني هاهنا فصرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه فأنا مضطر فارحمني فأرسل الله لي هذا الغراب قال مالك: فحللته من وثاقه ومضينا.

فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته:

خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلا من السماء يمينا وشمالا فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته [1].

لقمة بلقمة:

عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة.

---

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١/٢٧، ٦٩، ٢ / ٢٦٠، ٢٨٠.

سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل:

ويقال: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ما صح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى أوان الرطب يقول: يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شي ء سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل.

يا لك أمة هلكت ضياعاً:

عن مالك بن دينار أنه قال: لما ولي بلال القضاء: يا لك أمة هلكت ضياعاً وروى المبرد: أن أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال وكان يقول: إن الرجلين ليختصمان إليّ فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له.

فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج:

عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن جدعان، والحسن يومئذ مستخف، ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام وإخوته فقال: باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانه من الله مكانه، ثم لقي يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه، وجعله أميناً على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره، وجمع أهله، وأتاه بأبويه، وأقر عينه قالوا: " تالله لقد آثرك علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم، لو لم أجد الا ثوبي هذا لواريتكم به، وأطلق علياً [1].

جاء ليسرقنا فسرقناه:

وتأمل في قصه مالك بن دينار والتي ذكرها ابن الجوزي، وهو يبين لنا عظيم الفطنة والحركة، في مسالة اصطياده الناس، يذكر أنه جاءه رجل لص إلي بيته ليسرق، فإذا بالبيت ليس فيه ما يستدعي

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤ / ٣١٨.

السرقة وبصر به مالك فقال: يا هذا فاتك حظك من الدنيا؟ قال: نعم قال: فهل لك في شيء من الآخرة، قال فماذا قال: توضأ فصل ركعتين، ثم ما لبث أن أخذه صلاة الفجر، فقال له بعض الناس من هذا؟ قال: جاء ليسرقنا فسرقناه.

إنه كبيرهم ومنه يتعلمون:

عن فضيل بن عياض قال: رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته، فقال: ما أرحمني بعياله، فقيل له: يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟

قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

مالك غداً هكذا يصير:

قال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك غداً هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول: غداً مالك هكذا يصير، حتى خر مغشياً عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه (١).

ليس هناك منزل ثالث:

قال مالك بن دينار: دخلت مع الحسن السوق فمر بالعطارين فوجد تلك الرائحة، فبكى ثم بكى حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً: الجنة أو النار؛ ليس هناك منزل ثالث؛ من أخطأته والله الرحمةُ صار إلى عذاب الله (٢).

فأي الدارين دار مالك! :

قال جعفر: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال: بكساء، ثم يقول: إله مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكي.

---

(١) صفة الصفوة ٣/٢٧٩.
(٢) تهذيب الكمال، ٦/١٢٥.

هذا رجل مشغول بنفسه:

قال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك ابن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه فجعل يترنم بشيء لم نفهمه ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشي عليه؛ قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه[1].

هذا والله الكرم هذا والله الكرم :

قال محمد بن عبد العزيز: قال أبي: قال مالك بن دينار: المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره ولا يحتقر أحد من أقربائه، قال: ثم يبكي مالك ويقول: وهو والله مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئاً إن أزلته عن دينه لم يزل وإن خدعته عن ماله انخدع لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا يرى البخل من الجود حظاً منكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرقه وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه، قال: ثم يبكي ويقول: هذا والله الكرم هذا والله الكرم.

كم تحدث الناس بالرخص؟! :

لقي مالك بن دينار أبان بن أبي عياش فقال مالك: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟! فقال: يا أبا يحيى، إني أرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح.

---

(١) صفة الصفوة، ٢٧٩/٣.

هذا عذر الخطائين الأشرار:

قال جعفر بن سليمان: لقي مالك بن دينار ثابت البناني فقال له ثابت: يا أبا يحيى كيف بك؟ قال: كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مستور على غير استحقاق؟! فكيف بك يا أبا محمد؟ قال: فكتف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسه وقال: هذا عذر الخطائين الأشرار، قال: وأقبلا يبكيان حتى سقطا.

أتدري ما مثل ابن عمك؟!:

دخل مالك بن دينار دار الخراج يوماً ينظر فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل في رجليه فبينا هو ينظر إذ أتي بطعامه فوضع بين يديه فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له الرجل: تعال كل يا أبا يحيى، قال: أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا، فتقدم إليه ابن عم الرجل فقال: يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق علي وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه، فقال مالك: أتدري ما مثل ابن عمك؟! مثل شاة أكلت عجينَ قومٍ فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه وصاحب الشاة يدعو الله على من قتل شاته، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟!

يا مالك إن الركوة قد سُرقت!:

قال الحارث بن نبهان: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة، قال: فكانت عنده فجئت يوماً فجلست في مجلسه فلما قضاه قال لي: يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شغلتْ عليَّ قلبي! فقلت: يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال: يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سُرقت! فقد شغلت علي قلبي.

هكذا أمر الآخرة:

قال مالك بن دينار: قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشار فقال: لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض فقال لي: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء، قال: اذهب، فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة.

أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟!:

كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها: قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيتِ! أراكِ تريدين مالك بن دينار وأصحابه! فقالت: هو والله غايتي! فقال الأب لأخ له: إئتِ مالك بن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له؛ فأتاه فقال له: فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة، ولي ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي؛ فقال مالك للرجل: عجباً لك يا فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً.

ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟! ولم ترعها حق رعايتها!:

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها! اليوم أنتقم لهم منك.

لأنَّ مادحَهم مفَرِّطٌ وذامَّهم مفْرِطٌ:

قال مالكٌ بن دينار: منذُ عرفتُ الناسَ لم أفرحْ بمِدْحتِهم ولا أكرهُ مَذَمَّتَهم، قيلَ: ولِمَ ذلك؟ قالَ: لأنَّ مادحَهم مفَرِّطٌ وذامَّهم مفْرِطٌ.

يا قارئ أنت قارئ؟!!

قال مالك بن دينار: من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه؛ ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه؛ يا قارئ أنت قارئ؟!! ينبغي للقارئ أن يكون عليه دُرّاعة صوف وعصا راعٍ، يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى.

إني كنت في وسط الدار:

خرج مالك بن دينار رحمه الله بالليل إلى قاعة الدار وترك أصحابه في البيت وأقام إلى الفجر قائماً في وسط الدار فقال لهم: إني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار فلم يزالوا يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح.

أبشرْ بشرٍ:

كان لمالك بن دينار جار كما شاء الله أن يكون، وكان إذا استقبله مالك يقول: يا أبا فلان إن كان المال الذي قد جمعته من حلال فقد آن لك أن تقتصر عليه، وإن كان من حرام فقد آن لك أن تردها على أربابها فكان من جوابه لمالك: يا مالك إنا ندق الدنيا دقاً دقاً، فقال مالك: إذاً والله يأتيك الموت فيدقك دقاً دقاً، فضرب الدهر ضرباته ما ضرب فمرض ذلك الرجل فدخل عليه مالك بن دينار فقال له: كيف تجدك؟ قال الرجل: بشر، فقال مالك: وكيف ذاك؟ قال الرجل: أتاني آت من ربي فقال: أبشرْ بشرٍّ (١).

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار:

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار: قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار ولا أعلم ما عمله! قال: فصليت معه عشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل؛ وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار؛ قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني؛ قال: ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار؛ قال: فما زال كذلك حتى طلع الفجر! قال: فقلت لنفسي: والله لئن خرج مالك فرآني لا تبلني عنده بالة أبداً؛ قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ:

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ وسمعته يقول بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك.

---

(١) الزهد الكبير، ص١٧٣.

ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى:

عن جعفر بن سليمان قال: جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك فقال: ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى.

إذا زلزلت الأرض زلزالها:

قال الحارث بن سعيد: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ:{إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾} [الزلزلة: ١] فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية:{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٧ - ٨] قال فجعل مالك والله يبكي ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم صريعا.

أخرج حلاوة ذكرى من قلبه :

قال مسمع بن عاصم قال مالك بن دينار ورأى إنسانا يضحك فقال: ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعقد

عبدالله العبدي قال: حدثنا جعفر عن مالك قال: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه.

وقال هلك أصحاب الأثقال:

قال عبدالملك بن قريب حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال: وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له: يا أبا يحيى البيت فقال: ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن يحترق قال الدورقي وذكر عبد الله بن المبارك قال وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائة وقال هلك أصحاب الاثقال.

اغرب من بين يدى فلا أراك:

عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصه دنياه وكف عنه ضيعته ويقول لا تبرح من بين يدى قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شيئا من الدنيا ويقول: اغرب من بين يدى فلا أراك بين يدى فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

قولوا للكوز يدعو لكم:

مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له قال فقام مالك، فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك قال: حاجتى أن تخلوا سفينة هذا الرجل قالوا: قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون فيه مل يأخذون من الناس من الدراهم فقالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى قال قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف.

محمد بن عبد الله عن أبى قدامه الحارث بن عبيد قال سمعت مالكا يقول: لو أن القوم كلفوا الصحف لأقلوا المنطق.

لبادرتكم إليه:

عن مالك بن دينار قال: والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال: يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه.

هذا والله الكسب الحلال:

قال رياح بن عمرو القيسى: سمعت مالك بن دينار يقول: دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب فقال: يا مالك مالك عمل إلا هذا تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة هذا والله الكسب الحلال.

قال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة، وكفى بالمرء شرا ألاً يكون صالحا ويقع في الصالحين.

إن لم تمطر حجارة فنحن بخير:

قال: وكانت الغيوم تجيء وتذهب ولا تمطر فيقول: مالك أنتم تستبطئون المطر وإنما أستبطئ الحجارة إن لم تمطر حجارة فنحن بخير.

ومن يطيق ما تطيق:

قال جعفر: قال مالك بن دينار لما وقعت الفتنة أتيت الحسن ثلاثه أيام أسأله يا أبا سعيد، ما تأمرنى؟ فلا يجيبني. قال: فقلت: يا أبا سعيد، أتيتك ثلاثة أيام أسألك، وأنت معلمي فلا تجيبني، فوالله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمى وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بقل البرية حتى يحكم الله عز وجل بين عباده قال: فأرسل الحسن عينيه باكيا ثم قال: يا مالك ومن يطيق ما تطيق ولكنا والله مانطيق هذا

فانظر ما همومك ياهشام:

قال جعفر: وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان وكان يأتيه هشام ابن حسان وسعيد بن أبى عروبه وحوشب يطلبون قلوبهم فجاء هشام فقال: أين أبو يحيى قلنا: عند البقال. قال: قوموا بنا إليه قال: فحانت منه نظرة إلى هشام فقال: يا هشام، إنى أعطى هذا البقال كل شهر درهما ودانقين فآخذ منه كل شهر ستين رغيفا كل ليله رغيفين فإذا أصبتهما سخنا فهو أدمهما، يا هشام، إنى قرأت في زبور داود، إلهى رأيت همومى وأنت من فوق العلى فانظر ما همومك ياهشام.

وأخرجوا الدنيا من قلوبكم:

عن مالك بن دينار قال: إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففى الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه، واجتنبه من عرفه، ومثل الحيه مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوى إليها الصبيان بأيديهم.

إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة:

قال جعفر: قلنا لمالك بن دينار: ألاتدعو قارئا؟ قال: إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة فقلنا له: ألا تستسقى، فقال: أنتم تستبطئون المطر لكنى أستبطئ الحجارة.

ياأيها الناس النار النار:

وسمعته يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب، وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها ياأيها الناس النار النار.

لولا البول ماخرجت من المسجد

وسمعته يقول: ياأخوتاه بحق أقول لكم لولا البول ماخرجت من المسجد.

فعلى الدنيا العفاء:

جعفر عن مالك بن دينار قال: خرج سليمان بن داود عليه السلام في موكبه فمر ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنه يقول: قد أصبت اليوم نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

قال عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنى أكره أن أصنع شيئا لم يصنعه أحد كان قبلى لأوصيت أهلى إذا أنا مت أن يقيدونى وأن يجمعوا يدى إلى عنقي فينطلقوا بى على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق. وقال غير أحمد بن محمد، فإذا سألنى ربى تعالى أى رب لم أرض لك نفسى طرفة عين قط.

سبب موت مالك بن دينار:

حصين بن القاسم قال: قلت لعبد الواحد بن زيد: ما كان سبب موت مالك بن دينار قال: أنا كنت سببه سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار فقصها على فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضا يعوده إخوانه حتى مات منها فهذا كان سبب موته،

وتوفى قبل الطاعون بيسير وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائه [(١)]

من كلام مالك بن دينار:

قال مالك بن دينار: كانَ الأبرارُ يتواصَونَ بثلاثٍ: بسجنِ اللسانِ وكثرةِ الاستغفارِ والعزلةِ.

عن مالك بن دينار قال: مكتوب في التوراة: كما تدين تدان وكما تزرع تحصد.

قال مالك بن دينار: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه.

قال مالك بن دينار: إن للهِ تعالى عقوباتٍ فتعاهدوهنَّ من أنفسِكم في القلبِ والأبدانِ: ضنكاً في المعيشةِ، ووهناً في العبادةِ وسخطةً في الرزق.

قال مالك بن دينار: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها.

قال مالك بن دينار: من صفا صُفِّيَ له، ومن خلط خُلط له.

قال مالك بن دينار: لأن أتصدقَ بتمرةٍ حلال أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف حرام.

قال مالك بن دينار: يقولُ بعضُ أهلِ العلمِ: نظرتُ في أصلِ كلِّ إثمٍ فلم أجدْه إلا حبّ المالِ، فمن ألقى عنه حبَّ المالِ فقد استراح.

قال مالك بن دينار: أقسم لكم، لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضاً يمشون عليها.

قال مالك بن دينار: وددت أن الله عز وجل أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني ثم يقول لي: يا مالك كن تراباً.

قال مالك بن دينار: الصدقُ والكذبُ يعتركانِ في القلبِ حتى يُخرجَ أحدُهما صاحبَه.

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٧٤.

قال مالك بن دينار: لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أن يكون لي في الآخرة خص من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار [١].

قال مالك بن دينار: إني وجدت في بعض الحكمة: لا خير لك أن تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما قد علمت، فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ذهبَ يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى [٢].

قال مالك بن دينار: كنت مولعاً بالكتب أنظر فيها فدخلت ديراً من الديارات ليالي الحجاج فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه فإذا فيه: يا ابن آدم لِمَ تطلب علم ما لم تعلم وأنت لا تعمل بما تعلم؟!

عن مالك بن دينار قال: تلقى الرجل وما يلحن حرفاً وعمله لحن كله [٣].

قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما تحط الريح الورق اليابس.

قال مالك بن دينار: إنما العالم أو القاص الذي إذا أتيته فلم تجده في بيته قص عليك بيته فترى حصيراً للصلاة، ترى مصحفاً، ترى إجانة للوضوء، ترى أثر الآخرة.

قال مالك بن دينار: نحنُ رهائنُ الأمواتِ وهم محتَبَسونَ حتى تردَّ إليهم الرهائنُ فَيُحشَرونَ جميعاً ثم غُشِيَ عليه.

قال مالك بن دينار: كان عيسى عليه السلام يقول: إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما وكان يقول: اعملوا لليل لما خلق له واعملوا للنهار لما خلق له.

قال مالك بن دينار: إنَّ القلبَ المحبَّ للهِ يحبُّ النَّصَبَ[٤] للهِ عزَّ وجلّ.

(١) صفة الصفوة، ٢٨٦/٣.
(٢) اقتضاء العلم العمل، ص٥٦ - ٥٧، والحلية، ٣٧٥/٣.
(٣) عن إبراهيم بن أدهم قال: أعربنا في الكلام فما نلحن ولحنا في الأعمال فما نعرب.
(٤) أي: التعب.

قال مالك بن دينار: من لم يؤتَ من العلم ما يَقْمَعُه[١] فما أوتي من العلم لا ينفعه.

قال مالك بن دينار: منْ لمْ يكنْ صادقاً فلا يَتَعَنَّ[٢].

قال مالك بن دينار: يقال إن القلب إذا لم يحزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب.

وعنه قال: قال مالك بن دينار: الحزن تلقيح العمل الصالح.

قال عمارة بن زاذان: إن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يديَّ إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال، حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق[٣].

قال مالك بن دينار: أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بُلغته.

قال مالك بن دينار: سألت الحسن عن عقوبة العالم، قال: موت القلب، قلت: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة[٤].

وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا مقتبس.

عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك لا تدخلوا مداخل أعدائي ولا تطعموا مطاعم أعدائي ولا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تركبوا مراكب أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي.

عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني.

---

(١) أي: يصرفه عن الدنيا.

(٢) فإنه لا يفلح ولا ينجو إلا الصادقون.

(٣) زاد بعضهم في رواية أخرى: فإذا سألني ربي تعالى قلت: أي رب لم أرض لك نفسي طرفة عين قط. صفة الصفوة، ٢٨٨/٣ والحلية، ٣٦٠/٢.

(٤) قال مالك بن دينار: قلت للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم، ويبقى عليه رسمه.

عن مالك بن دينار قال: ما من خطيب يخطب إلا عرضت خطبته على عمله فإن كان صادقًا صدق وإن كان كاذبًا قرضت شفتاه بمقراض من نار كلما قرضتا نبتتا.

قال مالك بن دينار: اصطلحنا على حب الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضًا، ولا ينهى بعضنا بعضًا، ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا.

قال مالك بن دينار: إن من القراء قراء ذا الوجهين، إذا لقوا الملوك دخلوا معهم فيما هم فيه، وإذا لقوا أهل الآخرة دخلوا معهم فيما هم فيه، فكونوا من قراء الرحمن؛ وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن(١).

وقال مالك بن دينار: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه، وأن تكون شهوته هي الغالبة.

قال مالك بن دينار: إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفاخرهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعونكم في شباكهم.

قال مالك بن دينار: يا عالِم! أنتَ عالم؟! تأكلُ بعلمِكَ وتفخرُ بعلمكَ! لو كان هذا العلمُ طلبتَهُ للهِ تعالى لرُؤيَ فيكَ وفي عملِك(٢).

يقول مالك بن دينار: إن الصدق يبدو في القلب ضعيفًا كما يبدو نبات النخلة، يبدو غصنًا واحدًا، فتُسقى فينتشر، ثم تُسقى فينتشر، حتى يكون لها أصل أصيل عظيم يوطأ، فظل يُستظل به، وثمرة يؤكل منها. كذلك الصدق مع الله، يبدو في القلب ضعيفا، فيتفقّده صاحبه ويزيده الله، ويتفقده ويزيده الله، حتى يجعله الله بركة على نفسه،

(١) وقال مالك أيضاً: القراء ثلاثة فقارىء للرحمن وقارىء للدنيا وقارىء للملوك ويا هؤلاء محمد بن واسع عندي من قراء الرحمن.
وقال أيضاً: للأمراء قراء للأغنياء قراء وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن.
وقال أيضاً: إن من الناس ناساً إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.
(٢) أخلاق العلماء، ٧٩.

فيكون كلامه دواء للخاطئين، ليحيي الله به الفئام من الناس وصاحبه لا يعلم بذلك.

قال مالك بن دينار: في التوراة: إن الله يبدد عظام رجل في يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، تكلَّمَ بين اثنين بهوى.

قال مالك بن دينار اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

كان مالك بن دينار يقول: من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره [(١)].

وقال مالك بن دينار: وإذا رأيت قسوة في قلبك وحرمانا في رزقك فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك.

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله قال: قرأت في التوراة: لا تعجزن أن تقوم في صلاتك بين يدي باكيا فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نوري فهذه خانات ومنازل أولئك القوم تهيأ لهم نزلا من النور حتى تتراءى لهم معاني تلك الآيات وبواطنها فيتلذذون بها ويستريحون من التعب الذي لحقهم فيما تلوا قبل ذلك وإنما مروا بتلك الآيات بعد ذلك مرة أخرى فلم يصبهم تعب ولا نصب كما كان قبل ذلك فطمعوا في حط الرحال لما كانوا وجدوه قبل ذلك فداروا عليها ورددوها يريدون حط الرحال من غير إعياء واستراحة من غير نصب يطمعون في إشراق ذلك النور تلذذا بفناء الملك الكريم فيجدون تلك الخانات لم تهيأ لهم نزلا إنما هي أواري خالية وبيوت صفر فيرتحلون ويمضون وإذا هيئ النزل فقد وجدوا ما طلبوا فإذا رددوها تراءى للقلب شعاع ذلك فالتهب النور وتصورت تلك المعاني المندرجة فيه على قلبه فصار طربا في سمعه فأعلمه وأبكاه.

فإذا لم يعلم هذا كله ورضي من نفسه بالقراءة فقط فكان كعامل يقرأ كل يوم كتاب الملك ويترك ما فيه من المعاني.

---

(١) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ١ / ٢٧.

وقد قال مالك بن دينار رحمه الله وجدت في بعض الكتب إن سرك أن تحيا وتبلغ اليقين فاحتل في كل خير أن تغلب شهوات الدنيا فإنه من يغلب شهوات الدنيا يفرق الشيطان من ظله.

فإذا حيي القلب حياة تبلغ علم اليقين صار من السابقين المقربين فهناك يحيا بالله فعاين ببصر قلبه آثار القدرة وآثار الربوبية وبهاء الدين وزينة العبودية وبهجة المنة وتربط بلحظه إلى مجالس النجوى وبهجة المرعي بين يديه فحياة الأول حياة الفضة وحياة الثاني حياة الذهب وحياة الثالث حياة الجوهر.

والفضة إنما بريقها من حياتها وبريق الذهب من حياته أقوى من الفضة وأشد بريقا وبريق الجوهر من حياته وهي أقوى من الذهب فكل واحد من هذه الأشياء قد احتظى من الحياة ولكن كل واحد أقوى من الآخر فالجوهر يضيء البيت من نوره والذهب والفضة ليس لهما ذلك فمن كانت نفقته في ضيافة المعرفة من الدراهم فصيانتها والإحسان إليها لا تخلو من الدنس والأوساخ والتضييع والتفريط.

ومن كانت نفسه في ضيافة المعرفة من الدنانير يسلم من الأوساخ والأدناس ولكن لا يخلو من الغبار.

ومن كانت نفقته في ضيافة المعرفة من الجوهر سلم من الغبار وجميع ما يتقى منه ويصان عنه ولم يزل طريا نقيا لأن قلبه حيي بالله بحياة الجوهر فذلك قول رسول الله:(**الإيمان حلو نزه فنزهوه**) [(١)].

وقال مالك بن دينار: من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة.

مثله قول مالك بن دينار: من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه [(٢)].

(١) أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار إبن زيدون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ١ / ٢٢٥.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ / ٢٢٢.

قال مالك بن دينار: شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض، فأنهم أشد تحاسداً من السوس في الوبر [١].

قال مالك بن دينار: إخوة هذا الزمان مثل مرقة الطباخ في السوق طيب الريح لا طعم له.

قال مالك بن دينار: نقل الحجارة مع الأبرار أنفع لك من أكل اللحم مع الفجار [٢].

وقال مالك بن دينار: وددت أن رزقي حصاة أمصها فقد ضجرت من كثرة ترددي إلى الخلاء.

وقال مالك بن دينار: اللهم سهل لي المجاز ويسر لي الجواز [٣].

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني ذكرتهم برحمتي، وإذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي [٤].

مالك بن دينار: جنات النعيم من جنات الفردوس، وفيها جوار خلقن من ورد الجنة؛ قيل: ومن يسكنها؟ قال: الذين هموا بالمعاصي، فلما ذكروا عظمة الله راقبوه [٥].

وقال مالك بن دينار: لو كانت الصُّحف من عندنا، لأقللنا الكلام.

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال: غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا: رديء قال: كذبتم. قال: وكيف كثرته؟ قالوا: قليل. قال: حلفتم [٦].

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ١٥٦.
(٢) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ١ / ٤٥.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢ / ٦٤.
(٤) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ١٢٧.
(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٤٣.
(٦) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١٢، ٢٤.

قال مالك بن دينار: كيف يتيه من أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عذرة.

أخذه أبو العتاهية فقال:

مـــا بـــال مـــن أوّلـــه نطفـــةٌ ::: وجيفـــــة آخــــــره يفخــــــر
أصـــبح لا يملـــك تقـــديم مـــا ::: يرجـــو ولا تـــأخير مـــا يحـــذر
وأصـــــبح الأمـــــر إلى غـــــيره ::: في كل مـــا يقضـــى ومـــا يقـــدر

وقال منصور الفقيه:

تتيـــه وجســـمك مـــن نطفـــة ::: وأنـــت وعـــاءٌ لمـــا تعلـــم

وله أيضاً:

قولـــــوا لـــــزوّار الكنـــــف ::: والمنشـــــئين مـــــن نطـــــف
يـــا جيفـــاً مـــن الجيـــف ::: مـــا لكـــم وللصّـــلف [1]

قال مالك بن دينار: أن المنافقين في المساجد كالعصافير في القفص.

وقال مالك بن دينار: مثل المؤمن مثل اللؤلؤة، أينما ذهبت فحسنها معها.

الخير أبقى وأن طـال الزمـان بـه ::: والشر أخبث ما أوعيـت مـن زاد

وقال مالك بن دينار: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ أن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض.

وقال مالك بن دينار: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، ثم قال: ما أشد فطام الكبير! كان علي والزبير وطلحة رضي الله عنهم إعذار عام واحد أي عذورا في عام واحد، كانت أسنانهم متقاربة.

وقال مالك بن دينار كفى بالمرء سراً أن لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر على الصفا.

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ /٩٥.

وعنه: إذا طلبت العلم لتعمل به كثرك العلم، وإذ طلبته لغير العمل لم يزدك إلا فقراً.

مالك بن دينار: بلغنا أنه يكون في آخر الزمان رياح وظلم، فيفزع الناس إلى علمائهم، فيجدونهم قد مسخوا. وليس ذلك إلا العالم الذي يأكل الدنيا بعلمه. وأنشد:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ::: وللمشتري دنياه بالدين أعجب

مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

مالك بن دينار: عجبت ممن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمى من الذنوب مخافة النار [(١)].

قال جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار: إذا لم يكن في القلب حزن خرب.

وعن مالك بن دينار، قال: من تباعد من زهرة الدنيا، فذاك الغالب هواه.

عن مالك بن دينار، قال: قرأت في الزبور: بكبرياء المنافق يحترق المسكين.

قال: وقرأت في الزبور: إني أنتقم للمنافق من المنافق، ثم أنتقم من المنافقين جميعا، فذلك قول الله - عز وجل -:{وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾} [الأنعام: ١٢٩] [(٢)].

قال أبو عون سمعت أخي يقول: رأيت مع مالك بن دينار كلبا قال قلت ما هذا قال هذا خير من قرين السوء [(٣)].

وقال مالك بن دينار: إنه جاء في بعض كتب الله: (أنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /١٢٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧ / ٣٣٥.
(٣) محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي أبو الحسين، معجم الشيوخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، مكان النشر بيروت، طرابلس، سنة النشر ١٤٠٥، ١/ ٧٩.

قال جعفر سمعت مالك بن دينار يقول ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى

قال: وسمعته يقول: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما.

قال: وسمعته يقول: يا هؤلاء جهالكم كثير لولا ذلك للبست المسوح ياهؤلاء لا تجعلوا بطونكم جربا للشيطان يوعى فيها إبليس ما شاء.

عن مالك بن دينار قال: من دخل بيتي فأخذ منه شيئا فهو له حلال أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح، وكان يأخذ الحصاة من المسجد ويقول: لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب.

قال رياح بن عمرو القيسي: سمعت مالك بن دينار يقول: ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح وإن جزع رجع.

قال سلام بن أبي مطيع: دخلنا على مالك بن دينار ليلا وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف يكدمه فقلنا له: أبا يحيى إلا سراج ألا شيء تضع عليك خبزك فقال: دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى.

أبو حفص عمر بن أحمد قال: قال مالك بن دينار مثل: قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخا ونصب فيه برة فجاء عصفور فقال: ما غيبك في التراب قال التواضع قال: لأي شيء انحنيت؟ قال: من طول العبادة. قال: فما هذه البرة المنصوبة فيك؟ قال: أعددتها للصائمين. فقال نعم الجار أنت، فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ، فقال العصفور: إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في العباد اليوم.

قال محمد بن عبد العزيز بن سلمان: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجبا لمن يعلم أن الموت مصيره، والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه وكيف يطيب فيها عيشه قال: ثم يبكى مالك حتى يسقط مغشيا عليه.

عن مالك قال: إن لكل شيء لقاحا، وإن الحزن لقاح العمل الصالح إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن فوالله ما اجتمعنا في قلب عبد قط حزن بالآخرة وفرح بالدنيا إن أحدهما ليطرد صاحبه.

عن جعفر بن سليمان قال قال مالك بن دينار إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف.

قال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: يا نفس، ألست صاحبة كذا؟ ثلاث مرات، ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائداً.

خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله.

ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله - عز وجل -.

إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل، والأمر يعرض له، عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها. ثم قال: وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين.

سمع مالك رجلاً يقول: لو أعطاني الله - تعالى - بيتاً صغيراً لرضيت به. فقال له مالك: ليتك يا ابن أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة.

الخوف من العمل ألا يتقبل أشد من العمل.

وجد في بعض الكتب: سبحوا الله - أيها الصديقون - بأصوات حزينة.

ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار، أو هرة.

أشد ما على السفيه الإعراض عن جوابه، وإظهار عدم التأثير له.

مثل الدنيا مثل الحية، مسُّها ليِّنٌ، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان.

قال موسى - عليه السلام -: يا رب أين أبغيك! قال: أبغني عند المنكسرة قلوبهم.

ما عاقب الله - تعالى - قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياء.

لم يبق لي من رَوْح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، وتهجد بالقرآن، وبيتٌ خالٍ يُذْكَر الله فيه.

ومن شعره:

أتيــت القبــور فناديتــهن ::: أيــن المعظــم والمحتقــر؟
وأيــن المــدل بســلطانه ::: وأيــن المــذكى إذا مــا افتخــر؟
تفــانوا جميعــا فمــا مخــبر ::: ومــاتوا جميعــا ومــات الخــبر
تــروح وتغــدو بنــات الثــرى ::: وتمحــى محاســن تلــك الصــور
فيــا ســائلي عــن أنــاس مضــوا ::: أمــا لــك فيمــا تــرى معتــبر؟

* * *

إبراهيم بن أدهم

أعـلام التابعيـن

إبـراهيـم بـن أدهم

كان والده من أغنى أغنياء خراسان وأحد ملوكها، ولد (إبراهيم) بمكة حينما خرج أبوه وأمه إلى الحج عام ١٠٠ هـ أو قريبًا منها، وفتح عينيه على الحياة؛ ليجد الثراء يحيط به من كل جانب؛ فعاش حياة الترف والنعيم، يأكل ما يشاء من أطيب الطعام، ويركب أحسن الجياد، ويلبس أفخم الثياب.

وفي يوم من الأيام خرج إبراهيم بن أدهم راكبًا فرسه، وكلبه معه، وأخذ يبحث عن فريسة يصطادها، وكان إبراهيم يحب الصيد، وبينما هو كذلك إذ سمع نداء من خلفه يقول له: (يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت) فوقف ينظر يمينه وشماله، ويبحث عن مصدر هذا الصوت فلم ير أحدًا، فأوقف فرسه ثم قال: والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي.

ورجع إبراهيم بن أدهم إلى أهله، فترك حياة الترف والنعيم ورحل إلى بلاد الله الواسعة ليطلب العلم، وليعيش حياة الزهد والورع والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يكن إبراهيم متواكلاً يتفرغ للعبادة والزهد فقط ويعيش عالة على غيره، بل كان يأكل من عمل يده، ويعمل أجيرًا عند أصحاب المزارع، يحصد لهم الزروع، ويقطف لهم الثمار ويطحن الغلال، ويحمل الأحمال على كتفيه، وكان نشيطًا في عمله، يحكي عنه أنه حصد في يوم من الأيام ما يحصده عشرة رجال، وفي أثناء حصاده كان ينشد قائلا:

اتَّخِذِ اللَّهَ صاحبًا ::: ودَعِ النَّاسَ جانبا.

وظل إبراهيم ينتقل من مكان إلى مكان، زاهدًا وعابدًا في حياته، فذهب إلى الشام وأقام في البصرة وقتًا طويلاً، حتى اشتهر بالتقوى والعبادة، في وقت كان الناس فيه لا يذكرون الله إلا قليلا، ولا يتعبدون إلا وهم كسالي.

وكان إبراهيم بن أدهم شديد التواضع، لا يحب الكبر، كان يقول: (إياكم والكبر والإعجاب بالأعمال، انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، من ذلل نفسه؛ رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه

أنجاه) ودخل إبراهيم بن أدهم المعركة مع الشيطان ومع نفسه مصممًا على الانتصار، وسهر الليالي متعبدا ضارعًا باكيًا إلى الله يرجو مغفرته ورحمته، وكان مستجاب الدعاء.

وكان أكثر دعائه: (اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك) وكان يقول:

(ما لنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا) وقال: (كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيًّا فهو والذئب سواء، وكل من ذلَّ لغير الله، فهو والكلب سواء) وكان يقول لأصحابه إذا اجتمعوا: (ما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء).

وكان إبراهيم راضيًا بحالة الزهد القاسية، وظل يكثر من الصوم والصلاة ويعطف على الفقراء والمساكين إلى أن مات رضوان الله عليه سنة ١٦٢ هـ [١].

مواقف من حياة إبراهيم بن أدهم:

يا قسورة:

قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا قال: « أرنيه، فلما رآه، قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهبا قال: أحسبه قال: يصوت بذنبه قال: فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا

---

(١) مصادر الترجمة: التاريخ الكبير: ١ / ٢٧٣، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٤٥٥، الجرح والتعديل: ٢ / ٨٧. مشاهير علماء الامصار: ١٨٣، حلية الأولياء: ٧ / ٣٦٧ حتى ٨ / ٥٨، تاريخ ابن عساكر: خ: ٢ / ١٨٦، الكامل لابن الاثير: ٦ / ٥٦، تهذيب الكمال: ٤٩ - ٥١، تهذيب التهذيب: ١ / ٣٢ - ٣٣، عبر الذهبي: ١ / ٢٣٨، فوات الوفيات: ١ / ١٣ - ١٤، الوافي بالوفيات: ٥ / ٣١٨ - ٣١٩، البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٥ - ١٤٥، طبقات الاولياء: ٥ - ١٥، تهذيب التهذيب: ١ / ١٠٢ - ١٠٣، خلاصة تهذيب الكمال: ١٥، شذرات الذهب: ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٠ - ١٩٩.

نهلك وأنت رجاؤنا » قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها، فما عرض لي لص ولا غيره[١].

في فم كل واحدة منهن دينار واحد:

حدث صالح بن سليمان، أو غيره قال: « احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار، وكان على شاطئ البحر، فدعا الله عز وجل، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد، فأخذ دينارا واحدا »[٢].

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك:

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: " هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ ها هنا شيئا؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فانتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنانير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا " [٣].

(١) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٠.
(٢) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٢.
(٣) ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى ١ / ٣٥.

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟ :

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم، قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع [١].

ما لك حيلة؟ :

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا ابن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا ابن بشار، كأنك لم تر حريصا محروما، ولا ذا فاقة مرزوقا. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل [٢].

فأني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته:

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع وروى، وانتقل - عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فأضر بالحلال الصافي فيها، إلا ما لا بد له منه، من كسرة شربها صلبه، وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه [٣].

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٥٥.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٦٢.

(٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٩٨.

المواساة من أخلاق المؤمنين :

حدث إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتما حزينا، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله والملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئا، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعه إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين [1].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١/ ١١٠.

لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟! (١)

فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء:

قال إبراهيم بن زياد المقرئ: قال إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان قال: كنت يوما في مجلس لي له منظرة إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه أطمار وكان يوما حارا فجلس في فيىء القصر ليستريح، فقلت للخادم: اخرج إلى هذا الشيخ، فأقرئه مني السلام، وسله أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي فخرج إليه فقام معه فدخل إلي فسلم، فرددت عليه السلام، واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي وعرضت عليه الطعام، فأبى أن يأكل فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراء النهر. فقلت: أين تريد؟ قال: الحج إن شاء الله تعالى قال: وكان ذلك في أول يوم من العشر أو الثاني فقلت: في هذا الوقت فقال: بل يفعل الله ما يشاء فقلت: الصحبة، فقال: إن أحببت ذلك حتى إذا كان الليل قال لي: قم فلبست ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه فقدم إلينا خبزا وبيضا، وسألنا أن نأكل، فأكلنا وجاء بماء، فشربنا وقال لي: بسم الله قم فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا هذه مدينة كذا هذه الكوفة، ثم قال: الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي، وقال: بسم الله قال: فجعل يقول: هذا منزل كذا هذا منزل كذا، وهذه فيد وهذه المدينة وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فصرنا إلى قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فزرناه، ثم فارقني، وقال الموعد في الوقت من الليل في المصلى، حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى، فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية، حتى أتينا مكة في الليل، ففارقني فقبضت عليه وقلت: الصحبة

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ١٣٤.

فقال: إني أريد الشام، فقلت: أنا معك، فقال: لي إذا انقضى الحج فالموعد هاهنا عند زمزم حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث، فإذا نحن ببيت المقدس فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام إن شاء الله هاهنا ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرفني.

اسمه قال: إبراهيم فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء منزلا بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ فكان ذلك أول أمري.

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم:

قال إبراهيم بن بشار: ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم، فبينا نحن نسير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب إليه فقالوا يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول لا أفلح من لم يكن استعد لمثل هذا اليوم ثم حرك شفتيه وإذا هاتف ينادي من اللجة تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب [(١)].

أعز الاشياء في آخر الزمان:

قال: سمعت منصور بن مجاهد والد محمد بن منصور جارنا، يقول: سمعت رشيد بن سعد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الاشياء في آخر الزمان ثلاثة: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

أيكم إبراهيم بن أدهم؟ :

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم جالسا معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربوع عليه أثر سفر، حتى وقف علينا، فقال: أيكم إبراهيم بن

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ١ / ١٦٠.

أدهم؟ قال إبراهيم: أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه، قال: أي شيء أردت؟ قال: أنا غلامك، بعثني إخوتك إليك، ومعي عشرة آلاف وفرس وبغلة. فقال له إبراهيم: إن كنت صادقا فأنت حر، وما معك لك، اذهب اذهب لا تخبر أحدا.

كن ذنبا ولا تكن رأسا:

حَدَّثَا بقية بن الوليد قال: قلت لابراهيم بن أدهم: أكنيك أم أدعوك باسمك؟ قال: إن كنيتني قبلت منك، وإن دعوتني باسمي فهو أحب إلي. قال: فمدحته - أو قال: أثنيت عليه، قال: ففطن، فقال: لروعة يروع صاحب عيال، أفضل مما أنا فيه. قال: قلت له: أوصني. قال: كن ذنبا ولا تكن رأسا، فإن الرأس يهلك، ويسلم الذنب [(١)].

أخرجوه فقد استقتل! :

وَقَال أبو صالح الفراء، عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة. فقال له: من أين معيشتك؟ قال إبراهيم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ::: فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال: فقال الوالي: أخرجوه فقد استقتل!

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا:

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ::: ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما ::: استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[(٢)]

أنا ظننت فيكم خيراً:

عن إبراهيم بن أدهم إنّه كان في بعض السّواحل ومعه رفقاءٌ له ومعهم حميرٌ لهم فجاء إليهم رجلٌ فقال أريد أصحبكم وأكون معكم فكأنّهم كرهوا ذلك فلما خرجوا إلى ساحل البحر والرّجل معهم قال إبراهيم بن أدهم للحمار زر

---

(١) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٢ / ٣٥.

(٢) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، ٢ / ٣٦.

فصاح الحمارٌ فانصرف الرّجل عنهم وقال أنا ظننت فيكم خيراً فصرفوه بهذا [(١)].

فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: حمال:

سمعت شقيق البلخيّ يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في الشام، فقلت: تركت خراسان قال: ما تهنَّيت بالعيش إلا هنا، أفر بديني من شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: حمال: يا شقيق: لم ينبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج بل من كان يعقل ما يدخل بطنه، يا شقيق: ماذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم عن زكاة، ولا عن جهاد، ولا صلة، إنما يسأل عن هذا هؤلاء المساكين. قلت: هذا القول من إبراهيم رحمه الله ليس على إطلاقه، بل قد نبل بالجهاد والقرب عدد من الصفوة.

هذه جلسة رسول الله صلي الله عليه وسلم :

قال بقية: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعام له وجلس، فوضع رجله اليسرى تحت إليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها ثم قال: هذه جلسة رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يجلس جلسة العبيد.

أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا:

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته.

قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلمّا كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلمّا أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرَّستن فنكري أنفسنا مع الحصّادين قال: نقم، فأتينا باب الرَّستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت حاجتي،) وتصدّقت بالباقي، فيهيّأته، وقدمته إليه،

(١) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبارالظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م، ٧٤/١.

فلمّا نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال: أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال: فغضبت، قال: ما يغضبك أتضمن لي أنّا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به.

لو أمكنني أن أطلّق نفسي لفعلت:

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن أدهم قال: أخاف ألاّ يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: لو تزوَّجت، فقال: لو أمكنني أن أطلّق نفسي لفعلت.

صيّر مالي وماله واحداً:

دخل إبراهيم بن أدهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدّمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنّكم تأكلون في رهن.

قال عصام بن داود بن الجرّاح: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السَّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

ما إيّاك عنيت:

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إيّاك عنيت.

ليس إيّاك أردت:

قال عيسى بن حازم النّيسابوريّ: كنّا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إيّاك أردت.

قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك:

قال بقية قال كنّا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبّت ريح وهاجت الأمواج، واضطّربت السفينة، وبكى الناس فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه فرفع رأسه ن وقد أشرفنا على الهلاك، فقال: ياحيّ حين لاحيّ، وياحيّ قبل كلّ حيّ، ويا حيّ بعد كلّ حيّ، يا حيّ يا قيُّوم، يا محسن، يا مجمل، قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة من ساعته.

فهو واللّص سواء:

وعن إبراهيم قال: كلّ ملك لا يكون عادلاً فهو واللّصّ سواء، وكلّ عالم لا يكون ورعاً فهو والذّئب سواء، وكلّ من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلةٍ واحدة.

أوتروا لي قوسي:

وقيل: إنّ إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كلّ مرّة يجدّد الوضوء، فلما أحسّ بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفّي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

وأيّ دين لو كان له رجال:

قال إبراهيم بن بشّار الصوفي، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيّ دين لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحبّ إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقةٍ يرجى نومها، ولا المنيّة بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

فرزق الله مضمون، سيأتيك:

وأمسينا ليلة مع إبراهيم وليس لنا شيء نفطر عليه، فرآني حزيناً فقال: يا ابن بشّار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حجّ، ولا صدقة، ولا صلة رحم، لا تغتّم، فرزق الله مضمون، سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، نحن والله

الذين تعجلّنا الراحة، لا نبالي على أيّ حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فقال: أطعمونا فدفع إليه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين.

فسارع إلى أمر الله:

وكنت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنَّم، فترحّم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سرّ ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ، فإننا على باق، ولا تغترَّنّ بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أنّ بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: سارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السماوات والأرض أعدَّت للمتقين فانتبه فزعاً وقال هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.

ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت:

قال إبراهيم بن بشّار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدوّ أمرك قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعلّ الله أن ينفعنا به يوماً، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبَّب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي ومعي كلبي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلم أر أحداً فقلت: لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك:
يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت، انتهيت انتهيت، جاءني نذير من ربّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربّي. فرجعت إلى أهلي، فخلَّيت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت منه جبَّة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف

لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصِّيصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإنّ فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيتها، فعملت بها انظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فكتبت في البستان مدّة، فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناظور، إذهب فآتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمّان، فكسر رمّانة فوجدها حامضة فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورمّاننا، لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها. فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنّك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عتق من الناس، فلمّا رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.

فباع حماره واشترى شهوتي:

عن سهل بن إبراهيم قال: صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتهيت شهوة، فباع حماره واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أيّ شيءٍ نركب قال على عنقي، قال: فحمله ثلاثة منازل.

فأنّا مملوكان لأبيك:

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلّما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي.

قد أبررت يمينك:

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سمعت أبا الوليد يقول: ربّما جلس إبراهيم بن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسّر الصنوبر فيطعمنا.

وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السَّرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل.

مالي فيها حاجة:

قال خلف بن تميم، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول.

من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره:

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح. يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عمّا كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، فبكى، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

وعن إبراهيم قال: حبُّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا.

اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري:

قال إبراهيم بن بشّار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلّفوا عن الجمعة والجماعة.

نشكو إليك ما يفعل بنا:

عن المعان بن عمران قال: شكا الثّوريّ إلى إبراهيم بن أدهم فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال: أنت شهرت نفسك بحدّثنا وحدّثنا.

على القلب ثلاثة أغطية:

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذّب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب بحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم.

أيحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد:

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحرّ المريد أن يتذلّ للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد (١).

ليقم السّابقون الأولون:

وقال مؤمّل بن إهاب: رأى رجل كأن القيامة قد قامت، ونودي: ليقم السّابقون الأولون، فقام سفيان الثّوريّ، ثمّ قام سليمان الخوّاص. ثم نودي: ليقم السّابقون، فقام إبراهيم بن أدهم (٢).

ما حملك على الخروج من الدنيا؟ :

إبراهيم بن أدهم قال: لقيت رجلا بالإسكندرية يقال له: أسلم بن زيد الجهني فقال: من أنت يا غلام؟ فقلت: شاب من أهل خراسان قال: ما حملك على الخروج من الدنيا، فقلت: زهدا فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه: وأي شيء الصبر فقال: إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال: قلت: ثم مه قال إذا كان محتملا للمكاره أورث الله عزوجل قلبه نورا قلت: فماذا النور قال سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال: يا غلام، إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم، وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس،

---

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٠ / ٤٩ - ٥٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ١٠ / ٢٥٣.

يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل ولا تعجل إياك، والبخل قلت: وما البخل قال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل [١].

هكذا كلاب بلخ! :

وقال ابرهيم لشقيق: " علام اصلتم اصولكم؟ " فقال: " اذا رزقنا أكلنا، واذا منعنا صبرنا ". فقال ابرهيم: " هكذا كلاب بلخ! اذا رزقت أكلت، واذا منعت صبرت. أنا أصلنا أصولنا على انا اذا رزقنا آثرنا، واذا منعنا حمدنا وشكرنا ". فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: " انت استاذنا! " [٢].

مات وكفن في الملاعتين :

عن إبراهيم بن أدهم قال: حدثني رفيقة قال خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس فنفذ زادنا في الطريق، فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا وبلغ منا الجهد فقلت: ندخل القرية عسى نطلب عملا، فإذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه، فدخلت ألتمس، فتقبلت من قوم حائطا قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد تقبلت عملا، فجعل يعمل عمل الرجال، وأعمل عملا ضعيفا فجاؤنا بغداء، فغسلت يدي أبادر الطعام فقال لي: هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار فقلت: لا. قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع فأتينا قرية من قرى حمص فإذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال من بعث فقلت: صاحب المنزل قال ما اسمه قلت فلان بن فلان فأكل

(١) ابن الجوزي، صفة الصفة، ٤ / ٣٣٤.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١ / ١.

وأكلت ثم أتينا عمق إنطاكية وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهما فقلت: آخذ نصف هذه وأرجع ما بي قوة على صحبته فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس قال ما أنت لي مصاحبا فدخل إنطاكية واشترى ملاءتين من تلك الدراهم فقال إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان بن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إلى بقية الدراهم وبقي ليس معه شئ فدفعت الملاءتين إلى الرجل فقال من بعث بها قلت إبراهيم بن أدهم فقال ومن إبراهيم بن الأدهم فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حينا فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي مات وكفن في الملاءتين.

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده [١].

ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا:

قال شقيق بن إبراهيم: مر أبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إنّ الله يقول في كتابه:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ} [غافر: ٦٠] ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله عليه السلام وتركتم سنته، والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم [٢].

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٧ / ٣٧٤.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٥.

اضرب رأساً طالما عصى الله:

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ (١).

أعجبني صدقك:

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: علي أن أكون أملك لشيئك منك. قال لا، فقال إبراهيم: أعجبني صدقك.

أفر بديني من شاهق إلى شاهق. :

قال سفيان بن عيينة: رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر بديني من شاهق إلى شاهق.

ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك:

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك (٢).

المريب خائف:

ومر إبراهيم بن أدهم بباب المنصور فنظر إلى السلاح والحرس فقال:

---

(١) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٨، ١٢٣، ٢ / ١٦٢، ١٦٤.

(٢) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٢ / ٩٠.

المريب خائف [١].

رأيت رب العزة في المنام:

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: رأيت رب العزة في المنام فقال: قل: اللهم أرضني برضائك وصبرني على بلائك وأوزعني: أي ألهمني شكر نعمائك.

فأنت الراكب وأنا الماشي:

وخرج يوما إلى الحج ماشيا فرآه رجل على ناقته فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج قال: أين الراحلة، فإن الطريق بعيد قال: لي مراكب كثيرة ولكن لا تراها قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى فقال: سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي.

طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين:

اشترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه تمرا من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظانا أنهما من التمر الذي اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول أحدهما للآخر: من هذا؟ قال: إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان غير أن طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسأل ولده أن يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه: هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال.

لمَّا كُنتَ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة:

أتى جُنْدِيٌّ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فدّله على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربهُ حتى أدماهُ، فقيل للجندي: هذا الأمير بن

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ٧ / ٥٧.

أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيمُ: لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة، قال: ولِمَ، قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فحملتُ رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألك لك الجنة.

يا أخي أما علمت أن الموت أمامك:

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله بن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطال، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً ليلاً أو نهاراً ثم القبر وهول المطلع ومنكر ونكير وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛ فأبكاهم ومضى [(١)].

المال مال الله:

عن إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال: نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذه منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم.

يا رب أرني رفيقي في الجنة:

قال إبراهيم بن أدهم: يا رب أرني رفيقي في الجنة فقيل له في منامه: إنها امرأة سوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي زوجتك في الجنة فلما سار إليها سلم عليها قالت: وعليك السلام يا إبراهيم، قال: من أخبرك أني إبراهيم قالت: النبي أخبرك أني زوجتك في الجنة فقال: يا سلامة عظيني قال: عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١ / ٣١٩، ٣٧٤.

حرام.

إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين:

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكا نزل من السماء فسألته عن حاله فقال نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت: هل أنا منهم قال لا فقلت: إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم [١].

من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام:

- وكان رضي الله عنه يقول: من تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه، وقال رضي الله عنه لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد لقيتني امرأة زمنة فقالت إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه ولا تر أنه فوقك ولا تحتج لنفسك محقاً كنت أومتهما لأنك إن هبته سلطه الله عليك وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا لأنك باهت الله فيما يعلمه وإن كنت بريئاً فادع الله تعالى أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها فقلت لها: سمعاً وطاعة فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة. فسكت فقال وزيره، هو حقيق عندي بما قيل فيه ثم قال لي لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت لا كذبت المسلمين وإن قلت نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني فافعل أنت ما ترى فإني غير منتصر لنفسي فقال المتوكل: هو رجل بريء مما قيل فيه فخرجت إلى العجوز فقلت: لها جزاك الله عني خيراً فعلت ما أمرتني به فمن أين لك هذا فقالت من حيث ما

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١ / ٦٩، ٨٧، ١٣٣، ٢، ٢٩٥.

خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام [١].

وإذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم؟!:

قال أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لي: اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم لي قدحاً أخضر فيه رائحة السكباج فقال لي: كل يا إبراهيم فرددته عليه فقال: إني سمعت الملائكة تقول من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يعطي، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان العالم طامعاً، وللمال جامعاً فبمن يقتدي الجاهل، وإذا كان الفقير المشهور بالفقر راغباً في الدنيا، والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته. وإذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم رضي الله عنه [٢].

من كلام إبراهيم بن أدهم:

عن إبراهيم بن أدهم عن عمران القصير قال: كان يقال: إن خير خصلة أو أفضل خصلة تكون في الإنسان أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم.

حدث إبراهيم الشيخ بمصر قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق اعبد الله سراً حتى يخرج على الناس يوم القيامة كميناً.

عن إبراهيم بن أدهم قال: من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالط، وإلا لم ينل ما يريد.

عن إبراهيم بن أدهم قال: التوبة الرجوع إلى الله بصفاء السر.

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قلب المؤمن أبيض نقي مجلي محلى مثل المرآة، فلا يأتيه الشيطان من ناحية من النواحي بشيء من المعاصي إلا نظر إليه كما ينظر إلى وجهه في المرآة؛ فإذا أذنب ذنباً

(١) الشعراني، الطبقات الكبرى، ١ / ٦٩.
(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، ١ /٧٥.

نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب من ذنبه محيت النكتة من قلبه وانجلى، وإن لم يتب وعاود أيضاً وتتابعت الذنوب ذنب بعد ذنب نكت في قلبه نكتة نكتة حتى يسود القلب، وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب في إبطاء، فما تنجع في هذا القلب المواعظ، فإن تاب إلى الله قبله الله وانجلى عن قلبه كجلي المرآة.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

عن إبراهيم بن أدهم قال: إن للذنوب ضعفاً في القوة، وقسوة في القلب؛ وإن للحسنات قوة في البدن، ونوراً في القلب.

عن أبي عبد الله الملطي قال: كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

عن خلف بن تميم سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لا ينبغي للرجل أن يضع نفسه دون قدره، ولا يرفع نفسه فوق قدره.

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إذا أردت أن تعرف الشيء بفضله فاقلبنه بضده فإذا أنت قد عرفت فضل ما أوتيت[1].

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: الهوى يردي وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم انه يراك.

قال إبراهيم العكاشي: سمعت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يحدث الأوزاعي قال: قال مالك بن دينار: من عرف الله تعالى لفي شغل شاغل، الويل كل الويل لمن ذهب عمره في الدنيا باطلاً.

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه معصية الله بعيدة من الجوعان قريبة من الشبعان والله المستعان.

قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرَّهم سترُ الله عز وجل،

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١ /٣٤٨.

وفتنَهم حسنُ الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين مقصّرين، وإلى الأهواء مائلين؛ قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

وقال إبراهيم بن أدهم من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط القربة ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط المحبة ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة [١].

كان إبراهيم بن أدهم ماراً في بعض الطرق، فسمع رجلاً يغني بهذا البيت:

كل ذنب لك مغفور ::: سوى الأعراض عني

فغشي عليه، وسمع الشبلي رجلاً ينشد:

أردناكم صرفاً فإذ قد مزجتم ::: فبعداً وسحقاً لا نقيم لكم وزنا

وقال إبراهيم بن أدهم: سألت راهباً من أين تأكل؟ قال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني [٢].

كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: " من أطلق نظرة طال أسفُه، ومن أطلق أمله ساء عملُه، ومن أطلق لسانَه قتل نفسه.

قال إبراهيم بن أدهم: الغيرة أن يهاجر من سواه حتى يبلغ مقام الأنس ويقف بين الخوف والرجاء [٣].

قال إبراهيم بن أدهم: أطلب لأخيك المعاذر من سبعين باباً، فإن لم تجد له عذراً فاعذره أنت.

---

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١ /٩١، ٢٠٢.

(٢) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ١/ ٢٩٦.

(٣) المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، ١ / ٤٧.

كان إبراهيم بن أدهم إذا نشط لعمل الخير أرتجز بقوله:

أجعــــــــل الله صـــــــاحبا ::: ودع الشـــــــر جانبـــــــا
ألم تــــر أن ســـير الخـــير وريـــث ::: وأن الشـــــر صــــاحبه يطـــــير

وقال إبراهيم بن أدهم: كنا نرجو الشباب، فإذا تكلم عند من هو أكبر منه أيسنا من كل خير عنده.

وقال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال! يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما لنا نشكو الفقر إلى فقراء مثلنا ولا نطلب كشفه من عند ربنا؟ ثكلت عبداً أمه أحب عبداً لدنياه ونسي ما في خزائن مولاه.

وقال إبراهيم بن أدهم: لأن أدخ النار وقد أطعت الله أحب إلي من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله.

وقال إبراهيم بن أدهم: اكتسب فإنك إن لم تفعل احتجت فداهنت الناس للطمع، فخالفت حينئذ الحق وأهله.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا أهدي إليه شيء لم يرده، وكأفأ بمثليه، فإذا لم يجد إلا ثوبه خلعه.

وقال إبراهيم بن أدهم: كن ذنباً ولا تكن رأساً، فإن الذنب ينجو، والرأس يهلك.

وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فلم أجده [١].

ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه وقال: أكلاماً ترجو منه ثواب؟ قال: لا قال: أفتأمن عليه العقاب؟ قال: لا قال: فعليك بذكر الله، ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً؟.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح يقول: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /١٢٨ - ٢١٢ - ٢٤٤ - ٢٤٧ - ٢٦٨ - ٣٠٨ - ٤٢٠ - ٤٨٣.

وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدهم شيئاً فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: أتحب أكثر منه؟ قال: شديداً. قال: إنك فقير وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني؛ عنى بذلك ما روي: الغنى غنى النفس [(١)].

وقال رشيد بن سعد: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعز الاشياء في آخر الزمان ثلاثة: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان.

حدث إبراهيم بن بشار قال: قال لي إبراهيم بن أدهم: فروا من الناس فراركم من السبع الضاري ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعات.

قال بشر بن الحارث: رئي إبراهيم بن أدهم مقبلاً من الجبل قيل له: من أين أقبلت؟ قال: من أنس الله عز وجل ثم قال:

اتخـــــذ الله مؤنســـــاً ::: ودع النـــــاس جانبـــــا
وتشـــــاغل بـــــذكره ::: إن في ذكـــــره الشـــــفا
وارض منـــه بمـــا قضـــى ::: إن في ذلـــك الغنـــا[(٢)]

قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب:

أولاها: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.

والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت [(٣)].

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٢٤٠، ٤٩٠، ٢ / ٣٢.
(٢) أبو الحسين بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ٢ / ١٥٣.
(٣) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، حقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ١ / ٤٢.

قال عبد الله السندي، قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خرج رجل في طلب العلم فاستقبل حجرا فإذا فيه اقلبني تعتبر فبقي الرجل لا يدري ما يصنع به فمضى ثم رجع فقلبه فإذا هو منقور أنت لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب علم مالا تعلم قال فانصرف الرجل إلى منزله.

قال محمد بن أبي رجاء القرشي قال إبراهيم بن أدهم: إنك إذا أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك شين قبح المعصية.

قال المتوكل بن الحسين قال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالفرض الزهد في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات.

إبراهيم بن أدهم قال: كان يقال: ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم.

وقال إبراهيم بن أدهم عن ابن عجلان قال: ليس شيء أشد على إبليس من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم وقال إبليس لسكوته أشد علي من كلامه.

قال إبراهيم بن أدهم: نظرت فلم أجد الخلق أتوا في أفعالهم إلا من ثلاثة أشياء: من الفرج بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، لأن من فرج بالموجود حرص، والحريص محروم، ومن حزن على المفقود سخط، والساخط معذب، ومن سر بالمدح أعجب، والمعجب ممقوت [(١)].

وقال إبراهيم بن أدهم: فرغ قلبك من ذكر الدنيا، يفرغ عليك الرضا افراغا.

هـــــذه الــــدنيا وان ســـــر ::: ت قليـــــل مـــــن قليـــــل
إنمـــا العـــيش جـــوار الله ::: في ظــــــل ظليــــــل
حيـــث لا تســـمع مـــا يــؤ ::: ذيـــك مـــن قـــال وقيـــل

كفاك منغصا للدنيا أن الله يعصي فيها.

وكذلك كان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول: من آنسه الله بقربه أعطاه

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣ /٩١.

العلم من غير طلب وكان يقول ليس بعاقل من تعلم العلم فعرف به ثم آثر بعد ذلك هواه على عمله، وليس بعاقل من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، وليس بعاقل من نسي الله في طاعته وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة إليه.

وكان رضي الله عنه يقول: تواضع لجميع خلق الله تعالى وإياك أن تتواضع لمن يسألك أن تتواضع له فإن سؤاله إياك يدل على تكبره في الباطن وتواضعك له يكون له عوناً على التكبر.

وكان يقول رضي الله عنه: من نظر في عيوب الناس عمى عن عيب نفسه وكان يقول من طلب مع الخبز ملحاً لم يفلح في طريق القوم.

وسئل رضي الله عنه عن كمال العقل وعن كمال المعرفة فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت تاركاً لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل وإذا كنت بالله عز وجل متعلقاً وغير ناظر إلى سواه من أحوالك وأعمالك فأنت كامل المعرفة.

وكان رضي الله عنه يقول: قد غلب على العباد والنساك والقراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام، وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم يستحي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم.

وسئل رضي الله عنه عن الحديث لم لا تشتغل به فقال: للحديث رجال وشغلي بنفسي استغرق وقتي والحديث من أركان الدين ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستحلبون دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا من حرص أهل العلم والمتفقهين عليها فخانوا الله ورسوله وصار إثم كل من تبعهم في عنقهم جعلوا العلم فخاً للدنيا وسلاحاً يكسبونها بعد أن كان سراجاً للدين

يستضاء به.

وسئل رضي الله عنه عن العلماء بالقرآن فقال: هم الذين نصبوا الركب والأبدان. صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات عالية أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

وكان رضي الله عنه يقول: العجب كل العجب من هؤلاء العلماء كيف خضعوا للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق.

وكان يقول: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهياً لاهياً لاغياً معرضاً عن ذكر الله تعالى.

وكان رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى لم يمنع أعداءه المحبة بجلا وإنما صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

وكان يقول: العارف لا يدوم على حزن ولا يدوم على سرور ثم قال: مثل العارف في هذه الدار مثل رجل توج بتاج الكرامة وأجلس على سرير في بيته قد علق فوق رأسه سيف بشعرة وأرسل على بابه سبعان ضاريان فيشرف على الهلاك ساعة بعد ساعة فأني له السرور وأني له الحزن قال بعضهم السيف المعلق فوق رأسه الأحكام، والضاريان اللذان على الباب الأمر والنهي.

قال إبراهيم بن أدهم: أعربنا في الكلام فلم نلحن، ولحنا في الاعمال فلم نعرب.

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده (١).

وقال ابن بكار، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: نحن نسل من نسل الجنة سبانا منها إبليس بالمعصية، وحقيق على ابن آدم ألا يهنأ بعيشه حتى يرجع إلى وطنه (٢).

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٤ / ٩٧.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٤ / ٢٣٨.

قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به.

أصيب مكتوباً على صخرة: لست مدركاً أملك، ولا فائتاً أجلك، ولا آخذاً ما ليس لك [١].

* * *

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٢٣٩.

الإمام الأوزاعي

أعـلام التابعيـن

الإمام الأوزاعي

قال محمد بن عجلان: " لم أرَ أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي.. " كان إذا وعظ الناس لم يبق أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو قلبه، ما رؤي ضاحكاً مقهقهاً ولا باكياً في مجلسه قط، وكان إذا خلا بكى حتى يُرحَم..

أفتى وله من العمر خمس وعشرون سنة.. ولم يزل يفتي حتى مات رحمه الله، وقد أفتى في سبعين مسألة بحدثنا وأخبرنا..

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، أبو عمرو الأوزاعي، نسبة إلى محلة " الأوزاع " [١] ولد بمدينة بعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه التي كانت تنتقل به من بلد إلى بلد. تأدّب بنفسه، فلم يكن من أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه، ولا أورع، ولا أعلم، ولا أفصح، ولا أحلم، ولا أكثر صمتاً منه. ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها، كما قال ابن كثير رحمه الله.

سكن بيروت مرابطاً إلى أن مات فيها سنة سبع وخمسين ومائة للهجرة، وعمره يومذاك سبع وستون سنة..

سمع جماعات من التابعين، كعطاء بن أبي رباح، وقتادة، ونافع مولى ابن عمر، ومحمد بن المنكدر، والزهري..

وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين، كمالك بن أنس، الثوري، والزهري، وهو من شيوخه، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة. قال النووي رحمه الله: " وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي وجلالته وعلو قدره وكمال فضله.. ".

وقال أبو عمرو الشامي الدمشقي: " الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره بلا مدافعة ولا مخالفة ".

(١) قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق.

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: " كان الأوزاعي إماماً يقتدى به ".
أما سفيان بن عيينة فقال: " كان الأوزاعي إمام أهل زمانه ".

كان رحمه الله كثير العبادة، حسن الصلاة، حتى قال في حقه الوليد بن مسلم: " ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة ". وكان رحمه الله يقول: " من أطال القيام في صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة " أخذ ذلك من قوله تعالى:{وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾} [الإنسان: ٢٦ - ٢٧].

كما كان، رحمه الله، إلى جانب زهده وورعه كريماً سخياً، لم يمسك شيئاً، ولم يترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، وكان ينفق كل ما يأتيه في سبيل الله، وفي الفقراء والمساكين عدا عن كونه شديد التمسك بالسنة، فهو القائل: " العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم ، وما لم يجئ عنهم فليس بعلم.. عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.. اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل ما قالوا، وكفّ عما كفوا، وليسعك ما وسعهم.. ".

إلى جانب كونه قائماً بالحق لا يخشى في الله لومة لائم، وقد روي عن والي بيروت عند وفاه الأوزاعي رحمه الله قوله: " رحمك الله يا أبا عمرو، فقد كنتُ أخافك أكثر ممّن ولاني " أي: الخليفة.

وهو القائل: " لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.. وإذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل وسدّ عنهم باب العلم والعمل.. ".

ذكر صاحب كتاب " الأموال " أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله، وكذلك صاحب " فتوح البلدان " البلاذري وغيرهما من المؤرخين، ما أقدم عليه نفر من أهل الذمة - النصارى - في جبل لبنان أيام العباسيين من نكث للعهود وحمل للسلاح وإعلان للفتنة والتمرد، وكيف قضى على فتنتهم الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس،

وكيف أقر من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم، ثم كيف شرّد أهل القرى وأجلاهم عن قراهم رغم عدم اشتراكهم جميعاً في هذه الفتنة..

ويذكرون كيف أن إمام أهل الشام، الأوزاعي رحمه الله، لم يرضَ بما حلّ بهم، ولم يسكت عن هذا الظلم، فما كان منه إلا أن أرسل رسالة إلى الوالي يقول فيها: "... وقد كان من إجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممن قتلتَ بعضهم، ورددتَ باقيهم إلى قراهم ما قد علمتَ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يُخرَجوا من ديارهم وأموالهم؟ وحكم الله تعالى:{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾} [النجم: ٣٨]، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به.. وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنه قال:(**من ظلم معاهداً أو كلَّفه فوقَ طاقته فأنا حجيجه**) (أي: خصمه). وأصرّ على الوالي أن يبادر برفع هذا الظلم، وإزالة الحيف عن كاهل هؤلاء المظلومين مبيناً له ضرورة التزام مبادئ الإسلام مهما كانت الظروف.. ولقد استجاب الوالي وفعل ما طلبه الأوزاعي..

هذا على الرغم من أن الذين قاموا بالفتنة من هؤلاء النصارى نكثوا العهد، وكانوا على صلة بالبيزنطيين، يعملون لحسابهم، إضافة إلى ارتكابهم عمليات النهب والقتل وقطع الطريق وترويع الآمنين. يقول فيليب حتي اللبناني [(١)]: ".. لجأت جماعة من نصارى الجبل إلى السلاح تفادياً لمصادرات جديدة تنزل بهم، منتهزين فرصة وجود الأسطول البيزنطي في مياه طرابلس، وانقضوا من قاعدتهم وانتهبوا عدداً من قرى البقاع، وكان يتزعمهم فتى قروي عظيم البنية، بلغ من جرأته وتهوره أن أقام نفسه ملكاً، لكن العصابة اللبنانية قيدت بعد حين إلى كمين قرب بعلبك، نصبته لهم فرقة فرسان عباسية وفتكت بهم.. ".

ولقد أوردتُ في هذا الجانب رواية فيليب حتي لأنه غير متهم بمعاداة هؤلاء بل بموالاتهم وحبهم والحدب عليهم.. ومع ذلك لم يقبل الأوزاعي، رحمه الله، ما لجأ إليه الوالي لكسر شوكتهم، احتياطاً وتحسباً لأمر قد يحدث مستقبلاً، فشردهم من القرى في الجبل وأسكنهم غيرها...

(١) تاريخ سورية، ١٦٥/٢.

وأصر عليه بضرورة التزام حكم الله عز وجل وإنفاذ سنة رسوله صلي الله عليه وسلم . " وقد بلغنا أن حكم الله عز وجل أن يؤخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يؤخذ الخاصة بعمل العامة، ثم يبعثهم الله على أعمالهم، فأحق الوصايا أن تحفظ وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم " [١].

مواقف من حياة الأوزاعي:

فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرغك لها:

دخل الأوزاعي على المهدي فوعظه وذكّره، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى أعطاك فضل الدنيا وكفاك طلبها، فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرّغك لها؛ فاستحسن قوله.

وأبيه لقد حدّثكم فأحسن:

وقال عمرو بن هشام: تحدّثنا عند الأوزاعي ومعنا أعرابيٌّ من بني عليم لا يتكلّم فقلنا: بحقّ ما سمّيتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم؟ فقال: إنّ الحظّ للمرء في إذنه، وإنّ الحظّ في لسانه لغير، وقد ذكرنا ذلك للأوزاعي فقال: وأبيه لقد حدّثكم فأحسن.

(١) طبقات ابن سعد: ٧ / ٤٨٨، طبقات خليفة: ٣١٥ - ٣١٦، تاريخ خليفة: ٤٢٨، التاريخ الكبير: ٥ / ٣٢٦، التاريخ الصغير: ٢ / ١٢٤، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٣٩٠ - ٣٩٧، ٤٠٨ - ٤١٠، الجرح والتعديل: ١ / ١٨٤ - ٢١٩، ٥ / ٢٦٦ - ٢٦٧، مشاهير علماء الامصار: ١٨٠ حلية الاولياء: ٦ / ١٣٥ - ١٤٩، تاريخ ابن عساكر: ١٠ / ٣٤ / آ، وفيات الاعيان: ٣ / ١٢٧ - ١٢٨، تهذيب الكمال: خ: ٨٠٨ - ٨٠٩، تهذيب التهذيب: خ: ٢ / ٢٢٠ - ٢٢٣، تاريخ الاسلام: ٦ / ٢٢٥ - ٢٣٨، تذكرة الحفاظ: ١ / ١٧٨ - ١٨٥، ميزان الاعتدال: ٢ / ٥٨٠، عبرالذهبي: ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧، البداية والنهاية: ١٠ / ١١٥ - ١٢٠، تهذيب التهذيب: ٦ / ٢٣٨ - ٢٤٢، طبقات الحفاظ: ٧٩، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٣٢، شذرات الذهب: ١ / ٢٤١ - ٢٤٢.

دع لأهل البصرة خصلتين:

قال الأوزاعي: دع لأهل البصرة خصلتين وهما: القول بالقدر، والرّخصة بالخضخضة، واللتان لأهل الكوفة: تأخير السّحور، وشرب النبيذ، ولأهل مكة خصلتين وهما: الظّرف والمتعة، لأهل المدينة: السماع وإتيان النساء في أدبارهن، واللتان لأهل الشام: إيثار السلطان وبغض بني هاشم [١].

كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى:

عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي[٢].

كيف رأيت صنع الله؟! :

الأوزاعي: جاءه جار له، فقال: هذا عيد وما عندنا شيء، فقال لامرأته: أعطيه ما معك؛ فقالت: معي نيف وعشرون درهما فأشاطره؛ فقال أعطيه كلها عسى الله أن يبعث بخير منها. فإذا رجل يدق الباب، فأذن له، فقال: أني كنت عبداً لأبيك أبتعت فأكتسبت هذه الدنانير وهي نيف وعشرون ديناراً؛ فقال: أنت حر. ثم قال لامرأته: كيف رأيت صنع الله، أعطى بكل درهم ديناراً وأعتق نسمة.

نعم إن رسول الله صلي الله عليه وسلم **لم يلحن:**

سئل الأوزاعي عن رجل يسمع حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم فيه لحن أيقيمه؟ قال: نعم إن رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يلحن.

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢ / ١٢٦، ٧ / ١٥٤، ٨ / ١٢، ١٦٢، ٢٠٩.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ١ / ٤٢٢.

يا ابن أخي لك ولأصحابك، لا للحمالين:

رأى الأوزاعي شاباً بين القبر والمنبر يتهجد، فلما طلع الفجر استلقى ثم قال: عند الصباح يحمد القوم السرى؛ فقال له: يا ابن أخي لك ولأصحابك، لا للحمالين.

اللحوق بمن يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره:

الأوزاعي: عدنا مكحولاً فقال: اللحوق بمن يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

الأوزاعي: ما يسرني أن هذه الألوان تجري علي وعليكم غدوة وعشياً من حلال ولا نسأل عنها يوم القيامة. قالوا: ولم يا أبا عمرو؟ قال: لأنها تقسي القلب.

بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه :

الأوزاعي: قلت لمكحول: أين ترى لي أن أنزل؟ قال: أنزل حيث يصفو لك الخبز فإن الدين مع الخبز.

الأوزاعي: شكت النواويس ما تجد من نتن ريح الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه.

فمع من تريد أن تكون! :

الأوزاعي: لو لم تكن جنة ولا نار إلا أنهما داران، دار فيها الملائكة، والمرسلون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، ودار فيها إبليس، والشياطين، وفرعون، وهامان، وقارون، فمع من تريد أن تكون؟ (١)

فكيف بمن يسفك دماء المسلمين! :

وحكي عن الأوزاعي قال: بعث إليّ المنصور فقال: لم تبطئ عنا؟ قلت: وما تريد منا؟ قال: لآخذ عنكم وأقتبس منكم. فقلت له: مهلاً فإن عروة بن رويم أخبرني أن نبي الله، صلى الله عليه وسلم ، قال: من جاءته موعظة من ربه فقبلها شكر الله له ذلك، ومن جاءته فلم يقبلها كانت حجة عليه يوم القيامة، مهلاً فإن

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٦٣، ٩٤، ٩٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٢٤.

مثلك لا ينبغي له أن ينام. إنما جُعلت الأنبياء رعاة لعلمهم بالرعية يجبرون الكسير ويسمنون الهزيلة ويردون الضالة فكيف من يسفك دماء المسلمين ويأخذ أموالهم! أُعيذك بالله أن تقول إن قرابتك من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، تدعوك إلى الجنة، إن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، كانت في يده جريدة يستاك بها فضرب بها قرن أعرابي فنزل عليه جبريل، عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يبعثك جباراً مؤيساً مقنطاً تكسر قرون أمتك، ألق الجريدة عن يدك، فدعا الأعرابي إلى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين؟ إن الله عز وجل أوحى إلى من هو خير منك إلى داود، عليه السلام: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق. وأوحى إليه: يا داود إذا أتاك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضل فأمحوك من ديوان نبوتي.

اعلم أن ثوباً من ثياب أهل النار لو علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه، فكيف بمن تقمّصه؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي إلى الأرض السابعة، فكيف بمن تقلدها؟ قال: ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يقفك ويسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله جل وعز لا يرضى منك إلا ما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك وإن الله جل وعز لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية، يا أمير المؤمنين، إن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور، والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب ولا بسنة نبيه، صلي الله عليه وسلم ، قال: فبكى المنصور. فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور: يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين من هذا؟ قال: أخوك سليمان بن مجالد. قال عمرو: ويلك يا سليمان! إن أمير المؤمنين يموت وإن كل ما تراه ينفد وإنك جيفة غداً بالفناء لا ينفعك إلا عمل صالح قدّمته، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك إذ كنت تطوي عنه النصيحة وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم. قال المنصور: فأصنع ماذا؟ ادع لي أصحابك أولهم! قال:

ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه ومر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس واستعمل في اليوم الواحد عمالاً كلما رابك منهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ليتقربن به إليك من لا نية له فيه [(١)].

سيئة غطت على حسنتين!:

وقال الأوزاعي: يهلك السلطان بالإعجاب والاحتجاب. فأما الإعجاب فقد ذكرناه، وأما الاحتجاب فهو أدخل الخلال في هدم السلطان وأسرعها خراباً للدول، فإنه إذا احتجب السلطان فكأنه قد مات، لأن الحجب موت حكمي فتعبث بطانته بأرواح الخلائق وحريمهم وأموالهم، لأن الظالم قد أمن أن لا يصل المظلوم إلى السلطان. ومعظم ما رأينا في أعمارنا وسمعنا من دخول المفاسد على الملوك في حجبهم عن مباشرة الأمور، ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة.

يا أيها المغرور المحتجب، احتجبت عن الرعية بالحجاب والأبواب، وجعلت دونهم جبالاً مشيدة وحظائر بالحجارة والماء والطين مانعة، وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك حاجب ولا بواب. قال الله تعالى:{إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا } [الفرقان: ٥٧].

وقال معاوية: ليس بين أن يملك السلطان رعيته أو تملكه إلا الحزم أو التواني، وكماله أمران: شدة في بر إفراط ولين في غير امتهان. وسئل بزرجمهر: أي الملوك أحزم؟ فقال: من ملك جده هزله وقهر لبه هواه، وأعرب عن ضمير فعله، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده. وقال بعض الحكماء: زوال الدول في اصطناع بعض السفل، ومن طال عدوانه زال سلطانه. وقالوا: من لم يستظهر باليقظة لم تنفعه الحفظة. وقال يحيى بن خالد: أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة: البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر.

(١) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١ / ١٥٢.

فيا لها حسنة غطت على سيئتين، ويا لها سيئة غطت على حسنتين! [١].

فقطعه ومات:

قال: حدثنا الأوزاعي قال: كنا بالساحل فجيء بفحل لينزى على أمه، فأبى. فأدخلوها بيتاً، وألقوا على الباب ستراً، وجللوها بكساءٍ. قال: فلما نزا عليها وفرغ شم ريح أمه. قال: فوضع أسنانه في أصل ذكره فقطعه ومات [٢].

وقال الأوزاعي للمنصور في بعض كلامه: يا أمير المؤمنين، أما علمت أنه كان بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعباً؟ فكيف من سفك دماء المسلمين وشق أبشارهم ونهب أموالهم؟ إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، دعا إلى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابياً عن غير عمد، فقال له جبريل عليه السلام: إن الله لم يبعثك جباراً تكسر قلوب رعيتك! يا أمير المؤمنين لو أن ثوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتقمصه؟ ولو أن ذنوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتجرعه؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه؟ ودخل بعض العقلاء على سلطان فقال له: إن أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف من بسطت يداه بالقدرة، فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق [٣].

اسم امرأة إبليس:

وسأل الرشيد الأوزاعي عن اسم امرأة إبليس فقال: تلك وليمة لم أحضرها [٤].

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ /٤٦.
(٢) ابن الكلبي، أنساب الخيل، ١ / ١.
(٣) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ٢٤.
(٤) الثعالبي، اللطف واللطائف، ١ / ١٠.

لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي:

عن الأوزاعي قال: دخلت المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فقلت من هاهنا من الفقهاء؟ فقالوا: محمد بن المنكدر، ومحمد بن المبشر، ومحمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت في نفسي: ليس من هؤلاء أحق أن يبدأ به من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت يا بن رسول الله: أخبرني عن قول الله عز وجل:{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾} [الرعد: ٣٩] فقال أخبرني أبي عن جدي عن علي عليه السلام، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي، وهي: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء " (١).

وبمثله يعاقب المجرم:

كان الأوزاعي يكره لبس السواد ويقول: يلبس في المأتم، وبمثله يعاقب المجرم، ولم أره على محرم، ولا جليت به عروس، ولا كفن فيه ميت (٢).

إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام:

قال: حدثنا عبد الرحمن الأوزاعي، قال: بعث إلى عبد الله بن علي وأعظمني ذلك واشتد على فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سماطين بين يديه في أيديهم المكافر كوبات فأدناني ثم قال لي: يا عبد الرحمن، ما تقول في مخرجنا هذا؟ فقلت: أصلح الله الأمير، قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة فأعفني، قال: لتخبرني، فقلت: لأصدقنه واستبسلت للموت، فقلت: حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص سمع عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول:(**إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امرِئ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلىَ الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلىَ دُنْيا يُصِيبُها أو امْرَأَةٍ يَنْكُحها فَهِجْرَتُهُ إلىَ ما هاجَرَ إلَيْهِ**) قال: وفي يده

(١) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ١ / ٣٥٠.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ /٤٧٨.

قضيث ينكث به الأرض، فقال: يا عبد الرحمن ما تقول في قتلنا أهل هذا البيت من بني أمية؟ فقلت: كما قلت قال لتخبرني فقلت: حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشِّخِّير عن عائشة قالت قال صلي الله عليه وسلم :(**لا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِإِحْدَىَ ثَلاثٍ الْبَارِئ لِدِينِهِ أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً فَيُقْتَلُ بِها أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ**) قال: ثم أطرق هوياً، ثم قال: أخبرني عن الخلافة أهي وصية من رسول الله صلي الله عليه وسلم فورد على مثل ما ورد ثم قلت لأصدقنه. فقلت: لو كانت وصية من النبي صلي الله عليه وسلم لكم ما ترك علي عليه السلام أحداً يتقدمه، ثم سكت سكتة وقال: ما تقول في أموال بني أمية؟ فاستعفيت فقال لتخبرني فقلت: إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام، وإن كانت لهم حراماً فهي عليكم حرام، قال: ثم أمرني فأخرجت [١].

لا تقل ذلك:

وقال الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقلت: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول:{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} [الأنفال: ٦٣]، فعلمت أنه أفقه مني [٢].

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك:

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد الصمد: إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان: لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصمد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

(١) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ١ /١٠٣.
(٢) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ٤٥/١.

إن شئت رددت الجرة وكتبت لك:

أهدى رجل نصراني إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: رد الجرة فردها وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً (١).

واحدة بأخرى والبادي أظلم :

الأوزاعي قال: دخل خريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه فقال: أي ساقين لو إنهما على جارية! قال: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين: قال معاوية: واحدة بأخرى والبادي أظلم (٢).

من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض:

قال الأوزاعي: شكت النواويس إلى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ولصالح اللخمي شعر

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ::: فما العلم إلا عند أهل التعلم

تعلم فإن العلم أزين للفتى ::: من الحلة الحسناء عند التكلم (٣)

بين الأوزاعي والخليفة المنصور :

قال الأوزاعى: دخلت على المنصور، فقال لي: ما الذي بطأ بك عنى؟ قلت: يا أمير المؤمنين وما الذي تريد منى؟ فقال: الاقتباس منك. قلت: انظر ما تقول، فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بشير: أن رسول الله قال: من بلغه عن الله نصيحة في دينه فهى رحمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها من الله بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثما وليزداد عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق، فرضى فله الرضا، وإن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله، لأن الله هو الحق المبين، فلا تجهلن، قال: وكيف أجهل، قال تسمع: ولا تعمل بما تسمع، قال الأوزاعى: فسل على الربيع السيف، وقال: تقول لأمير المؤمنين:

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٤١/١ - ٤٢.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣ / ١٧٥.
(٣) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ١ / ٥٢.

هذا فانتهره المنصور، وقال: أمسك ثم كلمه الأوزاعى وكان في كلامه أن قال:

إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، ولقد حدثنى عروة بن رويم أن رسول الله قال:(**ما من راع يبيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة**) فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ولما استطاع من عوراتهم ساترا وبالقسط فيما بينهم قائما لا يتخوف محسنهم منه رهقا ولا مسيئهم عدوانا، فقد كانت بيد رسول الله جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين فأتاه جبريل فقال: يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دماءهم، وشقق أبشارهم، وأنهب أموالهم يا أمير المؤمنين: إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده، فهبط جبريل فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك، واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة، ولا ثمره من ثمارها قال رسول الله:(**لقاب قوس أحدكم من الجنة أو قذة خير له من الدنيا بأسرها**).

إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل إليك يا أمير المؤمنين، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف من يتقمصه ولو أن ذنوبا من صديد أهل النار صب على ماء الأرض لآجنه فكيف بمن يتجرعه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف من سلك فيها ويرد فضلها على عاتقه وقد قال عمر بن الخطاب: لا يقوم أمر الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على جرة ولا تأخذه في الله لومة لائم.

واعلم أن السلطان أربعة أمير يظلف نفسه وعماله فذلك له أجر المجاهد في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ويد الله بالرحمة على رأسه ترفرف وأمير رتع ورتع عماله فذاك يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله وأمير يظلف نفسه.

ويرتع عماله فذاك الذي باع اخرته بدنيا غيره وأمير يرتع ويظلف عماله فذاك شر الأكياس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أن الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وقال فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدى فأعيذك بالله أن يخيل إليك أن قرابتك برسول الله تنفع مع المخالفة لأمره فقد قال رسول الله يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إنى لا أغني عنكما من الله شيئا وكان جدك الأكبر سأل رسول الله إمارة فقال أي عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها نظرا لعمه وشفقة عليه أن يلي فيجور عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا هذه نصيحتى إن قبلتها فلنفسك عملت وإن رددتها فنفسك نحست والله الموفق للخير والمعين عليه قال بلى نقبلها ونشكر عليها وبالله نستعين (١).

الطريق للشيخ:

وفي تاريخ ابن خلكان أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذي طوى، فحل سفيان خطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ.

مثل الشياطين في كثرتهم:

قال الأوزاعي حدثني حسان قال: " إنما مثل الشياطين في كثرتهم كمثل رجل دخل زرعاً فيه جراد كثير، فكلما وضع رجله تطاير الجراد يميناً وشمالاً ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم، ما رؤي شيء إلا وعليه شيطان ".

رأيت رب العزة في المنام:

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. قلت: بفضلك يا رب. ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال عز وجل: وعلى السنة أيضاً. وتوفي رحمه الله، في شهر ربيع الأول سنة سبع

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، ٣/ ٥١.

وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك (١).

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!:

حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافيء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟! فهمٌ أم علمٌ أم إلهامٌ ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافيء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلاً فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟! وأي فضيله تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فغرقتني وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني وإذا جعت أطعمني وإذا عطشت سقاني ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله فقلت: والله ما مشي خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت:

(١) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١ / ١٩٨، ٢٧٠.

أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي صلي الله عليه وسلم فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى؛ قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي؛ قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛ قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة، فمات؛ فقلت: إنا لله وانا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتي؛ رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع؛ فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون: بأبي عين طال ما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طال ما كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت: من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي صلي الله عليه وسلم ؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي:{سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية.

كلنا قد هداه الله:

بينما الأوزاعي عند الخليفة المنصور ذات يوم إذ خرجت عليهم جارية فقالت: يا سيدي من هذا الشيخ؟ قال: هذا الأوزاعي. قالت: فإن سيدتى تريد أن تسأله عن مسألة، قال: فقال لها: فلتسأل عما بدا. قال: فقالت: أنها كانت في أرضها إذ هجمت عليهم خيل العرب فالتجاؤوا إلى غار ومعها بنى لها وضعت يدها على فمه مخافة أن يصيح فيدل عليهم فما رفعت يدها عن فيه الا وهو ميت فهل عليها فيه شيء، وهل لها كفارة لما صنعت، فقال الأوزاعي: أكان هذا منها قبل الإسلام أو بعده، قالت: قبل الإسلام، قال: فإن الإسلام قد هدم ما كان قبله، وأحب أن تعتق رقبة، قال: فسألت عن ولده فأخبرت بأن للأوزاعي ثلاث بنات، قال: فأخرجت إليه ثلاث درات هدية لهن فلما قدم عليهن قال لهن إن هؤلاء الدرات اهدين لكن ولا يصلحن إلا مع شبههن من الحلى، ولكني رأيت رأيا إن احببتن فعلته قال: قلن: وما هو؟ قال: نبيعهن ونتاجر بأثمانهن حتى لعل الله أن ينفعكن وإيانا به. قلن: نعم، فبعث بهن إلى دمشق فبعن بثمانين ومائتى دينار، وكان مدخل الشتاء قال فأمر الذي باعهن أن يشترى له قطيفا وانجبانيات وبعث بهن إليه قال أبو الفضل: فأخبرني هذا الرجل أنه حدثه بعض أشياخ المدينة يعنى بيروت أنه صار إليه انبجانيتان منها وفقده أبو جعفر فقال لعبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي عامله على دمشق والمهدى عنده: ألم أوجه إليك كتابي إلى عبد الرحمن؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، وأنفذته قال: يقول المهدى: قد والله يا أمير المؤمنين جاءني فسلم على وهنأنى بما أسند إلى أمير المؤمنين من الخلافة، ودعا لي دعاء وقع برده على قلبي، وأخبره بما حدث به أنه استأذننى في الرجوع إلى مكتبه واعلمنى أن في أذنى له خلفا من اذنك فقال أبو جعفر للمهدى: فعلتها يا أبا عبد الله قال: قد كان ذا. قال: ارحلوا.

حدثنا عبد الرحمن نا علي بن الحسن الهسنجاني نا احمد يعنى بن صالح قال: سمعت بن أبى ذئب يحدث سفيان الثوري بدخوله على أبى جعفر وكلامه له فذكر قصة لا أحفظها كما أحب. قال بن أبى ذئب: فقلت له: أخبرني أنصح

لك من المهدى، فقال: بأي شيء حل لك أن تقول المهدى؟ قال ابن أبى ذئب كلنا قد هداه الله [(١)].

من كلام الأوزاعي :

قال الأوزاعي: العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر فإن صرع وجد متّكأ ليناً[(٢)].

قال الأوزاعي: المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل [(٣)].

قال الأوزاعي: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم [(٤)].

قال الأوزاعي عن مكحول: إن كان في الجماعة الفضيلة فإن في العزلة السلامة[(٥)].

قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله.

حدث عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي ما إكرام الضيف قال: طلاقة الوجه وطيب الكلام.

عن الأوزاعي قال: أنبئت أنه كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات.

(١) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ١ / ٢١٠.

(٢) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ١ / ٢٤٧.

(٣) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ١ / ٢٩١.

(٤) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢١ / ٢٠٢.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٤٧٥.

الأوزاعي يقول: ما بلى أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه [١].

عن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه.

قال الأوزاعي: نعم وزير العلم الرأي الحسن [٢].

عن الأوزاعي قال: " لا يكون في آخر الزمان شيء أعز من أخ مؤنس، أو كسب درهم من حله، أو سنة معمول بها " [٣].

الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً.

الأوزاعي: من عمل بما يعلم كان حقاً على الله أن يعلمه ما لا يعلم ويوفقه فيما يعلم، حتى يستوجب بذلك الجنة.

الأوزاعي: الفار من عياله كالآبق، لا يقبل منه صوم ولا صلاة لا يرجع إليهم.

الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل [٤].

عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: لا يتعلم من استحيا وتكبر.

قال الأوزاعيّ: إذا أراد اللّه بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

حدث محمد بن شعيب بن سابور، قال: سمعت الأوزاعي ينشد هذه الأبيات:

إذا كان الخطاء أقل ضراً ::: وأنجحَ بالأمور من الصوابِ
وكان النّوك مَحْمُوداً مذالاً ::: وكان الدهر يرجع بانقلابِ
وعطّلت المكارمُ والمعالي ::: وأُغلقَ دون ذلك كلُّ بابِ
ويوعد كل ذي حَسَب ودينٍ ::: وقُرِّب كل مهتوك الحجابِ

(١) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ١ / ٤٦، ٤٧، ٢٦١.
(٢) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ٢٩/١.
(٣) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ١ /٤٨٢.
(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٦٥.

فمـــا أحـــدٌ أضـــنَّ بمـــا لديـــه ::: من المتحـــرج المحْـــضِ اللّبـــاب[١]

قال الأوزاعيّ: الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إن لم تكن مثله شانته.

قـال الأوزاعـي: خمسـة كـان عليهـا أصـحاب محمـد صـلي الله عليـه وسـلم والتـابعون بإحسـان: لـزوم الجماعـة، واتبـاع السـنة، وعمـارة المسـجد، وتـلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصـعد بعمل العبد مستفتحاً به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه فـي سجين، إنـي لـم أرد بهذا. قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك [٢].

* * *

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣/١ - ٤، ٩٣، ١٥٧.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١١٩، ١٥٠، ٢٠١، ٢١٨.

أحمد بن حنبل حنبل
حنبل

أعـلام التابعيـن

الإمام أحمد بن حنبل

إمام السنة، وبطل المحنة، وعلم الزهاد، وصاحب الإسناد، أرادوا صرفه عن السنة فما انصرف؛ لأن أحمد ممنوع من الصرف

فأثبت في مستنقع الهول رجله وقال لها: من دون أخمصك الحشرُ.

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندسٍ خضرُ.

رد الأغلاط فضربوه بالسياط، وأرسل على الجهمية شهباً، وأدخلوه الكير فخرج ذهباً، وأرادوا إسكاته فصاح الجمهور، وحبسوه فطارت دعوته، وقيدوه فانطلق علمه، وحاصروه فانتشرت مناقبه.

الإمامة عند أحمد قولٌ وعمل، سنة وجماعة، مغالبةٌ للهوى، كسرٌ للنفس، اقتداءٌ بمن سلف، احترامٌ للنص، اضطراح للفضول، محافظةٌ على الفرائض، تزودٌ بالنوافل، ترقبٌ للأجل، تقصير للأمل.

الحق حصانه، الحجة سلطانه، الصدق برهانه، السنة عنوانه، أفرح ما يكون إذا انتهى خبزه، أغيظ ما يكون إذا كثر كنزه، الدنيا عنده ثوبٌ وعمامة وحذاءٌ ورغيف، والآخرة سجدةٌ ودمعةٌ وفكرةٌ وعبرة، هدده المعتصم فاعتصم بالله، أوثقه الواثق وقال: وافق، فقال: معاذ الله، ناداه المتوكل إلى المآكل فقال: كلا.

سمن فهمه فهزل جسمه، عظم ثوابه فبليت ثيابه، رث منزله فحسنت منزلته.

أحمد: من المحبرة إلى المقبرة، من المحنة إلى المنحة، من التعذيب إلى التهذيب.

هو علم من أعلام الإسلام، والرجل الإمام [١].

(١) عائض القرني، سلسلة القمم لأهل الهمم. بتصرف يسير، ٤ / ١٢.

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، وشيبان حي من بكر القبيلة المشهورة من قبائل العرب.

ولد في ربيع الأول على المشهور سنة ١٦٤ هجرية في بغداد، وكانت أمه قد حملت به في مرو التي كان يقيم فيها أبوه، والمعروف أن أباه مات بعد ولادته عن ثلاثين سنة تقريبا، وأحمد إذ ذاك صغير لا يدرك شيئا بدليل أنه نفى رؤيته لأبيه وجده. وكان جده قد انتقل إلى خراسان، وكان واليا على سرخس في العهد الأموي، ثم انضم إلى صفوف الدعوة العباسية حتى أوذي في هذا السبيل، ويقال: إنه كان قائدا. نشأ أحمد - رضي الله عنه - يتيما، وقامت على تربيته أمه - صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني - وترك له أبوه بيتا في بغداد يسكنه وبيتا آخر يغل غلة ضئيلة. وكان في هذا كشيخه الإمام الشافعي في اليتم والفقر والحاجة وعلو الهمة. تشابهت نشأة التلميذ والأستاذ ولكل منهما أم تدفعه إلى التقدم والعلو والزيادة من الخير. نشأ الإمام أحمد - رضي الله عنه - ببغداد، وتربى فيها تربيته الأولى، وقد كانت بغداد إذ ذاك تموج بالناس الذين اختلفت مشاربهم، وتخالفت مآربهم، وزخرت بأنواع العلوم والمعارف، ففيها القراء والمحدثون والمتصوفة وعلماء اللغة والفلاسفة وغيرهم، فقد كانت حاضرة العالم الإسلامي، وقد توافر فيها ما توافر في حواضر العالم من تنوع المسالك وتعدد السبل وتنازع المشارب ومختلف العلوم حتى إذا أتم حفظ القرآن وعلم اللغة اتجه إلى الديوان ليتمرن على التحرير والكتابة، ولقد قال في ذلك: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة. وكان وهو صبي محل ثقة الذين يعرفونه من الرجال والنساء حتى إنه ليروى أن الرشيد وهو بالرقة مع جنده وكان أولئك الجند يكتبون إلى نسائهم بأحوالهم فلا يجد النساء غير أحمد يقرأ لهن ما كتب به إليهن، ويكتب لهن الردود ولا يكتب ما يراه منكرا من القول.

شب أحمد على هذا، واستمر في طلب العلم بعزم صادق وجد، وأمه تشجعه على ذلك، وترشده وتدعوه إلى الرفق بنفسه إذا خشيت عليه الإرهاق، وحكى ذلك أحمد عنها فقال: كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي

بثيابي وتقول: اصبر حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا، وكان اتجاهه إلى الأخذ عن رجال الحديث. ويروى أن أول تلقيه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة فقد قال: أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف، وفي تاريخ الحافظ الذهبي قال الخلال: كان أحمد قد كتب كتب الرأي، وحفظها ثم لم يلتفت إليها.

اتجه أحمد إلى كتابة الحديث من سنة ١٧٩ هـ حينما كان عمره ست عشرة سنة، واستمر مقيما في بغداد يأخذ عن شيوخ الحديث فيها حتى سنة مائة وست وثمانين، وابتدأ في هذه السنة رحلته إلى البصرة، ثم إلى الحجاز واليمن وغيرها، واستمر ملازما لشيخه هشيم بن بشير بن أبي خازم الواسطي حتى سنة وفاته ١٨٣.

قال صالح بن أحمد قال أبي: كتبت عن هشيم سنة ١٧٩، ولزمناه إلى سنة ثمانين وإحدى وثمانين واثنين وثمانين وثلاث. ومات في سنة ثلاث وثمانين. كتبنا عنه كتاب الحج نحوا من ألف حديث وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتبا صغارا، فقال صالح: يكون ثلاثة آلاف، قال: أكثر، ثم ارتحل في طلب العلم إلى الحجاز وغيره وقد ذكر ابن كثير تفصيل رحلاته الحجازية في تاريخه البداية والنهاية جزء ١٠ ص ٣٢٦ وكان من أبرز الشخصيات التي التقى بها الإمام أحمد أثناء رحلاته وفي إقامته، الإمام الشافعي - رضي الله عنه - فقد أخذ عنه، واستفاد منه كثيرا، وكان الشافعي يجله ويقدره ويعول عليه في معرفة صحة الحديث أحيانا، ورشحه الإمام الشافعي عند الرشيد لقضاء اليمن فأبى أحمد، وقال له: جئت إليك لأقتبس منك العلم تأمرني أن أدخل لهم في القضاء، وكان ذلك في آخر حياة الرشيد، ثم رشحه الشافعي مرة ثانية لقضاء اليمن عند الأمين فأبى أحمد وكان ذلك ١٩٥ هـ.

ودخل الشافعي يوما على أحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبد الله كنت اليوم مع أهل العراق في مسألة كذا فلو كان معي حديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . فدفع أحمد إليه ثلاثة أحاديث فقال له: جزاك الله خيرا. وقال الشافعي لأحمد يوما: أنتم أعلم بالحديث، والرجال، فإذا كان الحديث الصحيح فعلموني

إن شاء يكون كوفيا أو شاميا حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا، وهذا من كمال دين الشافعي وعقله حيث سلم هذا العلم لأهله؛ وقال عبد الوهاب الوراق: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، قالوا له: وأي شيء بان لك من علمه وفضله على سائر من رأيت؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال (أخبرنا) و(حدثنا). وقال أبو زرعة الرازي:

حفظ أحمد بن حنبل بالمذاكرة على سبعمائة ألف حديث، وفي لفظ آخر قال أبو زرعة الرازي: كان أحمد يحفظ ألف ألف، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذكراته فأخذت عليه الأبواب.

كان الإمام أحمد يقول: - فاتني مالك فأخلف الله علي بسفيان بن عيينة؛ وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله علي إسماعيل ابن علية. وكان ملازما لكتابة الحديث فانشغل بذلك عن كل شيء حتى عن الزواج فلم يتزوج إلا بعد الأربعين. وقيل له: يا أبا عبد الله قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين فقال: مع المحبرة إلى المقبرة، فأنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

وقد روى المزني: أن الشافعي قال: ثلاثة من عجائب الزمان: عربي لا يعرب كلمه وهو أبو ثور، وأعجمي لا يخطئ في كلمة وهو الحسن الزعفراني، وصغير كلما قال شيئا صدقه الكبار وهو أحمد بن حنبل.

وقال الشافعي: - خرجت من بغداد ما خلفت بها أحدا أورع ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل، ولم يزل على ذلك مكبا على الحديث والإفتاء وما فيه نفع المسلمين، والتف حوله أصحابه يأخذون عنه الحديث والفقه وغيرهما، وألف المسند في مدة ستين سنة تقريبا، وكان قد ابتدأ بجمعه في سنة ١٨٠ هـ أول ما بدأ بطلب الحديث، وسيأتي الكلام على المسند إن شاء الله تعالى، وألف في التفسير، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي التاريخ، وفي المقدم والمؤخر في القرآن، وفي جوابات القرآن، وألف المناسك الصغير والكبير، وفي حديث شعبة، وألف كتاب الزهد، وكتاب الرد على الجهمية والزنادقة، وكتاب الصلاة، وكتاب السنة وكتاب الورع والإيمان، وكتاب العلل والرجال، وكتاب الأشربة، وجزءا في أصول السنة، وفضائل الصحابة، وله قصائد متناثرة، وأجزاء في

بعض الأصول والمسائل، كما نقل عنه مجموعة من المسائل، منها مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود السجستاني صاحب السنن وهي مطبوعة نشرها السيد محمد رشيد رضا بمطبعة المنار وتقع في ٣٢٨ صفحة. وهي أجوبة على بعض المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد في الفقه؛ ومنها مسائل ابنه عبد الله بن أحمد، ومسائل إسحاق بن إبراهيم رواية ابن منصور المروزي وهي مخطوطة وتوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق وغير ذلك من مؤلفاته رضي الله عنه.

كان في بغداد أيام المأمون تيارات ثقافية متضادة: منها ما كان عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الممثل في حلقات أهل الحديث والفقهاء وغيرهم ممن يرجعون إلى النصوص الشرعية. ويثبتون لله ما أثبته لنفسه وما صح عن رسوله صلي الله عليه وسلم إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تأويل ولا تعطيل ومن أبرز هؤلاء: الإمام أحمد ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي وغيرهم. ومنها تيار المعتزلة القائلين بخلق القرآن وتأويل آيات الصفات وغير ذلك مما هو معروف من مذهبهم: كالقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الرشيد يقاوم القول بخلق القرآن فلم يجرؤ أحد عليه مدة حياته كما روي عن محمد بن نوح قال: سمعت هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشرا المريسي زعم أن القرآن مخلوق، علي إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط، فلما مات الرشيد وتولى الأمين أراد المعتزلة حمله على ذلك فأبى.

فلما تولى المأمون الخلافة، وكان يميل إلى المعتزلة ويقربهم وكان أستاذه أبو الهذيل العلاف من زعماء المعتزلة وكذلك قاضيه أحمد بن أبي دؤاد فأشار عليه ابن أبي دؤاد بإظهار القول بخلق القرآن، فأظهر القول بذلك عام ٢١٢ هـ. فكان المأمون يناظر من يغشى مجلسه في ذلك ولكنه لم يلزم بذلك أحدا بل ترك الناس أحرارا فيما يذهبون إليه، فلما كان ٢١٨ هـ رأى المأمون حمل الناس وخصوصا العلماء والقضاة والمفتين على القول بخلق القرآن الكريم؛ وكان المأمون آنذاك في الرقة فأرسل إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم وهو

صاحب الشرطة ببغداد أن يجمع من بحضرته من القضاة ويمتحنهم فيما يقولون ويعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، ويعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله بمن لا يقول بهذا القول وكان ذلك في ربيع الأول من عام ٢١٨ هـ.

فثار العلماء حين سمعوا كتاب المأمون إلى نائبه في بغداد وقال واحد منهم: لقيت ثمانمائة شيخ ونيفا وسبعين فما رأيت أحدا يقول بهذه المقالة - يعني خلق القرآن - وقد حبس وعذب وقتل في هذه المحنة خلائق لا يحصون كثرة كما يراه القارئ المتتبع لتلك الحقبة من التاريخ، وصارت هذه المحنة هي الشغل الشاغل للدولة والناس خاصتهم وعامتهم وأصبحت حديث مجالسهم وأنديتهم وحاضرتهم وباديتهم في العراق وغيره وقام الجدل فيها بين العلماء، ووقع امتحان الأمراء للعلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين في مصر والشام وفارس وغيرها حتى تناول الإمام البخاري وشيوخه الأجلة الأفذاذ: يحيى بن معين وعلي بن المديني ويزيد بن هارون وزهير بن حرب وغيرهم من الأئمة المجمع على جلالتهم وإمامتهم في حفظ السنة المطهرة وعلومها.

وأرسل المأمون لصاحب الشرطة في بغداد بأن يوافيه بجواب من امتحن منهم فوافاه بجوابهم وإذا هو يتضمن إنكار هذه المقالة والتشنيع على من قال بها فلم يقتنع المأمون بذلك، فبعث إليه بكتاب ثان يأمره فيه بإشخاص سبعة من المحدثين المشهورين في بغداد أو ثمانية وهم -: محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم ويحيى بن معين وزهير بن حرب وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقي. لكي يمتحنهم وفي مقدمتهم أحمد بن حنبل. إلا أن ابن أبي دؤاد حذف اسم الإمام أحمد من القائمة لمعرفته بصلابته وشدته في هذا الأمر.

ثم أمر المأمون بعد ذلك بحمل الإمام أحمد ومحمد بن نوح إليه في طرسوس فحملا إليه بأغلالهما فأما محمد بن نوح فمات في أثناء الطريق قبل أن يصل. وأما الإمام أحمد ومرافقوه فبلغهم وفاة المأمون قبل وصولهم فعادوا إلى بغداد، وألقي الإمام أحمد في الحبس. ويقال: إن أحمد دعا على المأمون وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨.

ثم تولى الخلافة المعتصم، وكان المأمون قد أوصاه بتقريب ابن أبي دؤاد والاستمرار بالقول بخلق القرآن وأخذ الناس بذلك. وكان أحمد في السجن فاستحضره من السجن، وعقد له مجلسا مع ابن أبي دؤاد وغيره؛ وجعلوا يناقشونه في خلق القرآن، وأحمد يستدل عليه بالنصوص الواردة. ويقول لهم: أعطوني دليلا من كتاب الله أو سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وانفض المجلس ذلك اليوم دون شيء، وأمر المعتصم برده إلى السجن. وفي اليوم التالي أحضر من السجن، وعقد المجلس وكان موقفه رائعا جليلا كموقفه في الأمس ورغم المحاولات والمناقشات صمم الإمام أحمد على كلامه، وفشل القوم كفشلهم بالأمس. وانفض الاجتماع، ورد الإمام أحمد إلى السجن، وفي اليوم الثالث أعيد انعقاد المجلس، وأحضر الإمام أحمد من السجن وأعيدت المناقشة. وكان المعتصم عند عقد مجلس المناظرة قد بسط بمجلسه بساطا، ونصب كرسيا جلس عليه وازدحم الناس إذ ذاك كازدحامهم أيام الأعياد، وكان مما دار بينهم أن قال للإمام أحمد: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق قال الله تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦].

قال: هل عندك حجة غير هذا؟ قال: نعم قول الله تعالى:{ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾} [الرحمن: ٢] ولم يقل خلق القرآن، وقال تعالى:{يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾} [يس: ٢] ولم يقل المخلوق، فقال المعتصم: أعيدوه للحبس وتفرقوا، فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه ذلك. وقال: هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس، وسمعت لهم ضجة ببغداد فلما جيء به، وقف بين يديه والسيوف قد جردت والرماح قد ركزت والأتراس قد نصبت والسياط قد طرحت.

فسأله المعتصم عما يقول بالقرآن. قال: أقول غير مخلوق، وأستدل بقوله تعالى:{وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى} [السجدة: ١٣] الآية، قال: فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته ثلاثة أيام وهو يناظرهم، ويظهر عليهم بالحجج القاطعة ويقول: أعطوني دليلا من كتاب الله أو كلام رسوله صلي الله عليه وسلم ،

فقال المعتصم: قهرنا أحمد وحلف ليضربنه بالسياط، وأمر الجلادين فأحضروا ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها.

قال أبو عبد الله: ثم صيرت بين العقابين [(١)]. فعلق الإمام أحمد بالعقابين، ورفع حتى صار بينه وبين الأرض مقدار قبضة، قال أحمد: وشدت يداي وجيء بكرسي فوضع له - يعني للمعتصم - وابن أبي دؤاد قائم على رأسه والناس أجمعون قيام ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شهدني: خذ بناتي الخشبتين بيدك، وشد عليهما فلم أفهم ما قال. قال: فتخلعت يداي لما شددت، ولم أمسك الخشبتين، قال أبو الفضل - يعني ابنه صالحا - ولم يزل أبي - رحمه الله - يتوجع منهما من الرسغ إلى أن توفي، قال أبو عبد الله فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:**(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث)** [(٢)]. الحديث. فبم تستحل دمي وأنا لم آت شيئا من هذا. يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل كوقوفي بين يديك، يا أمير المؤمنين راقب الله، فلما رأى المعتصم ثبوت أبي عبد الله وتصميمه لان فخشي ابن أبي دؤاد من رأفته عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله، أو أن يقال: غلب خليفتين فهاجه ذلك، وطلب كرسيا جلس عليه، وقام ابن أبي دؤاد وأصحابه على رأسه ثم قال للجلادين: تقدموا وجعل أحدهم يتقدم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين ثم يتنحى ثم يتقدم الآخر فيضربه سوطين، والمعتصم يحرضهم على التشديد في الضرب، ثم قام إليه المعتصم وقال له يا أحمد: علام تقتل نفسك إني والله عليك لشفيق فما تقول؟ فيقول أحمد: أعطوني دليلا من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به، ثم رجع المعتصم، فجلس فقال للجلاد: تقدم وحرضه على إيجاعه بالضرب ويقول: شدوا قطع الله أيديكم، قال أحمد: فذهب عقلي عند ذلك فلم أفق

---

(١) والعقابان بضم العين خشبتان يوضع بينهما الرجل ليجلد قاله في تاج العروس.

(٢) صحيح البخاري الديات (٦٤٨٤)، صحيح مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦)، سنن الترمذي الديات (١٤٠٢)، سنن النسائي تحريم الدم (٤٠١٦)، سنن أبو داود الحدود (٤٣٥٢)، سنن ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤)، مسند أحمد بن حنبل (٣٨٢/١)، سنن الدارمي الحدود (٢٢٩٨).

إلا وقد أفرج عني ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فصليت فقالوا: صليت والدم يسيل منك فقلت: قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دما وكان ذلك في رمضان سنة ٢١٨. ثم نقل أحمد إلى بيته واستقر فيه حيث لم يقو على السير فلما برئت جراحه، وقوي جسمه خرج إلى المسجد، وصار يدرس في المسجد ويملي الحديث حتى مات المعتصم.

فلما ولى الواثق منع الإمام أحمد من الاجتماع بالناس وقال: لا تساكني في بلد أنا فيه فأقام الإمام ببغداد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق، وذلك مدة خمس سنوات تقريبا.

فلما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ بقيت المحنة قائمة خلال عامين من حكمه ثم رفعت سنة ٢٣٤ وكانت قد بدأت من السنة الأخيرة من خلافة المأمون وهي سنة ٢١٨ وانتهت في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة المتوكل سنة ٢٣٤ حيث أوقف المتوكل أخذ الناس بالمحنة. وأصدر إعلانا عاما في كافة أنحاء الدولة نهى فيه عن القول بخلق القرآن، وتهدد من يخوض في ذلك بالقتل فعم الناس الفرح في كل مكان، وأثنوا على سجايا الخليفة ومآثره ونسوا شروره ورذائله، وسمع الدعاء له من كل جانب، وذكر اسمه مع اسمي الخليفتين أبي بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز.

وكان المتوكل يكره العلويين، ويسرف في مطاردتهم فجعل المعتزلة يحيكون دسائسهم لدى الخليفة ضد الإمام أحمد، ويتهمونه بالجنوح إلى العلويين، وتتطور المحنة لتأخذ لونا آخر، وتشتد الرقابة على الإمام أحمد وامتدت أعناق أهل الفتنة فاتهموا الإمام أحمد لدى الخليفة أنه يؤوي في بيته أحد العلويين ذوي القدر الخطير ويثور الخليفة فيرسل من فوره إلى بغداد لمفاجأة بيت الإمام أحمد والقبض على العلوي المزعوم، وفي ليلة من الليالي بعد أن نام الناس، وهدأت الحركة وأرخى الليل سدوله على بغداد الهادئة الساكنة سمع أحمد دقا عنيفا على باب داره فقام إلى الباب ففتحه فإذا به أمام رجلين وامرأتين أما الرجلان فهما مظفر حاجب عبد الله بن إسحاق نائب بغداد

والآخر ابن الكلبي صاحب البريد. وأما المرأتان فمهمتهما هي مهمة البوليس النسوي في أيامنا هذه. قال مظفر: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين كتب إليه أن عندك طلبته العلوي، وقال ابن الكلبي: نعم إنك تؤوي في بيتك علويا من أعداء أمير المؤمنين وقد جئنا لأخذه، فقال الإمام أحمد: إني لا أعرف هذا ولا أرى سوى طاعة أمير المؤمنين في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة. وسكت الإمام قليلا سكتة ذكر فيها حرمانه من المسجد بدون مسوغ، واستأنف يقول: إني أتأسف عن تأخري عن الصلاة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين، قال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته أفتحلف؟ قال أحمد: إن استحلفتني حلفت فأحلفه ابن الكلبي بالله، فحلف وبالطلاق فحلف. وكان نساء الدار والصبيان قد حضروا، وحضر ابنه صالح فقال ابن الكلبي: أريد أن أفتش منزلك ومنزل ابنك صالح، وقام مظفر وابن الكلبي ففتشا البيت وفتشت المرأتان النساء فلم يعثروا على شيء وفتشا بيت صالح، فلم يجدا شيئا وفتشت المرأتان أماكن الحريم وجاءوا بشمعة فأدلوها في البئر، وانصرفوا بعد أن لم يجدوا شيئا.

وتولى ابن الكلبي وصف حال الإمام أحمد للمتوكل من احتباسه عن الجمعة والجماعة بدون مسوغ ومن صدق لهجته فيما يكن لأمير المؤمنين من السمع والطاعة في المنشط والمكره ومن براءته مما عزاه إليه خصومه، وأذن الله بانكشاف الغمة فجاءه بعد يومين كتاب من علي بن الجهم أن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قذفت به وكان أهل البدع قد مدوا أعناقهم فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك.

وأقبلت الخلافة على الإمام تخطب وده وتطلب المؤانسة بقربه والتبرك بدعائه وأخذت الأيام تدبر مولية عن المعتزلة. فمرض ابن أبي دؤاد بالفالج، وجاء بعض أعيان الدولة يتقربون إلى الإمام أحمد بذكر ما نزل بابن أبي دؤاد ويومئون إلى أن كرامة الإمام على الله أوجبت ذلك القصاص فلم يلتفت إليهم الإمام أحمد وصمت ولم يرد، وظهر عليه التبرم بما قالوا.

ومضت الأيام في إدبارها على المعتزلة فغضب الخليفة على ابن أبي دؤاد وقبض على أبنائه وصادر أملاكه وأمواله وجواهره، وأخذ ابن أبي دؤاد إلى بغداد بعد أن أشهد عليه ببيع ضياعه، فكان يأتي إلى الإمام أحمد من يحمل إليه تلك الأنباء فيكرم نفسه أن تنزل إلى مستوى الشماتة الرخيص، بل كان الخليفة نفسه يرسل إليه كأنه يستفتيه فيما يرى من مصير أموال ابن أبي دؤاود، فكان يسكت ولا يجيب بشيء، وهو موقف جدير أن يلقي على الناس دروسا في عظمة النفس وشدة الإقبال على جلائل الأمور والانصراف عن سفاسفها وتوافهها رحم الله الإمام أحمد لقد كان إماما في كل مكرمة.

ثم أرسل إليه الخليفة المتوكل كتابا يقول فيه: قد صح نقاء ساحتك، وقد أحببت أن آنس بقربك وأتبرك بدعائك وقد وجهت إليك بعشرة آلاف درهم معونة على سفرك وفرح آل أحمد بالعافية تقبل مع السعة والجاه، وحل بالدار نشاط وأنس، ودب فيها بعد الوحشة دبيب الحركة بمن صار يغشاها من رسل الخليفة وكبار رجال الدولة. قال ابنه صالح: لما جاء كتاب المتوكل بالمال ناداني أبي في جوف الليل فقمت إليه فإذا به يبكي فلما رآني قال: ما نمت ليلتي هذه سلمت من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم.

فلما كان الصباح جاء الحسين البزاز والمشايخ فقال: يا صالح جئني بالميزان وبالدراهم ثم أخذ يزن المال ويقول: وجهوا هذا إلى أبناء المهاجرين وهذا إلى أبناء الأنصار وهذا لفلان ليفرق في ناحيته وهذا لفلان وهكذا حتى فرقها كلها فلما فرقها أحس أنه فرق معها كربته وتنفس الصعداء ونفض الكيس ثم تصدق به.

وكان لا بد لأحمد من تلبية أمر الخليفة لا خضوعا لقوة السلطان، بل وفاء لحق السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام لأولي الأمر في غير معصية، فخرج من بغداد إلى سامراء ومعه يعقوب المعروف بقوصرة وهو الرسول الذي حضر إليه من لدن الخليفة بالمال والخطاب وخرج معه بعض بنيه وكان يعقوب شديد السرور بنجاح مهمته فقد قبل أحمد بن حنبل أن يخرج معه، وكان يدرك مبلغ السرور الذي سيدخل قلب أمير المؤمنين بذلك.

نزل الإمام بسامراء ضيفا على أمير المؤمنين ولم يكن للخليفة من هم بعد أن عرف كل شيء عن أحمد إلا أن يرضيه، وألاً يحمله علي شيء يكرهه.

عرف الخليفة أن أحمد لا يقبل ماله، فلم يكن له بد من النزول على رغبته واحترام إرادته، ولكن لا بد من أن يصله في قرابته فليكن المال لأهله وبنيه دون أن يعلم، وتسلم صالح ابنه بأمر الخليفة عشرة آلاف على الفور مكان التي فرقها أبوه ببغداد على أبناء المهاجرين والأنصار وسواهم.

وعرف رجال القصر لهفة الخليفة وشدة إقباله على أحمد وإكباره له فأقبلوا عليه بمثل ما أقبل سيدهم كل يخطب وده ويبتغي إليه المنزلة ويحاول أن يسره بما يستطيع.

أمر الخليفة أن تفرش الدار التي هيئت له بالفرش الوثيرة وأن ترتب له ومن معه من بنيه مائدة شهية واسعة وأمر أن يقطع له ملابس فاخرة: طيلسان وقلنسوة وشارات رسمية من السواد الذي اختارته الدولة العباسية شعارا لها.

ويحضر يحيى بن خالد فيقول: إن الخليفة أمرني أن أصير لك مرتبة في أعلى ويصير ولده المعتز في حجرك تؤدبه بما شئت من أدب القرآن وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم .

وجاء يحيى في اليوم التالي يدعوه أن يركب إلى دار المعتز ويقول في لهجة مهذبة: تركب يا أبا عبد الله فيقول الإمام أحمد: ذاك إليكم وكان يوما مشهودا في القصر ألبسوه هناك الطيلسان وما أمر له به الخليفة من ألوان الثياب والشارات ويقول بعض الخدم: إن الخليفة كان مع أمه مستترين خلف ستار من ستور القصر يرقب في خفاء ما يكون من أحمد، فلما رآه يدخل أخذته خفة وغشيته هزة من الفرح ولمع السرور في عينيه وقال. يا أمه قد أنارت الدار بدخول أحمد.

يقول ابنه صالح: لما عاد أبي من القصر إلى الدار التي أعدت له نزع عنه الثياب التي أنعم بها عليه. وجعل يبكي ويقول: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم، ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام فكيف بالخليفة الذي يجب نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن

أخرج من عنده؟! ثم التفت إلى الملابس وقال لابنه: وجه بهذه الثياب إلى بغداد لتباع وحذار أن يشتري أحد منكم شيئا منها.

أما الفرش الوثيرة الطرية فقد نحى نفسه عنها، وألقى بنفسه على مضربة خشنة له، ونظر إلى حجرة في جانب الدار فأمر أن يحول إلى ركن منها وأن لا يسرج فيها سراج قط، وأما المائدة فقد عافها فلم يدخل بطنه شيء منها وكانت شهية حافلة.

وأخيرا بلغ الضجر بالإمام أحمد كل مبلغ، وبرم بكل شيء وزهد في كل شيء ولم يعد أبغض إليه من أن يلقى رجال الخليفة حتى كان يدعهم مع بنيه في الدهليز، ويقبل على صلاته ما شاء الله، وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابغة لما فيه من عافية احتجابه عنهم. اشتكت عينه مرة فلما برئت ضاق ببرئها وقال لولده صالح: ألا تعجب كانت عيني تشتكي فتمكث حينا حتى تبرأ ثم هي في هذه المرة تبرأ في سرعة. والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان أيام المعتصم وإني لأتمنى الموت في هذا، إن هذا فتنة الدنيا وكان ذاك فتنة الدين نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأما مرضه ووفاته فإنه مرض تسعة أيام قال ابنه عبد الله: سمعت أبي يقول: استكملت سبعا وسبعين سنة فحم من ليلته وهو محموم يتنفس تنفسا شديدا، وقال صالح: وكنت قد عرفت علته وكنت أمرضه إذا اعتل.

وجاء الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه وأتى ابن علي بن الجعد فحجبه، وكثر الناس فقال لي: أي شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك قال: أستخير الله تعالى فأذن لهم فجعلوا يدخلون عليه أفواجا، ويسلمون عليه ويرد عليهم بيده، ويسألونه عن حاله، ويدعون له حتى تمتلئ الدار، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فسر به، وقال: إني لأرى الرجل يجيء شيئا من السنة فأفرح به فدخل فجعل يدعو له فيقول أبي: ولجميع المسلمين.

وجاء رجل فقال: تلطف لي بالإذن عليه فإني قد حضرت ضربه يوم الدار، وأريد أن استحله. فقلت له: فأمسك فلم أزل به حتى قال: أدخله فأدخلته فقام بين

يديه وجعل يبكي وقال: يا أبا عبد الله أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك وإن رأيت أن تحلني فعلت. قال: على أن لا تعود لمثل ذلك قال: نعم قال: فإني جعلتك في حل فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس ثم قال: وجه فاشتر تمرا وكفر عني كفارة يمين فأخبرته بأني قد فعلت قال: الحمد لله. ثم قال اقرأ علي الوصية فقرأتها فأقرها وكنت أنام إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وجعل يحرك لسانه ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها، ولم يزل يصلي قائما أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه ولم يزل عقله ثابتا.

وتسامع الناس بمرضه وكثروا وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل ببابه وباب الزقاق المرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق حتى تعطل بعض الباعة، وحيل بينهم وبين البيع والشراء، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وربما تسلق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب وجاءه صاحب ابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك فقال: هذا مما أكرهه وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، وأصحاب الخير يكتبون بخبره إلى العسكر. والبرد تختلف كل يوم وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال: ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع فقال له رجل: لا تغتم لهم يا أبا عبد الله فأشار بيده فظننا أن معناه إني لم أرد هذا المعنى. وكان يصلي قاعدا ويصلي وهو مضطجع لا يكاد يفتر ويرفع يده في إيماء الركوع واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال: خلل الأصابع، وثقل ليلة الجمعة فلما كان يوم الجمعة الموافق اثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام ٢٤١ توفي صدر النهار لساعتين منه فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت وامتلأت السكك والشوارع وقال صالح: وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقلت: أقرئ الأمير السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته.

وقد كانت الجارية غزلت له ثوبا عشاريا قوم بثمانية وعشرين درهما ليقطع منه قميصين فقطعنا له لفافتين وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطا وفرغ من غسله وكفناه، وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير، وقال صالح: وجه الأمير ابن طاهر فقال: من يصلي عليه؟ قلت: أنا، فلما صرت إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف فخطا إلينا خطوات وعزانا ووضع السرير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت أسوي صفوف الناس فجاءني ابن طاهر فقبض هذا على يدي ومحمد بن نصر على يدي وقالوا: الأمير. فمانعتهم فنحياني وصلى ولم يعلم الناس بذلك فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة سوى ما كان في الأطراف والحواري والسطوح والمواضع المتفرقة، ومن كان في السفن في الماء وقد حزر من حضر جنازته فكانوا سبعمائة ألف وقيل: ثمانمائة ألف وقيل: بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، وقيل غير ذلك مما يدل على أنهم جمع غفير وكان - رضي الله عنه - يقول في حال صحته: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وقد صنفت في ترجمته مصنفات مستقلة منها: المناقب لأبي الفرج بن الجوزي في مجلد، ومنها لأبي إسماعيل الأنصاري في مجلدين، ومنها لأبي بكر البيهقي في مجلد، ومنها لأبي زهرة مجلد، ومنها لأحمد الدومي في مجلد، وغير ذلك عدا ما في غضون كتب التاريخ والتراجم من ذكر مناقبه وثناء الناس عليه رحمه الله وسائر أئمة المسلمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [١].

---

(١) المصادر: - القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة. - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب. أبو زهرة: أحمد ابن حنبل. الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.
- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة. أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا - ولتر م. باتون ترجمة عبد العزيز عبد الحق: أحمد بن حنبل

مواقف من حياة الإمام أحمد:

فانظر هل لهذين من خلف أو عوض! :

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

إذا اردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر:

وعن صالح بن الإمام أحمد قال: لقيني يحيى بن معين فقال: أما يستحيي ابوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال: رأيته مع الشافعي والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته. فقلت لأبي ذلك، فقال: إن لقيته فقل: يقول لك أبي: إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر.

ففيه يقول الشافعي:

وعن أبي حميد بن أحمد البصري قال: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث. فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه.

(ثم قال: أي أحمد) قلت للشافعي: ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجاب فيها، فقلت: من اين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال: بلى فنزع في ذلك حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث نص.

إمام عالم من قريش:

وكان أحمد رحمه الله يقول: إذا سئلت في مسألة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها: يقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قريش.

والمحنة.
أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد. عبد القادر بن أحمد بن بدران: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية -.

رجلا لم تر عيناك مثله:

وعن داود بن علي الأصبهاني قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال: تعالى حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله... فأراني الشافعي.

إذا كان صحيحا:

كان ذلك رأي أحمد بن حنبل في الشافعي، ولا غرو فأن يكون التلميذ معجبا بأستاذه معترفا له بالفضل، ولكن الشافعي نفسه لم يمنع تتلمذ أحمد عليه من أن يعترف به بالفضل والعلم بالسنة فيقول له: أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني إن يكن كوفيا أو بصريا أو شاميا، أذهب إليه إذا كان صحيحا.

وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تعظيما له بل يقول: «حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة».

ذلك يوضح لنا بعض ما كان عليه أسلافنا من أدب جم، وخل عال لا ينال منه الاختلاف، ولا يؤثر فيه تباين الاجتهادات، وتلك آداب الرجال الذين تخرجوا في المدرسة المحمدية، فما عاد للهوى عليهم من سلطان؛ وكتب التراجم والطبقات والمناقب والتاريخ حافلة بما لا يحصى من المواقف النبيلة، والمناظرات الطريفة بين كبار الأئمة والتي كان الأدب سداها، والخلق الإسلامي الرفيع لحمتها، وحري بنا ونحن نعيش الشتات في كل أمورنا أن نعود إلى فيء تلك الدوحة المباركة، ونلتقي على الآداب الكريمة التي خلفها لنا سلفنا الصالح إن كنّا جادين في السعي لاستئناف الحياة الإسلامية الفاضلة.

ونحن لا ننكر أن هناك مواقف لم تلتزم فيها هذه الآداب، أو خلت من تلك السمات الخيرة التي ذكرناها، ولكنها كانت مواقف من أولئك المقلدين أو المتأخرين الذين أشربوا روح التعصب، ومردوا على التقليد، ولم يدركوا حقيقة الروح العلمية العالية الكامنة وراء أسباب اختلاف الفقهاء، ولم يلهموا تلك الآداب الرفيعة التي كانت وليدة النية الصادقة في تحري الحق، وإصابة الهدف الذي رمى إليه الشارع الحكيم، ويبدو أنهم كانوا من أولئك الذين قال فيهم الإمام

الغزالـي: فأصبح الفقهاء بعد أن كـانوا مطلوبين طـالبين، وبعد أن كـانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أذلّة بالإقبال عليهم.

والمطلوب سيد نفسه لا ينزع إلا عن الحق، الطالب باع نفسه فلا يشدوا إلا بمـا يطيب لشاريه، فحولـوا الاختلاف الـذي كـان نعمـة أثـرت الفقـه الإسلامي وأثبت واقعية هذا الدين ورعايته لمصالح الناس إلى عذاب أليم، وصـار عـاملا من أخطر عوامل الفرقة والتنـاحر بين المسلمين.. بل تحـول إلـى نقمـة بددت الكثير من طاقات الأمة فيما لا جدوى منه، وشغلتها بما لا ينبغي أن تنشغل به.

والاختلاف الذي تعرضنا لبعض جوانبه في الصفحات السابقة وألمحنـا إلـى ما كان في رجاله من آداب رفيعة هو الاختلاف الذي وضع فيه الكاتبون كتبهم في «اسباب اختلاف الفقهاء " قديما وحديثا، أما الخلاف الذي لا تلا تلك القرون الخيرة فهو خلاف من نوع آخر، كما أن له اسبابا أخرى مختلفة.

بـين أحمد بـن حنبل ومالك:

عن أبي زرعة الدمشقي قال: سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سفيان ومالك إذا اختلفا في الرواية، فقال: مالك أكثر في قلبي. قال: قلت فمالك والأوزاعي إذا اختلفا؟ فقال: مالك أحب إليّ، وإن كان الأوزاعي من الأئمة، قيل لـه: وإبراهيم (أي النخعي) فكأنه كان يرى أن إبراهيم لا ينبغي أن يقرن بمالك لأنه لـيس من أهل الحديث، فقال: ضعه مع أهل زمانه. وسئل عن رجل يريد أن يحفظ حديث رجل واحد بعينه قيل له: حديث من ترى له؟ قال: يحفظ حديث مالك(١).

وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك:

ذكر عبد الغني المقدسي فـي كتابـه محنـة الإمـام أحمد بسنده إلـى أبـي علـي حنبل قال: حضرت أبا عبد الله - أي أحمد بن حنبل -، وأتاه رجل فـي مسجدنا، وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان، فجلس حتى انصرف من كـان عند أبي عبد الله، ثم دنا منه فرفعه أبو عبد الله لما رأى من هيئته، فقال الرجل: يا أبا عبد الله! اجعلني في حل، قـال أحمد: من مـاذا؟! قـال: كنت حاضـراً يـوم

(١) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام، ١ / ٣٢ - ٣٥.

ضربت، وما أعنت ولا تكلمت، إلا أني حضرت ذلك.

فأطرق أبو عبد الله ثم رفع رأسه إليه فقال: أحدث لله توبةً ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف، فقال له: يا أبا عبد الله! أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان، قال له أبو عبد الله: فأنت في حل وكل من ذكرني إلا مبتدع، قال أبو عبد الله: وقد جعلت أبا إسحاق - المعتصم - في حل، ورأيت الله عز وجل يقول:{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢] وأمر النبي صلي الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قضية مسطح.

ثم قال أبو عبد الله: العفو أفضل، وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه فيغفر الله لك كما وعدك.

كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ :

ساق المقدسي رحمه الله بسنده إلى أبي علي الحسن بن عبد الله الخرقي قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلةً، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: يا أبا عبد الله كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومر بي في الدرس قوله تعالى:{ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠] فسجدت وأحللته من ضربي في السجود.

رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟! :

ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال: جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟! فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟! قالها مراراً، فقال الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد رحمه الله تعالى: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!.

وما أعجب! مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، اقرؤوا هذا الكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل، انظروا مواقفه مع من عاداه ومع من ضربه ومع من سبه وشتمه، فرحم الله الإمام أحمد.

يا رب ما أفضل ما تقرب بـه المتقربـون إليك:

كان رضي الله عنه يقول: طوبى لمن أحمل الله تعالى ذكره وكان يقول: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم قال: بفهم وبغير فهم، وكان رضي الله عنه إذا جاءه حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره قلت: وكذلك كان يحيى بن معين وعبد الله بن داود والله أعلم.

وكان رضي الله عنه يقول: تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر، وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في اتباع السنة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط، وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس وقال أبو عصمة رضي الله عنه بت ليلة عند أحمد رضي الله عنه فجاءني بماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل، وكان يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه، وكان مجلسه خاصاً بالآخرة لا يذكر فيه شيء من أمر الدنيا وكان يأتي العرس والإملاك والختان، ويأكل، وتعرت أمه من الثياب، فجاءته زكاة فردها، وقال: العري لهن خير من أوساخ الناس، وأنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح، وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدساً وشحماً، وكان أكثر إدامه الخل، وكان إذا مشى في الطريق لا يمكن أحداً يمشي معه، ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده، وكان يحيي الليل كله من منذ كان غلاماً وكان من أصبر الناس على الوحدة لا يراه أحد إلا في المسجد أو جنازة أو عيادة، وكان يكره المشي في الأسواق، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة، وحج رضي الله عنه خمس حجات ثلاثاً منها ماشياً وكان ينفق في كل حجة نحو عشرين درهماً ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له: أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال يا أحمد أنا

فلان اللص ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت، وأنا أعرف أني على الباطل فاحذر أن تتقلق وأنت على الحق من حرارة السوط، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه ولما دخل أحمد على المتوكل قال المتوكل لأمه يا أماه قد نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له فبكى وقال: سلمت منهم عمري كله حتى إذا دنا أجلي بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها لما خرج، وكان رضي الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: حبس الإمام أحمد رضي الله عنه ثمانية وعشرين شهراً، وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم، وتولى ب صلي الله عليه وسلم الواثق فاشتد الأمر على أحمد وقال لا أسكن في بلد ألحد فيه فأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوصل فرفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره وإكرامه وإعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا أشر الطوائف المبتدعة [1].

الزم التقوى قلبك... :

حدث علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل:

إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلى أني أخاف أن أملك أو تملني. قال: فلما ودعته قلت له: - يا أبا عبد الله توصيني بشيء؟

قال: ألزم التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك.

يا أبت ما هذا الكتاب! :

حدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: دخلت على أبي في أيام الواثق - والله يعلم في أي حالة نحن - وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي، فإذا تحته كتاب كاغد، وإذا فيه:

(١) الشعراني، الطبقات الكبرى، ٥٢/١.

(بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدَّين، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي).

فقرأت الكتاب ووضعته. فلما دخل قلت: يا أبت ما هذا الكتاب؟

فاحمر وجهه وقال: رفعته منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل:

(وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية، فأما الدَّين: فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا: فهم في نعمة والحمد لله).

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال:

ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلاً في دجلة كان مأجوراً، لأن هذا رجل لا يعرف له معروف.

فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فردّ عليه الجواب بمثل ما ردّ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت[(١)].

عليٌ قاسم الجنّة والنار:

سئل أحمد بن حنبل عن قول الناس: عليٌّ قاسم الجنّة والنار، قال: هذا صحيح، لأنّ النبيّ صلي الله عليه وسلم وعلى آله قال لعليّ بن أبي طالب: " لا يحبّك إلا مؤمنٌ ولا يبغضك إلا منافقٌ، فالمؤمن في الجنّة والمنافق في النار ".

حتى أنتفع به كما انتفعت:

قال أبو عبد الله بن الجرّاح: قصدني أحمد بن حنبل فسألني أن أخرج إليه شيئاً من العلم، فأخرجت إليه كتاب العقل لداود بن المحبّر، فانتخب منه أحاديث وردّ الكتاب، فسألته عن ذلك فقال: لم أر فيه أحاديث صحاحاً، قال ابن الجرّاح: كلّه صحيح، قال أحمد: ومن أين عرفت؟ قال لأني استعملته فوجدته كلّه صحيحاً، فقال ردّ الكتاب إليّ حتى أنتفع به كما انتفعت.

أحمد بن حنبل يكتب شعر أبي نواس

(١) مجلة حضارة الإسلام - السنة ٨ - العدد ٩ - ذو القعدة/٣٨٧ - شباط/ ١٩٦٨.

ولكن قل علي رقيب:

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً تهمه نفسه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد سعرت بين يديه، فما زلت أرفق به، وتوسلت بالشيبانية إليه فقلت: أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرج، قال أبو العباس: وعبد الله بن الفرج هذا من صالحي أهل البلد فقرم إلى حديثي وانبسط إلي وقال: في أي شيءٍ نظرت؟ فقلت: في علم اللغة والشعر، فقال: مررت بالبصرة وجماعة يكتبون الشعر عن رجل، فقيل لي هذا أبو نواس، فتخللت الناس ورآني، فلما جلست أمل علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ::: خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ::: ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تتابعت ::: ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ::: ويأذن في توباتنا فنتوب

ثم أطرق، فعلمت أنه قد مل، فسلمت وانصرفت.

قال محمد بن العباس: فحدث أبي بهذا عبد الله بن المعتز وأنا حاضر أسمع فأنشده الأبيات، فقال لنا عبد الله: هذه الأبيات لأبي نواس من زهدياته (١).

أنت وأبوك في طرفي نقيض:

قرأ عبد الله بن أحمد بن حنبل في الصلاة: اقرأ باسم ربك الذي خلق؛ فقيل له: أنت وأبوك في طرفي نقيض، زعم أبوك أن القرآن ليس بمخلوق، وأنت تزعم أن الرب مخلوق.

ولم صارا أحمقين! :

وقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: لو جاءني رجل فقال: إنيّ حلفت بالطلاق أن لا أكلم في هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لقلت له: حنثت، فقال له ابن الديناري: أعزك الله ولم صارا أحمقين؟ قال: لأنهما خالفا الصادقين.

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٥٩/١.

أما الصادق الأول فعيسى عليه السلام قال للنصارى إني عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا. والصادق الثاني الإمام علي رضي الله عنه فإنه قال عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال عن أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما.

الطعام كان من غيب الله:

قيل: اجتمع أربعة من الأئمة: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور، ومحمد بن الحكم رضي الله عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم ما زالوا يصلون في المسجد إلى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل، ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي: مم تضحك يا أبا عبد الله؟ قال: خرجت إلى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا. قال الشافعي: فما سببه؟ قال أحمد: قالت لي أم عبد الله: أنكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكي الرائحة فقال: يا أحمد بن حنبل، فقلنا: لبيك. فقال: هاكم خذوا هذا فسلم إلينا زنبيلاً أبيض، وعليه مندل طيب الرائحة، وطبق مغطى بمنديل آخر، وقال: كلوا من رزق ربكم، واشكروا له فقال الشافعي: يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفاً قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج، وأذكى من المسك ما رأى الراؤون مثله، وخروف مشوي مزعفر حار وملح في سكرجة وخل في قارورة على الطبق، وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد، ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم، فتعجبوا من شأنه، وأكلوا ما شاء الله قال: فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة، وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج إلى طعام غيره مدة شهر، فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد ما بقي منه وأدخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقي منه شيء فأجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله،

وأن الرسول كان ملكاً من الملائكة.

قال صالح بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل في بيتنا، وكان يأتينا الرزق من حيث لا تحتسب رضي الله عنهم، وأعاد علينا من بركاتهم (١).

أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟ :

وروي أن أخت بشر بن الحارث قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل الليل ومعاشنا منها، وربما تمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر، قال: آه ياآل بشر لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم (٢).

يؤكل الطعام لثلاث:

وقال أبن مفلح في طبقات الحنابلة في ترجمة علي بن محمد المصري قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يؤكل الطعام لثلاث: مع الإخوان بالصدور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة. انتهى.

هذا الحديث يكفيني:

حكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الإمام أحمد: فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلي ثم قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامه فلم يلج الجنة، وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ١٤٧/١.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٥٠/١.

رجاءه " قال: فقال الإمام أحمد رحمه الله: هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا إلى أهله.

من غير بيت بشر:

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل تسأله فقالت: إني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على ذلك شيء فقال: يجب أن تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه: اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال: دخلت دار بشر فقال: قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر (١).

لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم:

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي: دخلت يوما على أحمد بن حنبل فإذا هو مغموم مكروب فقلت: ما لك يا أبا عبد الله قال: خير قلت: وما الخير قال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت إلا أنه بقى في صلبي موضع يوجعني هو أشد علي من ذلك الضرب قال: قلت: اكشف لي عن صلبك قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط فقلت: ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال: فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له: أدخل الحبس في حاجة قال: ادخل فدخلت. وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ثم قلت من منكم ضرب أكثر قال: فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضربا، وأشدهم صبرا قال: فقلت له: أسألك عن شيء؟ فقال هات فقلت: شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطا يسيرة إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ إلا أن موضعا في صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر قال: فضحك، فقلت مالك؟ قال: الذي عالجه كان حائكا قلت: إيش الخبر قال: ترك في صلبه قطعة

(١) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ٣١٦/١، ٢١٦/٢.

لحم ميته لم يقلعها قلت: فما الحيله قال: يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته، قال: فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته فقصصت عليه القصة، قال: ومن يبطه، قلت: أنا، قال: أو تفعل قلت: نعم، قال: فقام فدخل البيت، ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع إحداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت أرني موضع الوجع، فقال: ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به فوضعت إصبعي وقلت: ها هنا موضع الوجع، قال: ههنا أحمد الله على العافيه، فقلت: ها هنا قال: هاهنا أحمد الله على العافيه، فقلت: هاهنا قال: هاهنا أسأل الله العافيه، قال: فعلمت أنه موضع الوجع، قال: فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل، يقول: اللهم اغفر للمعتصم حتى بطته فأخذت القطعه الميتة ورميت بها، وشددت العصابة عليه وهو لا يزيد على قوله: اللهم أغفر للمعتصم قال: ثم هدأ وسكن ثم قال: كأني كنت معلقا فأصدرت قلت: يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال: إني أفكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم فكرهت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومة هو مني في حل [1].

هذه مشية الخدام في دار السلام:

سمعنا أبا يحيى زكريا بن يحيى السمسار، يقول: رأيت أحمد بن حنبل في المنام وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر وفي رجليه نعلان من ذهب وهو يخطر بهما قال قلت: أبا عبد الله ماذا فعل الله بك قال: غفر لي وأدناني من نفسه وتوجني بيده هذا التاج وقال هذا بقولك القرآن كلام الله غير مخلوق قال: قلت: فما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار السلام [2].

(١) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، وضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ص ١٦٦.

(٢) أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ص ٤٨.

قال الحسن بن محمد: رأيت أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال: يا أبا علي لو رأيت صلاتنا على النبي صلي الله عليه وسلم في الكتب كيف تزهو بين يدينا؟ ولذا قال سفيان الثوري: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنه يصلي عليه ما دام اسمه في ذلك الكتاب صلي الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن عبد الحكم: رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر علي كما ينثر على العروس، فقلت: بماذا بلغت هذه الحالة؟ فقال لي قائل: بقولك في (كتاب الرسالة) من الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم ، قلت فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة، فوجدت الأمر كما رأيت صلي الله عليه وسلم .

وذكر في جلاء الأفهام من هذا أشياء كثيرة. وفي حديث ابن عباس مرفوعا:(**جاءني جبريل عليه السلام فقال: إنه من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله وأسحقه**)، فقلت:(آمين) رواه الترمذي وحسنه. ومن حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعا:(**أن جبريل عرض لي فقال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت**: آمين) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، والترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعا:(**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي**). وعن الحسين بن علي رضوان الله عليهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال:(**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**) رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه والترمذي وزاد في سنده علي بن أبي طالب وقال: حديث حسن صحيح غريب. وما أحسن قول الإمام الصرصري في ذلك: من لم يصل عليه إن ذكر اسمه فهو البخيل وزاده وصف جبان، وإذا الفتى في العمر صلى مرة في سائر الأقطار والبلدان صلى عليه الله عشرا فليزد عبد ولا يجنح إلى نقصان.

وأخرج النسائي، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبي** صلي الله عليه وسلم **إلا قاموا عن أنتن من جيفة**) ورواه أبو داود الطيالسي، إلا

أنه قال:(**إلا قاموا عن أنتن جيفة**) قال الإمام أبو عبد الله المقدسي: هذا على شرط مسلم [(١)].

اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء:

رؤي الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وألبسي نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعوني بها في الدنيا فقلت: اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء فقال: يا أحمد قم فادخل الجنة [(٢)].

ان كنت تعلم إني على صواب فلا تهتك ستري:

قال بعضهم رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فسألته عن أحمد فقال: اسأل عنه موسى فسألته فقال هو من الصديقين وقال بعضهم: رأيت زبيدة في المنام وكنيتها أم العزيز وشعرها أبيض فسألتها عن ذلك فقالت: لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة، فلم يبق أحد في القبور إلا أبيض شعره، ولما ضربه الجلاد أول ضربة بالسوط شق خاصرته، فقال: اللهم اعم بصره ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى، فسأله عن ذلك فقال: حتى تخرج الروح قبل أن تقول: القرآن مخلوق، فقال الإمام أحمد: اللهم إن كان صادقا فرد عليه بصره فرد الله بصره، وفي السوط الأول: قال بسم الله، وفي الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الثالث: قال القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي الرابع قال:لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم انقطعت حاشية سراويله فقال اللهم:

---

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص١٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١/١٠٧.

إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم إني على صواب فلا تهتك ستري فرفعت سراويله.

من أنت؟ :

قال معروف الكرخي: رأيت رجلا في المنام قلت: له من أنت؟ قال موسى بن عمران: قلت موسى عمران الذي كلم الله قال: نعم ثم رأيت ثلاثة نزلوا من سقف البيت، فقلت: من هؤلاء قال: عيسى ابن مريم، ونبيكم محمد، وأحمد بن حنبل، وحملة العرش والملائكة يشهدون القرآن كلام الله غير مخلوق.

رأيت النبي صلي الله عليه وسلم **في المنام:**

قال الشافعي رضي الله عنه: رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرئه مني السلام وقل له: إنك ستمتحن، وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فيرفع الله لك علما يوم القيامة [١].

فأفاضه على سائر جسده:

وحكي أن الشافعي رضي الله تعالى عنه، لما كان بمصر، رأى في المنام سيد المرسلين صلي الله عليه وسلم ، وهو يقول له: بشر أحمد بن حنبل بالجنة، على بلوى تصيبه فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجب إلى ذلك، بل يقول هو منزل غير مخلوق. فلما أصبح الشافعي رضي الله تعالى عنه، كتب صورة ما رآه في منامه، وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى أحمد فلما وصل بغداد، قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه قال له: هذا كتاب أخيك الشافعي، فقال له: هل تعلم ما فيه؟ قال: لا ففتحه وقرأه وبكى. وقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم أخبره بما فيه، فقال: الجائزة، وكان عليه قميصان أحدهما على جسده، والآخر فوقه. فنزع الذي على جسده ودفعه إليه. فأخذه ورجع إلى الشافعي. فقال له الشافعي: ما أجازك؟ قال: أعطاني القميص الذي على جسده. فقال: أما أنا فلا أفجعك فيه، ولكن أغسله وائتني بمائه، فغسله وأتاه

(١) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٤٧٠/٢.

بالماء، فأفاضه على سائر جسده [١].

والله لرفْسَتُهُ لي أحب إليّ من سفرتي:

قال أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد (يعني ابن حنبل) ويحيى (ابن معين) إلى عبد الرزاق (ابن همام الصنعاني) خادمًا لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين: أريد أن اختبر أبا نعيم، فقال أحمد: لا تُردْ فالرجل ثقة، قال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثًا وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم فخرج وجلس على دكان طين (مكان مرتفع) وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ويحيى عن يساره وجلستُ أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي؛ اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث ثم قرأ الحديث الثالث فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى فقال: أمّا هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا - يريدني - فأقل من أن يفعل ذلك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله فرفس يحيى فرمى به من الدكان وقام فدخل داره فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك إنه ثَبْتٌ، قال: والله لرفْسَتُهُ لي أحب إليّ من سفرتي.

فاتهمه على الإسلام:

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لما سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ فقال: " إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء ". وفي رواية أخرى قال: " إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام " [٢].

لا حتى أموت:

(١) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/١١٩.
(٢) البداية والنهاية، ٨/١٤٢.

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشد بها لحييه، قال: فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول: بيده هكذا لا بعد لا بعد لا بعد، ففعل هذا مرة وثانية فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبه إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟! فقال: يا بني أما تدري؟! قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتّني! فأقول: لا حتى أموت.

متى يجد العبد طعم الراحة؟!:

عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه جاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن مسألة! قال له: سل؛ قال: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

إنما تحفة المؤمن حفرته:

قال المروزي: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: كأنك بالموت وقد فرق بيننا، ما أعدل بالفقر شيئاً؛ أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً؛ أخاف أن أفتن في الدنيا؛ قال مسروق: إنما تحفة المؤمن حفرته.

العلم خزائن يقسم الله لمن أحب:

قال أحمد بن حنبل: العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يخص بالعلم أحداً لكان بيت النبي صلي الله عليه وسلم أولى؛ كان عطاء بن أبي رباح حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً أسود، وكان الحسن مولى للأنصار، وكان إبن سيرين مولى للأنصار.

لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد:

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عيناه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، وقال: قال محمد بن

واسع: لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد.

ولعنتي تبلغ السابع من الولد:

قال ابن القيم: ذكر الإمام أحمد عن وهب: أن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: " إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد ".

من كلام الإمام أحمد:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب؛ ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

قال أبو غذاء: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يعجبني أن يكون للرجل ركعات من الليل والنهار معلومة فإذا نشط طولها وإذا لم ينشط خففها.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: هب المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين؟

قال أحمد بن حنبل: ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط.

" أصول السُّنَّةِ عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال، والخصومات في الدين.

والسنة عندنا: آثار رسول الله صلي الله عليه وسلم .

والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن.

ومن السنة اللازمة التي مَن ترك منها خصلة لم يَقبلها ويؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حَديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نَبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها، وألا يردَّ منها حَرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

وأن لا يخاصم أحدًا ولا يُناظره، ولا يتعلم الجدل، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن، وغيرها من السنن، مكروه منهي عنه، ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة: من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم، ويؤمن بالآثار.

والقرآن كلام الله، وليسَ بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه، فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله، وليس بمخلوق.

والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح.

والإيمان بالميزان كما جاء، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر.

وأنَّ الله تبارك وتعالى يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان.

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله صلي الله عليه وسلم حوضًا يوم القيامة ترد عليه أُمته، عرضه مثل طوله مَسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها وتُسأل عن الإيمان، والإسلام، ومن ربه، ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عز وجل، وكيف أراد.

والإيمان بشفاعة النبي صلي الله عليه وسلم ، وبقوم يخرجون بعدما احترقوا وصاروا فحمًا، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله، وكما شاء.

والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عَينيه: كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لُد.

والإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، كما جاء في الخبر: « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا » [١].

وخيرُ هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة، كما قدمهم أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يختلفوا في ذلك.

ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام.

ثم من بعد أصحاب الشورى، أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، على قدر الهجرة والسابقة أولًا فأول.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء، أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم القرن الذي بعث فيهم.

كل من صحبه سنة، أو شهرا، أو يوما، أو ساعة، أو رآه ساعةً فهو من أصحابه، له من الصّحْبَةِ على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه.

فأدناهم صحبة هو أفضل من القَرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال.

كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلي الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه.

ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: (٤٦٨٢)، والترمذي في كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها: (١١٦٢)، وأحمد في مسنده: (٢ / ٢٥٠، ٤٧٢)، وصححه ابن حبان في كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق: (٤١٧٦)، والحاكم في كتاب الإيمان: (١ / ٣)، ووافقه الذهبي.

كل أعمال الخير.

والسمع والطاعة للأئمة. وأمير المؤمنين، البَر والفاجر، من ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين.

والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة، البَر والفاجر لا يترك.

وقسمة الفَيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، برًا كان أو فاجرًا.

وصلاة الجُمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة، ركعتان من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا، برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك.

ومن خرج على إمام المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضى أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية.

ولا يَحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.

ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنةٍ ولا نار، يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله.

ومن لقي الله بذنب تجب له به النار، تائبًا غير مُصِرٍّ عليه، فإن الله عز وجل يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

ومن لقيه وقد أقيم عليه حدّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم [1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار: (١٨)، ومسلم في كتاب

ومن لقيه مُصراًّ غير تائب من الذنوب التي قد استوجبت بها العقوبة، فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه كافرًا عذّبه ولم يَغفر له.

والرجم حق على من زنى وقد أُحصن إذا اعترف، أو قامت عليه بينة. وقد رجم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقد رَجم الأئمة الراشدون.

ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أو أبغضه لحدثٍ كان منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا.

والنفاق هو الكفر، أن يكفر بالله، ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

وهذه الأحاديث التي جاءت نرويها كما جاءت ولا نفسرها.

مثل:(لا تَرجعوا بعدي كفاراً يَضرب بعضكم رقابَ بعض) [(١)].

ومثل:(إِذا التَقى المسلمان بسيفيهما فالقاتِل والمَقتول في النار) [(٢)].

الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها: (١٧٠٩)، والترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء أن الحدود كفارةٌ لأهلها: (١٤٣٩)، والنسائي في كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك: (٤١٧٨)، وأحمد في مسنده: (٥ / ٣١٤، ٣٢٠)، والدارمي في كتاب السير، باب في بيعة النبي صلي الله عليه وسلم : (٢٤٥٧)، عن عبادة بن الصامت قال: كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في مجلس فقال: « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله، فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه »، فبايعناه على ذلك. (واللفظ للبخاري).

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، في كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل« ويلك »: (٦١٦٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي صلي الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدي كفارًا.. » إلخ: (٦٦)، وأبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: (٤٦٨٦)، والنسائي في كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل: (٤١٢٥)، وأحمد في مسنده: (٢ / ٨٥، ٨٧، ١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...): (٣١)، ومسلم

ومثل:(سباب المسلم فُسوق وقِتاله كفر) [(١)].

ومثل:(أَيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باءَ بها أَحَدهما) [(٢)].

ومثل:(... كُفْرٌ بالله تَبرؤٌ من نَسَب وإنْ دَقّ) [(٣)].

ونحوه من الأحاديث مما قد صح وحُفظ، فإنا نسلم له، وإن لم يعلم تفسيرها، ولا يتكلم فيه، ولا يجادل فيه، ولا نُفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت ولا نردها إلا بأحقّ منها.

والجنة والنار مخلوقان قد خُلِقتا كما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلَّى عليه، ويستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، وأمره إلى الله عز وجل " [(٤)].

في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما: (٢٨٨٨).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن... إلخ: (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم « سباب المسلم.. » إلخ: (٦٤)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشتم: (١٩٨٣)، والنسائي في كتاب تحريم الدم، باب قتال المسلم: (٤١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه. إلخ: (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه: يا كافر: (٦٠).

(٣) رواه الدارمي في كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه: (٢٨٦٤)، وأبو بكر المروزي في « مسند أبي بكر الصديق » برقم: (٩٠)، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد »، كتاب الإيمان، باب فيمن ادعى غير نسبه... إلخ: (١ / ٩٧).

(٤) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » للالكائي: (١ / ١٥٦ - ١٦٤).

رسالة الإمام أحمد إلى الخليفة المتوكل في مسألة القرآن (١):

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

حدث صالح قال: كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي رحمة الله عليه يخبره: أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة. فأملى على أبي رحمه الله:

إلى عبيد الله، أحسن الله عاقبتك أبا الحسين في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما حضرني، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين فقد كان الناس في خوض من الباطل، واختلاف شديد يغتمسون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك كله، وذهب به أمير المؤمنين.

ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما ودعوا الله لأمير المؤمنين، فأسأل الله أن يجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين، ويزيد في نيته ويعينه على ما هو عليه.

وقد ذكر عن عبد الله بن عباس - رحمة الله عليه - أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم (٢).

---

(١) هذه الرسالة جواب على مسألة الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل، وهو جعفر بن المعتصم (٢٠٦هـ - ٢٤٧هـ)، حيث كتب وزيره عبيد الله بن يحيى بن حاقان (٢٦٣هـ) إلى الإمام أحمد يخبره أن أمير المؤمنين أمره أن يكتب إليه يسأله عن القرآن، لا مسألة امتحان - أي اختبار واستظهار لما في قلبه - لكن مسألة معرفة وتبصر، وبها أملى الإمام أحمد الجواب بهذه الرسالة. ومن ميزات هذه الرسالة أنها جمعت قول الإمام أحمد - بلفظ نفسه - في هذه المسألة العظيمة، وأنها جاءت في خلاص الناس من شرك تلك المحن، وثالثها عناية العلماء بهذه الرسالة بكثرة رواتها ونقلتها.

(٢) هذا الخبر عنه رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم (١٠٢١٧) في كتاب فضائل القرآن من طريق جعفر عن ليث عن عطاء عنه به. وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣ / ٢٩٧، من طريق مسدد به وذكر محقق الكتاب الأعظمي أن البوصيري سكت عليه.

وذكر عبد الله بن عمرو: « أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي صلي الله عليه وسلم فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا، وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا. قال: فسمع ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان. فقال: " أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه » (١).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال:(**لا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر**) (٢).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا.

فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، وأخذ بيدي فخلا بي، وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله عز وجل وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت. قال: لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل، قال: إنما قلت يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يتحقوا، ومتى يتحقوا

يختصموا، ومتى يختصموا يختلفوا، ومتى يختلفوا يقتتلوا. قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها (٣).

---

(١) صحيح مسلم العلم (٢٦٦٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (٨٥)، مسند أحمد بن حنبل (١٩٦/٢).
(٢) مسند أحمد بن حنبل (٢٠٥/٤).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٢٠٣٦٨)، وأبو يعقوب البسوي في المعرفة بالتاريخ ١ / ٥١٦ - ٥١٧، كلاهما من طريق معمر عن علي بن بذيمة الجزري عن يزيد بن الأصم

وروي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كان النبي صلي الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول:(**هل من رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**) [(١)].

وروي عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه – يعني القرآن**) [(٢)].

وروي عن أبي أمامة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال:(**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه – يعني القرآن**) [(٣)].

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله " [(٤)].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: " إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه " [(٥)].

عن ابن عباس به، وهذا إسناد كله ثقات، وذكره ابن الأثير في النهاية ١ / ٤١٤.

(١) سنن الترمذي فضائل القرآن (٢٩٢٥)، سنن أبو داود السنة (٤٧٣٤)، سنن ابن ماجه المقدمة (٢٠١)، مسند أحمد بن حنبل (٣/٣٩٠)، سنن الدارمي فضائل القرآن (٣٣٥٤).

(٢) سنن الترمذي فضائل القرآن (٢٩١١)، مسند أحمد بن حنبل (٥/٢٦٨).

(٣) سنن الترمذي فضائل القرآن (٢٩١١)، مسند أحمد بن حنبل (٥/٢٦٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٤٤) عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود به. وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة في مصنفه رقم (١٠٣٠١) عن وكيع عن سفيان به. ورواه أيضا برقم (١٠٣٠٢) عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال عبد الله به. وقال في المجمع ٧ / ١٦١: وعن أبي الزعراء قال: قال عبد الله: " جرّدوا القرآن لا تلبسوا به ما ليس منه ". رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء، وقد وثقه ابن حبان، وقال البخاري: " لا يتابع في حديثه ". ا هـ. ووثقه أيضاً العجلي وابن سعد في الطبقات كما في التهذيب ٦ / ٦١. والله أعلم.

(٥) رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن غيلان، ثنا رشدين، ثنا يونس، عن ابن شهاب، عن عمر رضي الله عنه به وزاد: " ولا تتبعوا أهواءكم ". وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة من وجهين بمعناه رقم ١١٧ - ١١٨: الأول: قال حدثني أبو معمر، ثنا جرير، عن ليث، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء عن عمر رضي الله عنه بلفظ: " إن هذا القرآن كلام الله عز وجل، فلا أعرفنَّ ما عطفتموه على أهوائكم ". وأخرجه هكذا الدارمي في الرد على الجهمية ص ٩٠، وأبو بكر الآجري في الشريعة ص ٧٦ من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الحسين بن عبد الله النخعي عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عمر به. والثاني: قال: حدثني

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد إذا قرأت كتاب الله وتدبرته ونظرت في عملي كدت أن أيأس وينقطع رجائي. قال: فقال له الحسن: " إن القرآن كلام الله وأعمال بني آدم إلى الضعف والتقصير فاعمل وأبشر ".

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: " كنت جارا لخباب وهو من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدي، فقال: يا هناة تقرب إلى الله بما استطعت؛ فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه ".

وقال رجل للحكم بن عتيبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قرة، وكان أبوه ممن أتى النبي صلي الله عليه وسلم :(إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال).

وقال أبو قلابة، وكان أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم : " لا تجالسوا أصحاب الأهواء أو قال أصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون ".

ودخل رجلان - من أصحاب الأهواء - على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا. لتقومان عني، أو لأقومنه. قال: فقام الرجلان فخرجا. فقال بعض القوم: يا أبا بكر، ما كان عليك أن يقرءا عليك آية من كتاب الله؟ فقال محمد بن سيرين: " إني خشيت أن يقرءا علي آية، فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي " فقال محمد: " لو أعلم أني أكون مثل الساعة لتركتهما ".

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: " يا أبا بكر، أسألك عن كلمة،

عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله بن هانئ عن عمر ببعضه وهو: " أن القرآن كلام الله عز وجل ". ورواه الدارمي في سننه ١ / ٥٣٣ من طريق إسحاق، ثنا جرير به. والآجري في الشريعة ص ٧٧، من طريق عثمان وأبي شيبة به، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١ / ٥٩١ - ٥٩٢ من كلا الطريقين وفي الاعتقاد بنفس الإسناد ص ١٠٤، والحديث حسن بمجموع طرقه وله شواهد كثيرة عن جماعة من الصحابة ذكر بعضها البيهقي في الأسماء والصفات ١ \ ٥٩١ - ٦٠١. والله أعلم.

فولى وهو يقول بيده: ولا نصف كلمة ".

وقال ابن طاووس لابن له - وتكلم رجل من أهل البدع -: أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقوله. ثم قال: اشدد، اشدد.

وقال عمر بن عبد العزيز: " من جعل دينه عرضا للخصومات أكثر التنقل ".

وقال إبراهيم النخعي: " إن القوم لم يدخر عنهم شيء خبئ لكم لفضل عندكم ".

وكان الحسن البصري يقول: " شر داء خالط قلبا، يعني الهوى ".

وقال حذيفة بن اليمان - وكان من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم : " اتقوا الله معاشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا، أو قال: مبينا "(١).

وإنما تركت ذكر الأسانيد، لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، لولا ذلك ذكرتها بأسانيدها.

وقد قال الله جل ثناؤه:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦] وقال:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] وأخبر تبارك وتعالى بالخلق، ثم قال: والأمر، فأخبر أن الأمر غير الخلق.

(١) أخرج البخاري أكثره في صحيحه في كتاب الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلي الله عليه وسلم رقم ٦٨٥٣ من طريق الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة. أما بلفظ الإمام أحمد فأخرجه محمد بن نصر المروزي في السنة ص ٢٥ من طريق يحيى بن يحيى ثنا سليم بن أخضر عن عوف بن إبراهيم عن حذيفة رضي الله عنه به. وأخرجه بمثل لفظ البخاري من طريقه أيضا، وأخرجه ابن وضاح القرطبي في (البدع والنهي عنها) ص ١٠، أخبرنا أسد عن محمد بن حازم عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحازمي عن حذيفة به. ومن وجه آخر أيضا عن ابن المبارك عن عبد الله بن عون عن إبراهيم عن حذيفة به، وكذا رواه ابن عبد البر في (الجامع) ٢ /١١٩ عن ابن مسعود أيضا في ٢ / ٩٧ واللالكائي في (أصول السنة) رقم ١١٩، وأبو نعيم في (الحلية) ١ / ٢٨٠ والبغوي في (شرح السنة) ١ / ٢١٤ وغيرهم، رحمهم الله.

وقال تبارك وتعالى: {ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)} [الرحمن: ١ - ٤] فأخبر تبارك وتعالى أن القرآن من علمه. وقال: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)} [البقرة: ١٢٠] وقال: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٥)} [البقرة: ١٤٥] وقال: {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)} [الرعد: ٣٧]، (١) فالقرآن علم الله.

وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صلي الله عليه وسلم هو القرآن لقوله: {وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ} [البقرة: ١٢٠].

وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون: " القرآن كلام الله ليس بمخلوق " (٢). وهو الذي أذهب إليه، ولست بصاحب كلام، ولا

(١) في هذه الآيات استدل الإمام على أن الذي أوتيه الرسول هو العلم وهو من علم الله وهو القرآن. فكيف يكون ما هو من علم الله مخلوقاً؟! وفي آية الرعد كذلك نص بتنزيله حكما عربيا، وهل يكون بهذا مخلوقا؟!.

(٢) هذه الجملة العظيمة تواتر نقلها عن سلفنا الصالح تواتراً كثيراً حتى أفردت في أجزاء مستقلة وضمن مؤلفات السنة الكبار ففيه من المستقل: رسالة الحربي السابقة، ورسالة جعفر بن إدريس القزويني وغيرهما. أما داخل المؤلفات الجامعة لمقالات أهل السنة في أصول الاعتقاد فهو مما اشتهر وكثر نقله. ومن المؤلفات الكبار الحاوية لتواتر هذه الجملة الرد على الجهمية للأئمة: أحمد بن حنبل، وعثمان الدارمي، والبخاري، وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري ص ٧٢ - ٩٦. وكتاب (السنة) رواية أبي بكر الخلال الجزء السادس والسابع من المخطوط من ورقة (٥٦ - ١٩٢). و(السنة) لعبد الله بن أحمد (١ \ ١٠٦ - ١٧١)، وكتاب (الإبانة الكبرى) لابن بطة العكبري الحنبلي من (ص ٤٩٥ - ٦١٥)، (وشرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي الجزء الثاني منه بتمامه، (والأسماء والصفات) للبيهقي (١ \ ٥٨٥)، إلى نهاية المجلد الأول تقريباً، و(ذم الكلام) لأبي إسماعيل الهروي في الباب السادس عشر، باب إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين من الأغاليط وصعاب الكلام والشبهة والمجادلة وزايغ

أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان من كتاب الله، أو في حديث عن النبي صلي الله عليه وسلم وشرعه، أو عن أصحابه - رحمة الله عليهم - أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

وإني أسأل الله أن يطيل بقاء الأمير، وأن يثبته ويمده منه بمعونة، إنه على كل شيء قدير [1].

* * *

التأويل والمهازلة ورأيهم فيهم على الطبقات من أول الجزء الثاني إلى الورقة ٢٤٧. و(الاعتقاد) للبيهقي ص ٤٣ - ٥٤، في باب القول في القرآن. إلى بقية الحديث والسنن في أثناء أبواب التوحيد، وذم الرأي والخصومة في الدين، وصفات الله، رحم الله مؤلفيها وأجزل مثوبتهم، آمين.

(١) إبراهيم بن إسحاق الحربي، رسالة في أن القرآن غيرمخلوق، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ٤٧ - ٦١، مجلة البحوث الإسلامية، ٥١ /١٧٥ - ١٩٤.

الإمام الشافعي

أعلام التابعين

الإمام الشافعي

إمام العباقرة، وعبقري الأئمة، له في العلم سبب، وفي البيت نسب، وفي المروءة حسب.

سالت قريحته فتفجرت أنهار الحكمة من على لسانه، وساقت رياح التوفيق سحب علمه فسالت أدوية بقدرها. ذاكرته أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين.

الشافعي أخذ من الأثر روحه، ومن الفقه خلاصته، ومن البيان ناصيتة ومن الشعر حلاوته، ومن المجد ذروته.

قعّد للعلماء القواعد فغضب عليه أعداء الشريعة لأنهم رضوا بأن يكونوا مع القواعد، فخَرَت به قريش، وتبجحت به العراق، وخرجت إليه مصر، حاور محمد بن الحسن فقطع أزراره، ورد على المريسي فأطفأ ناره، وجاور أحمد فشكر جواره.

الشافعي لدنيا العلوم شمس، ولأبدان الأخبار عافية، ولليل المدلهم قمر، في الشرع شعرُه، في الحق بذلُه، للآخرة طلبُه، لله سعيه، لما خرج إلى البلاد لبست بغداد الحداد وأمست في سواد.

الألفاظ سكر، والقصد نضيد، حفر لحدًا للملاحدة، وعزل في زنزانة الإحباط المبتدعة، ورد الأباطيل في جوه أهل التعطيل، إن سألنا عن أهل الكلام فالجريد والنعال. وأهل السنة: رواد الجنة. والفلاسفة: أهل سفه. ومالك: نجم الممالك. وأحمد بن حنبل: زرع سنبل.

أتاه المال ففر منه إلى العلم، وأتته الدنيا فهرب إلى الآخرة تعلم الفراسة في اليمن، فكشف أهل الزيغ والأفن، تدجج بالحجج فألجم الدجاجلة، وصال بالأصول على أعداء الرسول صلي الله عليه وسلم .

درس الطب فمرض جسمه، وداوى الناس فزاد غُنمه.

المروءة عنده ولولا الشعر بالعلماء يزرى، التواضع: أحب الصالحين ولست منهم.

ميزة الشافعي: التفرد، ومنقبته التجرد، تفرد في الفهم، فعصر من زهر الذهن رحيقاً، وتجرد للحق فنسج من بز الشريعة ثوباً سابغاً.

فاح طيب ذكره في الأنوف، فيا فرحة من شم، وهزم الباطل فكأنه شم عطر منشم، الشافعي شهاب ثاقب أُحرقت به شياطين الإنس ولهم عذاب واصب.

يا ابن إدريس أيها الشهم الأجلّ أنت سيف الحق في العلياء سُلّ.

مسكين من جادل الشافعي وناظره، مسكين من عارضه وكابره، مسكين من عرفه وما ذاكره.

درس محمد بن إدريس علوم محمد صلي الله عليه وسلم فترك علماً لا يغسله الماء ولا تطفئه الريح ولا يلفه الظلام، ولا ينسيه الدهر، الرسوخ في يسر، العمق في سهولة، الأصالة في إشراق، البراعة في نصوع.

أهل فارس يعرفونه، وأهل الصين يذكرونه، وأهل الأندلس يمدحونه، وأهل الباطل يبغضونه.

إذا مرجت الآراء بزغ رأي الشافعي كالنجم الثاقب، إن تكلم أسكت الخطباء، وإن أنشد صمت الأدباء والبلغاء، أحب الملة فأمهرها روحه، وعشق العلم فأعطاه عمره، وأخلص للرسالة ففاضت لها نفسه، فهو عاشق المُثُل، سامي المقاصد، رجل المروءات، ناشر السنة بين أهلها، وناصرها على أعدائها، وحافظها لمحبيها، وشارحها لناقليها.

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ورث أنوار الرسالة، فألف للأمة الرسالة، مات أبوه فكفلته الأم، فقدم للناس كتاب الأم، إذا نطق الشافعي فكأن السيل أقبل، والفجر بزغ والنور سطع، صحة مخارج، حلاوة لفظ، قوة حجة، براعة دليل، سلامة إنشاء:{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ} [الجمعة: ٤].

في الفقه إمام، في النقل حجة، في النسك علم، في اللغة أستاذ في الذكاء آية.

سرت به أمة من غزة فسبحان الذي أسرى، وعاش في مكة لينفع أم القرى.

الشافعي لم يستند إلى النسب ولو أنه مُطّلبيّ، ولم يتكل على الجاه فهو أبيّ، ولكن أخذ بأسباب الخلود، وهجر أسباب الفناء، فأمات في حياته النفس الأمارة، وأحيا بوفاته النفس المطمئنة، فنوديت:{ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾} [الفجر: ٢٨].

إذا كانت الحياة بالبساط والسياط والسلطة والسطوة فأين أصحابها بعد موتهم: {هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا} [مريم: ٩٨].

عند الشافعي: اتباع الأثر عبادة، الوقوف مع النقل عقل، توقير الصحبة عقيدة، رد الشُبَه جهاد، تعليم الناس ربانية، ترك المعاصي هجرة، أهل الحديث رؤوس، المبتدعة سفلة، علم الكلام غي، المنصب ذُل، الدنيا دنيئة.

بدا إلى البادية فهدّ شعر هذيل، كان رأسا وسواه ذيل، احتسى علم مالك، ومص فهم أبي حنيفة، وجمع بين النثر والشعر، والرواية والدراية والعقل والنقل.

الشافعي عروبة حجازية، وفصاحة عراقية، ورقة مصرية، أعجب ما فيه روح التجديد في المذهب القديم، وقدم التأصيل في مذهبه الجديد، سخر الشعر للشريعة، والنحو للوحي، والرأي للرواية، التعليل للتأويل، حملته الهمة فأضناه الطلب، وخلع الدنيا فليس تاج القبول، خاف الدنيا والدنايا، وجانب الشيطان والشر والشهوة والشبهة.

إن خطب أطنب وأطرب، وأتى بكل أطيب.. وإن أفتى شفى وكفى وأوفى.

فلج خصوم الإسلام، ونكس رايات الأقزام وأبقى ذكره للأيام، دمغ الضلال، واكتسح الجهال،{وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ} [إبراهيم: ٤٦].

انكسر به ظهر الجبرية، وثلم به قدر القدرية، وأخرجت حججه شبه الخوارج، واهتز في يده سنان السنة [(١)].

(١) عائض بن عبد الله القرني، سلسلة القمم لأهل الهمم، ٤ / ١١.

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي، الإمام العلم أبو عبدالله الشافعي المكي المطلبي الفقيه، نسيب رسول الله صلي الله عليه وسلم .

... وقد ولد الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - بغزة سنة مائة وخمسين من الهجرة، فلم يكد يبلغ سنتين من عمره حتى حمل إلى مكة، فنشأ بها، وأقبل على علوم اللغة واعتنى بالأدب والشعر، فبرع في ذلك، وحُبِّبَ إليه الرمي، حتى فاق الأقران، وصار يصيب من العشرة تسعة.

... والسائب بن عبيد الله المطَّلبي - الذي نسب إليه الشافعي -: أحد من أسر يوم " بدر " من المشركين، وكان يشبَّه بالنبي.

... وأمه هي: الشَّفَاء بنت أرقم بن نَضلة، ونَضلة هو أخو عبد المطلب، من بني هاشم، ويقال: إنه أسلم بعد أن فدى نفسه. وابنه شافع له رؤيةوهو معدود من صغار الصحابة. وكانت أم الشافعي أزدية.

حِفْظُه للقُرْآنِ وتِلاوتُهُ لَه:

... حفظ الإمام الشافعي - رحمه الله - القرآن، فما من حرف مرَّ به إلا وهو يعلم معناه والمراد منه... وقال ابن عبد الحَكَم: سمعت الشافعي يقول: قرأت على إسماعيل بن قسطنطين، وقال: قرأت على شبل، وقال شبل: قرأت على عبد الله بن كثير، وهو على مجاهد، ومجاهد على ابن عباس.

... وقال الكرابيسيُّ: بتُّ مع الشافعي غير ليلةٍ، وكان يصلّي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلاّ سأل الله، ولا يمرّ بآية عذاب إلاّ تَعوَّذ منها.

مكانته العلمية:

حاز الإمام الشَّافعي(من أَلْوَان الثقافة وفنون العلم والمعرفة، ما لم يظفر به أحد غيره من الأئمة؛ لأمرين:

أحدهما: أصالة نظره وعمق تفكيره ووفور عقله، الأمر الذي ساعده على الإفادة مما يحيط به،

ولقد صدق القَاسِمِ بن سلاَّم، حيث يقول: " ما رأيت رجلاً قَطُّ أعقل من الشَّافعي ".

وثانيهما: كثرة أسْفَاره إلى " اليمن "، و" العراق "، و" مصر "، واتصاله المستمر بالعلماء، حيث نهل من علومهم ومعارفهم شيئاً عظيماً.

... وكانت نتيجةُ التَّرحال أن نال ثقافةً واسعةً في اللغة، والأدب، والحديث، والفقه على طريقتي أهل الحديث وأهل الرأي؛ كما أنه نال ثقافة اجتماعيةً اكتسبها من مشاهدة حياة البدو في البادية، والحضارة الأوليَّة في " الحجاز "، و" اليمن "، والحضارة العريقة المعقدة المركَّبة في كل من " العراق " و" مصر ".

أصول المذهب الشافعي:

... كان الإمام الشافعي في بداية طلبه للعلم يعد نفسه تلميذاً للإمام مالك بن أنس، وأحد رجال مدرسته، إلى أن قَدِمَ " العراق " للمرة الثانية، فأسس هناك مذهباً مستقلاً.

... وقد دَرَسَ الشافعي مذاهب المتقدِّمين، وبحث بدقة متناهية مسلك المدرسَتَيْن: مدرسة الحديث، ومدرسة الرأي، وأحدث بعد هذا التمحيص طريقة نقْدية جديدة جمعت بين مميزات المدْرَستين؛ وبذلك كوّن مركزاً وسطاً بين أهل الرَّأي، وأهل الحديث.

مواقف من حياة الشافعي:

الشافعي ومحمد بن الحسن:

يقول الإمام الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسن يوما، فدار بيني وبينه كلام واختلاف، حتى جعلت أنظر إلى أوداجه تدر، وتتقطع أزراره.

ويقول محمد بن الحسن: إن كان أحد يخالفنا فيثبت خلافه علينا فالشافعي، فقيل له: فلم؟ قال: لبيانه وتثبته في السؤال والجواب والاستماع.

تلك هي بعض نماذج من آداب علماء الأمة، نستنبط منها: أن خلف الأمة في قرون الخير كان يسير حذو السلف، والكل يستقي من ادب النبوة، ولم يكن أدب السلف الصالح يقتصر على تجنب التجريح والتشنيع، بل كان من الآداب

الشائعة في ذلك الجيل من العلماء التثبت في أخذ العلم واجتناب الخوض فيما لا علم لهم به، والحرص على تجنب الفتيا خوفا من الوقوع في الخطأ. قال صاحب القوت: ورويتا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم) مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ما منهم احد يسأل عن حديث أو فتيا إلاّ ودّ ان أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسالة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر حتى ترجع إلى الذي سأل عنها أول مرة.

مالك والشافعي:

يقول الإمام الشافعي: مالك بن أنس معلمي، وعنه أخذت العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد آمن علي من مالك بن أنس وكان يقول: إذا جاءك الحديث من مالك فشد به يديك، كان مالك بن أنس إذا شك في الحديث طرحه كله.

هذا أفضل فتيان زمانه. :

كان ابن عيينة هو من هو في مكانته إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي وقال: سلوا هذا. وكثيرا ما كان يقول إذا رآه: هذا أفضل فتيان زمانه. وحين بلغه نبأ وفاة الشافعي قال: إن مات محمد بن إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه.

أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي:

وكان يحيى بن سعيد القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي. وكان عبد الله بن عبد الححم وولده على مذهب الإمام مالك، ولكن هذا لم منع عبد الله بن الحكم من أن يوصي ولده محمدا بلزوم الإمام الشافعي حيث قال له: الزم هذا الشيخ (يعني الشافعي) فما رأيت أحدا أبصر بأصول العلم أو قال: أصول الفقه منه. ويبدو أن الولد قد أخذ بنصيحة أبيه حيث يقول: لولا الشافعي ما عرفت كيف أرد على أحد، وبه عرفت ما عرفت، وهو الذي علمني القياس رحمه الله فقد ان صاحب سنة واثر، وفضل وخير، مع لسان فصيح، وعقل صحيح رصين.

كالشمس للدنيا :

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

أما يستحيي ابوك مما يفعل! :

وعن صالح بن الإمام أحمد قال: لقيني يحيى بن معين فقال: أما يستحيي ابوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال: رأيته مع الشافعي والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته. فقلت لأبي ذلك، فقال: إن لقيته فقل: يقول لك أبي: إذا اردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر.

ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت:

وعن أبي حميد بن أحمد البصري قال: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث. فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه يقول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه. (ثم قال: أي أحمد) قلت للشافعي: ما تقول في مسألة كذا وكذا فأجاب فيها، فقلت: من أين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال: بلى فنزع في ذلك حديثا للنبي صلي الله عليه وسلم ، وهو حديث نص.

وكان أحمد رحمه الله يقول: إذا سئلت في مسالة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها: يقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قريش.

وعن داود بن علي الأصبهاني قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال: تعالى حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله... فأراني الشافعي.

كان ذلك رأي أحمد بن حنبل في الشافعي، ولا غرو فأن يكون التلميذ معجبا بأستاذه معترفا له بالفضل، ولكن الشافعي نفسه لم يمنع تتلمذ أحمد عليه من أن يعترف به بالفضل والعلم بالسنة فيقول له: أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني إن يكن كوفيا أو بصريا أو شاميا، أذهب إليه إذا كان صحيحا.

وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه (تعظيما له) بل يقول: «حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة» [1].

ادفع اليه الدنانير التي معك:

كان الشافعي راكبا على حمار فمر على سوق الحدادين فسقط سوطه من يده فوثب إنسان فمسحه بكفه وناوله إياه فقال لغلامه: ادفع اليه الدنانير التي معك فما أدري أكانت سبعة أو تسعة.

امعك من نفقتنا شيء! :

قال وكنا يوما مع الشافعي فانقطع شسع نعله فأصلحه له رجل فقال يا ربيع امعك من نفقتنا شيء قلت نعم قال كم قلت سبعة دنانير قال ادفعها اليه.

تشهوا ما احببتم:

وقال أبو سعد كان الشافعي من أجود الناس وأسخاهم كفا كان يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء ويقول لنا: تشهوا ما احببتم فقد اشتريت جارية تحسن ان تعمل ما تريدون فيقول بعض أصحابنا: اعملي اليوم كذا وكذا وكنا نحن نأمرها.

وقال الربيع: كان الشافعي إذا سأله إنسان شيئا يحمر وجهه حياء من السائل ويبادر بإعطائه رحمه الله ورضي عنه.

فلا تطفئه بالمعصية:

قال له شيخه مالك بن أنس رضي الله عنه: إن الله عز وجل قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بالمعصية.

اتق الله واجتنب المعاصي:

وقال الشافعي: لما رحلت إلى مالك فسمع كلامي نظر إلي ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال: ما اسمك؟ قلت: محمد. قال: يا محمد، اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن، فقلت: نعم وكرامة، فقال: إذا كان غدا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ، فقلت: إني أقرأه ظاهرا، فغدوت إليه وابتدأت،

(١) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام، ص ٣٢ - ٣٣.

فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبته قراءتي، وأغراني بقول: زد يا فتى حتى قرأته عليه في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن.

يجب أن تكون قاضيا:

وفي رواية فقرأته عليه وربما قال لي في شيء قد مر أعد حديث كذا فأعيده حفظا وكانه أعجبه فقال انت يجب ان تكون قاضيا.

قلت من رهطك :

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المنام قبل حلمي فقال لي: يا غلام فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: ممن أنت؟ قلت: من رهطك. قال: ادن مني فدنوت منه ففتح فمي، فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امض بارك الله فيك فما أذكر أني لحنت في حديث بعد ذلك ولا شعر.

يا رسول الله بقول من آخذ:

وعن أبي الحسن علي بن أحمد الدينوري الزاهد قال: رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله بقول من آخذ، فأشار إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال: خذ بيد هذا فأت به ابن عمنا الشافعي ليعمل بمذهبه فيرشد ويبلغ باب الجنة ثم قال: الشافعي بين العلماء كالبدر بين الكواكب.

وقال الشافعي: ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وفي رواية: ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة وقال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعت أبي ناظر أحدا قط فرفع صوته.

فحمل كتبي فبثها في الهواء:

وقال الربيع: رأيت من الشافعي ما لا أحصى وكان إذا انصرف اتشح بردائه ووضعت له منارة قصيرة،

واتكأ على وسادة وتحته مضربتان ويأخذ القلم فلا يزال يكتب، وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: رأيت في المنام كأن آتيا أتاني فحمل كتبي فبثها

في الهواء فسألت بعض المعبرين فقال: إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلاد الإسلام إلا ودخل علمك فيه.

ما فعل الله بك؟ :

وقال الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن داره بالراء لما مات أبو زرعة الرازي رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك قال: قال لي الجبار سبحانه وتعالى ألحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله الأول مالك والثاني الشافعي والثالث.

أحمد بن حنبل، وقال: أبو عبد الله محمد بن يعقوب الهاشمي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال الشافعي في الجنة أو من اهل الجنة.

ليس ثم أكبر منه:

وقال ابو العباس الأصم رأيت عبد الله بن صالح في المنام وذكرت الشافعي فأشار عبد الله بيده نحو السماء وقال ليس ثم أكبر منه [١].

إن كان منكم فلم تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه:

وقال علي الرازي حج بشر المريسي فلما قدم قيل له من لقيت بمكة قال رأيت رجلا إن كان منكم فلم تغلبوا وإن كان عليكم فتأهبوه وخذوا حذركم وهو محمد بن إدريس الشافعي وقال المريسي مع الشافعي نصف عقل اهل الدنيا

وقال ما رأيت أعقل من الشافعي وقال ما رأيت أمهر من الشافعي

وقال رأيت بمكة فتى لئن بقي ليكونن رجل الدنيا [٢].

رحلة الشافعي في طلب العلم :

عن زكريا بن يحيى البصري، ويحيى بن زكريا بن جبرية النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية

(١) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة النشر ١٩٩٦، ١/ ٨٥.
(٢) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٧٧ - ٧٨.

فأحفظها أنا، ولقد كنت - ويكتبون أئمتهم فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم - قد حفظت جميع ما أملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل أكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث وأجئ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله: عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي نقصد؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال: فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطإ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال يا فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه فقلت: - أصلح الله الأمير - إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. قال: هيهات، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق. قال: فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب. قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة. قال فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا: إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده

ثم قال: سبحان الله! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت: - أصلحك الله - إني رجل مطلي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. فقال لي يا محمد. اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال: نعم كرامة، إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك. قال: فقلت أنا أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن، وكان بها وال من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلب لا أمر لي معه ولا نهي. قال: فكتب إليه هارون: أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم. قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن. قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية، ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين، هذا المطلي، لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين: أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا ابن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام. أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت: يا أمير

المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا ابن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام.

فقال لي: والله يا بن إدريس لقد ادعيت علما فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري، والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته. قال: فكيف عمك بأنساب العرب. قال: فقلت إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين. قال: لقد ادعيت علماً فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاوس اليماني فوعظته بها، فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه. قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني. قال: فقلت له إني لا آخذ العطية ممن هو دوني، وإنما آخذها ممن هو فوقي. قال: فوجد في نفسه. قال: وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد ابن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي. قال: فكتبت لي ووجه بها إلي.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم. قال: واجتمعنا في ذلك المكان. قال وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه. قال: فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة فقال: من أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة؟ والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرت حتى أرد عليه. قال الشافعي: فقلت: إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهما من قريش، وإن أنا

رددت عليه أسخطت على السلطان، ثم إني استخرت الله في الرد عليه، فتقدمت إليه فقلت: - أصلحك الله -، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة؟ إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فألا ذكرتذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله وكلهم على خلاف ما ادعيته، وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة، فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم، خطأ إلى آخره، قلت في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ، وقلت في مسألة كذا، وكذا وكذا وهو خطأ، فاصفر محمد بن الحسن ولم يحر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال: فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطة ففقأ عينها، ماذا يجب عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها، فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك. قال: فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد فلما أن استوينا بين يديه قال لي: يا أبا عبد الله، تسأل أو أسأل؟ قال: قلت ذاك إليك. قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبة هي؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل:{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ } [النساء: ١٠٢]. فدل أنها واجبة. قال: وما تنكر من قائل قال لك: إنما أمر الله تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم وهو فيهم، فلما أن زال عنهم النبي صلي الله عليه وسلم زالت تلك الصلاة؟ فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه:{خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا } [التوبة: ١٠٣]، فلما أن زال عنهم النبي صلي الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ فقال: لا. قلت: وما الفرق بينهما والنبي صلي الله عليه وسلم هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يأهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله؟ فقلت: الأجرأ على كتاب الله من خالفه. قال فقد قال الله عز وجل:{وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ} [الطلاق: ٢]، فقلتم أنتم: نقضي باليمين مع الشاهد فقلت: لكنا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به رسول الله صلي الله عليه وسلم ،

ولكنك أنت إذا خالفت كتاب قضاء رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم رد اليمين؟ قال: قلت سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم . قال وأين؟ قلت قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم في قصة القتيل: تحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟ قالوا: لم نشهد ولم نعاين؟ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا رد اليمين إلى اليهود. قال: فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله صلي الله عليه وسلم . قال: فقلت يا أمير المؤمنين، هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم يستفهم من اليهود. فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله صلي الله عليه وسلم يستفهم من اليهود؟. نطع وسيف، فلما رأيت الجد من أمير المؤمنين قلت مهلاً يا أمير المؤمنين، فأن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله صلي الله عليه وسلم . قال: فسريت عنه. قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار. قال: فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت فكيف رأيتها بعد ذلك؟.

مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي رضي الله عنه:

حدث الآبري بإسناده: قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي يا أبا يعقوب: قم حتى أريك رجلاً لم ترعيناك مثله. قال: فقمت فأتى بي فناء زمزم فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة، حسن السمت، حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه فقال له: يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحب بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم أعجبني حفظه قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت: يا سبحان الله، أقمتنا من عند رجل يقول: حدثنا الزهري، فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريب منه. فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث، فقال لي يا أبا يعقوب: اقتبس من الرجل، فإنه ما رأت عيناي مثله. قال الآبري: قال إسحاق: فسألته عن سكني بيوت مكة - أراد الكرى - فقال جائز.

فقلت: إي يرحمك الله، وجعلت أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ومن كره كرى بيوت مكة وهو ساكت يسمع وأنا أسرد عليه. فلما فرغت سكت ساعة وقال: يرحمك الله، أما علمت أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟ قال فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. قال الحاكم: فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال نعم، فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. قال الحاكم: ولم يكن الشافعي عرف إسحاق، فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني. فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون. قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه. وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي: لو قلت قولك احتجت إلى أن أسلسل أنا أقول لك: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنت تقول: عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك، هل لأحد مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حجة؟. قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم: مردك لا كما لا نيست، قرية عندهم بمرو يدعون العلم، وليس لهم علم واسع. وقال الآبري: قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالاني، ومالان: قرية من قرى مرو وأهلها فيهم سلامة. قال الحاكم في خبره: فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء. فقال تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة. فقال له الشافعي: قال الله عز وجل:{لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ} [الحشر: ٨] الآية. نسب الدار إلى المالكين أو غير المالكين قال إسحاق: إلى المالكين. قال الشافعي: فقوله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**)، أنسب رسول الله صلي الله عليه وسلم الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟. قال إسحاق: إلى مالك. فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب صلي الله عليه وسلم اشتروا دور مكة وجماعة

باعوها. وقال إسحاق له: قال الله عز وجل:{سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥]. فقال الشافعي: اقرأ أول الآية. قال:{وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥]. قال الآبري: قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله:{لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ } [البقرة: ١٢٥] والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله عز وجل:{وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ} [البقرة: ١٨٧]، فدل ذلك أن قوله عز وجل:{سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} [الحج: ٢٥] في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. قال الحاكم: وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تنشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تنثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال فسكت إسحاق ولم يتكلم. وفي خبر الآبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار**)؟. علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا. قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

كيف أصبحت؟ :

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ::: جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ::: بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ::: تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ::: فكيف وقد أغوى صفيك آدما؟

رضا الناس غاية لا تدرك:

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ليس هذا من كيسكم:

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد ابن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا. فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة. قال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك يا صاحب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟، فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كيسكم هذا من كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

وكان في السفرة دجاجتان:

وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب فقلنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا حرمنا طعامنا، فبينا نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذ ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة وأصبنا الدي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة.

على الرأس والعينين:

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال: يروي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وحال وتغير وقال: ويحك، أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم أقل به، نعم على الرأس والعينين.

فالقول ما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

قال: وسمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله صلي الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قولي وجعل يردد هذا الكلام.

ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا :

وروي عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: دخلت بلدة اليمن فرأيت بها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال: ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي: أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت: وكيف صنع به؟ فقيل: ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا.

ثلاثة تضني:

حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية فأخذهاالشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي ومن السنة أن يشيع المضيف الضيف إلى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام إلى أضيافه أن لا ينتظر

من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ونزل الإمام الشافعي رضي الله عنه بالإمام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت مني فخذماء الضيف على المضيف فرض

أعرض طعامك وابذله لمن أكلا ::: واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما ::: من القليل فلست الدهر محتفلا (١)

الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها:

قال: الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وإنه بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة. ثم أنشأ يقول:

اثنان مضيا فبورك فيهما ::: عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعي الألمعي محمد ::: إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث ::: من بعدهم سقياً لنوبة أحمد

قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي. قال: فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

رأيت بالمدينة أربع عجائب:

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب. رأيت جدة لها إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فلسة القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس. فقال أهكذا؟ علي بالإمام فنصب

(١) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ٣٩٩/١.

بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: - أعز الله الأمير - إيش جرمي، وهو يقول: حملنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب:

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ::: ويثقل يوماً إن تركت على عمد
وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب ::: وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ::: وصاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره ::: وإن نابه حق أتوه على قصد

هذا جزاء من سب آل رسول الله صلي الله عليه وسلم :

يقال: إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله ابن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري ابن الحكم البلخي - من قوم يقال لهم الزط - مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه، وحسن كلامه وأدبه وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتيان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجوار بيعه على أحد أقواله، ومنع فتيان منه، لأنه يمضي عتقه بكل وجه وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتيان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً فلم يرد عليه الشافعي حرفاً ومضى في كلامه في المسألة، فرفع ذلك رافع إلى السري،

فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتيان بذلك، فقال السري: لو شهد آخر مثل الشافعي. على فتيان لضربت عنقه، وأمر فتيان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادي: هذا جزاء من سب آل رسول الله صلي الله عليه وسلم . ثم إن قوماً تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقى وحده، فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله، فلم يزل فيه عليلاً حتى مات.

قال ابن يونس: كان للشافعي ابن اسمه محمد، قدم مع أبيه مصر وتوفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل: كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة. ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين [(١)].

هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة:

وقف الشافعي - رحمه الله - موقفًا حكيمًا مسددًا مع أهل الكلام، فقال - رحمه الله تعالى -: " حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، يُنادى عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام " [(٢)].

وقال: " مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد " [(٣)].

إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء:

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي - رحمه الله -: قصر الليث - رحمه الله -، بل إذا رأيتم

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٣٣٩/٢ - ٣٥٢.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠ / ٢٩، والبداية والنهاية ١٠ / ٢٥٤، وفتاوى ابن تيمية ١٦ / ٤٧٣.
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٩.

الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب [١].

شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق! :

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي - وهو في مصر - فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خُلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا " هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]، فاسْتَدَلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تَتَكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل [٢] على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وكان يقول بعد التوبة: " أنا خلق من أخلاق الشافعي " [٣].

من كلام الشافعي :

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٠، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٣. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٣٦٤/١ - ٣٦٧.

(٢) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي، هو المزني، الإمام العلامة علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥ هـ، وله المختصر في الفقه، وقد شرحه عدة من العلماء، توفي - رحمه الله - سنة ٢٦٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢ / ٤٩٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢.

ما تُقرِّب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم.

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

العلم ما نفع ليس ما حفظ.

ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم؛

وجهة العلم: ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو في القياس على هذه الأصول ما في معناها.

العالم يسأل عما يعلم، وعما لا يعلم، فيثبّت ما يعلم، ويتعلّم ما لا يعلم

والجاهل يغضب من التعلّم، ويأنف من التعليم.

كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه،

وكفى بالجهل شينا أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه.

إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ، جزاهم الله خيرا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن.

إذا أنت خفت على عملك العجب، فانظر:

رضا من تطلب، وفي أي ثواب ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عافية تشكر، وأي بلاء تذكر. فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال، صغر في عينك عملك.

إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة، عمرانها إلى خرائب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرق موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار.

فافزع إلى الله، وارض برزق الله، لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك. فان عيشك فيء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وأقصر من أملك.

لولا المحابر، لخطبت الزنادقة على المنابر.

اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل، فعليك بما ينفعك فألزمه.

ما رفعت من أحد فوق منزلته، إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه.

من إستُغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرضى فهو شيطان.

أصل العلم التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر، وأصل العمل التوفيق، وثمرته النجاح، وغاية كل أمر الصدق.

الانقباض عن الناس مكسبه للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل.

ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنه إن كان صغيرًا إستحقروه، وان كان كبيرًا إستهرموه.

ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته.

إذا ثبت الأصل في القلب، أخبر اللسان عن الفروع.

طبع ابن آدم على اللؤم، فمن شأنه أن يتقرّب ممن يتباعد عنه، ويتباعد ممن يتقرّب منه.

من واعظ أخاه سرًا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وخانه.

ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر، فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرّين فيختار أيسرهما.

- من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون بغير

قمح.

لا يعرف الرياء إلا المخلصون.

من نمّ لك نمّ عليك، ومن نقل إليك نقل عنك.

من تزيّن بباطل هتك الله ستره.

من كتم سرّه كانت الخيرة في يده.

قال رحمه الله: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

وقال: ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفصل من طلب العلم.

وقال: ما أفلح في العلم الا من طلبه في القلة ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر علي.

وقال: لا يطلب أحدا هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح.

وقال: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه.

وقال: من طلب علما فليدقق لئلا يضيع دقيق العلم.

وقال: من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينك وبينه صداقة ولا معرفة.

وقال: زينة العلماء التوفيق وحليتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس.

وقال: زينة العلم الورع والحلم.

وقال: لا عيب بالعلماء أقبح من رغبهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبتم فيه.

وقال: ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع.

وقال: فقر العلماء فقر اختيار وفقر الجهال فقر اضطرار.

وقال: المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن.

وقال: الناس في غفلة عن هذه السورة{إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ} [العصر: ٢].

وقال: الشافعي الظرف الوقوف مع الحق كما وقف.

وقال: ما كذبت قط ولا حلفت بالله صادقا ولا كاذبا.

وقال: ما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا غيره.

وقال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة الا شبعة طرحتها من ساعتي.

وقال: من لم تعزه التقوى فلا عز له.

وقال: ما فزعت من الفقر قط.

وقال: طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد.

وقيل للشافعي ما لك تدمن إمساك العصا ولست بضعيف، فقال: لأذكر أني مسافر يعني في الدنيا.

وقال: من شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة.

وقال: من غلبته شدة الشهوة لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع.

وقال: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال غنى النفس وكف الأذى وكسب الحلال ولبس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال.

وقال: أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.

وقال: من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه واجتناب المعاصي ويكون له خبئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل.

وفي رواية فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب.

وقال: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

وقال ليونس بن عبد الأعلى: لو اجتهدت كل الجهد على ان ترضي الناس كلهم فلا سبيل فاخلص عملك ونيتك لله عز وجل.

وقال: لو أوصى رجل بشيء لأعقل الناس صرف إلى الزهاد.

وقال: سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

وقال: العاقل من عقله عقله عن كل مذموم.

وقال: لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي لما شربته ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة.

وقال: للمروءة أربعة أركان حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك.

وقال: المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها.

وقال: أصحاب المروءات في جهد.

وقال: من أحب أن يقضي الله له بالخير فليحسن الظن بالناس.

وقال: لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع بالديانة والأمانة والصيانة والرزانة.

وقال: أقمت أربعين سنة أسأل إخواني الذين تزوجوا عن أحوالهم في تزوجهم فما منهم أحد قال: إنه رأى خيرا.

وقال: ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته وقال: من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وغفر الله.

وقال: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا.

وقال: ليس سرور بعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم.

وقال: لا تقصر في حق أخيك اعتمادا على مودته.

وقال: لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك وقال: من برك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك.

وقال: من نم لك نم بك، ومن إذا أرضيته قال: فيك ما ليس فيك، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك.

وقال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل.

وقال: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

وقال: من سام بنفسه فوق ما تساوي رده الله تعالى إلى قيمته.

وقال: الفتوة حلي الأحرار.

وقال: من تزين بباطل هتك ستره.

وقال: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام.

وقال: التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة.

وقال: أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله.

وقال: إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها.

وقال: من كتم سره كانت الخيرة في يده.

وقال: الشفاعات زكاة المروءات.

وقال: ما ضحك من خطأ رجل إلا ثبت الله صوابه في قلبه.

وقال: أبين ما في الإنسان ضعفه فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى.

وقال: قال رجل لأبي بن كعب رضي الله عنه: عظني فقال: واخ الإخوان على قدر تقواهم، ولا تجعل لسانك مذلة لمن لا يرغب فيه ولا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت.

وقال: من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غدا.

وقال: كن في الدنيا زاهدا، وفي الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج غدا مع الناجين

وقال: من كان فيه ثلاث خصال فقد أكمل الإيمان، من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه، وحافظ على حدود الله تعالى.

وقال لأخ له في الله تعالى يعظه ويخوفه: يا أخي إن الدنيا دحض منزله ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها للقبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض بزرق الله تعالى، ولا تستلف من دار بقائك في دار فنائك فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك وقصر من أملك.

وقال: أرجى حديث للمسلمين حديث أبي موسى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:(**إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهودي أو نصراني وقيل: يا مسلم هذا فداؤك من النار**) رواه مسلم في صحيحه

وقال: الاستنباط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط.

وقال: ما أكرمت أحدا فوق مقداره إلا اتضع من قدري عنده بمقدار ما زدت في إكرامه.

وقال: لا وفاء لعبد ولا شكر للئيم ولا صنيعة عند نذل.

وقال: صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة.

وقال: عاشر كرام الناس تعش كريما ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم.

وقال له رجل: أوصني، فقال: إن الله تعالى خلقك حرا، فكن حرا كما خلقك.

وقال: من سمع بأذنه صار حاكيا، ومن أصغى بقلبه كان واعيا، ومن وعظ بفعله كان هاديا.

وقال: من الذل أشياء حضور مجلس العلماء بلا نسخة وعبور الجسر بلا قطعة ودخول الحمام بلا سطل وتذلل الشريف للدنيء لينال منه شيئا وتذلل الرجل للمرأة لينال من مالها شيئا ومداراة الأحمق فإن مداراته غاية لا تدرك.

وقال: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص.

وقال: لا بأس على الفقيه أن يكون معه سفيه يسافه به.

وقال: إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله عز وجل فاصطنعها إلى من يتقي العار [١].

من شعر الحكمة للشافعي :

هذه هي الدنيا:

تموت الأسـد في الغابـات جوعـا ::: ولحـم الضـأن تأكلـه الكـلاب
وعبـد قـد ينـام علـى حريـر ::: وذو نسـب مفارشـه التـراب

دعوة إلى التنقل والترحال:

ما في المقام لـذي عقـل وذي أدب ::: من راحة فدع الأوطـان واغتـرب
سافر تجد عوضـا عمـن تفارقـه ::: وانْصَبْ فإن لذيذ العيش في النِّصب
إني رأيـت ركـود المـاء يفسـده ::: إن ساح طاب وإن لم يجـر لم يطـب
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست ::: والسهم لولا فراق القوس لم يصـب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ::: لملَّها الناس من عجم ومـن عـرب
والتِّبرُ كـالتُّرب مُلقـى في أماكنـه ::: والعود في أرضه نوع مـن الحطـب
فـإن تغـرّب هـذا عَـزّ مطلبـه ::: وإن تغـرب ذاك عـزّ كالـذهب

الضرب في الأرض:

سأضرب في طول البلاد وعرضـها ::: أنـال مـرادي أو أمـوت غريبـا
فإن تلفـت نفسـي فللـه درهـا ::: وإن سلمت كان الرجـوع قريبـا

آداب التعلم:

اصبر على مر الجفـا مـن معلـم ::: فـإن رسـوب العلـم في نفراتـه
ومن لم يـذق مـر الـتعلم سـاعة ::: تجـرع ذل الجهـل طـول حياتـه
ومن فاته التعلـيم وقـت شـبابه ::: فكـبر عليـه أربعـا لوفاتـه

وذات الفتى والله بـالعلم والتقـى ::: إذا لم يكونـا لا اعتبـار لذاتـه

(١) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١ / ٧٤ - ٧٨، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ ص ٤١ - ٤٦.

متى يكون السكوت من ذهب:

إذا نطـــق الســـفيه فـــلا تجبـــه ::: فخـــير مـــن إجابتـــه الســـكوت
فـــإن كلمتـــه فرّجـــت عنـــه ::: وإن خليتـــه كمـــدا يمـــوت

عدو يتمنى الموت للشافعي:

تمنى رجال أن أمـــوت، وإن أمـــت ::: فتلك سبيل لســـت فيهـــا بأوحـــد
وما موت من قد مات قبلي بضـــائر ::: ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلـــد
لعل الذي يرجـــو فنـــائي ويـــدّعي ::: به قبل موتي أن يكون هـــو الـــردى

لا تيأسن من لطف ربك:

إن كنت تغدو في الـــذنوب جليـــدا ::: وتخـــاف في يـــوم المعـــاد وعيـــدا
فلقد أتـــاك مـــن المهـــيمن عفـــوه ::: وأفاض مـــن نعـــم عليـــك مزيـــدا
لا تيأسن من لطف ربك في الحشـــا ::: في بطـــن أمـــك مضـــغة ووليـــدا
لو شاء أن تصـــلى جهـــنم خالـــدا ::: ما كـــان أَلْهـــمَ قلبـــك التوحيـــدا

فوائد الأسفار:

تغرب عن الأوطان في طلب العـــلا ::: وسافر ففي الأسفار خمـــس فوائـــد
تَفَرُّجُ هـــم، واكتســـاب معيشـــة ::: وعلـــم وآداب، وصـــحبة ماجـــد

الوحدة خير من جليس السوء:

إذا لم أجـــد خـــلا تقيـــا فوحـــدتي ::: ألذ وأشهى مـــن غـــوى أعاشـــره
وأجلـــس وحـــدي للعبـــادة آمنـــا ::: أقر لعـــيني مـــن جلـــيس أحـــاذره

أدب المناظرة:

إذا مـــا كنـــت ذا فضـــل وعلـــم ::: بمـــا اختلـــف الأوائـــل والأواخـــر
فنـــاظر مـــن تنـــاظر في ســـكون ::: حليمـــا لا تلـــح ولا تكـــابر
يفيدك مـــا اســـتفادا بـــلا امتنـــان ::: مـــن النكـــت اللطيفـــة والنـــوادر
وإيـــاك اللجـــوج ومـــن يرائـــي ::: بـــأني قـــد غلبـــت ومـــن يفـــاخر
فـــإن الشـــر في جنبـــات هـــذا ::: يمـــني بالتقـــاطع والتـــدابر

العلم مغرس كل فخر:

العلم مغرس كـــل فخـــر فـــافتخر ::: واحذر يفوتك فخـــر ذاك المغـــرس
واعلم بـــأن العلـــم لـــيس ينالـــه ::: مـــن همـــه في مطعـــم أو ملـــبس
إلا أخو العلـــم الـــذي يُعـــنى بـــه ::: في حالتيـــه عاريـــا أو مكتســـي
فاجعل لنفسك منـــه حظـــا وافـــرا ::: واهجر له طيـــب الرقـــاد وعـــبّسِ
فلعل يومـــا إن حضـــرت بمجلـــس ::: كنت أنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

نور الله لا يهدى لعاص:

شكوت إلى وكيـــع ســـوء حفظـــي ::: فأرشـــدني إلى تـــرك المعاصـــي
وأخـــبرني بـــأن العلـــم نـــور ::: ونـــور الله لا يهـــدى لعـــاص

لمن نعطي رأينا:

ولا تعطين الـــرأي مـــن لا يريـــده ::: فلا أنت محمود ولا الـــرأي نافعـــه

الذل في الطمع:

حســـــبي بعلمـــــي إن نفـــــع ::: مـــــا الـــــذل إلا في الطمـــــع!
مـــــن راقـــــب الله رجـــــع ::: مـــــا طـــــار طـــــير وارتفـــــع
إلا كمـــا طـــار وقـــع!

الحب الصادق:

تعصي الإله وأنـــت تظهـــر حبـــه ::: هـــذا محـــال في القيـــاس بـــديع
لو كـــان حبـــك صـــادقا لأطعتـــه ::: إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــع
في كـــل يـــوم يبتـــديك بنعمـــة ::: منه وأنت لشـــكر ذلـــك مضـــيع

فضل التغرب:

ارحل بنفسك من أرض تضـــام بهـــا ::: ولا تكن من فراق الأهل في حـــرق
فـــالعنبر الخـــام روث في موطنـــه ::: وفي التغرب محمـــول علـــى العنـــق
والكحل نوع من الأحجار تنظـــره ::: في أرضه وهو مرمى علـــى الطـــرق
والكحل نوع من الأحجار تنظـــره ::: فصار يحمل بـــين الجفـــن والحـــدق

مشاعر الغريب:

إن الغريب له مخافة سارق ::: وخضوع مديون وذلة موثق
فإذا تذكر أهله وبلاده ::: ففؤاده كجناح طير خافق

التوكل على الله:

توكلت في رزقي على الله خالقي ::: وأيقنت أن الله لا شك رازقي
وما يك من رزقي فليس يفوتني ::: ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله ::: ولو، لم يكن من اللسان بناطق
ففي اي شيء تذهب النفس حسرة ::: وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

العلم رفيق نافع:

علمي معي حيثما يممت ينفعني ::: قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ::: أو كنت في السوق كان العلم في السوق

تول أمورك بنفسك:

ما حك جلدك مثل ظفرك ::: فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة ::: فاقصد لمعترف بفضلك

فتنة عظيمة:

فساد كبير عالم متهتك ::: وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة في العالمين عظيمة ::: لمن بهما في دينه يتمسك

دعوة إلى التعلم:

تعلم فليس المرء يولد عالما ::: وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ::: صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كان عالما ::: كبير إذا ردت إليه المحافل

إدراك الحكمة ونيل العلم:

لا يدرك الحكمة من عمره ::: يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى ::: خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي ::: سارت به الركبان بالفضل
بُلي بفقر وعيال لما ::: فرق بين التبن والبقل

أبواب الملوك:

إن الملـــوك بـــلاء حيثمـــا حلـــوا ::: فلا يكن لـــك في أبـــو أبهـــم ظـــل
ماذا تؤمل مـــن قـــوم إذا غضـــبوا ::: جاروا عليك وإن أرضـــيتهم ملـــوا
فاستعن بالله عن أبـــو أبهـــم كرمـــا ::: إن الوقـــوف علـــى أبـــوابهم ذل

المهلكات الثلاث:

ثـــلاث هـــن مهلكـــة الأنـــام ::: وداعيـــة الصـــحيح إلى الســـقام
دوام مُدامـــــــــــة ودوام وطء ::: وإدخـــال الطعـــام علـــى الطعـــام

العلم بين المنح والمنع:

أأنثـــر درا بـــين ســـارحة البـــهم ::: وأنظـــم منثـــورا لراعيـــة الغـــنم
لعمري لئن ضُيعت في شـــر بلـــدة ::: فلست مُضيعا فيهم غـــرر الكلـــم
لـــئن ســـهل الله العزيـــز بلطفـــه ::: وصادفت أهـــلا للعلـــوم والحكـــم
بثثت مفيدا واســـتفدت ودادهـــم ::: وإلا فمكنـــون لـــدي ومُكْتـــتم
ومن منح الجهـــال علمـــا أضـــاعه ::: ومن منع المســـتوجبين فقـــد ظلـــم

العيب فينا:

نعيـــب زماننـــا والعيـــب فينـــا ::: ومـــا لزماننـــا عيـــب ســـوانا
ونهجـــو ذا الزمـــان بغـــير ذنـــب ::: ولـــو نطـــق الزمـــان لنـــا هجانـــا
وليس الذئب يأكـــل لحـــم ذئـــب ::: ويأكـــل بعضـــنا بعضـــا عيانـــا

يا واعظ الناس عما أنت فاعله:

يا واعظ الناس عمـــا أنـــت فاعلـــه ::: يا من يعد عليـــه العمـــر بـــالنفس
احفظ لشيبك من عيـــب يدنســـه ::: إن البياض قليـــل الحمـــل للـــدنس
كحامل لثيـــاب النـــاس يغســـلها ::: وثوبه غارق في الـــرجس والـــنجس
تبغي النجاة ولم تســـلك طريقتـــها ::: إن السفينة لا تجري علـــى اليـــبس
ركوبك النعش ينسيك الركوب على ::: ما كنت تركب من بغل ومن فـــرس
يـــوم القيامـــة لا مـــال ولا ولـــد ::: وضمة القبر تنســـي ليلـــة العـــرس

الصديق الصدوق:

إذا المـــرء لا يرعـــاك إلا تكلفـــا ::: فدعـــه ولا تكثـــر عليـــه التأســـفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحـــة ::: وفي القلب صبر للحبيب وإن جفــا
فما كل من تهـــواه يهـــواك قلبـــه ::: ولا كل من صافيته لك قـــد صـــفا
إذا لم يكن صـــفو الـــوداد طبيعـــة ::: فـــلا خـــير في ود يجـــيء تكلفـــا
ولا خـــير في خـــل يخـــون خليلـــه ::: ويلقاه مـــن بعـــد المـــودة بالجفـــا
وينكر عيشـــا قـــد تقـــادم عهـــده ::: ويظهر سرا كان بالأمس قـــد خفـــا
سلام على الـــدنيا إذا لم يكـــن بهـــا ::: صديق صدوق صادق الوعد منصفا

ومن شعر الشافعى:

ومتعب الـــنفس مرتـــاح إلى بلـــد ::: والمـــوت يطلبـــه في ذلـــك البلـــد
وضـــاحك والمنايـــا فـــوق هامتـــه ::: لو كان يعلم غيباً مات مـــن كمـــد
من كان لم يؤت علماً في بقـــاء غـــد ::: فلا يفكـــر لمـــا يجـــيء بعـــد غـــد

ومن شعر الشافعي - رضي الله عنه:

نعيـــبُ زماننـــا والعيـــبُ فينـــا ::: ومـــا لزماننـــا عيـــبٌ ســـوانا
ونهجـــو ذا الزمـــانَ بغـــير جـــرم ::: ولو نطـــق الزمـــانُ إذاً هجانـــا[1]

من شعر الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصـــب مـــن مـــنى ::: واهتف بقاعـــد خيفهـــا والنـــاهض
سحراً إذا فاض الحجـــيج إلى مـــنى ::: فيضاً كملـــتطم الفـــرات الفـــائض
إن كان رفضـــاً حـــب آل محمـــد ::: فليشهد الـــثقلان أني رافضـــي [2]

من شعر الشافعي:

قـــد يعســـر المـــرء في رزقـــه ::: ويـــرزق الفـــاجر والكـــافر
ويســـلم الأطمـــس مـــن حفـــرةٍ ::: يســـقط فيهـــا النـــاظر الباصـــر
ويحفـــظ الجاهـــل مـــن لفظـــةٍ ::: يهلـــك فيهـــا العـــالم المـــاهر
لا يعجـــب الإنســـان مـــن أمـــره ::: هـــذا الـــذي قـــدّره القـــادر [3]

ومن شعر الشافعي:

(١) القفطي، المحمدون من الشعراء، ص ٤١.
(٢) الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ٣٢/٢.
(٣) ابن كنان، يوميات شامية، ١ /٤.

أمتّ مطامعي فأرحت نفسي ::: فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً ::: ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد ::: علته مهانة وعلاه هون [(١)]

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ومن منح الجهال علماً أضاعه ::: ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقيل: ما كل تربية تحتمل القلائد، ولا كل ضريبة تستحق الفوائد.

روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه:

محن الزمان كثيرةٌ لا تنقضي ::: وسرورها يأتيك كالأعياد

وقال:

تأتي المكاره حين تأتي جملةً ::: ونرى السرور يجيء في الفلتات [(٢)]

ومن شعره:

إذا لم أجد خلاً تقياً فوحدتي ::: ألذ وأشهى من غويّ أعاشره
وأجلس وحدي للسفاهة آمناً ::: أقر لعيني من جليس أحاذره [(٣)]

و قول الإمام الشافعي:

وأحق خلق الله بالهم امرؤٌ ::: ذو همة يبلى بعيشٍ ضيقِ

و بعده:

فلا ينحلل في المجد مالك كله ::: فينحل نجدٌ كان بالمل عقدةُ
ودبره تدبير الذي المجد كفه ::: إذا حارب الأعداء والمال زندةُ
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ::: ولا مال في الدنيا لمن قل مجدةُ

وقال الإمام الشافعي:

أرى نفسي تتوق إلى أمورٍ ::: يقصر دون مبلغها مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ::: ومالي لا يبلغني فعالي

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢ / ١٤٧.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ١٥، ٤٨٤.
(٣) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ١ / ٢٥٦،.

وقال أيضاً:

يا لهف نفسي على مالٍ أفرقه ::: على المقلين من أهل المروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ::: ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ

وقال الإمام الشافعي:

خذوا بدمي ذلك الغزال فانه ::: رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه أنني أنا عبيده ::: وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد! [1]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم ::: سوى من غدا والبخل ملء إهابه
(فجردت من غمد القناعة صارما ::: قطعت رجائي منهم بذبابه)
(فلا ذا يراني واقفا في طريقه ::: ولا ذا يراني قاعدا عند بابه)
(غني بلا مال عن الناس كلهم ::: وليس الغنى إلا عن الشيء لا به)
(إذا ظالما يستحسن الظلم مذهبا ::: ولج عتوا في قبيح اكتسابه)
(فكله إلى صرف الليالي فإنها ::: ستبدي له ما لم يكن في حسابه)
(فكم قد رأينا ظالما متمردا ::: يرى النجم تيها تحت ظل ركابه)
(فعما قليل وهو في غفلاته ::: أناخت صروف الحادثات ببابه)
(فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ::: ولا حسنات تلتقي في كتابه)
(وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا ::: وصب عليه الله سوط عذابه) [2]

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

خبرت بني الدنيا فلم أر منهم ::: سوى خادع والخبث حشو إهابه
فجردت عن غمد القناعة صارما ::: قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا بطريقه ::: ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم ::: وليس الغنى إلا عن الشيء لا به[3]

(١) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ١/٢٥٠، ٢٦٠.
(٢) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ٢/١١٧.
(٣) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢، ٢ /٤٢٦.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

لــو أن بالحيــل الغــنى لوجــدتني ::: بنجــوم أفــلاك الســماء تعلقــي
لكن من رزق الحجا حــرم الغــنى ::: ضــدان مفترقـــان أي تفـــرق
فإذا سمعــت بــأن محرومــا أتــى ::: مــاء ليشـــربه فغــاص فصـــدق
أو أن محظوظـــا غـــدا في كفـــه ::: عود فــأورق في يديــه فحقــق [1]

ومن شعر الإمام الشافعي:

دَعِ الأيــامَ تفعــلُ مــا تشــاءُ ::: ولا تجـــزعْ لحادثـــةِ الليـــالي
وكنْ رجلاً علــى الأهــوالِ جَلْــداً ::: وإن كثُــرتْ عُيوبُــكَ في البَرايــا
تســتَّرْ بالسَّــخاءِ فكــلُّ عيــب ::: ولا تُــرِ للأعـــادي قـــطُّ ذُلاً
ولا تَــرْجُ السَّــماحةَ مــن بخيــلٍ ::: ورزقُــكَ لــيسَ يُنْقِصُــهُ التــأنّي
ولا حُــزنٌ يــدومُ ولا سُــرورٌ ::: إذا مــا كُنــتَ ذا قلــب قنــوعٍ
ومــنْ نزلــتْ بســاحَتِهِ المنايــا ::: وأرضُ اللهِ واســـعةٌ ولكـــنْ
دَعِ الأيــامَ تَغْــدِرُ كُــلَّ حــين ::: وطِبْ نفسَــاً إذا حكــمَ القضــاءُ
فمـــا لحـــوادِثِ الـــدنيا بقـــاءٌ ::: وشـــيمتُكَ السَّـــماحةُ والوفـــاءُ
وسَــرَّكَ أن يكــونَ لهــا غِطــاءُ ::: يُغطيــهِ كمــا قيــلَ السَّــخاءُ
فــإنَّ شماتــةَ الأعـــداءِ داء ::: فمـــا في النـــارِ للظمــآنِ مــاءُ
ولــيسَ يزيــدُ في الــرزقِ العَنَــاءُ ::: ولا بــؤسٌ عليــكَ ولا رَخــاءُ
فأنــتَ ومالِــكُ الــدنيا سَــواءُ ::: فــلا أرضٌ تَقيــه ولا سَــماءُ
إذا نــزلَ القَضــا ضــاقَ الفضــاءُ ::: فما يُغــني عــنِ المَــوتِ الــدّواءُ

ومن شعر الإمام الشافعي :

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ::: ولا أنثر الدر النفيس علــى الغــنم
فــإن يســر الله الكــريم بفضــله ::: وصادفت أهلا للعلــوم وللحكــم
بثثت مفيداً واســتفدت ودادهــم ::: وإلا فمخـــزون لـــدي ومكتـــتم
فمن منح الجهــال علمــاً أضــاعه ::: ومن منع المستوجبين فقد ظلــم [2]

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢ /٤٣٥.
(٢) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢ / ٢٥٥.

* * *

الإمام أبو حنيفة

أعـلام التابعيـن

الإمام أبو حنيفة

هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الفارسي عرف بالإمام الأعظم

كان جده من أهل كابل قد أسر عند فتح بلاده ثم من عليه. وأبو حنيفة - وإن كان مولى - لم يجر عليه الرق ولا على أبيه، بل كان حر النفس أصيلا ولم يكن نسبه الفارسي غاضا من قدره في عصر يقدم شرف التقوى على شرف النسب. وكان العلم في عصره أكثره في الموالي [1] فكانوا الوسط العلمي للدولة الإسلامية بعد الصحابة ردحا طويلا من الزمن فصدقت فيه نبوءة رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس)** [2].

ولد أبو حنيفة رضي الله عنه في الكوفة سنة ثمانين للهجرة على رواية الأكثرين ونشأ وتربى بها وعاش أكثر حياته فيها متعلما ومجادلا ومعلما.

ولد أبوه ثابت على الإسلام ويروى أنه التقى بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه صغيرا فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته.

نشأ أبو حنيفة رضي الله عنه في بيت إسلامي خالص، وقد ابتدأ حياته تاجرا ثم لفته الشعبي فقيه الأثر لما لمح فيه من مخايل الذكاء وقوة الفكر إلى الاختلاف إلى العلماء مع التجارة فانصرف إلى العلم دون أن يهمل التجارة.

تثقف أبو حنيفة رضي الله عنه بالثقافة الإسلامية التي كانت في عصره فقد حفظ القرآن على قراءة عاصم، ودرس الحديث وعرف قدرا من النحو والأدب والشعر، كما درس علم الكلام وأصول الدين، وجادل الفرق المختلفة في مسائل الاعتقاد وما يتصل به ثم عدل إلى الفقه واستمر عليه واستغرق كل مجهوده الفكري وقد ذكر في اختياره للفقه قوله: " كلما قلبته وأدرته لم يزدد إلا جلالة... ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته وطلب الدنيا والآخرة إلا به ".

(١) الموالي: اسم أطلقه المؤرخون على غير العرب من المسلمين.
(٢) مسند الإمام أحمد: ج ٢ / ص ٢٩٧.

وقد اتجه أبو حنيفة رضي الله عنه إلى دراسة الفتيا على المشايخ الكبار الذين كانوا في عصره ولزم شيخه حماد بن أبي سليمان مذ كان في الثانية والعشرين من عمره إلى أن مات شيخه وأبو حنيفة رضي الله عنه في الأربعين من عمره.

ومع ملازمة أبي حنيفة رضي الله عنه لشيخه حماد فقد كان كثير الرحلة إلى بيت الله الحرام حاجا يلتقي في مكة والمدينة بالفقهاء والمحدثين والعلماء يروي عنهم الأحاديث ويذاكرهم الفقه ويدارسهم ما عندهم من طرائق.

وكان يتتبع التابعين أينما وحيثما ثقفوا وخصوصا من اتصل منهم بصحابة امتازوا في الفقه والاجتهاد وقد قال في ذلك: " تلقيت فقه عمر وفقه عبد الله بن مسعود وفقه ابن عباس عن أصحابهم ".

وقد جلس الإمام أبو حنيفة في الأربعين من عمره في مجلس شيخه حماد بمسجد الكوفة وأخذ يدارس تلاميذه ما يعرض له من فتاوى وما يبلغه من أقضية ويقيس الأشباه بأشباهها والأمثال بأمثالها بعقل قوي مستقيم ومنطق قويم حتى وضع تلك الطريقة الفقهية التي اشتق منها المذهب الحنفي

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه بالغ التدين شديد التنسك عظيم العبادة صائما بالنهار قائما بالليل تاليا لكتاب الله خاشعا دائبا في طاعة الله قام الليل ثلاثين سنة وكان القرآن الكريم ديدنه وأنيسه

كان كثير البكاء يرحمه جيرانه لكثرة بكائه كثير الحياء جم الأدب وخاصة مع شيوخه بارا بوالديه يدعو لهما في كل صلاة ويتصدق عنهما.

كان كثير الورع يقول: " لو أن عبدا عبد الله تعالى حتى صار مثل هذه السارية ثم إنه لا يدري ما يدخل في بطنه حلال أو حرام ما تقبل منه ". ولذا كان شديد الحرج في كل ما تخالطه شبهة الإثم فإن ظن إثما أو توهمه في مال خرج منه وتصدق به على الفقراء والمحتاجين وقد تصدق ببضاعته كلها عندما باع شريكه ثوبا معيبا دون أن يظهر عيبه.

كان عظيم الأمانة في معاملاته حتى شبهه كثيرون في تجارته بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فكان مثلا كاملا للتاجر المستقيم كما هو في الذروة بين

العلماء. قال فيه معاصره مليح بن وكيع: " كان أبو حنيفة عظيم الأمانة وكان والله في قلبه جليلا كبيرا عظيما وكان يؤثر رضا ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ".

ومن أخلاقه السماحة والجود فقد كانت تجارته تدر عليه الدر الوفير رغم ورعه واكتفائه من الربح بالقدر اليسير وكان ينفق أكثره على المشايخ والمحدثين اعترافا بفضل الله عليه فيهم

قال فيه الفضيل بن عياض: " كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه واسع المال معروفا بالأفضال على كل من يطيف به صبورا على تعلم العلم بالليل والنهار حسن الليل كثير الصمت قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام فكان يحسن أن يدل على الحق رهابا من مال السلطان ".

كان رحمه الله واحد زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمواساة والورع والإيثار لله تعالى.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه حريصا على أن يكون مظهره كمخبره حسنا فكان كثير العناية بثيابه كثير التطيب حسن الهيئة يحث من يعرفه على العناية بملبسه وسائر مظهره مذكرا بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)** [١].

عاش أبو حنيفة رضي الله عنه عصرا مليئا بالمشاحنات والتيارات فقد أدرك دولتي بني أمية والعباس، وكان موقفه واضحا من كل ما يجري حوله ولم يعرف عنه يوما أنه خرج مع الخارجين أو ثار مع الثائرين... لكن لما طلب منه عمر بن هبيرة والي الأمويين على الكوفة أن يعمل معه امتنع فسجن وعذب ثم هرب ولجأ إلى مكة واتخذها مقاما ومستقرا له من سنة (١٣٠ - ١٣٦) للهجرة فعكف على الفقه والحديث يطلبهما بمكة التي ورثت علم ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) الترمذي: ج ٥ / كتاب الزينة باب ٤١ / ٢٨١٩.

ولما استتب الأمر للعباسيين عاد إلى الكوفة وأعلن ولاءه لهم وتابع حلقات درسه في مسجد الكوفة. واستمر على ولائه للدولة العباسية إلا أنه على ما يظهر انتقد موقف الخليفة المنصور من بعض آل البيت من أبناء علي رضي الله عنه وكان حول الخليفة كثيرون يحسدون أبا حنيفة - رضي الله عنه - ويوغرون صدر المنصور عليه فكان أن عرض عليه الخليفة المنصور منصب القضاء امتحانا لإخلاصه فاعتذر الإمام عن قبول المنصب تحرجا من الوقوع في الإثم لأنه يرى القضاء منصبا خطيرا لا تقوى نفسه على احتماله وتعرض لمحنة قاسية بسبب رفضه إذ وجد الخليفة المنصور الفرصة مواتية للنيل منه فسجن وعذب ثم أخرج من السجن على أن يفتي فكان يرجع المسائل ولا يفتي فيها بشيء فسجن من جديد ثم أخرج ومنع من الفتوى والناس والخروج من المنزل فكانت تلك حاله إلى أن توفي رحمه الله سنة (١٥٠) للهجرة على أصح الأقوال. وقيل إنه مات مقتولا بالسم في سجنه رحمه الله.

وكان قد أوصى أن يدفن بأرض الخيزران فحمل إليها. وقدر عدد من شيع جنازته وصلى عليها بخمسين ألفا. وقد صلى المنصور نفسه عليها إقرارا منه بعظمة دينه وتقواه وقال: من يعذرني منك حيا وميتا؟ رحم الله الإمام.

منزلته العلمية ومصادر علمه:

كان الإمام أبو حنيفة فقيها مستقلا قد سلك في تفكيره مسلكا استقل به وتعمق فيه. وقد بقيت أصوات الثناء تتجاوب في الأجيال تعطر سيرته قال أحد العلماء: " أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول منه صمتا، فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة بالكلام ". كما وصفه معاصره الورع التقي عبد الله بن المبارك بأنه مخ العلم فهو قد أصاب من العلم اللباب ووصل فيه إلى أقصى مداه وكان يستبطن المسائل ويستكنه كنهها ويتعرف أصولها ويبني عليها. ولقد شغل عصره بفكره وعلمه ومناظراته فهو بين المتكلمين يناقشهم ويدفع أهواء ذوي الأهواء ويناقش الفرق المختلفة وله رأي في مسائل علم الكلام أثر عنه بل هناك رسائل نسبت إليه وله في الفقه والتخريج وفهم الأحاديث واستنباط علل أحكامها والبناء عليها المقام

الأعلى حتى إن بعض معاصريه قال: " إنه لم يعرف أحدا أحسن فهما للحديث منه ".

من أين جاء لأبي حنيفة رضي الله عنه كل هذا العلم؟ ما مصادره؟ ما مهيئاته؟ ما الذي توافر له حتى كان منه ما رواه تاريخ العالم الإسلامي؟

لقد تهيأ لتوجيه أبي حنيفة رضي الله عنه توجيها علميا ولنبوغه في وجهته أمور أربعة أولها: صفاته التي جبل عليها ثانيها: شيوخه الموجهون الذين التقى بهم وأثروا فيه ثالثها: حياته الشخصية وتجاربه ورابعها: العصر الذي أظله والبيئة الفكرية التي عاش فيها.

اتصف أبو حنيفة رضي الله عنه بصفات جعلته في الذروة بين العلماء صفات العالم الحق الثبت الثقة البعيد المدى في تفكيره المتطلع إلى الحقائق الحاضر البديهة الذي تسارع إليه الأفكار.

كان رضي الله عنه ضابطا لنفسه مستوليا على مشاعره لا تعبث به الكلمات العارضة ولا تبعده عن الحق العبارات النابية كان يقول: " اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له ". وقد أوتي استقلالا في تفكيره جعله لا يخضع في رأيه إلا لنص من كتاب أو سنة أو فتوى صحابي ولم يؤثر فيه الحب والبغض.

كان عميق الفكرة بعيد الغور في المسائل لا يكتفي بالبحث في ظواهر الأمور والنصوص ولا يقف عند ظاهر العبارة بل يسير وراء مراميها البعيدة أو القريبة ولعل ذلك العقل الفلسفي المتعمق هو الذي دفعه لأن يتجه أول حياته إلى علم الكلام كما دفعه لدراسة الحديث دراسة متعمقة يبحث عن علل ما اشتمل عليه من أحكام مستعينا بإشارات الألفاظ ومرامي العبارات.

كان حاضر البديهة لا تحتبس فكرته ولا يفحم في جدال واسع الحيلة يعرف كيف ينفذ إلى ما يفحم به خصمه من أيسر السبل وله في ذلك غرائب ومدهشات حتى قيل فيه: إنه لو أراد أن يثبت الحكم وعكسه لما أعجزه ذلك.

كان مخلصا في طلب الحق مما نور قلبه وأضاء بصيرته فكان لا يهمه إلا الحق سواء كان غالبا أو مغلوبا. وكان لإخلاصه لا يفرض في رأيه أنه الحق

المطلق بل يقول: " قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا ".

هذه جملة الصفات التي جعلت من أبي حنيفة رضي الله عنه فقيها انتفع بكل غذاء روحي وصل إليه كما التقى الإمام أبو حنيفة بعدد من الذين عمروا من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله ابن أبي أوفى وسهل بن سعد رضوان الله عليهم ولكنه لم يرو عنهم إذ كان في سن لقائه بهم صغيرا ولكن أجمع العلماء على أنه التقى بكبار التابعين وجالسهم ودارسهم وروى عنهم وتلقى فقههم.

وقد قال: " كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيها من فقهائهم ".

وهذا يدل على أنه عاش في وسط علمي وجالس العلماء وعرف مناهج بحثهم ثم اختار من بينهم فقيها وجد فيه ما يرضي نزوعه العلمي وهو حماد بن أبي سليمان الذي انتهت مشيخة الفقه العراقي في عصره فلزمه ثماني عشرة سنة. وكان حماد قد تلقى معظم فقهه على إبراهيم النخعي فقيه الرأي كما تلقى عن الشعبي فقيه الأثر وهما اللذان انتهى إليهما فقه الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكانا قد أقاما بالكوفة وأورثا أهلها تراثا فقهيا عظيما.

ومن شيوخه عطاء بن أبي رباح الذي أخذ خلاصة علم ابن عباس رضي الله عنهما عن مولاه عكرمة. وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يلازمه ما دام مجاورا لبيت الله الحرام.

ومنهم نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وقد أخذ عنه أبو حنيفة رضي الله عنه علم ابن عمر وعلم عمر رضي الله عنهما. وهكذا اجتمع للإمام أبي حنيفة علم عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم عن طريق من تلقى عنهم من تابعيهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يقتصر الإمام أبو حنيفة على الأخذ عن هؤلاء الفقهاء بل تجاوز ذلك إلى أئمة آل البيت فأخذ عنهم ودارسهم منهم الإمام زيد بن علي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن.

ولم يكن اتصال أبي حنيفة رضي الله عنه العلمي مقصورا على رجال الجماعة وأئمة آل البيت بل اتصل بمختلف الفرق وتعرف على آرائهم وأقوالهم فكان يأخذ من كل هذه العناصر ثم يخرج منها بفكر جديد ورأي قويم لم يكن من نوعها وإن كان فيه خيرها.

وهكذا نستطيع أن نقول إنه تلقى فقه الجماعة الإسلامية بشتى منازعها وإن كان قد غلب عليه تفكير أهل الرأي بل عد شيخ أهل الرأي.

كما كانت حياة الإمام أبي حنيفة ودراساته وتجاربه تتجه به نحو تكوين فقيه العراق الأول.

فقد زاول التجارة وكان عليما بأحوال البيع والعرف التجاري مما جعله يتكلم في معاملات الناس وأحكامها كلام الخبير الفاهم فجعل للعرف مكانا في تخريجه الفقهي وأحسن التخريج بالاستحسان عندما يكون في القياس منافاة للمصلحة أو العدالة.

كما كان كثير الرحلة إلى الحج وغيره يلتقي بالعلماء يدارس ويذاكر ويناظر ويروي ويفتي. هذا إلى ما تفيده الرحلات نفسها من فتق للذهن ومعرفة بمواطن الوحي والبلاد المختلفة فيحيط خبرا بمعاني الآثار ودقائق الأخبار ويحسن التفريع في المسائل الفقهية ويحكم تصورها والإلمام بأحكامها.

وقد كان أبو حنيفة رضي الله عنه مغرما بالجدل والمناظرة منذ شب في طلب العلم ومجادلته في العقائد أرهفت تفكيره وعمقت مداركه ومناظراته في الفقه أطلعته على أحاديث وأوجه للقياس وفتاوى للصحابة لم يكن مطلعا عليها.

وطريقة الإمام أبي حنيفة الخاصة في التدريس جعلت درسه مجالا لتثقيف المعلم والمتعلم معا فقد كان يطرح الفكرة ويناقشها مع تلاميذه كل يدلي برأيه مخالفا أو موافقا وبعد تقليب النظر يدلي هو بالرأي الذي تنتجه هذه الدراسة فيقر الجميع به. وهذا جعل علمه في نمو متواصل وفكره في تقدم مستمر.

وأدرك الإمام أبو حنيفة العصر الأموي في عنفوانه وقوته ثم في تحدره وانهياره وأدرك الدولة العباسية في نشأتها قوية ظافرة ناهضة مسيطرة.

وعاش أبو حنيفة رضي الله عنه في العصر الأموي اثنتين وخمسين سنة وهي السن التي تربى فيها وبلغ أشده ثم بلغ أوجه العلمي ونضجه الفكري الكامل. ولم يدرك من العصر العباسي إلا ثماني عشرة سنة وكانت عاداته الفكرية ومناهجه العلمية قد استقامت وصار ينتج الكثير ولا يأخذ إلا القليل. وعلى هذا فما أخذه الإمام أبو حنيفة من عصره كان أكثره من الأموي وأقله من العباسي وكان العصر العباسي نموا لما في العصر الأموي ونتائج لمقدمات بدأت قبله.

وقد أغنت الحياة السياسية الحافلة بالصراعات والاتجاهات والحياة الاجتماعية التي ضمت عناصر مختلفة لكل منها طابع خاص رغم أنها انصهرت جميعها في بوتقة الإسلام والمشاغل الفكرية في أمور العقيدة وما نشأ عنها من فرق ونحل وازدهار حركة الترجمة عن الفكر اليوناني والفارسي والهندي وتفرغ العلماء للخوض في علوم الدين الذي أثمر حركة التدوين للحديث وكثرة المناظرات والرحلات العلمية. أغنت هذه الأجواء السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية مدارك الفقهاء وساعدت في تفتق أذهان العلماء وأوجدت مناخا ملائما ساعد في استخراج المسائل وفي فرض الفروض والتصورات.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه أشهر فقهاء الرأي كما كان مالك أشهر فقهاء الحديث. ويقصد بالرأي: كل ما يفتي فيه الفقيه في الأمور التي لا يجد فيها نصا ويعتمد في فتواه على ما عرف من الدين بروحه العامة أو ما يتفق مع أحكامه في جملتها في نظر المفتي أو ما يكون مشابها لأمر منصوص عليه فيها فيلحق الشبيه بالشبيه. وعلى ذلك يكون الرأي شاملا للقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف.

وأساس الاختلاف بين أهل الرأي وأهل الحديث ليس في الاحتجاج بالسنة بل في أمرين: في الأخذ بالرأي وفي تفريغ المسائل تحت سلطانه. فقد كان أهل الحديث لا يأخذون بالرأي إلا اضطرارا ولا يفرغون المسائل فلا يستخرجون أحكاما لمسائل لم تقع بل لا يفتون إلا فيما يقع من الوقائع. أما أهل الرأي

فيكثرون في الإفتاء بالرأي ما دام لم يصح لديهم حديث في ذلك الموضوع الذي يجتهدون فيه ولا يكتفون باستخراج أحكام المسائل الواقعة بل يفرضون مسائلا غير واقعة ويضعون لها أحكاما بآرائهم. وكان أكثر أهل الحديث بالحجاز لأنه موطن الصحابة الأول ومكان الوحي ولأن التابعين الذين أقاموا فيه تخرجوا على صحابة لم يكثروا من الرأي. وأكثر أهل الرأي كانوا بالعراق لأنهم تخرجوا على ابن مسعود رضي الله عنه وهو ممن كانوا يتحرجون في الرواية عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يتحرج في الاجتهاد برأيه ولأن العراق كان موطنا لفلسفات وعلوم مدارس قديمة كما أن أسباب الرواية لم تتوافر عند أهله.

وقد عرف أبو حنيفة رضي الله عنه باتجاهه إلى الفرض والتقدير فكان يقدر مسائل لم تقع ويبين حكمها ويوضح أدلتها ويقول في ذلك: " إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه ".

وهكذا زاد أبو حنيفة رضي الله عنه الفقه التقديري نموا وأكثر فيه وسلك الفقهاء من بعده مسلك الفرض والتقدير واختلفوا في المقدار.

ذكر العلماء مسندا من الأحاديث والآثار منسوبا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه ولكن أكثر الآراء على أن أبا حنيفة رضي الله عنه لم يدون في الفقه كتابا مبوبا فقد كان المعروف أن تلاميذه يدونون آراءه ويقيدونها وربما كان ذلك بإملائه أحيانا وكان هو يراجع ما دون أحيانا ليقره أو ليغيره. وكان في جلساته الفقهية مع تلاميذه يلقي مسألة مسألة يقلبها ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم حتى يستقر أحد الأقوال فيها ثم يثبتها أبو يوسف في الأصول حتى أثبت الأصول كلها. وبهذا النحو من التحرير دون مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه ونشره أصحابه كتبا مبوبة مرتبة منظمة.

وكانت الأقوال التي نقلها أصحاب الإمام أبي حنيفة خالية من الدليل إلا ما يكون من أثر منقول أو خبر مشهور أو اعتماد على فتوى صحابي أو انتهاء إلى رأي تابعي وقليلا ما يذكر قياسها أو عماد استحسانها اللهم إلا ما كتب أبي يوسف ولا تحكي إلا القليل. ولا شك أن ذلك يبعد بنا عن معرفة الإمام أبي

حنيفة القياس صاحب الاستحسان الذي عد أقوى قائس في عصره فلم يجرؤ أحد على منازعته القياس إذا قايس أو استحسن.

وإذا كانت الطبقة التي وليت أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه قد عنيت بالاستدلال واستخراج الأقيسة في الأحكام وبيان أوجه الاستحسان وأحكام العرف فإننا لسنا على ثقة كاملة من أن هذا الاستدلال الذي يسوقونه هو نفس ما كان يفكر فيه الإمام أبو حنيفة وما اهتدى على ضوئه إلى ما قرره من أحكام.

كان لأبي حنيفة رضي الله عنه تلاميذ كثيرون منهم من كان يرحل إليه ويستمع أمدا ثم يعود إلى بلده بعد أن يأخذ طريقه ومنهاجه ومنهم من لازمه. وقد قال هو في أصحابه الذين لازموه: " هؤلاء ستة وثلاثون رجلا منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء وستة يصلحون للفتوى واثنان أبو يوسف وزفر يصلحان لتأديب القضاة وأرباب الفتوى ".

ولا شك أن هؤلاء الصحاب الذين يقرر أبو حنيفة رضي الله عنه صلاحيتهم للقضاء والإفتاء وتأديب القضاة كانوا في حياته من النضج العلمي بحيث يمكن أن تعهد إليهم هذه الأمور الخطيرة وكانوا في سن تؤهلهم لها. أما محمد بن الحسن فقد كان في الثامنة عشر من عمره حينما توفي أبو حنيفة رحمه الله ولم تكن سنه تؤهله للقضاء مع أننا سنجد فقه أبي حنيفة - رضي الله عنه - خاصة وفقه العراقيين عامة مدين لمحمد ابن الحسن بكتبه فهي التي حفظته وأبقته للأخلاف مرجعا يرجع إليه ومنهلا يستقى منه.

المذهب الحنفي وانتشاره:

المذهب الحنفي الذي تلقته الأجيال وخرج العلماء المسائل على ما استنبط من أصوله هو مدرسة فقهية تجمع آراء الإمام أبي حنيفة واجتهاداته إلى أقوال واجتهادات أصحابه وتلاميذه وبعض معاصريه كما تضم ما أضافه فقهاء آخرون تبنوا المذهب وساروا على نفس أصوله وإن لم يعاصروا شيخه. فكان لاختلاط الرواية عن الإمام أبي حنيفة بالرواية عن غيره ولاتحاد الأصول أثر في مزج الآراء وجعل مجموعها مذهبا واحدا.

وقد نشأ المذهب في موطن الإمام في الكوفة ثم تدارسه العلماء ببغداد بعد وفاة شيخه ثم شاع وانتشر في أكثر البقاع الإسلامية فكان في العراق ثم في مصر والشام وبلاد الروم وما وراء النهر ثم اجتاز الحدود فكان في الهند والصين حيث لا منافس له ولا مزاحم ويكاد يكون المنفرد في تلك الأصقاع النائية إلى الآن إذ المسلمون في الهند والصين يسيرون في عبادتهم وفي تنظيم أسرهم عليه دون سواه.

وقد ابتدأ ينال المنزلة الرسمية التي يسرت له الانتشار منذ أن ولي أبو يوسف منصب القضاء للرشيد ثم صار قاضي القضاة فكان لا يعين قاضيا في البلاد الإسلامية من أقصى المشرق إلى شمالي إفريقية إلا أن يكون حنفيا. فكان المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة وفي عهد العباسيين ثم العثمانيين.

وإذا كان انتشار المذهب الحنفي في أول الأمر بسبب اختيار الخلفاء للقضاة من أئمته فقد اكتسب نفوذا قويا بسبب إلف الناس له ونشاط العلماء والمناظرات فيه. كما أن طبيعة المذهب المرنة جعلته قابلا لكل الأزمنة ملائما لكل الظروف والبيئات.

مواقف من حياة الإمام أبي حنيفة:

تزببت قبل أن تحصرم:

لما جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله رجلا فسأله عن خمس مسائل:

الأولى: قصار جحد الثوب وجاء به مقصورا هل يستحق الأجرة أم لا؟ فأجاب أبو يوسف رحمه الله: لايستحق الأجر فقال له الرجل: أخطأت فقال: لا يستحق فقال: أخطأت ثم قال له الرجل: إن كانت القصار قبل الجحود استحق وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة فقال: بالفرض فقال: أخطأت. فقال: بالسنة فقال: لا أخطأت. فتحير أبو يوسف رحمه الله. فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق: هل يأكلان؟ أم لا؟ فقال: يؤكل. فخطأه فقال: لا يؤكل فخطأه ثم قال: إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا وبؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل له.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر فقال أبو يوسف رحمه الله: في مقابر المسلمين فخطأه فقال: في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير أبو يوسف.

فقال الرجل: تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى فقال: تجب فخطأه ثم قال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها: لا تجب وإلا: وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال: تزببت قبل أن تحصرم.

من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه:

وفي مناقب الكردري: أن سبب انفراده أنه مرض مرضا شديدا فعاده الإمام وقال: لقد كنت آملك بعدي للمسلمين ولئن أصبت ليموتن علم كثير فلما برأ أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي وقال له حين جاء: ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلسا لا يحسن مسألة في الإجارة: ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه انتهى.

خدعتني امرأة وفقهتني امرأة وزهدتني امرأة :

وفي مناقب الكرري: قال الإمام الأعظم رحمه الله: خدعتني امرأة وفقهتني امرأة وزهدتني امرأة

أما الأولى: قال: كنت مجتازا فأشارت إلي امرأة إلى شيء مطروح في الطريق فتوهمت أنها خرساء وأن الشيء لها فلما رفعته إليها قالت: احفظه حتى تسلمه لصاحبه.

الثانية: سألتني امرأة عن مسألة في الحيض فلم أعرفها فقالت قولا تعلمت الفقه من أجله.

الثالثة: مررت ببعض الطرقات فقالت امرأة: هذا الذي يصل الفجر بوضوء العشاء فتعمدت ذلك حتى صار دأبي.

لا أرجو الجنة ولا أخاف النار:

وسئل الإمام رحمه الله تعالى عمن قال: أرجو الجنة ولا أخاف النار ولا أخاف الله تعالى وآكل الميتة وأصلي بلا قراءة وبلا ركوع وسجود وأشهد بما لم أره وأبغض الحق وأحب الفتنة فقال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل.

فقال الإمام: هذا الرجل يرجو الله لا الجنة ويخاف الله لا النار ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه ويأكل السمك والجراد ويصلي على الجنازة ويشهد بالتوحيد ويبغض الموت وهو حق ويحب المال والولد وهما فتنة له.

فقام السائل وقبل رأسه وقال: أشهد أنك للعلم وعاء.

حكاية الإمام مع قتادة: في امرأة المفقود

لا أجيبكم بشيء:

قدم قتادة الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال: سلوني عن الفقه فقال الإمام: ما تقول في امرأة المفقود فقال: قول عمر رضي الله تعالى عنه تتربص أربع سنين ثم تعتد عدة الوفاة وتتزوج بما شاءت له قال: فإن جاء زوجها الأول وقال: تزوجت وأنا حي وقال الثاني: تزوجتني ولك زوج أيهما يلاعن؟ فغضب قتادة وقال: لا أجيبكم بشيء.

أول مسألة خالف فيها أستاذه:

قال الإمام: خرجنا مع حماد نشيع لأعمش وأعوز الماء لصلاة المغرب فأفتى حماد بالتيمم لأول الوقت فقلت: يؤخر إلى آخر الوقت فإن وجد الماء وإلا يتيمم ففعلت فوجد في آخر الوقت وهذه أول مسألة خالف فيها أستاذه.

جارة لها غلام:

وكان للإمام جارة لها غلام أصاب منها دون الفرج فحبلت فقال أهلها له: كيف تلد وهي بكر فقال: هل لها أحد تثق به قالوا: عمتها فقال: تهب الغلام منها ثم تزوجها منه فإذا أزال عذرتها ردت الغلام إليها فيبطل النكاح.

حكاية النسوة يغنين :

وخرج الإمام إلى بستان فلما رجع مع أصحابه إذ هو بابن أبي ليلى راكبا على بغلته فتسايرا فمرا على نسوة يغنين فسكتن فقال الإمام: أحسنتن فنظر ابن أبي ليلى في قمطره فوجد قضية فيها شهادته فدعاه ليشهد في تلك القضية فلما شهد أسقط شهادته وقال: قلت للمغنيات: أحسنتن فقال: متى قلت ذلك حين سكتن أم حين كن يغنين قال: حين سكتن قال: أردت بذلك: أحسنتن بالسكوت فأمضى شهادته.

حكاية الأختين والأخوين وإفتاء الإمام :

و كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى في وليمة في الكوفة وفيها العلماء والأشراف وقد زوج صاحبها ابنيه من أختين فغلطت النساء فزفت كل بنت إلى غير زوجها ودخل بها فأفتى سفيان بقضاء علي رضي الله عنه: على كل منهما المهر وترجع كل إلى زوجها فسئل الإمام فقال: علي بالغلامين فأتي بهما فقال: أيحب كل منكما أن يكون المصاب عنده قالا: نعم فقال لكل منهما: طلق التي عند أخيك ففعل ثم أمر بتجديد النكاح فقام سفيان فقبله بين عينيه

كلب الروم والمسائل الثلاث :

وحكى الخطيب الخوارزمي أن كلب الروم أرسل إلى الخليفة مالا جزيلا على يد رسوله وأمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل فإن هم أجابوك: أبذل لهم المال وإن لم يجيبوك فاطلب من المسلمين الخراج فسأل العلماء فلم يأت أحد بما فيه مقنع وكان الإمام إذ ذاك صبيا حاضرا مع أبيه فاستأذنه في جواب الرومي فلم يأذن له فقام واستأذن من الخليفة فأذن له وكان الرومي على المنبر فقال له: أسائل أنت؟ قال: نعم.

قال: أنزل مكانك الأرض ومكاني المنبر فنزل الرومي وصعد أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقال: سل فقال: أي شيء كان قبل الله تعالى قال: هل تعرف العدد قال: نعم قال: ما قبل الواحد قال: هو الأول ليس قبله شيء قال: إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظ شيء فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي فقال الرومي: في أي جهة وجه الله تعالى؟ قال: إذا أوقدت السراج فإلى أي وجه نوره قال: ذاك نور يستوي فيه الجهات الأربع فقال: إذا كان النور المجازي المستفاد الزائل لا وجه له إلى جهة فنور خالق السموات والأرض الباقي الدائم المفيض كيف يكون له جهة؟ قال الرومي: بماذا يشتغل وجه الله تعالى قال: إذا كان على المنبر مشبه مثلك نزله وإذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه كل يوم هو في شأن فترك المال وعاد إلى الروم.

وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف رحمه الله :

وصية الإمام الأعظم أبي يوسف رحمه الله بعد أن ظهر له منه الرشد وحسن السيرة والإقبال على الناس فقال له: يا يعقوب وقر السلطان وعظم منزلته وإياك والكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقت ما لم يدعك لحاجة علمية فإنك إذا أكثرت إليه الاختلاف تهاون بك وصغرت منزلتك عنده فكن منه كما أنت من النار تنتفع وتتباعد ولا تدن منها فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه وإياك وكثرة الكلام بين يديه ة فإنه يأخذ عليك ما قلته ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وإنه يخطئك فتصغر في أعين قومه ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك.

ولا تدخل عليه وعنده من أهل العلم من لا تعرفه فإنك إن كنت أدون حالا منه لعلك تترفع عليه فيضرك وإن كنت أعلم منه لعلك تنحط عنه فتسقط بذلك من عين السلطان وإذا عرض عليك شيئا من أعماله فلا تقبل منه إلا بعد أن تعلم أنه يرضاك ويرضى مذهبك في العلم والقضايا كيلا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته بل تقرب إليه فقط وتباعد عن حاشيته ليكون مجدك وجاهك باقيا.

ولا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تسأل عنه وإياك والكلام في العامة والتجار إلا بما يرجع إلى العلم كيلا يوقف على حبك ورغبتك في المال فإنهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم ولا تضحك ولا تتبسم بين يدي العامة.

ولا تكثر الخروج إلى الأسواق ولا تكلم المراهقين فإنهم فتنة ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رؤوسهم ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامة فإنك إن قدمتهم ازدرى ذلك بعلمك وإن أخرتهم ازدرى بك من حيث إنه أسن منك فإن النبي صلي الله عليه وسلم قال:(**من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا**) ولا تقعد على قوارع الطريق فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد ولا تأكل في الأسواق والمساجد ولا تشرب من السقايات ولا من أيدي السقائين ولا تقعد على الحوانيت ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الإبريسم فإن ذلك يفضي إلى الرعونة.

ولا تكثر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش إلا وقت حاجتك إليها بقدر ذلك.

ولا تكثر لمسها ومسها ولا تقربها إلا بذكر الله تعالى ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري فإنها تنبسط إليك في كلامك ولعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الأجانب.

ولا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أم أو بنت إن قدرت إلا بشرط ألا يدخل عليها أحد من أقاربها فإن المرأة إذا كانت ذات مال يدعي أبوها أن جميع مالها له وأنه عارية في يدها ولا تدخل بيت أبيها ما قدرت.

و إياك أن ترضى أن تزف في بيت أبويها فإنهم يأخذون أموالك ويطمعون فيها غاية الطمع وإياك وأن تتزوج بذات البنين والبنات فإنها تدخر جميع المال لهم وتسرق من مالك وتنفق عليهم فإن الولد أعز عليها منك.

ولا تجمع بين امرأتين في دار واحدة ولا تتزوج إلا بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها.

واطلب العلم أولا ثم أجمع المال من الحلال ثم تزوج فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج إلى القيام بمصالحهم وتترك العلم وأشتغل بالعلم في عنفوان شبابك وقت فراغ قلبك وخاطرك ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك فإن كثرة الولد والعيال يشوش البال فإذا جمعت المال ة فتزوج.

وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ولا تستخف بالناس ووقر نفسك ووقرهم ولا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك وقابل معاشرتهم بذكر المسائل فإنه إن كان من أهله اشتغل بالعلم وإن لم يكن من أهله أحبك.

وإياك وأن تكلم العامة بأمر الدين في الكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ومن جاءك يستفتيك في المسائل فلا تجب إلا عن سؤاله ولا تضم إليه غيره فإنه يشو ش عليك جواب سؤاله.

وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تعرض عن العلم فإنك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا وأقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولدا لتزيدهم رغبة في العلم ومن ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فإنه يذهب ماء وجهك ولا تحتشم من أحد عند ذكر الحق وإن كان سلطانا ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها فالعامة إذا لم يروا منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلة الرغبة واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه.

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم: فلا تتخذها لنفسك بل كن كواحد من أهلهم ليعلموا أنك لا تقصد جاههم وإلا يخرجون عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك والعامة يخرجون عليك وينظرون إليك بأعينهم فتصير مطعونا عندهم بلا فائدة وإن استفتوك في المسائل فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات ولا تذكر لهم شيئا إلا عن دليل واضح ولا تطعن في أساتذتهم فإنهم يطعنون فيك.

وكن من الناس على حذر وكن لله تعالى في سرك كما أنت له في علانيتك ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن تجعل سره كعلانيته وإذا أولاك السلطان عملا لا يصلح لك فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما لا يوليك ذلك إلا لعلمك وإياك وأن تتكلم في مجلس النظر على خوف فإن ذلك يورث الخلل في الإحاطة والكلل في اللسان.

وإياك أن تكثر الضحك فإنه يميت القلب ولا تمس إلا على طمأنينة ولا تكن عجولا في الأمور ومن دعاك من خلفك فلا تجبه فإن البهائم تنادى من خلفها وإذا تكلمت فلا تكثر صياحك ولا ترفع صوتك واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة عادة كي يتحقق عند الناس ثباتك.

وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك واتخذ لنفسك أورادا خلف الصلاة ة تقرأ فيها القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر وأولاك من النعم واتخذ لنفسك أياما معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدي غيرك بك.

وراقب نفسك وحافظ على الغير لتنتفع من دنياك وآخرتك بعلمك ولا تشتر بنفسك ولا تبع بل اتخذ لك غلاما مصلحا يقوم بأشغالك وتعتمد عليه في أمورك ولا تطمئن إلى دنياك وإلى ما أنت فيه فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك.

ولا تشتر الغلمان المردان ولا تظهر من نفسك التقرب إلى السلطان وإن قربك فإنه ترفع إليك الحوائج فإن قمت أهانك وإن لم تقم أعابك.

ولا تتبع الناس في خطئهم بل اتبع في صوابهم وإذا عرفت إنسانا بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيرا فاذكره به إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كيلا يتبعوه ويحذروه وقال عليه السلام: [اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس وإن كان ذا جاه ومنزلة] والذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك ولا تبال من جاهه فإن الله تعالى معينك وناصرك وناصر الدين فإذا فعلت ذلك مرة ة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين.

وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتك إياه فإن يده أقوى من يسك تقول له: أنا مطيع لك في الشيء أنت فيه سلطان ومسلط علي غير أني أذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم فإذا فعلت مع السلطان مرة كفاك لأنك إذا واظبت عليه ودمت لعلهم يقهرونك فيكون في ذلك قمع للدين فإذا فعل ذلك مرة أو مرتين ليعرف منك الجهد في الدين والحرص في الأمر بالمعروف فإذا فعل ذلك مرة أخرى فادخل عليه وحدك في داره وانصحه في الدين وناظره إن كان مبتدعا وإن كان سلطانا فاذكر له ما يحضرك من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فإن قبل منك وإلا فاسأل الله تعالى أن حفظك منه.

واذكر الموت واستغفر للأستاذ ومن أخذت عنهم العلم وداوم على التلاوة وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة واقبل من العامة ما يعرضون عليك من رؤياهم في النبي صلي الله عليه وسلم وفي رؤيا الصالحين في المساجد والمنازل والمقابر ولا تجالس أحدا من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين ولا تكثر اللعب والشتم وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد كيلا تتقدم عليك العامة.

ولا تتخذ دارك في جوار السلطان وما رأيت على جارك فاستره عليه فإنه أمانة ولا تظهر أسرار الناس ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما تعلم أنه يقربك إلى الله تعالى.

وأقبل وصيتي هذه فإنك تنتفع بها في أولاك وأخراك إن شاء الله تعالى.

وإياك والبخل فإنه يبغض به المرء ولا تك طماعا ولا كثابا ولا صاحب تخليط بل احفظ مروءتك في الأمور كلها.

وألبس من الثياب البيض في الأحوال كلها وأظهر غنى القلب مظهرا من نفسك قلة الحرص والرغبة في الدنيا وأظهر من نفسك الغناء ولا تظهر الفقر وإن كنت فقيرا وكن ذا همة فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته.

وإذا مشيت في الطريق فلا تلتفت يمينا ولا شمالا بل داوم النظر إلى الأرض وإذا دخلت الحمام فلا تساو الناس في أجرة الحمام والمجلس بل ارجح

على ما تعطي العامة لتظهر مروءتك بينهم فيعظمونك ولا تسلم الأمتعة إلى الحائك وسائر الصناع بل اتخذ لنفسك ثقة يفعل ذلك ولا تماكس بالحبات والدوانيق ولا تزن الدراهم بل اعتمد على غيرك.

وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم فإن ما عند الله خير منها وول أمورك غيرك ليمكنك الإقبال على العلم فإن ذلك أحفظ لحاجتك

وإياك إن تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فإنهم يطلبون تخجيلك ولا يبالون منك وإن عرفوك على الحق.

وإذا دخلت على قوم كبارة فلا ترتفع عليهم ما لم يرفعوك كيلا يلحق بك منهم أذية وإذا كنت في قوم تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك على وجه التعظيم.

ولا تدخل الحمام وقت الظهيرة والغداة ولا تخرج إلى النظارات ولا تحضر مظالم السلاطين إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئا ينزلون على قولك بالحق فإنهم إن فعلوا ما لا يحل وأنت عندهم ربما لا تملك منعهم ويظن الناس أن ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه.

وإياك والغضب في مجلس العلم ولا تقص على العامة فإن القاص لا بد له أن يكذب وإذا أردت اتخاذ مجلس لأحد من أهل العلم فإن كان مجلس فقه فاحضر بنفسك واذكر فيه ما تعلمه وإلا فلا كيلا يغتر الناس بحضورك فيظنون أنه على صفة من العلم وليس هو على تلك الصفة وإن كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك وإلا فلا ولا تقعد ليدرس الآخر بين يديك بل أترك عنده من أصحابك ليخبرك بكيفية كلامه وكمية علمه ولا تحضر مجالس الذكر أو من يتخذ مجلس وعظ بجاهك وتزكيتك له بل وجه أهل محلتك وعامتك الذين تعتمد عليهم مع واحد من أصحابك

وفوض أمر المناكح إلى خطيب ناحيتك وكذا صلاة الجنازة والعيدين.

ولا تنسني من صالح دعائك واقبل هذه الموعظة مني وإنما أوصيك لمصلحتك ومصلحة المسلمين [1].

ثانيا: ومن ذلك أيضا أن أبا حنيفة ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة إلى أن علم موتها، سبع سنين تورعا منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه، إذ هذا شأن أكل الحرام، وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام.

أبو حنيفة ومالك:

أخرج القاضي عياض في «المدارك» قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكا في المدينة، فقلت له: إني أراح تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري،. قال الليث: ثم لقيت أبا حنيفة، وقلت له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام.

قال ابن سماعة: قال أبو يوسف يقول: حج أبو حنيفة فوقعت بالكوفة مسألة الدور فسئل ابن شبرمة وابن أبي ليلى، والثوري، والناس بالكوفة فلم يكن عندهم فيها شيء، فسئل أصحاب أبي حنيفة فلم يكن عندهم فيها جواب، فقالوا: ليس لها إلا أبو حنيفة فاشرأبت نفوسنا إلى قدومه حتى خفنا عليه وعلى أنفسنا وخفنا أن يعجز عن الجواب فيذهب قدره وقدرنا معه حتى تمنى بعضنا موته فلما قرب أبو حنيفة من الكوفة استقبلته، وقلت أخبره بالمسألة لعله أن يعمل فكره فيها قبل أن يسأل عنها فلما لقيته قال يعقوب: فحملني معه ثم جاء الناس وكثروا يستقبلونه فلم أقدر أن أقول له فيها شيئا، ثم دعا بدابة فركب وحملني على دابة معه، وحمل سائر الناس حولنا حتى ضاقت الطرقات فلما قدم وأتى المسجد صلى فيه ركعتين واجتمع الناس، فكان أول شيء سئل عنه المسألة التي القيت من الدور قال: فلما القيت عليه نكس رأسه قال: فلما رأيته نكس رأسه علمت أنها ستخرج، ثم رفع رأسه فقال: الجواب فيها كذا وكذا قال فسررنا

(١) زَيْنُ العَابدِيْنَ بْن إِبْرَاهِيْم بْن نُجَيْم (٩٢٦ - ٩٧٠هـ)، الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَة النُّعْمَان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، ٤٢٦/١ - ٤٣٣.

وسر الناس قال فلما مات أبو حنيفة كنت يوما في دار الخيفة إذ مر بنا رجل جل فقالوا: هذا الحاسب، وجعل أصحاب الخليفة يعظمونه فدعوته وقلت باب من الفقه، وكانت المسألة قد اضطرب علي منها شيء مما قاله أبو حنيفة، فقلت: إنا قد احتجنا فيه إلى الحساب قال: فأخبرته قال: اعمله من باب كذا وكذا فعملته فلم يخرج، فقال: باب كذا، فعملته فلم يخرج، فلم يزل يلقي علي الأبواب فلم يخرج فقال: لم يبق إلا باب واحد، فإن خرج والإافليس له باب يخرج منه أصلا، فذكر قول أبي حنيفة، فعملت به، فخرج فقلت: ليست يخرج وخفت أن يذهب فيعمل عليه تلك المسألة قال: فانصرفت فعملت الباب وعملت المسائل عليه، وجعلت إذا لقيته فسألني اعمي عليه الجواب مخافة أن يفطن له وكان مفتنا حاسبا.

قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: سمعت داود الطائي يقول: لما نزل أبو العباس الكوفة وجه إلى العلماء فجمعهم، فقال: إن هذا الأمر قد أفضى إلى أهل بيت نبيكم، وجاءكم الله بالفضل وإقامة الحق، وأنتم يا معشر العلماء أحق من أعان عليه، ولكم الحباء والكرامة والضيافة من مال الله ما أحببتم، فبايعوا بيعة تكون لكم عند إمامكم حجة عليكم، وأمانا في معادكم لا تلقون الله بلا إمام، فتكونوا ممن لا حجة له ولا تقولوا: أمير المؤمنين أن نقول الحق، فنظر القوم إلى أبي حنيفة فقال: إن أحببتم أن أتكلم عني وعنكم فأمسكوا قالوا: قد أحببنا ذلك، فقال: الحمد لله الذي بلغ الحق من قرابة من نبيه صلي الله عليه وسلم ، وأماط عنا جور الظلمة، وبسط ألسنتنا بالحق، وقد بايعناك على أمر الله والوفاء لك بعهد الله إلى قيام الساعة، فلا أخلى الله هذا الأمر ممن قربه من نبيه، فأجابه أبوالعباس بجواب جميل.

وقال: مثلك من خطب عن العلماء لقد أحسنوا اختيارك، وأحسنت في البلاغ فلما خرجوا قالوا له: ما أردت بقولك إلى قيام الساعة، وقد انقضت الساعة قال: إن احتلتم علي احتلت لنفسي وأسلمتكم للبلاء، فسكت القوم وعلموا أن الحق ما صنع.

عجزت النساء أن يلدن مثلك:

قال شريك: كنا في جنازة، ومعنا سفيان الثوري وابن شبرمة، وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، وأبو الأحوص، ومندل، وحبان، وكانت الجنازة لكهل سيد من كهول بني هاشم توفي ابن له فخرج في جنازته وجوه أهل الكوفة يمشون حتى وقفت الجنازة فسأل الناس عنها فقالوا: خرجت أمه ولهى، وألقت ثوبها عليه وبرزت وكشفت رأسها وكانت هاشمية شريفة، فصاح أبوه بها فأمرها: أن ترجع فأبت فحلف بالطلاق لترجعن وحلفت بعتاق كل مملوك لها ألاَّ ترجع حتى يصلى عليه فمشى الناس بعضهم إلى بعض ووقفوا وسألوا فلم يتكلم فيها أحد، وأجاب منهم أحد بجواب فهتف أبوه بأبي حنيفة، وقال: يا نعمان، اغثنا، فجاء أبو حنيفة، فقال: كيف حلفت فأعادت عليه، وقال للكهل: كيف حلفت فأعاد عليه، فقال: ضعوا السرير فوضع، فقال للأب: تقدم فصل على ابنك، فتقدم فصلى عليه والناس خلفهً ونادوا فيمن تقدم حتى لحقوا بالناس ثم قال: احملوه إلى قبره، وارجعي إلى منزلك، فقد بررت، وقال لأبيه: ارجع فقد بررت، فقال ابن شبرمة: يومئذ عجزت النساء ان يلدن مثلك سريعا ما عليك في العلم كلفة.

فكيف أصنع إذا تبين الخطأ:

قال ابن المبارك: سأل رجل أبا حنيفة عن خوخة أراد أن يفتحها في حائط له في داره فقال، افتح ما شئت، ولا تطلع على جارك فأتى به جاره إلى ابن أبي ليلى فمنعه منه فشكا إلى أبي حنيفة قال: فافتح فيه بابا، فجاء ليفتح الباب فأتى به إلى ابن أبي ليلى فمنعه فقال: كم قيمة حائطك قال: ثلاثة دنانير قال: هي لك علي واذهب فاهدم الحائط من أوله إلى آخره، فجاءه يهدمه فمنعه فأتى به إلى ابن أبي ليلى فقال: يهدم حائطه وتسألني أن أمنعه من ذلك اذهب فاهدمه، واصنع ما شئت قال: فلم عنيتني ومنعتني من فتح خوخة، وكان ذلك أهون علي قال: إذا كان يذهب إلى من يدله على خطئي فكيف أصنع إذا تبين الخطأ.

ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض في الفقه لرجحهم إن شاء الله:

قال ابن المبارك سألت أبا حنيفة عن درهم لرجل ودرهمين لآخر اختلطت ثم ضاع درهمان من الثلاثة لا يعلم من أيهما فقال أبو حنيفة: الدرهم الباقي بينهما على ثلاثة قال: فلقيت ابن شبرمة فسألته عنها، فقال: سألت عنها أحدا، فقلت: نعم سألت أبا حنيفة قال: قال: لك الدرهم الباقي بينهما أثلاثا قلت: نعم قال: أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم أنه من الدرهمين والدرهم الآخر هو منهما جميعا فالدرهم الذي بقي هو بينهما نصفين قال فاستحسنت ذلك جدا فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الأرض في الفقه لرجحهم إن شاء الله فقال لي: لقيت ابن شبرمة فقال لك: قد أحاط العلم أن أحد الدرهمين الضائعين من الدرهمين وبقي الدرهم الباقي فهو بينهما نصفان قلت: نعم قال: إن الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا من كل درهم، فأي درهم ذهب ذهب بحصتهما.

تحسن كل شيء:

قال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوى لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل، فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة، وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بالخل، فقالوا: له تحسن كل شيء! قال: عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم.

إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل:

حدث أبو حنيفة عن حماد أنه كان يقول: إذا سئلت عن معضلة فاقلبها سؤالا على سائلك عنها حتى تخلص من مسألته لك فدس إلى رجل فقعد لي على الباب وأنا عند ابن هبيرة،

وقد أمر بي إلى السجن فسعى الرجل إلى السجن، فقال: يا أبا حنيفة، يحل للرجل إذا أمره السلطان الأعظم أن يقتل رجلا أن يقتله؟ قال: قلت له: وكان الرجل ممن وجب عليه القتل؟ قال: نعم. قلت: فاقتله، قال: فإن لم يكن ممن

وجب عليه القتل؟ قال: قلت: إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحق القتل.

الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئا:

قال بشر بن الوليد كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة ويكثر عنده فقال يوما لأبي حنيفة، إني أريد التزويج إلى آل فلان من أهل الكوفة وقد خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبو حنيفة: فاستخر الله وأعطهم ما يطلبونه منك فلعل زوجتك ان تسمح لك إذا دخلت بها بما يبقى من الصداق عليك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبوا أن يحملوها إلي إلا بعد وفاء المهر كله فماذا ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه فلما دخل بأهله وحملت إليه قال له أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر إنك تريد الخروج من هذا البلد إلى موضع بعيد وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمله أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة يشكونه ويستفتونه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوا إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أجابوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه فقال له الفتى: فأنا أريد منهم شيئا آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة: أيما أحب إليك إن ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين فلا.

يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال: فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا، فلا آخذ منهم شيئا فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

فأعطوني منها دينارا واحدا:

عن وكيع قال: كنا عند أبي حنيفة وأتته امرأة فقالت مات أخي وخلف ستمائة دينار فأعطوني منها دينارا واحدا قال: ومن قسم فريضتكم؟ قالت: داود الطائي. قال: هو حقك أليس خلف أخوك بنتين؟ قالت: بلى. قال: وأما قالت بلى قال: وزوجة قالت: بلى. قال: واثني عشر أخا وأختا واحدة، قالت: بلى. قال: فان للبنات الثلثين أربعمائة وللأم السدس مائة وللمرأة خمسة وسبعون ويبقى خمس وعشرون للإخوة أربعة وعشرون لكل أخ ديناران فلك دينار.

قال: لا وانصرف من وقته:

قال الحسن بن أبي مالك دخل أبو حنيفة إلى ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضي حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه إئذن لمن حضر من الخصوم في التقدم كأنه اراد ان يرى أبا حنيفة إمضاءه في القضاء والحكم فدخل الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه رجلان فقال أحدهما: أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنى وشتمني وقال: يا ابن الزانية وأنا أسأل القاضي؟ أن يأخذ لي بحقي فقال ابن أبي ليلى للمدعى عليه: ما تقول؟ فقال له أبو حنيفة رضي الله عنه: لم تسأله عن دعواه وليس هو له بخصم إنه إنما يذكر أنه رمى بالزنى أمه فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك قال لا: قال: فأقبل على صاحبك فاسأله أحية أمه أم ميتة فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولا آخر.

قال فرجع ابن أبي ليلى على المدعى فقال له: أمك أحية أم ميتة؟ قال: بل ميتة قال له: أقم عندي البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك قال فأقام عنده البينة بوفاتها فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عما يقول المدعي فقال له أبو حنيفة: أقبل على صاحبك فسله هل لأمه وارث غيره فإن كان له إخوة كانت المطالبة له ولهم وأن كان هو الوارث وحده كان قولا آخر فقال ابن أبي ليلى للمدعي: هل لأمك وارث غيرك؟ قال: لا. قال: فأقم عندي البينة بذلك فأقام البينة أنه وارث أمه لا وارث لها غيره قال فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعي فقال: أبو حنيفة رضي الله عنه أقبل على صاحبك واسأله عن

أمه أحرة هي أم أمة فقال ابن أبي ليلى للرجل: أمك حرة، أو أمة؟ قال: بل حرة. قال: فأقم عندي بذلك بينة، فأقام البينة بذلك، فذهب ليسأل المدعى عليه فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: ارجع أيضا إلى صاحبك واسأله أمسلمة هي أم معاهدة؟ قال: حرة مسلمة من بنات آل فلان قوم سراة بالكوفة. قال: فأقم البينة عندي بأنها مسلمة، فأقام البينة عنده بأنها مسلمة فقال أبو حنيفة رضي الله عنه شأنك الآن فاسأل الرجل عما ادعاه المدعي فسأله فأنكر فقال للمدعي: ألك بينة قال: نعم، جماعة من وجوه أهل الكوفة قال: فأحضرهم مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه قال: فأحضرهم ونهض أبو حنيفة فقال له ابن أبي ليلى: تجلس حتى تحضر البينة قال: لا وانصرف من وقته.

رجل فما فوقه يا أبا حنيفة:

قال أسد بن عمرو: دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة فخرج، فقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته فقال له أبو حنيفة: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما ونعى إليها وظنت امرأته أنه ميت فتزوجت ثم قدم زوجها الأول، وقد ولدت ولدا فنفاه الأول وادعاه الثاني أكل واحد منهما قذفها أم الذي أنكر الولد ما الجواب فيها فقال أبو حنيفة. إن قال فيها برأيه ليخطئن وإن قال فيها: حدثنا ليكذبن قال قتادة أوقعت هذه المسألة قالوا: لا. قال: فلم تسألوني عما لم يكن فقال له أبو حنيفة: إن العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله فإذا نزل عرفوه وعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا وسلوني عن التفسير فقال أبو حنيفة ما نقول في قول الله {قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل: ٤٠] قال: نعم كان هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف اسم الله الأعظم قال: فهل كان سليمان عليه السلام يعرف هذا الاسم؟ قال: لا. قال: أفيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي قال: لا والله لا أحدثكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، قال: ولم؟ قال: لقوله تعالى:{ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾} [الشعراء: ٨٢]

قال أبو حنيفة فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام لما قال له{أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي} [البقرة: ٢٦٠] قال فقام قتادة فدخل الدار مغضبا وحلف ان لا يحدثهم قال ابو حنيفة ثم قدم الكوفة بعد سنين وكان ضريرا فناديته يا أبا الخطاب ما تقول في قوله{وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [النور: ٢] قال رجل فما فوقه يا أبا حنيفة وعرفني بالنغمة وكان يسمع الناس يكنوني.

هذا حسن:

عن إبراهيم الصائغ قال: كنت عند عطاء بن أبي رباح وعنده أبو حنيفة فسئل عن قول الله{وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ} [الأنبياء: ٨٤] فقال عطاء: رد الله على أيوب عليه السلام أهله ومثل أهله وولده فقال: أبو حنيفة أو يرد الله على نبي ولدا ليسوا له من صلبه يا أبا محمد فقال: ما سمعت فيها عافاك الله فقال: رد الله على أيوب أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا حسن.

كلنا عنه غافل:

قال أبو يوسف: قال رجل لأبي حنيفة إني حلفت أن لا أكلم امرأتي أو تكلمني وحلفت بصدقة ما تملك أن لا تكلمني أو أكلمها قال: سألت عنها أحدا قال: نعم سفيان الثوري، فقال: من كلم صاحبه حنث، فقال كلمها ولا حنث عليكما، فذهب إلى سفيان وكان قرابة له فأخبره قال: فجاءني سفيان مغضبا، وقال تبيح الفروج قال وما ذاك ثم قال: أعيدوا على أبي عبد الله السؤال فأعادوه فأعاد أبو حنيفة بمثل ما أفتى فقال له من أين قلت قال لما شافهته باليمين بعدما حلف كانت مكلمة له وسقطت يمينه فإن كلمها فلا حنث عليه ولا عليها لأنها قد كلمته بعد اليمين فسقطت اليمين عنهما فقال سفيان إنه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنه غافل.

هذا رزين:

عن علي بن مسهر قال: كنا عند أبي حنيفة رضي الله عنه فأتاه عبد الله بن المبارك فقال له: ما تقول في رجل كان يطبخ قدرا له فوقع فيها طائر فمات، فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما ترون فيها فرووا له عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يهراق المرق ويغسل اللحم، ويؤكل فقال أبو حنيفة: هكذا نقول إلا أن

في ذلك شريطة إن كان وقع في حال غليانها ألقي اللحم وأهريق المرق وإن كان وقع

فيها في حال سكونها غسل اللحم وأهريق المرق قال له ابن المبارك من أين قلت هذ؟ فقال: لأنه إذا وقع فيها في حال غليانها فقد وصل من اللحم إلى حيث يصل منه الخل والتوابل وإذا وقع فيها في حال سكونها فإنما لطخ اللحم ولم يداخله فقال ابن المبارك هذا رزين يعني المذهب بالفارسية، وعقد بيده ثلاثين.

هو والله من أولياء الله حقا:

قال زائدة قال رجل لأبي حنيفة ما تقول في رجل قال لا أرجو الجنة ولا أخاف النار وآكل الميتة وأشهد بما لم أر ولا أخاف الله وأصلي بلا ركوع ولاسجود وأبغض الحق وأحب الفتنة فقال له أبو حنيفة وكان يعرفه شديد البغض له يا أبا فلان سألتني عن هذه ولك بها علم فقال له الرجل لا ولكن لم أجد شيئا هو أشنع من هذا فسألتك عنه فقال ابو حنيفة لأصحابه ما تقولون في هذا الرجل قالوا شر رجل متهم هذه صفة كافر فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه هو والله من أولياء الله حقا ثم قال للرجل إن أنا أخبرتك انه من أولياء الله تكف عني شر لسانك ولا تملي علي الحفظة ما يضرك قال نعم فقال أبو حنيفة أما قولك لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإن يرجو رب الجنة ويخاف رب النار وقولك لا يخاف الله فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره فقال الله تعالى{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦] وقولك يأكل الميتة فهو أكل السمك وقوله يصلي بلا ركوع ولا سجود فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي عليه السلام وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلي عليها وقولك يشهد بما لم ير فهذه شهادة الحق يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقولك يبغض الحق فهو يحب البقاء حتى يطيع الله أبدا ويبغض الموت وهو الحق قال تعالى{وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ} [ق: ١٩] واما الفتنة فالقلوب مجبولة على حب المال والولد وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين.

اشكر الله الذي رده عليك:

قال أبو يوسف قال رجل لأبي حنيفة: إني قد دفنت شيئا ولا أدري أين دفنته من البيت قال: وأنا أحرى أن لا أدري به قال فبكى الرجل فقال أبو حنيفة قوموا بنا فقام ومعه نفر من أصحابه فأتى بهم الرجل إلى منزله فقال أين يكون من الدار وأين موضع قماشك فأدخلهم إلى بيت في الدار فقال لأصحابه لو كان هذا البيت لكم ومعكم شيء تريدون ان تدفنوه كيف كنتم تصنعون فقال هذا كنت أدفنه ها هنا وقال الآخر موضعا آخر حتى قالوا خمسة أقاويل فحفر منها موضعين ووجده في الثالث وقال له اشكر الله الذي رده عليك.

فهلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى:

عن الحسن بن زياد قال دفن رجل ماله في موضع ثم نسي أي موضع دفنه فطلبه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة ليس هذا بفقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغد فإنك ستذكر أي موضع دفنته فيه ففعل الرجل فلم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر أي موضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال قد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك ويحك فهلا أتممت ليلتك شكرا لله تعالى.

حتى يحضر ما هو أجل من هذا:

قال علي بن أبي علي كنت عند الحسن بن علي قاضي مرو فذكر أبا حنيفة وفطنته فقال استودع رجل من الحاج رجلا بالكوفة وديعة وحج ثم رجع فطلب وديعته فأنكر المستودع الوديعة وجعل يحلف له فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة وشاوره فقال لا تعلم بجحوده أحدا وكان المستودع يجالس أبا حنيفة فخلا به فقال إن هؤلاء قد بعثوا يستشيرون في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قليلا وأقبل أبو حنيفة يرغبه وهو يمتنع ثم جاء صاحب الوديعة فقال له أبو حنيفة اذهب فقل له أحسبك نسيت أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا قال فذهب الرجل فقال له ذلك فذفع إليه الوديعة فلما رجع المستودع قال له أبو حنيفة إني نظرت في أمرك فرأيت ان ارفع من قدرك ولا اسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

قال فأجمعوا كل داعر وكل متهم:

عن محمد بن الحسن قال دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحدا وأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة احضرني أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم فأحضرهم إياه فقال لهم ابو حنيفة هل تحبون ان يرد الله على هذا متاعه قالوا نعم قال فأجمعوا كل داعر وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد ثم أخرجوهم واحدا واحدا فقولوا له هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال لا وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقتصوا عليه ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة فرد الله عليه جميع ما سرق منه؟

ما تقول في عبد بين اثنين! :

قال يوسف بن خالد سمعت أبا حنيفة قال قدم علينا ربيعة الرأي ويحيى بن سعيد قاضي الكوفة فقال يحيى لربيعة ألا تعجب من أهل هذا المصر أجمعوا على رأي رجل واحد قال أبو حنيفة فبلغني ذلك فأرسلت إليه يعقوب وزفر وعدة من أصحابنا فقلت: قايسوه وناظروه فقال له يعقوب ما تقول في عبد بين اثنين اعتقه احدهما قال لا يجوز عتقه قال لم قال لأن هذا ضرر وقد جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار قال فإن أعتقه الآخر قال جاز عتقه قال تركت قولك إن كان الكلام الأول لم يعمل شيئا ولم يقع به عتق فقد أعتقه الثاني وهو عبد فسكت [1].

ذكر ما روي من أخبار أبي حنيفة مع المنصور :

عن أبي حنيفة قال دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال يا ابا حنيفة عمن أخذت العلم قلت عن حماد عن إبراهيم عن أصحاب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم

(١) القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٨ - ٤١.

قال بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة رضي الله عنه الطيبين المباركين صلوات الله عليهم أجمعين.

والله لو ضرب عنقي عن ان امس منها درهما ما مسسته:

قال الربيع بن يونس جمع المنصور مالكا وابن أبي ذئب وأبا حنيفة فقال لهم كيف ترون هذا الأمر الذي أعطاني الله من أمر الأمة هل أنا لذلك أهل فسكت القوم فقال لابن أبي ذئب ما تقول في الذي قلدني الله من أمر هذه الأمة أمة محمد صلي الله عليه وسلم فقال: إن ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء وملك الآخرة يؤتيه الله من طلبه من الله ووفقه له وإن التوفيق إذا أطعت الله قرب منك وإن عصيت بعد وأن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها والعون لمن وليها وأنت وأعوانك كنتم خارجين من التوفيق عالين على الخلق، فإن سألت الله السلامة وتقربت إليه بالأعمال الزاكية كان ذلك في نجاتك وإلا فأنت المطلوب قال: فكنت أنا ومالك بن أنس نجمع ثيابنا نخاف أن يترشش علينا من دمه ثم قال لأبي حنيفة ما تقول؟ قال: المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب إذا أنت نصحت لنفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا وإنما أردت ان تعلم العامة انا نقول فيك ما تهواه مخافة سيفك وحبسك ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك نفسان من اهل التقوى والخلافة تكون عن إجماع المؤمنين ومشورتهم فهذا أبو بكر يمسك عن الحكم ستة أشهر حتى أتته بيعة اهل اليمن فقال لمالك ما تقول قال لو لم يرك الله أهلا لذلك ما قدرلك ملك أمر الأمة وأزال عنهم من بعد من نبيهم وقرب هذا الأمر إلى أهل بيته أعانك الله على ما ولاك وألهمك الشكر على ما خولك وأعانك على ما استرعاك فأمرهم فانصرفوا ثم قال لي المنصور خذ معك ثلاث بدر واتبع القوم فإن اخذها مالك كلها فادفعها إليه وإن أخذ ابن أبي ذئب او ابو حنيفة شيئا فجئني برأسيهما فأتيت ابن أبي ذئب فقلت له، فقال: ما أرضى هذا المال له فكيف آخذه لنفسي وقال أبو حنيفة ما أنفع له إن كان يعطي من يرحم ان يرحم نفسه ممن يظلم والله لو ضرب عنقي عن ان امس منها درهما ما مسسته وأتيت مالكا فأخذها كلها فأتيت المنصور فأعلمته فقال بهذه الصيانة حقنوا دماءهم.

انصرف إلى بلادك ولا تفتي الناس:

قال الربيع بن يونس: سمعت المنصور يقول للفقهاء وفيهم أبو حنيفة أليس الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم صحيح المؤمنون عند شروطهم فقالوا بلى، فقال: إن أهل الموصل شرطوا أن لا يخرجوا علي وقد خرجوا فقد أحل الله لي دماءهم وأموالهم فسكت أبوحنيفة رضي الله عنه وجعل الجواب يكون من غيره فقال رجل منهم يدك المبسوطة عليهم وقولك المقبول فيهم فإن عفوت فأهل العفو أنت وإن عاقبتهم فيما يستحقون فقال المنصور لأبي حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ فقال ألسنا في خلافة نبوة وأمان قال بلى قال إنهم شرطوا لك ما لا يملكون وشرطت عليهم ما ليس لك فإن اخذت ما لا يحل فشرط الله احق ان يوفى به فقال قوموا فقاموا فتفرقوا ثم أحضرهم فقال لأبي حنيفة يا شيخ إني فكرت فيما قلت فإذا القول كما قلت انصرف إلى بلادك ولا تفتي الناس بما يكون فيه شين على إمامك فتبسط على أيدي الخوارج.

أراد الرجل ان يرهقنا فأرهقناه:

قال أبو حازم القاضي تقلد الكوفة رجل من قبل أبي جعفر المنصور فأراد أذى أبي حنيفة فقال: والله لأسألنه عن مسألة يكون سبب لقتله ثم أحضره على رؤوس الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمرني بضرب الأعناق وسفك الدماء وأخذ الأموال وانتهاك المحارم أفأطيعه في ذلك أم أعصيه فقال له أبو حنيفة ما يأمرك به أمير المؤمنين طاعة لله ام معصيته قال لا بل طاعة لله فقال له ابو حنيفة أطع أمير المؤمنين أكرمه الله في كل ما كان طاعة لله ولا تعصه وخرج وأصحابه على الباب فقال لهم أراد الرجل أن يرهقنا فأرهقناه فإذا أتتكم معضلة فاجعلوا جوابها منها.

لم أدعكم إلا لخير:

عن عبيد بن إسماعيل قال بعث المنصور إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري وشريك فأدخلوا عليه فقال لهم: لم أدعكم إلا لخير وكتب قبل ذلك ثلاث عهود فقال لسفيان هذا عهدك على قضاء البصرة فخذه والحق بها وقال لشريك هذا عهدك على قضاء الكوفة فخذه وامض وقال لأبي حنيفة هذا عهدك على قضاء

مدينتي وما يليها فخذه ثم قال لحاجبه وجه معهم أو كما قال فمن أبى فاضربه مائة سوط فأما شريك فأخذ عهده ومضى، وأما سفيان فقال لعون كان وكل به هو ذا أخرج ودخل منزله فوضع الكتاب في طاق بيته وهرب إلى اليمن فيقال أن هشام بن يوسف وعبد الرزاق سمعا منه هناك ويقال: إنه كان يحدثهم قائما على رجله خشية فحدثهم أربعة آلاف حديث فأما أبو حنيفة فلم يقبل العهد فضرب مائة سوط وحبس ومات في الحبس.

لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس اقوام كثيرة:

وقال محمد بن شجاع: سمعت شيخا يكنى: أبا معشر يحدث بهذا الحديث فسألت الحسن بن أبي مالك عن ذلك فقال لي هذا مشهور من أمره ما زلنا نتذاكر هذا ونتحدث به قال: جيء بأبي حنيفة إلى المنصور فأنزله قال فجاء الحسن بن عمارة فقال له يا أبا حنيفة قد احتجت إليك وإلى رأيك اليوم قد أمر لي بجائزة وذكر ألوف دراهم فإن لم أقبلها خشيت ان أقتل فاحتل لي في صرفها عني قال وأمر لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم وكان المتولي لإعطاء ذلك الحسن بن قحطبة فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بها إليه أصبح لا يكلم احدا كأنه مغمى عليه فأتى في ذلك اليوم بالدراهم فجاء بها رسول الحسن بن قحطبة فدخل بها عليه فقالوا له ما تكلم اليوم بكلمة فقال كيف أصنع قالوا أنظر ما ترى فوضعها في مسجدي في ناحية البيت فانصرف فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع فلما مات أبو حنيفة كان ابنه حماد غائبا فقدم بعد موته فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن ابن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل فقال إني وجدت في وصية أبي إذا دفنت فخذ هذه البدرة التي في زاوية البيت فأت بها الحسن بن قحطبة فقل هذه وديعتك التي كانت عندنا فأدخلت البدرة فنظر إليها الحسن وقال له رحم الله أباك لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس اقوام كثيرة.

قال عباس الدوري حدثونا عن المنصور أنه لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط قال أو تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته احد فلما كان في اليوم الثالث أتاه

رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق بقية ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول قال استحلفه لي فقال ابو حنيفة للرجل قل والله الذي لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه ابو حنيفة معزما على ان يحلف قطع عليه وضرب بيده إلى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين فقال للصفار هذان الدرهمان عوض من باقي تورك فنظر الصفار إليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى ابو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات.

أخبار أبي حنيفة مع سفيان الثوري :

إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة:

قال بشار بن قيراط وكان شريك أبي حنيفة قال حججت مع أبي حنيفة وسفيان فكانا إذا نزلا منزلا أو بلدة اجتمع عليهما الناس وقالوا فقيها العراق فكان سفيان يقدم أبا حنيفة ويمشي خلفه وإذا سئل عن مسألة وأبوحنيفة حاضر لم يجب حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب فسئل ابو حنيفة عن النبيذ فأراد ان يرخص فيه فوضع سفيان يده على فم أبي حنيفة ثم قال له إن رخصتنا بالكوفة لا تقبل بالمدينة.

فلم يرجع سفيان بعد ذلك:

قال يحيى بن عبد الحميد: بلغ أبا حنيفة أن سفيان يتدثر بثوبه وينام خلف أسطوانته فيتسمع مسائله فقال أبو حنيفة: إذا جاء فآذنوني فقيل له قد جاء سفيان فقال: حدثني سعيد بن مسروق أبو هذا المسجى عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج ان بعيرا من أبل الصدقة ند فرماه رجل بسهم فسئل النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال كلوه فإن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فما ند عليكم فاصنعوا به هكذا قال فلم يرجع سفيان بعد ذلك.

قال ابن سماعة سمعت أبا يوسف قال كان أبو حنيفة يجلس فكان سفيان يأتي متنكرا يسمع مايقول من حيث لا يعلم به فانصرف فإذا رجل نائم ملتف بكسائه فقال أبو حنيفة حدثني أبو هذا النائم سعيد بن مسروق والذي يعلم ما أقول لوددت ان كل شيء أحسنه في صدره أو صدر صبيان الكتاب.

وددت انها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها:

قال زائدة رأيت تحت رأس سفيان كتابا ينظر فيه فاستأذنته في النظر فيه فدفعه إلي فإذا هو كتاب الرهن لأبي حنيفة فقلت له: تنظر في كتبه فقال وددت انها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي في شرح العلم غاية ولكنا ما ننصفه.

حتى نسخه:

قال سجادة دخلت أنا وأبو مسلم المستملي على يزيد بن هارون وهو نازل ببغداد على منصور بن مهدي فصعدنا إلى غرفة هو فيها فقال له أبو مسلم ما تقول يا أبا خالد في أبي حنيفة والنظر في كتبه فقال أنظروا فيها إن كنتم تريدون أن تفقهوا فإني ما رأيت أحدا من الفقهاء يكره النظر في قوله ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن حتى نسخه.

قال نصر بن علي سمعت أبا عاصم النبيل سئل أيما أفقه سفيان أو أبو حنيفة فقال إنما يقاس الشيء على شكله أبو حنيفة فقيه تام الفقه وسفيان رجل متفقه.

قال علي ابن مسهر كنت آتي سفيان فأزفه علم أبي حنيفة فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال ويحك لم تحمل علمك إلى من لا يحمدك عليه.

أرجو ان يغفر الله تعالى لك ذلك:

قال ابن المبارك قلت لأبي عبد الله سفيان الثوري ما تقول في الدعوة قبل الحرب قال إن القوم اليوم قد علموا ما يقاتلون عليه فقلت: إن أبا حنيفة يقول فيها ما قد بلغك فنكس رأسه ثم رفعه فأبصر يمينا وشمالا فلم ير أحدا قال إن كان أبو حنيفة يركب في العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد الأخذ للعلم ذابا عن المحارم متبعا لأهل بلده لا يستحل أن يأخذ إلا بما يصح عنده من الآثار عن النبي صلي الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والآخر من فعل النبي صلي الله عليه وسلم وما أدرك عليه عامة العلماء من أهل الكوفة في اتباع الحق أخذ به وجعله دينه قد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه بل قد كانت منا اللفظة بعد اللفظة قال قلت أرجو ان يغفر الله تعالى لك ذلك.

المسكين قد شيخ بعدي:

قال أبا سليمان الجوزجاني سمعت سلم بن سالم يقول: كنت قاعدا عند مسعر وسفيان معنا إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر عن صدر المجلس فسلم عليهم فقال له مسعر ألا تسلم على أبي عبد الله قال ومن أبو عبد الله قال سفيان قال المسكين قد شيخ بعدي قال سفيان من لا يشق ثيابه من هذا النبطي قال أبو سليمان وكان الذي كان بين أبي حنيفة وسفيان من الشر بهذا السبب.

يرحم الله أباك:

قال أبا يوسف كنا عند مسعر وسفيان جالس إليه يذاكره إذ أقبل أبو حنيفة فأوسع له مسعر وقمت أنا من مجلسي له فقال له مسعر ألا تسلم على أبي عبد الله فأقبل على سفيان فقال: يرحم الله أباك فلقد كان بعيدا من حب الرئاسة منصفا لكل من رآه متبعا للعلم ولقد أسرع إليك الشيب فقال سفيان من لا يشق ثيابه من هذا النبطي وقام وخرج.

هو حديث السن والأحداث لهم حدة:

عن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة إذا بلغه عن سفيان ما يقول فيه مبلغ منه يقول: هو حديث السن والأحداث لهم حدة فكان إذا أقبل قال هو حديث السن قال سفيان بكم هو النبطي أكبر سنا مني حتى يصغرني ولا يستحل أبو حنيفة أن يقول فيه شيئا غير إنه حدث السن.

أخبار أبي حنيفة مع الشعبي ومحارب بن دثار والأعمش :

قال أبو حنيفة: كنت عند الشعبي فأتاه رجل فسبه فقال الشعبي.

هنيئا مريئا غير داء مخامر ::: لعزة من أعراضنا ما استحلت

نصراني تزوج نصرانية فأسلمت:

عن أبي حنيفة قال: سألت الشعبي عن نصراني تزوج نصرانية فأسلمت فقال: ما قال فيها بنو استها يعني الحكم وحمادا قلت لا أدري فقال الشعبي إن

أسلمت هي عرض عليه الاسلام فإن قبل تركت معه وإلا فلها نصف الصداق إن أسلم هو عرض عليها الإسلام فإن أسلمت وإلا فرق بينهما ولا صداق لها.

أقياس أنت:

عن أبي حنيفة عن الشعبي، عن مسروق قال: من نذر نذرا في معصية فلا كفارة فيه قال أبو حنيفة فقلت: للشعبي قد جعل الله تعالى الظهار الكفارة وقد جعله معصية لأنه قال{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا} [المجادلة: ٢] فقال أقياس أنت.

من هول ما يرى:

قال أبو حنيفة: كنت عند محارب بن دثار فتقدم إليه خصمان فادعى أحدهما على الآخر، ثم حضر شاهدان فشهدا فالتفت الخصم إلى محارب فقال في أحد الشاهدين والله إنه لرجل صالح وإنه وإنه فقال له محارب اتثني عليه وقد شهد عليك قال: إنه والله ما كانت منه هنة قبل هذه فقال محارب بن دثار: حدثني ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال إن الطير لترخي مناقيرها وتخفق بأجنحتها يوم القيامة من هول ما يرى وإن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:(**شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النار**) قال فرجع الشاهدان عن شهادتهما.

والله لا أفتيت بذلك أبدا:

قال أبو معاوية: قيل للأعمش في علته لولا أن أبا حنيفة يأتيك لأتيناك مرتين في اليوم الذي يعودك فيه فلما جاء أبو حنيفة قال له: إن الناس يستثقلوني بما أصنع بهم في الحديث وقد زدتني انت عندهم ثقلا قالوا لي كيت وكيت فقال له: لولا العلم الذي يجريه الله تعالى على لسانك ما رأيتني ولا أحدا من أصحابي ببابك وذلك ان فيك خصالا انا لها كاره تتسحر عند طلوع الفجر وتقول هو الفجر الآول وقد صح عندي انه الثاني وترى الماء من الماء وتفتي به وتجامع أهلك فإذا لم تنزل لم تغتسل أنت ولا هي ولولا أنك تتأول من الحديث ما غاب عنك معانيه ما استحللت ان اكلمك ولكنك تتأول شيئا غيره والله

أولى بك فما تسحر الأعمش بعد ذلك إلا بالليل ولا قرب أهله إلا اغتسل وأمرها بالغسل وقال صلاة وصيام تكون بإختلاف والله لا أفتيت بذلك أبدا.

لا تعد إلى مثلها:

مر أبو حنيفة على بغلته يتبع جنازة فقال الأعمش: اسمع صوت حافر دابة فقيل له أبو حنيفة: فعض على شفته وقال يا نعمان نمر في سكتنا بغير خفير فتبسم ابو حنيفة وقال يا أبا محمد أرأيت أن المرء لا يمر في سكته بغير خفير فقال لا تعد إلى مثلها (١).

فنور الله قلبك كما نورت قلبي:

وروى أن أبا حنيفة كان يتكلم في مسألة من المسائل القياسية، وشخص من أهل المدينة يتسمع، فقال: ما هذه المُقايسة، دعوها فإن أول من قاس إبليس.

فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا هذا، وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس رد على الله تعالى أمره، قال الله تعالى:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ} [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى:{ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾} [الحجر: ٣٠ - ٣١]، وقال:{إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} [البقرة: ٣٤]، وقال:{ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } [الإسراء: ٦١] فاستكبر ورد على الله أمره، وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر، وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى؛ لأنا نرده إلى أصل أمر الله تعالى في الكتاب، أو السنة، أو إجماع الصحابة والتابعين، فلا نخرج من أمر الله تعالى، ويكون العمل على الكتاب والسنة والإجماع، فاتبعنا في أمرنا إليها أمر الله تعالى، قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: ٥٩]. إلى قوله:{وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ} [النساء: ٥٩]، فنحن ندور حول الاتباع، فنعمل بأمر الله تعالى، وإبليس خالف أمر الله تعالى، ورده عليه، فكيف يستويان؟ فقال الرجل: غلطت يا أبا حنيفة، وتُبتُ إلى الله تعالى، فنور الله قلبك كما نورت قلبي.

---

(١) القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٦٨ - ٧٩.

بعض المسائل التي أجاب أبو حنيفة عنها. :

مسألة، رجل رد عبداً آبقاً من مسيرة ثلاثة أيام.

قال أبو حنيفة: له الجعل أربعون درهماً. وكان القياس أن لا يجب، فترك الناس وأخذ من ذلك بالخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، في خبر طويل، أن رجلاً قدم بآبق من الفيوم، فقال القوم: لقد أصاب أجراً.

فقال ابن مسعود: وأصاب جعلاً.

وقال من خالفه: لا يجب الجعل. فترك الخبر وأخذ بالقياس.

*مسألة، ولو أن رجلاً حلق لحية رجلٍ، أو حاجبيه، فلم تنبت ثانياً.

قال أبو حنيفة: يجب على الحالق دية كاملة.

وقال من خالفه: لا يجب الدية على الكمال.

وكان القياس أن لا يجب الدية على الكمال، فترك القياس، وأخذ بالخبر المروي في حديث سعيد بن المُسيب، رحمه الله تعالى.

* مسألة، ولو أن رجلاً أوجب على نفسه أن ينحر ولده.

قال أبو حنيفة: يلزمه أن يذبح شاة [(١)].

أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي :

عن الأصمعي قال كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه وكان كثيرا ما يغني

أَضَاعُونِي وأيَّ فتًى أضاعُوا ::: ليومِ كَرِيهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

فلقيه العسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من عاد فأخبر فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب إلى الوالي عيسى بن موسى فقال له إن لي جارا أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه إلا خيرا فقال عيسى سلموا إلى أبي حنيفة كل ما أخذه العسس البارحة فأطلقوا جميعا

(١) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص٤٠.

فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سرا ألست كنت تغني يا فتى كل ليلة

(أضَـــاعُونِي وأيَّ فَتًـــى أَضَـــاعُوا ::: ....

فهل أضعناك قال لا والله أيها القاضي ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك قال فعد إلى ما كنت تغنيه فإني كنت آنس به ولم أر به بأسا قال أفعل [١].

لا تفعل!:

وكان سليمان الأعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر؛ قال له الإمام أبو حنيفة النعمان: لولا أني أخاف أن أشق عليك لأكثرت زيارتك. فقال: لا تفعل! فأنت تشق علي والله وأنت في دارك [٢].

حبب إلي من دنياكم ثلاث:

عن النبي صلي الله عليه وسلم :(**حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**) وقال أبو بكر الصديق: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: الجلوس بين يديك، والصلاة عليك، وإنفاق مالي عليك.

وقال في الرياض النضرة قالت عائشة رضي الله عنها أنفق أبو بكر على النبي صلي الله عليه وسلم أربعين ألفاً، وقال عمر رضي الله عنه، وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وقال علي رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وقال علي رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: الضرب بالسيف، والصوم في الصيف، وإقراء الضيف، فنزل جبريل وقال: يا نبي الله وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث:(**النزول على النبيين، وتبليغ الرسالة للمرسلين، والحمد لله رب العالمين**)، ثم قال: إن الله تعالى يقول:(**وأنا حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وجسد على البلاء صابر**)، فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول في قوله صلي الله

(١) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١ /٣٩٩.

(٢) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ١٣٦.

عليه وسلم :(من أحبني كان معي في الجنة) وفي أول الحديث إشارة تأتي في أول باب الزهد إن شاء الله تعالى ولما وصل هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: تحصيلي العلم في طول الليل، وترك الترفع، والتعالي، وقلب من حب الدنيا خالي، وقال الإمام مالك رضي الله عنه: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: مجاورة روضته صلي الله عليه وسلم ، وملازمة تربته، وتعظيم أهل بيته، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: معاملة الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدي إلى التكلف، والاقتداء بطريق التصوف، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: متابعة النبي صلي الله عليه وسلم في أخباره، والتبرك بأنواره، وسلوك طريق آثاره [١].

مجنون أنت؟ :

اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة - رحمه الله - فقالوا: ما الدلالة على وجود الصانع؛ فقال: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: مجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل. فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوَّار السيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام [٢].

أخطأت في خمسة:

قال وكيع، قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام، وذلك أني جئت أريد أن أحلق رأسي فقال لي:

---

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ١ / ٥٩.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣ / ١٢٧، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٥٨.

أعراقي أنت؟ قلت: نعم، وقد كنت قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: النسك لا يشارط فيه، اجلس، فجلست منحرفاً عن القبلة، فأومأ إلي باستقبال القبلة، وأدرت رأسي من الجانب الأيسر فقال: أدر شقك الأمين من رأسك فأدرته، فجعل يحلق رأسي وأنا ساكت، فقال لي: كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال: أين تريد؟ قلت: رحلي، فقال: صل ركعتين ثم امض، فقلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام إلا ومعه علم؛ فقلت له: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح بفعل هذا [1].

أمؤمن أنت! :

قال أسد بن عمرو: دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة، فخرج عليهم وقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً فظنت امرأته أنه قد مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول وقد ولدت ولداً، فنفاه الأول وادعاه الثاني، فكل واحد منهما قذفها أو قذفها الذي أنكرها، ما جوابها؟ ونظر أبو حنيفة إلى أصحاب قتادة وقال: إن قال فيها برأيه ليخطئن، وإن روى فيها حديثاً ليكذبن، فقال قتادة: ويحك، أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا، قال: ولم تسأل عنها؟ قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه، فقال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من الحلال والحرام، فسلوني عن التفسير؛ فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في قول الله تعالى:{قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل: ٤٠] قال: نعم هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان، وكان يعلم اسم الله الأعظم، قال: وهل كان يعرف الاسم سليمان؟ قال: لا، قال: أفيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي؟ قال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء؛ فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، قال: ولم؟ قال: لقول الله تعالى:{ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾} [الشعراء: ٨٢] قال أبو حنيفة: فهلا قلت كما قال إبراهيم حين قال الله تعالى:{أَوَلَمْ

---

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٥ / ١٣١.

تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي} [البقرة: ٢٦٠] فقام قتادة مغضباً، وحلف أن لا يحدثهم بشيء البتة. وأنشد:

وبيت خلا من كل خير فناؤه ::: فضاق علينا وهو رحب الأماكن
كأنا مع الجدران في جنباته ::: دمى في انقطاع الرزق لا في المحاسن[1]

أترغب حتى أسميك! :

قال الحسن بن علي قاضي مرو: كان أبو حنيفة من أفطن الناس، وذلك أن رجلاً كان يتجمل بالستر الظاهر والسمت البين، وكان يلبس على ذلك، فقدم رجل فأودعه مالاً خطيراً وخرج حاجاً، فلما قضى نسكه عاد إلى صاحبه وطلب وديعته فجحده، فألح عليه فتمادى، وكاد يهيم الرجل، واستشار ثقة فقال له: كف عنه وصر إلى أبي حنيفة فدواؤك عنده، فانطلق الرجل إليه وخلا به وأعمله شأنه وشرح له قصته، فقال له أبو حنيفة: لا تعلم بها أحداً، وامض راشداً وعد إلي غداً، فلما أمسى أبو حنيفة جلس كعادته واختلف الناس إليه، فجعل يتنفس الصعداء كلما سئل عن شيء، فقيل له في ذلك قال: إن هؤلاء - يعني السلطان - قد احتاجوا إلى رجل يعينونه قاضياً إلى مكان، فقال الناس: اختر من أحببت فما يحضرك إلا نجم، ثم أسبل كمه وخلا بصاحب الوديعة وقال له: أترغب حتى أسميك؟ فذهب يتمنع عليه، فقال له أبو حنيفة: اسكت فإني أبلغ لك ما تريد، فانصرف الرجل مسروراً يظن الظنون بالجاه العريض والحال الحسنة، وصار رب المال إلي أبو حنيفة فقال له: امض إلى صاحبك ولا تخبره بما بيننا ولوح بذكري، وكفاك، فمضى صاحب الوديعة إلى الرجل ذلك فوفاه ماله، فصار الرجل إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه، فقال: استر عليه، ولما غدا الرجل إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء، نظر إليه أبو حنيفة وقال: إنه قد نظرت في أمرك فرفعت قدرك عن القضاء [2].

لو ناظر الشيطان قطعه:

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٦ / ٨٢.
(٢) أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، ٦ / ٩٥.

قال أعرابيّ: سمعت خبراً استكّت منه مسامعي، واستهلّت له مدامعي. قال أبو عبد الرحمن المقرئ: كنّا عند المقام وفينا مالك بن أنس، فطلع علينا أبو حنيفة فقال مالك: لقد جاءكم رجلٌ لو ناظر الشيطان قطعه [١].

قال أبو حنيفة: إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله شيء أخذناه، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم.

لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان؟ :

قال أبو معاذ: أهل الكوفة صاروا موالي لأبي حنيفة لأن الضحاك الحروري دخل الكوفة عنوة فجلس في الجامع فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري، فخرج أبو حنيفة إليه بقميص ورداء فقال: أريد أن أكلمك بكلمة، قال: هات، قال: لأي شيء استحللت دخول هذه البلدة وترويع النساء والصبيان؟ قال: لأن القوم مرتدون، فقال أبو حنيفة: لم يزل كان هذا دينهم، أو كانوا على غير هذا؟ فقال: كيف قلت؟ أعد علي، فأعاد، فقال الضحاك: أخطأنا، أخطأنا، أغمدوا سيوفكم وارجعوا.

فأن كنت كاذباً فأني لا أصلح:

قال خارجة بن مصعب: دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء.

فأبى فحبسه، ثم دعا به فقال له: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، لا أصلح للقضاء، فقال: كذبت، فقال أبو حنيفة: قد حكم علي أمير المؤمنين بأني لا أصلح لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذباً فإني لا أصلح، وإن كنتُ صادقاً فقد قلت: إني لا أصلح، فرده إلى الحبس.

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من

(١) أبو حيان التوحيدي. البصائر والذخائر، ٨ / ٢٠٢.

تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول: ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

يا هذا، ليس للقرآن عندك قدر! :

أسلم أبو حنيفة ابنه حماداً إلى المعلم فعلمه الحمد فوصله بخمسمائة درهم، فقال المعلم: إن هذا عظيم، فقال أبو حنيفة: يا هذا، ليس للقرآن عندك قدر؟ (١).

أمكنك الهرب فلم تهرب. :

قال: حدثنا محمد بن يحيى البصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك، فإني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قولي فلا أصلح له، وإن كنت كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروضهم. وأما سفيان فأدركه المشخص في طريق فذهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح إن مكنتني من سفينتك وإلا ذبحت بغير سكين. تأول قول النبي صلي الله عليه وسلم :(**من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين**) فأخفاه الملاح تحت السارية. وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون. وأما شريك فقال المنصور تقلد فقال أنا رجل خفيف الدماغ، فقال تقلد وعليك بالمعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثوري، وقال أمكنك الهرب فلم تهرب (٢).

قل لغريمك: إن المال عندي:

ويقال: إن سبب وضع أبي حنيفة الفقه وتدوينه أنه كان في عصره اثنان حضرا إلى الحمام وأودعا صاحبه وداعة لها صورة، ودخلا الحمام. ثم إن أحدهما خرج وطلب الوداعة وأخذها وراح في سبيله. فلما خرج الآخر طلبها

---

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٩ / ٢١٢ - ٢١٥.
(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ١١.

من الحمامي فقال له: إن صاحبك خرج وأخذها، فراح إلى الحكام في ذلك الزمان وشكاه إليهم فألزموه بالقيام بها للغريم الحاضر وقالوا له: أنت فرطت، وكان الواجب أن لا تدفع الوداعة إلا إليهما معا كما أودعاك معا، فبقي ذلك الرجل في حيرة لا يدري ما يصنع. فلقيه أبو حنيفة، فسأله عن حاله لما رآه من الفكرة والحيرة، فأخبره بقضيته، فقال له: قل لغريمك: إن المال عندي، فأحضر لي صاحبك لأدفع الوداعة إليكما، فإذا أتى به حصلت على غريمك. فكان ذلك سبب خلاص الحمامي من تلك الورطة [١].

يا أبا يوسف من كان صاحب راية طالوت؟ :

عن المزني، عن الشافعي، قال: مضى أبو يوسف القاضي ليسمع المغازي من أبي إسحاق أو من غيره فأخل مجلس أبي حنيفة أياماً فلما أتاه، قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف من كان صاحب راية طالوت؟ قال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كانت أولى بدراً أو أحداً، فإنك لا تدري أيهما كان قبل، فأمسك عنه [٢].

متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ :

ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدي بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم [٣].

ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا:

قال أبو حنيفة رحمه الله: رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فضممت عظامه إلى صدري.

(١) الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر، ص ٧٠.
(٢) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ٢٥٣.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١٩٣.

فهللني، فسألت ابن سيرين، فقال: ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا. قلت: أنا رأيتها.قال: إن صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك [١].

قوموا فما لكم هنا من فرج:

وحكى الهيثم بن عدي قال ماشيت الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه في نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج [٢].

فتوى أبي حنيفة:

ومن المنقول من كتاب الأذكياء أن بعض اللصوص دخل بيتا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم في إبقاء مهجته وأخذ ما في البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يعلم بهم أحدا فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لأجل اليمين فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له احضر أكابر حيك وأدين جيرانك وإمام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فإن كان ليس بلصه قال لا وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له [٣].

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٤٧٧.
(٢) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص ١٤.
(٣) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص٥٠.

لا تتعرض لأبي حنيفة:

ومنه أن الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا حنيفة فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين إن أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول إذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك إلا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة.

بخمسة دراهم:

ومنه أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت إلى الماء فجاءني أعرابي ومعه قربة ملآنة فآبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت: ما رأيك يا أعرابي في السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى أمتلأ ثم عطش فقال عليّ بشربة فقلت: بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقي الماء.

ومنه أنه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الأيام يا إمام أريد التزويج إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح جاء إلى أبي حنيفة فقال إني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت إليه دخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد إلى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج إليه وأظهر أنه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فأشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها إلى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال أرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى إن القوم قد سمعوا وأجابوا

إلى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى لا بد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بما بذلوا لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا إمام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر [١].

تلذذ العلماء بعلمهم:

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا أخذته هزة المسائل يقول: أين الملوك من لذة ما نحن فيه؟ لو فطنوا لقاتلونا عليه [٢].

أفيسرك أن أمك مغنية؟ :

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه؟ قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك نباذة؟ فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه. قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك مغنية؟

بتحليل أبي حنيفة! :

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي: من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة؟ فقال له أبو حنيفة: يا رجل إنك فعلت قبيحاً! فقال: ألست حللته؟ قال: صدقت ومن الحلال أنك تجامع امرأتك، ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك [٣].

قص الشعرات البيض:

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجام: التقط هذه الشعرات البيض، فقال الحجام: لا تلتقطها فإنها تكثر. فقال: فإذاً التقط السود فلعلها تطثر [٤].

---

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص ٥١.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٩.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ /٣٠٤.
(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٤٦١.

ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة:

مات رجلٌ وأوصى إلى أبي حنيفة وهو غائب، فقدم أبو حنيفة وارتفع إلى ابن شبرمة، وادعى الوصية وأقام البينة، فقال له ابن شبرمة: يا أبا حنيفة، احلف أن شهودك شهدوا بحقٍّ، قال: ليس علي يمينٌ، كنت غائباً، قال: ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة، قال: ضلت مقاليدي؟ ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان أن فلاناً شجه، أعلى الأعمى يمينٌ أن شهوده شهدوا بحقٍّ وهو لا يرى؟

قال أعرابيٌّ لعبد الملك: الناقة إذا كانت تمنع الحلب قومتها العصا، قال: إذن تكفأ الإناء وتكسر أنف الحالب (١).

الآن يمد أبو حنيفة رجله! :

وزعموا إنَّ الأمام أبا حنيفة، رحمه الله، كان به ذات مرة ألم في رجله، فكان يمدها في المجلس بين يدي أصحابه. ثم إنّه يوماً حضر مجلسه رجل ذو هيئة كث اللحية لا يعرفه، فتوهمه فقيها وقبض رجله استحياء وصبر على ذلك مدة، والرجل لا يتكلم بشيء فبان له منه خلاف الظن، فمد رجله وقال ذلك (٢).

من كلام الإمام أبو حنيفة:

" إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي ".

" لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا؛ ما لم يعلم من أين أخذناه ".

وفي رواية: " حرام على مَن لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي ".

زاد في رواية: " فإننا بَشَر؛ نقول القول اليوم، ونرجع عنه غداً ".

وفي أخرى: " ويحك يا يعقوب! - وهو أبو يوسف - لا تكتب كل ما

تسمع مني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم، وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً، وأتركه بعد غد ".

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢ / ٣٦١.
(٢) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص ٥٩.

وقال الإمام أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله فيها ولي [١].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: ما أعلم أشد حزناً من المؤمن، شارك أهل الدنيا في هم المعاش، وتفرد في هم آخرته [٢].

وقال أبو حنيفة: المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجر لا يثمر [٣].

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا بليت بالسلطان فخرق دينك بالملق والروغان، ورقعه بالكفارات والإستغفار [٤].

وقال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغنى به عن لئام الناس [٥].

قيل: وجد حماد بن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة زلة كانت منه إليه، فأظهر الإعراض عنه، فكتب إليه أبو حنيفة رقعة يقول فيها: من كان ذنبه إلى الكرام، والعفو عنه في أيدي الصالحين، وتوبته إلى الرحماء، وجنايته إلى الحكماء، كان حرياً بالسلامة، وجديراً بالتخلص من الملامة، وكان ذلك من سعادة جده، ومن التوفيق الذي لا يسلمه إلى أشد عاقبة أمره.

فلما قرأها حماد صفح عن زلته، وأعاده إلى رتبته [٦].

---

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٨.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٤٢.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ /١١.
(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ /٨٣.
(٥) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص١٧٠.
(٦) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٥٨.

شهد أبو حنيفة نكاحاً فقالوا له تكلم، فقال: الحمد لله شكراً لنعمته، وسبحان الله خضوعاً لعظمته، ولا إله إلا الله إقراراً بتوحيده، وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره. إن الله عز وجل خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً، على إن أحل النكاح وحرم السفاح وأمرنا بالإصلاح، ثم إن فلاناً خطب إلى فلان، فعلى اسم الله فلتكن الإجابة، وعلى الخيرة تكون منه العقدة، زوجت وأنكحت [١].

وسئل أبو حنيفة عن الغنى والفقر فقال: وهل طغى من طغى من خلق الله إلا بالغنى؟ [٢].

* * *

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٢٤٤.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٥٤.

الإمام مالك

أعـلام التابعيـن

الإمام مالك

مالك بن أنس: دار مع الإمامة، وهجر الدنيا لأنه إمام دار الهجرة، أبدع في الأثر فثار عليه أهل البدع، العقل الغزير علمه أن الوقار ملك، وأن العلم نور، وأن الإمامة مطلب، أسرته يمانية، ونشأته حجازية، وخلافته عراقية، ومدرسته مغربية.

مالك بن أنس في خدمة العلم كـ أنس بن مالك في خدمة المعلم، تشابهت قلوبهم، لبى نداء الواجب فما أبطأ، ونطق بالحكمة فما أخطأ، ثم قدم للأمة كتاب الموطأ.

خافه أعداء الملة وخصوم الشريعة، فنادوا:{يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف: ٧٧] سكن الدار، وجاور الأنصار، ونشر الآثار.

أرسل إلى العالم الموطأ، فنشر في التمهيد، ورتب في الاستذكار ونثر في المدونة، وضبط في الموافقات، علومه باسقاتٌ لها طلعٌ نضيد، جادل أبا حنيفة، وعلم الشافعي، وورث علمه أحمد.

أما العقيدة: فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وأما الحديث: فثقة الراوي، وعدالة الشيخ، وشهرة المتن، وأما الفقه: فموافقة الأصل، واطّراح الشواذّ، واتباع المشهور.

وأما الزهد: فإظهار النعمة، واجتناب الحرام، ومخالفة الهوى، واطرّاح الدنايا.

مالك بن أنس: هو الإيجاز في بلاغة، والبساطة في عمق، والتواضع في هيبة، رأه أبو جعفر فكبر، وقال: وطئ لنا العلم فقال له: سهل لنا الحكم.

قال له القضاء:{هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣] قال:{مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ} [يوسف: ٢٣]

وأتته الدنانير فصاح:{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب: ٣٣] وطلبه المنصب، فنادى:{فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم} [النمل: ٣٦] [١].

بُشِّر أنس بن مالك بن أبي عامر ذات يوم ببشرى سعيدة، فقد رزقه الله بمولود أسماه (مالكًا) كان ذلك الحدث السعيد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على بقعة من أطهر بقاع الأرض وهي المدينة المنورة، البلد الذي هاجر إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه، فاستنارت بهم وازدانت.

فتح مالك عينيه على الحياة، فوجد التقدير والمهابة يعم المدينة وأهلها، وكيف لا وقد حوى ترابها جثمان رسول الله صلي الله عليه وسلم ودفن فيها، وضمت أرجاؤها حلقات العلم التي تنتشر في كل مكان.

نشأ الطفل في أسرة تشتغل بالعلم، فجده (مالك بن أبي عامر) من كبار التابعين فشجعه ذلك على حفظ القرآن الكريم، فأتم حفظه وأتقن تلاوته، لكنه لم يكتفِ بذلك بل إنه أراد حفظ أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم فذهب إلى أمه وقال لها: يا أماه إني أحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وأريد أن أحفظ أحاديثه، فكيف لي بذلك؟! ابتسمت أمه ابتسامة صافية، وضمته إليها، ثم ألبسته ثيابًا جميلة وعممته وقالت له: اذهب إلى (ربيعة الرأي) - وكان فقيهًا كبيرًا - وتعلم من أدبه قبل علمه.

فجلس الطفل الصغير - مالك بن أنس - يستمع إلى شيخه وينهل من علمه، وبعد انتهاء الدرس يسرع بالجلوس تحت ظلال الأشجار ليحفظ ما سمعه من معلمه؛ حتى لا ينساه، وقد رأته أخته ذات مرة وهو على هذه الحال؛ فذهبت إلى أبيها وقصت عليه ما شاهدته، فقال لها: يا بنيتي إنه يحفظ أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان مالك بن أنس كغيره من الأطفال الصغار يحب اللعب؛ فشغله ذلك عن الدرس والعلم قليلاً إلى أن حدث له موقف كان له أثر كبير في حياته، فقد سأله أبوه يومًا في مسألة هو وأخوه النضر، فأصاب النضر، وأخطأ مالك في الرد على السؤال؛ فغضب منه والده، فكانت هذه الحادثة سببًا في عزمه على الجد والاجتهاد في العلم،

(١) عائض بن عبد الله القرني، سلسلة القمم لأهل الهمم، ٤ / ١٠.

فذهب من فوره إلى (ابن هرمز) وهو عالم كبير، فأخذ يتلقى العلم عليه سبع سنوات، وكان شديد الحرص على الاستفادة منه خلالها.

قال (ابن هرمز) لجاريته في يوم من الأيام: انظري من بالباب، فلم تر إلا (مالكًا) فرجعت إلى الشيخ وقالت له: لا يوجد إلا ذلك الغلام الأشقر (تعني مالكًا) فقال لها: دعيه يدخل فذلك عالم الناس!! وتعلم منه مالك كيف يرد على أصحاب البدع والضلالات، وأراد مالك المزيد، فذهب إلى نافع (مولى عبد الله بن عمر) أحد الرواة العظام الذين رووا عن ابن عمر أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم وكان ينتظره في شدة الحر يترقب خروجه من منزله، ثم يصطحبه إلى المسجد، حتى إذا ما انتهى (نافع) من أداء الصلاة ومكث برهة؛ انتهز الصبي الصغير الفرصة وسأله في الحديث والفقه، فنهل من علمه وأخذ عنه ما في رأسه من نور رسول الله صلي الله عليه وسلم .

ثم لازم مالك بن أنس المحدث الكبير (ابن شهاب الزهري) ليتعلم على يديه، وحرص على ألا يفوته درس من دروس هذا الشيخ، حتى يوم العيد نفسه وهو اليوم الذي يلهو فيه الصبيان ويمرحون، روي عن مالك أنه قال: شهدت العيد، فقلت: هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته: انظري من بالباب، فنظرت، فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك.. قال: أدخليه، فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئًا؟ قلت: لا، قال: اطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثني.. قال لي: هات، فأخرجت ألواحي، فحدثني بأربعين حديثًا فقلت: زدني، قال: حسبك، إن كنت رويت هذه الأحاديث (أي يكفيك هذه الأحاديث إن كنت حفظتها) فأنت من الحفاظ، قلت: قد رويتها، فجذب الألواح من يدي، ثم قال حدث، فحدثته بها، فردها إليَّ.. أي الألواح.

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكًا في العلم والفقه، والحفظ، والعزة ولم يجلس للفتوى حتى شهد له سبعون من جلة العلماء أنه أهل لذلك، يقول الإمام مالك: (ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل تراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة،

وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقال له رجل: فلو أنهم نهوك؟ قال مالك: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه).

اشتهر الإمام مالك بكتابه (الموطأ) وهو كتاب حديث وفقه معًا، جمع فيه ما قوي عنده من حديث أهل الحجاز وأضاف إليه أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ثم رتبه على أبواب الفقه؛ كالطهارة والصلاة والزكاة، وقد عمل في هذا الكتاب نحو أربعين عامًا، وقد تلقاه الناس بالقبول، وسمى مالك كتابه بهذا الاسم؛ لأنه مهد به للناس ما اشتمل عليه من الحديث والفقه، أو لأن العلماء المعاصرين له بالمدينة واطؤوه ووافقوه عليه، وقد طُبِعَ الكتاب كثيرًا في مصر والهند.

يروى في فضله ومناقبه الكثير ولكن أهمها ما روي: عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلي الله عليه وسلم قال:**(ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة)**.

إنه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وصاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة في الإسلام، وهو المذهب المالكي، وصاحب كتب الصحاح في السنة النبوية وهو كتاب الموطأ. يقول الإمام الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو حمير الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني حليف بني تيم من قريش فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وأمه هي عالية بنت شريك الأزدية وأعمامه هم أبو سهل نافع وأويس والربيع والنضر أولاد أبي عامر.

ولد مالك على الأصح في سنة ٩٣هـ عام موت أنس خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم ونشأ في صون ورفاهية وتجمل

طلب الإمام مالك العلم وهو حدث لم يتجاوز بضع عشرة سنة من عمره وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة وقصده طلبة العلم وحدث عنه جماعة وهو بعد شاب طري.

عن ابن عيينة قال مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه.

وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

وعن ابن عيينة أيضا قال: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحا ولا يحدث إلا عن ثقة ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته يعني من العلم.

- روي عن وهيب وكان من أبصر الناس بالحديث والرجال أنه قدم المدينة قال: فلم أر أحدا إلا تعرف وتنكر إلا مالكا ويحيى بن سعيد الأنصاري.

روي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة)** ويروى عن ابن عيينة قال: كنت أقول هو سعيد بن المسيب حتى قلت: كان في زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد الله وغيرهما ثم أصبحت اليوم أقول: إنه مالك لم يبق له نظير بالمدينة.

قال القاضي عياض: هذا هو الصحيح عن سفيان رواه عنه ابن مهدي، وابن معين وذؤيب بن عمامه وابن المديني والزبير بن بكار، وإسحاق بن أبي إسرائيل كلهم سمع سفيان يفسره بمالك أو يقول وأظنه أو أحسبه أو أراه أو كانوا يرونه.

وذكر أبو المغيرة المخزومي أن معناه ما دام المسلمون يطلبون العلم لا يجدون أعلم من عالم بالمدينة، فيكون على هذا سعيد بن المسيب ثم بعده من هو من شيوخ مالك ثم مالك ثم من قام بعده بعلمه وكان أعلم أصحابه.

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب، والفقهاء السبعة، والقاسم وسالم وعكرمة ونافع، وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب، وأبي الزناد، ويحيى بن سعيد، وصفوان بن سليم، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وطبقتهم فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وسليمان بن بلال وفليح بن سليمان وأقرانهم، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق رحمه الله تعالى.

قال أبو عبد الله الحاكم ما ضربت أكباد الإبل من النواحي إلى أحد من علماء المدينة دون مالك واعترفوا له وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنًا كالليث عالم أهل مصر والمغرب والأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم والثوري وهو المقدم بالكوفة وشعبة عالم أهل البصرة إلى أن قال وحمل عنه قبلهم يحيى بن سعيد الأنصاري حين ولاه أبو جعفر قضاء القضاة فسأل مالكا أن يكتب له مائة حديث حين خرج إلى العراق ومن قبل كان ابن جريج حمل عنه.

يروي أبو مصعب فيقول: سمعت مالكا يقول: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين وقد نزل على فرش له وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان وجاء صبي يخرج ثم يرجع فقال لي: أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابني وإنما يفزع من هيبتك ثم ساءلني عن أشياء منها حلال، ومنها حرام، ثم قال لي: أنت والله أعقل الناس، وأعلم الناس قلت: لا والله يا أمير المؤمنين قال: بلى، ولكنك تكتم، ثم قال: والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق فلأحملهنم عليه. فقال مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن أصحاب رسول تفرقوا في الأمصار، وإن تفعل تكن فتنة!!

مواقف من حياة الإمام مالك:

أحمد بن حنبل ومالك:

عن أبي زرعة الدمشقي قال: سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سفيان ومالك إذا اختلفا في الرواية، فقال: مالك أكثر في قلبي. قال: قلت فمالك والأوزاعي إذا اختلفا؟ فقال: مالك أحب إليّ، وإن كان الأوزاعي من الأئمة، قيل له: وإبراهيم (أي النخعي) فكأنه كان يرى أن إبراهيم لا ينبغي أن يقرن بمالك لأنه ليس من أهل الحديث، فقال: ضعه مع أهل زمانه [1].

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى - (١ / ٣٦١).

وأظنك صاحب بدعة:

من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها الإمام مالك موقفه مع من سأله عن الاستواء. فقد جاء إليه رجل وقال: يا أبا عبد الله{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: ٥] كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء [(١)]، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: " الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة " وأمر به فأُخْرِجَ [(٢)].

وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر:

ومن مواقف الإمام مالك الحكيمة ما ردّ به على بعض العُبَّاد حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالك: " إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتحَ له في الصلاة ولم يُفتَحْ له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتحَ لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر " [(٣)].

ما تصنعون بربيعة وهو نائم! :

وروى الترمذي في جامعه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**يوشك أن يضرب الناس بأكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة**) قال: وهذا حديث حسن.

قال عبد الرزاق، وسفيان بن عيينه: إنه مالك بن أنس، ولقد حدث يوما عن

---

(١) العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة. انظر: المعجم الوسيط، مادة (رحض) ١ / ٣٣٤.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٦ / ٣٢٥، وانظر: سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥ / ٢٦، ٥ / ١٤٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨ / ١١٤.

ربيعة الرأي بن عبد الرحمن فاستزاد القوم من حديثه فقال: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في تلك الطاق فأتى ربيعة، فقيل له: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال نعم، فقيل له: فكيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك قال: أما علمتم أن مثقالا من دولت خير من حمل علم.

فتوى لم توافق غرض السلطان :

وسعى به إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو عم أبي جعفر المنصور وقالوا له: إنه لا يرى إيمان بيعتكم هذه بشيء فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو رفعة، وكأنما كانت تلك السياط حليا حلي به، وذكر ابن الجوزي في شذور العقود في سنة سبع وأربعين ومائة وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطا لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان والله أعلم [1].

وليتني لم أفت بالرأي:

وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوه المقتبس: قال حدث القعنبي قال: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت: يا أبا عبد الله، ما الذي يبكيك؟ فقال لي: يا بن قعنب ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني، والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأي بسوط سوط، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي أو كما قال.

وروي أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره، ثم دس عليه من يسأله، فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق، فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث، وقال مالك: ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف.

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة، ١ / ٢٣٠.

نسب المرء داره:

وأما زهده في الدنيا، فيدل عليه ما روي أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له: هل لك من دار؟ فقال: لا ولكن أحدثك فيه حديثا سمعت ربيعة بن عبد الرحمن يقول: نسب المرء داره.

فلا أؤثر الدنيا على مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم :

وسأله الرشيد هل لك دار: فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها دارا فأخذها، ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك: ينبغي أن تخرج معنا قال عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال أما حمل الناس على

الموطأ فليس إليه سبيل، لأن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(اختلاف أمتي رحمة)**، وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)** وقال عليه الصلاة والسلام:**(المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد)** وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني إنك إنما كلفتني مفارقة المدينة لما اصطنعته إلي فلا أؤثر الدنيا على مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا [١].

إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيه نبي الله صلي الله عليه وسلم **بحافر دابة:**

ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه، وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير، ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا، وليس الزهد فقد المال، وإنما الزهد فراغ القلب عنه، ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا، ما روي عن الشافعي أنه قال: رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة، ١ / ٢٣٢.

فقلت لمالك: ما أحسنه فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيه نبي الله صلي الله عليه وسلم بحافر دابة.

والعلم يؤتى ولا يأتي:

وروي عنه أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال: فقلت: أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم اعززتموه عز، وإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال: صدقت أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى:

ومن كلامه لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه، فإنه ذل وإهانة للعلم ولما صنف كتاب الموطأ في الحديث عمل علماء المدينة الموطآت على منواله فقيل: لمالك قد شاركك الناس في مثل هذا التصنيف، فلم تكلف هذا القدر نفسك قال ائتوني بها أنظرها، فلما نظر فيها قال عسى أن يعلموا أي عمل، وقع لوجه الله تعالى فكان كذلك ولم يبق لموطآت الآخرين اسم ولا رسم إلا ما يذكر من موطأ ابن أبي ذئب، وأما موطأ مالك فهو مخدوم طوائف الأنام، وبضاعة الاجتهاد لعلماء الإسلام والقبول بقدر النية.

ما أشكل عليك فاسأله عن مالك بن أنس :

وكان من عباد وقته وأصحاب عبدالله بن المبارك أنه قال: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المنام وقلت: يا رسول الله، قد مضى عصرك وانقضى، فإن وقع لي شك وشبهة في الخاطر في أمر من أمور الدين، فممن أتحققه قال:(**ما أشكل عليك فاسأله عن مالك بن أنس**).

ورأيت مالكا قائما بين يديه:

وروي أيضا عن مطرف أن أبا عبدالله من موالي الليثيين قال: تشرفت بزيارة رسول الله صلي الله عليه وسلم أي: في النوم فرأيته جالسا في المسجد وحوله رجال كالحلقة ورأيت مالكا قائما بين يديه وعنده صلي الله عليه وسلم

مسك يعطيه مالكا قبضة قبضة ومالك ينثره على الناس، فعبرت هذه الرؤيا بظهور العلم النبوي أولا في مالك ثم بواسطته في الآخرين.

مالك وارث سريري:

وروي أيضا عن محمد بن رمح التجيبي المصري أستاذ مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح أنه قال: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم وقلت: نحن مختلفون في مالك وليث أيهما أعلم، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :(**مالك وارث سريري**) ففهمت حينئذ المراد به أنه وارث علمي (1).

اقتلوا هذا الزنديق:

وروي عن يحيى بن خلف بن الربيع الطرطوسي، وكان من صلحاء عصره وعباد دهره أنه قال: حضرت يوما عند مالك فأتى رجل وقال: ما نقول في القرآن أهو مخلوق أم لا؟ فقال الإمام: اقتلوا هذا الزنديق، فإنه سيتولد في كلامه فتن كثيرة وقد عمت البلوى بعد مالك في هذه المسألة، وقتلت جماعات كثيرة من أهل السنة على عدم القول بها.

وكذا روي عن جعفر بن عبدالله أنه قال: كنا عند مالك فسأله رجل عن تفسير قوله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾} [طه: ٥] كيف هذا الاستواء فأظهر مالك الملال الكثير من هذا السؤال، وأطرق مليا وتفكر كثيرا حتى عرق جبينه ثم قال الكيف منه معقول والاستواء منه مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بإخراجه.

فافهم:

وروي عن أبي عروبة، وهو من أولاد الزبير رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند مالك يوما فإذا رجل أتى وذكر نقائص الصحابة، ومساوئهم فقال مالك: اسمع ثم تلا هذه الآية{مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ } [الفتح: ٢٩] حتى بلغ إلى{لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩] ثم قال: من كان في باطنه سيئ الظن بالصحابة ويعيش عدوا لهم فهو داخل في هذا اللفظ فافهم.

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة، ١ / ٢٣٦.

أفلا ينبغي لي أن أعزه وأجله؟ :

وذكر أن هارون الرشيد لما قدم المدينة المنورة لزيارة النبي صلي الله عليه وسلم ، وذلك في بعض حجاته، وجه يحيى بن خالد البرمكي إلى الإمام مالك بن أنس - رضي الله تعالى عنه: احمل إليَ كتابك الذي صنعت - يعني الموطأ - أسمعه عليك، فقال مالك ليحيى: أقرئهُ السلام، وقل له؛ العلم يزار، ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي، فرجع إلى هارون الرشيد وأخبره، ثم قال يحيى: يا أمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بأمر فخالفك، اعزم عليه حتى يأتيك، فبينما هم كذلك إذا بمالك قد دخل وليس معه الكتاب، جاء مسلماً على الخليفة، فسلم وجلس، فقال له هارون: يبلغ أهل العراق أني سألتك أمراً من الأمور سهلا فأبيت علي، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعلك في هذا الموضع، فلا تكنْ أول من ضيع العلم؛ فيضيعك الله تعالى، ولقد رأيت من ليس هو في حسبك ونسبك يعز هذا العلم ويجله، فأنت أحرى أن تجله، ولم يزل يعظه ويعدد عليه حتى بكى، ثم قال مالك: أخبرني الزهري، عن خارجة، عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلي الله عليه وسلم :{لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ} [النساء: ٩٥]، وابن أم مكتوم عند النبي صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أنا رجل ضرير، فهل لي رخصة - يعني في ترك الجهاد - فقال - عليه الصلاة والسلام -:(**لا أدري**)، قال زيد: وقلمي رطب ما جف، حتى غشي النبي صلي الله عليه وسلم الوحي، ثم سرى عنه، فقال: " اكتب يا زيد:{غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ} [النساء: ٩٥]، قال: فحرف واحد يا أمير المؤمنين بعثَ فيه الملك جبريل من مسيرة خمسين ألف عام، حتى نزل على النبي صلي الله عليه وسلم أفلا ينبغي لي أن أعزه وأجله؟ قال: بلى، ثم إن هارون أتى إلى منزل الإمام مالك، فسمع منه الكتاب، ووفقه الله للصواب.

ما ظننت أن أهل العلم يتكلمون بمثل هذا:

واجتمع القاضي أبو يوسف بالإمام مالك عند الرشيد، فقال له القاضي أبو يوسف: ما تقول فيمن سها بزيادة في الصلاة؟ فقال الإمام مالك: يسجد للسهو

بعد السلام، فقال: فإن سها بهما، فقال: يسجد قبل السلام، فقال أبو يوسف ملتفتاً إلى الرشيد: الشيخ تارة يخطئ وتارة لا يصيب، فظن الإمام مالك أنه يقول: تارة يخطئ، وتارة يصيب، فقال: على هذا أدركنا مشايخنا من السلف الصالح، ثم نبه الإمام مالك لقول أبي يوسف ومراده، فقال: ما ظننت أن أهل العلم يتكلمون بمثل هذا، قلت: رحم الله الإمام مالكاً، ورضي عنه، فما أغفله عن مظان السوء، وما أسلم فطرته، وأخلص نيته، وأصدق طويته حيث لم يخطر بباله ذلك، ولا خطر بباله أن يخطر ببال أهل العلم [(١)].

خذ بيد سيدك إليك:

قال الشافعي رضي الله عنه فقلت: حدثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته، حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص، فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال: خذ بيد سيدك إليك وسألني النهوض معه.

قال الشافعي رحمه الله: فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام إلى خلوة في الدار، وقال لي: القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء. قال الشافعي رضي الله عنه: فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملاً طبقا فوضعه من يده وسلم الإمام عليَّ ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الإناء، وأراد أن يغسل عليَّ أولاً فصاح عليه مالك قال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف.

قال الشافعي رضي الله عنه: فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضي الله عنه وسألته عن شرحه فقال: إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه.

قال الشافعي رضي الله عنه فكشف الإمام رضي الله عنه الطبق، فكان فيه صفحتان في إحداهما لبن، والأخرى تمر فسمى الله تعالى، وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي: يا

(١) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم، فقلت: لا عذر على من أحسن، إنما العذر على من أساء.

قال الشافعي رضي الله عنه فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة، ثم قام عني وقال: حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع عليَّ مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيته حاملاً إناء فيه ماء فتبشع عليَّ ذلك فقال لي: لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض.

قال الشافعي رضي الله عنه: فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا في مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رؤوس الجبال فجلس مالك في مجلسه بالأمس وناولني الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه.

قال الشافعي رضي الله عنه: فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذي كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ. قال الشافعي فأمليت عليهم حفظاً منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم، قال الربيع: وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبي صلي الله عليه وسلم .

قال الشافعي رضي الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة، فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فأخبرني وسألته عن بلده فقال: العراق، فقلت: أي العراق؟ فقال لي: الكوفة. فقلت: من العالم بها والمتكلم في نص الكتاب، والمفتي بأخبار رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فقال لي: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة رضي الله عنه.

وقال الشافعي رضي الله عنه فقلت: ومتى عزمتم تظعنون فقال لي في غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له: خرجت من مكة في طلب العلم بغير

استئذان العجوز أفأعود إليها أو أرحل في طلب العلم فقال لي: العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلبه [١].

قال الشافعي رضي الله عنه: فلما أزمعت على السفر زودني الإمام مالك رضي الله عنه، فلما كان في السحر سار معي مشيعا إلى البقيع، ثم صاح بعلو صوته من يكري راحلته إلى الكوفة، فأقبلت عليه وقلت: بم تكتري، وليس معك ولا معي شيء فقال لي: انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة إذ قرع عليَّ قارع الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم، فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار، وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكترى لي بأربعة دنانير ودفع إليَّ باقي الدنانير وودعني وانصرف وسرت في جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة، فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت فبينما أنا كذلك؛ إذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر، فما أحسن الصلاة فقمت إليه ناصحا فقلت له: أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي: أنا أظن أنك من أهل الحجاز؛ لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق، وأنا أصلي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن، وأبي يوسف فما عابا عليَّ صلاتي قط وخرج معجبا ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن، وأبا يوسف بباب المسجد فقال: أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا: اللهم لا. قال: ففي مسجدنا هذا من عاب صلاتي. فقالا: اذهب إليه فقل له بم تخل في الصلاة.

قال الشافعي رضي الله عنه فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت: بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر في العلم فقالا: اذهب إليه فقل له: ما الفرضان وما السنة؟ فأتى إليَّ فقال: ما الفرضان وما السنة، فقلت له: أما الفرض الأول فالنية، والثاني: تكبيرة الإحرام، والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك، فدخلا إلى المسجد فلما

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ١ / ٨٦.

نظرا إلـيَّ أظنهمـا ازدريـاني، فجلسـا ناحيـة وقـالا: اذهـب إليـه وقـل لـه أجـب الشيخين.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: فلما أتاني علمت إني مسؤول عن شيء من العلم، فقلت: من حكم العلم أن يؤتى إليه، وما علمت لي إليهما حاجة قال الشافعي رضي الله عنه، فقاما من مجلسهما إلـيَّ فلما سلما علـيَّ قمت إليهما وأظهرت البشاشة لهما، وجلست بين أيديهما فأقبل علي محمد بن الحسن، وقال: أحرمي أنت فقلت: نعم فقال: أعربي أم مولى؟ فقلت: عربي. فقال: من أي العرب؟ فقلت: من ولد المطلب. قال: من ولد من؟ قلت: من ولد شافع. قال: رأيت مالكا؟ قلت: من عنده أتيت. قال لي: نظرت في الموطأ؟ قلت: أتيت على حفظه، فعظم ذلك عليه ودعا بداوة وبياض، وكتب مسألة في الطهارة، ومسألة في الزكاة، ومسألة في البيوع، والفرائض والرهان، والحج، والإيلاء، ومن كل باب في الفقه مسألة وجعل بين كل مسألتين بياضا ودفع إلـيَّ الدرج وقال: أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ.

قال الشافعي رضي الله عنه: فأجبت بنص كتاب الله، وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإجماع المسلمين في المسائل كلها، ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده: خذ سيدك إليك. قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: ثم سألني النهوض مع العبد، فنهضت غير ممتنع، فلما صرت إلى الباب قال لي العبد: إن سيدي أمرني ألاَّ تسير إلى المنزل إلا راكبا.

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: فقلت له قدم، فقدم إلي بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة. فطاف بي أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن، وما هم فيه، فبكيت وقلت: أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة، وأهل الحجاز يأكلون القديد، ويمصون النوى، ثم أقبل علـيَّ محمد بن الحسن، وأنا في بكائي فقال: لا يروعك يا عبد الله، ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكتسب، وما يطالبني الله فيها بفرض، وإني أخرج زكاتها في كل عام فأسرَّ بها الصديق، وأكبت بها العدو [١].

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ١ / ٨٧.

أطع أباك ولا تعص أمك:

قال للإمام الليثي بن سعد: إن أبي ببلاد السودان، وقد كتب إلي أن أذهب إليه فمنعتني أمي قال: أطع أباك، ولا تعص أمك. فسأل الإمام مالك عن ذلك، فقال: أطع أباك، ولا تعص أمك.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: الذي فهمته من قول الإمام عنه: أن طاعة الأم أمر لازم، وأولى؛ لأن قوله أطع أباك مصلحة، وقوله: لا تعص أمك أمر بترك المفسدة، وترك المفاسد أولى من جلب المصالح إلا في مسألة: جلب المصلحة أولى من دفع المفسحة، وذلك فيما لو ماتت في جوفها ولد يرجى حياته فشق جوفها مفسدة، وإخراج الولد مصلحة فإخراج الولد هنا واجب قال في الروضة في باب الهبة: يسن للولد أن يعدل في هبته لأبويه، كما يسن للوالد أن يعمل في هبته لأولاده أي: البارين فإن أراد الولد أن يزيد أحد أبويه على الآخر فالأم أولى.

حضر أبو حنيفة درس الإمام مالك، ولم يعرفه، فألقى الإمام مالك سؤالا على أصحابه فأجابه أبو حنيفة فقال: من أين الرجل؟ قال: من أهل العراق. قال: من أهل بلد النفاق والشقاق فقال: تأذن لي أن أقول شيئا من القرآن؟ قال: نعم. فقرأ:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ} [التوبة: ١٠١] فقال الإمام مالك ما قال الله هكذا فقال أبو حنيفة: كيف قال الله قال: ومن أهل المدينة فقال الحمد لله الذي حكمت على نفسك ووثب من مجلسه فلما عرفه أكرمه[١].

يا غلام من أين لك هذا! :

كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه جالساً بين يدي الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه، فجاء رجل فقال لمالك: إني رجل أبيع القماري [٢]، وإني بعت في يومي هذا قمرياً فرده علي المشتري، وقال: قمريك لا يصيح، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح، فقال له الإمام مالك: طلقت زوجتك

(١) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ / ٢٢١، ٢ / ٣١٥.
(٢) والقُمْريّ: ضرب من الطير، الذكر قُمْريّ والأنثى قُمْرِيّة، والجمع القماريّ.

ولا سبيل لك عليها وكان الإمام الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة، فقال لذلك الرجل: أيما أكثر: صياح قمريك أم سكوته؟ فقال: لا بل صياحه، فقال: لا طلاق عليك. فعلم بذلك الإمام مالك، فقال: يا غلام من أين لك هذا؟ فقال: لأنك حدثتني عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال صلي الله عليه وسلم :**(أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه)**. وقد علم رسول الله صلي الله عليه وسلم أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح، وقد قال صلي الله عليه وسلم :**(لا يضع عصاه)** على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته، ولما كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته، جعلته كصياحه دائماً. فتعجب الإمام رضي الله تعالى عنه من احتجاجه، وقال له: أفت فقد آن لك أن تفتي فأفتى من ذلك السن [(١)].

من كلام الإمام مالك :

وقال الإمام مالك رضى الله عنه: ما ظهر من هذا الدين فهو حق، وما بطن منه باطل لقوله تعالى:{لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} [التوبة: ٣٣] فهؤلاء إن اعتقدوا بأن الخلوة بالأحداث والنظر إليهم مباح فقد كفروا، ويجب على ولاةَ الأمور - أيدهم الله - قتلهم، وتطهير الأرض منهم إن لم يتوبوا. وإن اعتقدوا أنه حرام فقد فسقوا وتسقط عدالتهم فيجب على وُلاة الأمور - أيدهم الله تعالى - تعزيزهم التعزيز البالغ، وزجرَهم وردعهم عن ذلك فإن لم يرجعوا عن هذا قاتلوهم. وأما الذي حلفوه أنه لا يعاشر أهل السنة فإنه لا يجب بمعاشرة أهل السنة كفارة عليه فإنه مكره على اليمين انتهى. ثم أجاب بجواب آخر فقال: لاشك أن أهل السنة صفوة هذه الأمة فمن تابعهم، واقتدى بهم فقد سلك طريق الحق، وسبيل الناجحين ومن ضل عن طريقهم فقد ضل عن الهدى، وسلك طريق الهالكين. وهؤلاء قوم ارتكبوا بِدْعاً، ومحرماتٍ وأموراً منكرات لم يردعن أحد من أئمة السلف بجواز ما يفعلونه إن أصروا على ذلك، فهي من الكبائر الموبقات، وإن اعتقدوا إباحة؛ فربما يؤدي إلى الكفر؛

---

(١) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢ / ٣٥٢.

لأنه من القواعد أنه من اعتقد إباحة محرمٍ فقد كفر؛ فيجب عليهم التوبة من ذلك، والرجوع إلى الحق، واتباع الهدى، فإن لم يفعلوا وجب على ولاة الأمور - أيدهم الله تعالى - تعزيرهم التعزير البليغ، وزجرهم عن ذلك ورجوعهم إلى طريق الحق. وأما من أكره الحلف فلا كفارة عليه إذا رجع وتابع أهل السنة [(١)].

وقال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله.

ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله - عز وجل.

إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبه؛ فإن صبر صاحبها أفضت به إلى رَوْح، وإن جزع رجع.

كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل، والأمر يعرض له، عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها.

ثم قال: وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين.

قيل له: ادع لنا ربك، قال: إنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطأ الحجارة.

إن لله - تعالى - عقوبات في القلب، والأبدان: ضنكاً في المعيشة، ووهناً في العبادة، ومسخطة في الرزق.

سمع مالك رجلاً يقول: لو أعطاني الله - تعالى - بيتاً صغيراً لرضيت به.

فقال له مالك: ليتك يا بن أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة.

الخوف من العمل ألا يتقبل أشد من العمل.

كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً، ويقع في الصالحين.

---

(١) المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، ١ / ٦٢.

وجد في بعض الكتب: سبحوا الله - أيها الصديقون - بأصوات حزينة.

قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار، أو هرة.

أشد ما على السفيه الإعراض عن جوابه، وإظهار عدم التأثير له.

مثل الدنيا مثل الحية، مسُّها ليِّنٌ، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان.

قال موسى - عليه السلام -: يا رب أين أبغيك! قال: أبغني عند المنكسرة قلوبهم.

ما أشد فطام الكبير.

لو استطعت أن لا أنام لم أنم؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرَّقتُهم في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس! النارَ النارَ.

ما عاقب الله - تعالى - قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياء.

لم يبق لي من رَوْح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، وتهجد بالقرآن، وبيتٌ خالٍ يُذْكَر الله فيه:

الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض.

وسئل عن الإيمان فقال: قول وعمل. قيل: أيزيد وينقص؟ قال: قد ذكر الله سبحانه في غير آيٍ من القرآن أن الإيمان يزيد، فقيل: أينقص؟ قال: دع الكلام في نقصانه وكُفّ عنه، فقيل: فبعضه أفضل من بعض؟ قال: نعم.

وكان يقول: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، والذي يقف، أشد منه، يُسْتَتاب وإلا ضُربت عنقه.

وسأله أبو السَّمح قال: أيُرى الله يوم القيامة؟ فقال: نعم، يقول الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال لقوم آخرين: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾} [المطففين: ١٥].

وسأله الوليد بن مسلم عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقال: أمِرّوها كما جاءت بلا كيف (١).

وكان يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء.

وسُئِل الإمام مالك: مَنْ أفضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فقال: أبو بكر، فقيل: ثم مَنْ؟ قال: عمر، قيل: ثم مَنْ؟ قال: عثمان، قيل: ثمَّ؟ فقال: هاهنا وقف الناس، رسول الله صلي الله عليه وسلم أمَّرَ أبا بكر على الصلاة، واختار أبو بكر عُمرَ، وجَعلها عمرُ إلى ستةٍ فاختاروا، فوقف الناس هاهنا (٢).

وكان يقول: إن أهل السنة، الذين ليس لهم لقب يعرفون به؛ لا جَهْمي ولا قَدَري ولا رافضيّ.

وليس لمن سبَّ أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم في الفيء حقٌّ، قد قسم الله الفيءَ على ثلاثة أصناف، فقال:{لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ} [الحشر: ٨]، وقال:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ} [الحشر: ٩]، وقال:{وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ} [الحشر: ١٠] وإنما الفَيْء لهؤلاء الثلاثة الأصناف.

وقال: أهل الأهواء بئس القوم، لا يُسَلَّم عليهم واعتزالهم أحب إلي.

وكان رحمه الله كثيرًا ما يتمثل بقول الشاعر:

وخَيُر أمورِ الدِّينِ ما كَانَ سُنَّةً ::: وشرُّ الأُمور المُحدَثَاتُ البَدائعُ (٣)

---

(١) « ترتيب المدارك »: (١ / ١٧٠ - ١٧١)، و« شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة »: (١ / ٣٩٨). وانظر بعض أحاديث الرؤية في « حادي الأرواح » لابن القيم: (٢٩٦ - ٣٣٠)، و « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز تحقيق د عبد الله التركي، والشيخ شعيب الأرنؤوط: (١ / ٢١٥ - ٢١٨).

(٢) « ترتيب المدارك »: (١ / ١٧٥).

(٣) أدب الاختلاف في الاسلام، ١ / ٢٩.

رسالة الليث بن سعد إلى الإمام مالك:

ولعل من أفضل وأحسن أمثلة أدب الاختلاف تلك الرسالة العلمية الرائعة التي بعث بها فقيه مصر وامامها وعالمها الليث بن سعد إلى الإمام مالك، يعرض عليه فيها وجهة نظره في أدب جم رفيع حول كثير مما كان الإمام مالك يذهب اليه ويخالفه فيه الليث بن سعد، ونظرا لطول الرسالة نقتطف منها ما يشير إلى ذلك الادب الرفيع الذي اختلف فيه ظله سلف هذه الامة، وكرام علمائها، يقول الليث بن سعد:

سلامٌ عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاَّ هو.

أما بعد: عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة.

قد بلغني كتابُك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمَّه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثتُ بها إليك، وإقامتك إياها، وختمك عليها بخاتمك وقد أتتنا، فجزاك الله عما قدمت منها خيرًا، فإنها كتب انتهت إلينا عنك، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها.

وذكرت أنه قد أنشَطك ما كتبتُ إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندي موضع وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيت فينا جميلاً، إلاَّ أني لم أذاكرك مثل هذا، وأنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وإني يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به، وأن الناس تبعٌ لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن.

وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدًا يُنسب إليه العلم أكره لشَواذّ الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مَضَوْا، ولا آخذ لفُتْياهم فيما اتفقوا عليه مني، والحمد لله رب العالمين لا شريك له.

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهراني أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا به تبعًا لهم فيه، فكما ذكرت.

وأما ما ذكرت من قول الله تعالى:{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠} [التوبة: ١٠٠]. فإن كثيراً من أولئك السابقين الأوَّلين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاءَ مرضاة الله، فجنَّدوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس فأظهروا بين ظهرْانَيْهم كتاب الله وسنة نبيه، ولم يكتموهم شيئًا علموه وكان من خلاف ربيعة لبعض ما مضى ما قد عرفت، وحضرت وسمعت قولك فيه، وقول ذوي الرأى من أهل المدينة: يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر، وكثير بن فَرقد، وغير كثير ممن هو أسَنٌّ منه، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه.

وذاكرتُك أنت وعبدالعزيز بن عبدالله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك، فكنتما من الموافقين فيما أنكرت؛ تكرهان منه ما أكرهه، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل، ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حَسَنةٌ في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة، ولنا خاصة، رحمه الله، وغفر له، وجزاه بأحسن ما عمله إلى أن قال في ختام رسالته. وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهِبَ مثلك مع استئناسي بمكانك، وإن نَأَتْ الدارُ، فهذه منزلتك عندي، ورأيى فيك فاسْتيقِنْه، ولا تترك الكتابَ إليَّ بخبرك وحالك وحال ولدِك وأهلك، وحاجةٍ إن كانت لك، أو لأحدٍ يُوصَلُ بك، فإنِّي أسرُّ بذلك.

كتبت إليك، ونحن صالحون، معافون، والحمد لله.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولينا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليك، ورحمة الله»[١].

إن الإمام مالكا عليه رحمة الله يقول: «لا يؤخذ هذا العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سواهم: لا يؤخذ من سفيه،

(١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ١٠٣/٣.

ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من كذّاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل ويحدث به».

وقال أيضا: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عند هذه الأساطين (وأشار إلى مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم) فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال كان أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه»[1].

العلم ينقص ولا يزيد ولم يزل العلم ينقص بعد الأنبياء والكتب.

والله ما دخلت على ملك من هؤلاء الملوك حتى أصل إليه إلا نزع الله هيبته من صدري.

أعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع.

ما تعلمت العلم إلا لنفسي وما تعلمت ليحتاج الناس إلي وكذلك كان الناس.

ليس هذا الجدل من الدين بشيء.

(١) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام، ١ / ٢٩.

لا يؤخذ العلم عن أربعة سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ومن يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به [1].

* * *

(١) المصدر: جماع العلم للشافعي: (٢٤٢)، تاريخ خليفة بن خياط: ١ / ٤٣٢، ٢ / ٧١٩، طبقات خليفة: ٢٧٥، المعارف لابن قتيبة: ٤٩٨ - ٤٩٩، المنتخب من كتاب ذيل المذيل للطبري: ١٠٦، ١٠٧، مشاهير علماء الامصار: ت (١١١٠)، الحلية: ٦ / ٣١٦، الفهرست لابن النديم مع تراجم أصحابه: ٢٨٠ - ٢٨٤، أنساب العرب لابن حزم: ١ / ٤٣٥ ٤٣٦، الفهرست للطوسي: ت (٧٤٠)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء: ٩ - ٦٣، طبقات الشيرازي: ٦٧، ترتيب المدارك: ١ / ١٠٢ - ٢٥٤، المبهمات في الحديث للنووي: ٣٤ / ٢، جزء فيه الاحاديث التي خولف فيها مالك بن أنس: تخريج الدارقطني ٢٥٥ / ١ ٢٦٩ / ٢، تذكرة الحفاظ لابن عبد الهادي: ٤٩ / ٢، صفة الصفوة: ٢ / ١٧٧ - ١٨٠، الكامل لابن الاثير، ٦ / ١٤٧، تهذيب الاسماء واللغات للنووي: ٢ / ٧٥ - ٧٩، وفيات الاعيان ٤ / ١٣٥ - ١٣٩، تهذيب الكمال: ١٢٩٧، تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٠٧ - ٢١٣، العبر للذهبي:
١ / ٢٧٢، مرآة الجنان لليافعي: ١ / ٣٧٣ - ٣٧٧، البداية والنهاية: ١٠ / ١٧٤ - ١٧٥، الديباج المذهب: ١ / ٥٥ - ١٣٩، تهذيب التهذيب: ١٠ / ٥، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٢ / ٩٦ - ٩٧، شرح البخاري للقسطلاني: ١ / ٦، مفتاح السعادة طاش كبري زاده: ٢ / ١٢، ٨٤ - ٨٨، التاريخ الكبير: ٧ / ٣١٠، التاريخ الصغير ٢ / ٢٢٠، الطبقات الكبرى للشعراني: ٤٥، شذرات الذهب: ٢ / ١٢ - ١٥، تهذيب التهذيب: ٤ / ١٤ / ٢ - ١ / ٢، الكاشف: ٣ / ١١٢، تاريخ ابن معين: ٢ / ٥٤٣ - ٥٤٦، الانساب: ١ / ٢٨٧، اللباب: ١ / ٦٩، الرسالة المستطرفة: ١٣، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٠، طبقات الحفاظ: ٨٩، تاريخ الخميس: ٢ / ٣٣٣، طبقات القراء: ٢ / ٣٥. كتاب جامع الأصول - (١ / ١٨٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّع ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القاريءُ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: ": اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا: ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " [(١)].

وما وجد القاريئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

المصادر والمراجع

١- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م.

٢- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

٣- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

٤- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥- ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار.

٦- الشعراني: الطبقات الكبرى.

٧- خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، الطبقات، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

٨- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر،

٩- ابن قتيبة الدينوري: المعارف.

١٠- أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي [ت: ٢٧٧هـ]، المعرفة والتاريخ، المحقق: د أكرم العُمَري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨١.

١١- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

١٢- أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ١٩٧٠، بيروت - لبنان.

١٣- شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).

١٤- تذكرة الحفاظ، الناشر: صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت اعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار احياء التراث العربي.

١٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٦- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٧- ٤ - العبر في خبر من غبر، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت

١٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان

١٩- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ ه - ١٩٨٨ م،

٢٠- أبو المحاسن بن تغربردي: النجوم الزاهرة.

٢١- السيوطي: طبقات الحفاظ.

٢٢- الحنبلي: شذرات الذهب.

٢٣- د/ عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة التابعيين.

٢٤- محمد بدر الدين: سعيد بن المسيب.

٢٥- تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م، بيروت.
٢٦- البلاذري: أنساب الأشراف.
٢٧- الإمام أحمد بن حنبل: الزهد
٢٨- أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٩- ابن عساكر تاريخ ابن عساكر.
٣٠- اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان
٣١- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.
٣٢- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٣٣- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: ماهر ياسين فحل.
٣٤- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٧٨
٣٥- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر - بيروت.
٣٦- محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.
٣٧- السلمي: طبقات الصوفية.
٣٨- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

٣٩- الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر، مكان النشر حلب / بيروت، سنة النشر ١٤١٦ هـ.

٤٠- اليافعي: روض الرياحين.

٤١- أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٤٢- ابن الشجري، الأمالي الشجرية.

٤٣- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية.

٤٤- ابن عبد ربه، العقد الفريد.

٤٥- أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ٩٩٩ م، الطبعة الرابعة.

٤٦- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٤٧- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، بيروت.

٤٨- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م الطبعة: الأولى

٤٩- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥٠- أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.

٥١- هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢.

٥٢- أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفسال، دار المعارف - القاهرة.

٥٣- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

٥٤- ابن الكلبي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة، - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٥٥- محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥٦- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة - للإمام البغوى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة: الثانية، - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٧- الطرطوشي، سراج الملوك.

٥٨- تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥٩- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر

مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٥/ ٣٩٢.

٦٠- العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.

٦١- أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين.

٦٢- شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

٦٣- الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٤- عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم ماريديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢.

٦٥- أبوبكر محمد بن الحسين بن عبدالله الاجري، أخلاق العلماء، تحقيق ومراجعة: اسماعيل بن محمد الأنصاري وعبدالله بن عبدالطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٦- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

٦٧- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار إبن زيدون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

٦٨- محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي أبو الحسين، معجم الشيوخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، مكان النشر بيروت، طرابلس، سنة النشر ١٤٠٥.

٦٩- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مشاهير علماء

الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٩٥٩.

٧٠- ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة.

٧١- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس،: دار صادر - بيروت.

٧٢- ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

٧٣- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧٤- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

٧٥- ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبارالظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م.

٧٦- ابن الملقن، طبقات الأولياء.

٧٧- بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٨- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٧٩- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨٠- بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، (تهذيب لكتاب شعب الإيمان

للبيهقي)، هذبه: محمد خلف سلامة.

٨١- أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

٨٢- المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان.

٨٣- أبو الحسين ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٨٤- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، حقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٨٥- إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ.

٨٦- ابن الكلبي، أنساب الخيل.

٨٧- الثعالبي، اللطف واللطائف.

٨٨- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم.

٨٩- أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق.

٩٠- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.

٩١- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩٢- عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ - ١٩٥٢.

٩٣- أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د.

إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.

٩٤- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٩٥- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

٩٦- ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس.

٩٧- عائض القرني، سلسلة دروس القمم لأهل الهمم الصوتية.

٩٨- الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.

٩٩- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.

١٠٠- أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا.

١٠١- ولتر م. باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة عبد العزيز عبد الحق.

١٠٢- أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني.

١٠٣- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد.

١٠٤- عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية.

١٠٥- طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام.

١٠٦- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، وضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

١٠٧- أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

١٠٨- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر.

١٠٩- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة

الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١١٠- إبراهيم بن إسحاق الحربي، رسالة في أن القرآن غيرمخلوق، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

١١١- ابن كنان، يوميات شامية.

١١٢- الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة النشر ١٩٩٦.

١١٣- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١١٤- الوطواط، غرر الخصائص الواضحة.

١١٥- عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

١١٦- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم.

١١٧- زَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْم بْنِ نُجَيْمٍ (٩٢٦ - ٩٧٠هـ)، الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

١١٨- القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١٩- التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية.

١٢٠- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

١٢١- الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر.

١٢٢- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

* * *

الفهرس

* * *

المؤلف في سطور

الدكتور / رجب محمود إبراهيم بخيت:

ولد في محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

حصل علي ليسانس الآداب من جامعة طنطا (تخصص تاريخ) في عام ١٩٩٦ م.

حصل علي دبلوم الدراسات العليا (تخصص تاريخ وحضارة إسلامية) عام ١٩٩٧م.

نال درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة طنطا - كلية الآداب - عام ٢٠٠١ م.

نال درجة الدكتوراة في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة عين شمس - كلية الآداب - عام ٢٠٠٦ م.

* * *

أهم أعمال المؤلف

م	عنوان الكتاب	دار النشر
١	تاريخ دولة المماليك	دار الإيمان بالمنصورة
٢	تاريخ الدولة الأيوبية	دار الإيمان بالمنصورة
٣	الشيعة... التاريخ الكامل	دار الإيمان بالمنصورة
٤	تاريخ المغول	دار الإيمان بالمنصورة
٥	تاريخ الإسلام في الأندلس	دار الإيمان بالمنصورة
٦	الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز	دار العلم والإيمان
٧	الفتح الإسلامي لأذربيجان	دار العلم والإيمان
٨	معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي	دار الإيمان بالمنصورة
٩	سلاح المؤمن (الذكر والدعاء)	دار الإيمان بالمنصورة
١٠	شهداء العلماء	دار الإيمان بالمنصورة
١١	فاعتبروا يا أولي الأبصار	دار الإيمان بالمنصورة
١٢	الظالمون في الدنيا وكيف كان نهايتهم	دار الإيمان بالمنصورة
١٣	ماذا يعني حب النبي صلي الله عليه وسلم ؟	دار العلم والإيمان
١٤	مطالب الظالمين في الآخرة	دار الإيمان بالإسكندرية
١٥	مختصر سير أعلام النبلاء	دار الإيمان بالمنصورة
١٦	مختصر تاريخ الإسلام للذهبي	دار الإيمان بالمنصورة
١٧	مختصر المنتظم لابن الجوزي	دار الإيمان بالمنصورة
١٨	مختصر الطبقات الكبري لابن سعد	دار الإيمان بالمنصورة
١٩	مختصر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	دار الإيمان بالمنصورة
٢٠	مختصر السلوك في معرفة دول الملوك	دار الإيمان بالمنصورة
٢١	مختصر نفح الطيب للمقري	دار الإيمان بالمنصورة
٢٢	ألف حكمة وحكمة من حكم الحكماء ومواعظ الصالحين	دار الإيمان بالمنصورة
٢٣	١٠٠٠ قصة من حياة الأئمة الأربعة	دار الإيمان

		بالإسكندرية
٢٤	قصص ونوادر الأنام في الرؤي والأحلام	دار الإيمان بالمنصورة
٢٥	قصص ونوادر من حياة الطفيليين والبلاغيين والنحاة	دار الإيمان بالمنصورة
٢٦	قصص ونوادر من حياة البخلاء	دار الإيمان بالإسكندرية (تحت الطبع)
٢٧	مختصر تاريخ الطبري	دار الإيمان بالمنصورة
٢٨	مختصر وفيات الأعيات لابن خلكان	دار الإيمان بالمنصورة
٢٩	من مشاهير أعلام المسلمين	دار الإيمان بالمنصورة

* * *